IJA # 2014

الطاقة الكهربائية في اسرائيل

Harb al-Khalīj Āthār ‘alā Isrā’īl

Jaffee Center for Strategic Studies

Tel Aviv, 1992

حرب الخليج

آثار على اسرائيل

تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية "يافي"

حرب الخليج

آثار على اسرائيل

تقرير طاقم مركز الابحاث الاستراتيجية
على اسم "يافي"

حرب الخليج

آثار على اسرائيل

تقرير طاقم مركز الابحاث الاستراتيجية على اسم "يافي".

صادر عن
مركز الابحاث الاستراتيجية على اسم "يافي"
جامعة تل ابيب

بابيروس
دار النشر
في جامعة تل ابيب

طاقم الإبحاث في مركز الدراسات الاستراتيجية
على اسم يافي.
الحرب في الخليج: آثار على اسرائيل

رئيس المركز	اهارون يريف
نائب رئيس المركز وسكرتير/ محرر المشروع	يوسيف اليفر
طاقم الباحثين في مركز الدراسات الاستراتيجية على اسم يافي	زئيف ايتان
	يهودا بن مئير
	ابراهام بن تسفي
	دوري جولد
	شلومو غازيت
	موشيه جروندمان
	اريئيل لويطا
	شاي فلدمان
	عنات كوزرتس
	اهارون كلايمان
	افرايم كام
	آريه شيلف
مشاركون خارجيون	آشر اريان
	زئيف بونين
	جاليا جولان
	يعقوب ليفشتس

الفهـــرس:

نبذة عن اعضاء طاقم البحث.

يوسيف الغير

مقدمة ص ١١

شلومو غازيت

١- حرب الخليج - الاحداث السياسية والعسكرية ص ١٥

الآثار على الصعيد العالمي والعربي

اهارون كلايمان

٢- أثار "النظام العالمي الجديد" على تسوية ازمة الشرق الاوسط ص ٣٧

دوري جولد

٣- ازمة الخليج وعلاقات الولايات المتحدة - اسرائيل ص ٤٨

ابراهام بن تسفي

٤- احتمالات ممارسة ضغوط امريكية على اسرائيل ص ٦٢

جاليا جولان

٥- انعكاسات الازمة على السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط ص ٧٣

افرايم كام

٦- المجموعة العربية في الحرب وتأثيراتها على اسرائيل ص ٨٥

عبر عسكرية

زئيف ايتان

٧- الخطر العراقي الذي يهدد اسرائيل بعد حرب الخليج ص ٩٦

اريئيل لوينطا

٨- العبر العسكرية المستخلصة لاسرائيل من حرب الخليج ص ١٠٠

زئيف بونين

٩- التكنولوجيا في الحرب - الدروس الاولية من حرب الخليج ص ١١٣

شاي فلدمان

١٠- الرد الامريكي في اختبار حرب الخليج ص ١٢٠

عنات كورتس

١١- ازمة الخليج، الارهاب الدولي والكفاح الفلسطيني المسلح ص ١٣٥

المسيرة السلمية في اعقاب الازمة

يوسف الفير

١٢- آثار الحرب على المسيرة السلمية بين اسرائيل والعرب ص ١٤٢

آريه شليف

١٣- امكانية بدء مفاوضات هادفة بين سوريا واسرائيل ص ١٥٩

شاي فلدمان

١٤- احتمالات مراقبة والحد من انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط في اعقاب حرب الخليج ص ١٧٦

أبعاد على الاجهزة الاسرائيلية الداخلية

أشير اريان

١٥- امن ومواقف سياسية: تأثير حرب الخليج ص ١٨٩

يهودا بن مئير

١٦- الساحة الاسرائيلية الداخلية في حرب الخليج ص ٢١٣

يعقوب ليفشيتس

١٧- الاقتصاد الاسرائيلي والازمة في الخليج الفارسي ص ٢٣٠

اهارون يريف

خلاصـــة ص ٢٤٦

نبذة عن اعضاء طاقم البحث

اهارون يريف:

اللواء (احتياط) اهارون يريف يشغل منصب رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية منذ تأسيسه في العام ١٩٧٧. وفي اثناء خدمته في الجيش الاسرائيلي، اسس اللواء يريف مدرسة الاركان والقيادة، وشغل منصب الملحق العسكري للجيش الاسرائيلي في واشنطن، رئيس قسم الاستخبارات (في الاعوام ١٩٦٤ - ١٩٧٢)، وكان نائبا في الكنيست في اعوام ٧٤ - ١٩٧٧، وشغل منصب وزير المواصلات (١٩٧٤) ووزير الاعلام (٧٤ - ١٩٧٥).

يوسف الفير:

انضم السيد اليفر الى المركز في العام ١٩٨١، وهو يشغل منصب نائب رئيس المركز منذ العام ١٩٨٦. وكان قبل ذلك يخدم في الموساد، حيث قام بجملة متنوعة من الوظائف العليا. وشغل منصب سكرتير ومحرر (الى جانب شاي فلدمان) لتقرير طاقم المركز: يهودا والسامرة وغزة: سبل للتسوية السلمية (١٩٨٩)، وكان محرر الميزان العسكري في الشرق الاوسط ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

زئيف ايتان:

عقيد احتياط، د. زئيف ايتان هو محقق كبير في مركزنا. منذ نهاية خدمته في الجيش الاسرائيلي في العام ١٩٨٠ يتخصص د. ايتان في القوات العسكرية في الشرق الاوسط. نشر العديد من المقالات حول القضايا العسكرية في "معريخوت". و د. ايتان مسؤول عن اساس المعلومات العسكرية في المركز وهو مؤلف فصول المعلومات في الميزان العسكري في الشرق الاوسط.

أشر اريان:

بروفيسور اريان مدير مشروع الرأي العام والأمن القومي في المركز. يدرس في دائرة العلوم السياسية في جامعة حيفا، ومركز الدراسات المتقدمة في جامعة مدنية بنيويورك. في العام ١٩٨٨ كتب، في اطار مشروعه في المركز (الى جانب تمار هرمان وايلان تلمود) كتاب:

National Security and Public Opinion in Israel.

زئيف بونين:

د. بونين عمل طوال حياته المهنية في مصلحة تطوير الوسائل القتالية - رفائيل - حيث شغل فيها منصب المدير العام في السنوات ٧٠-١٩٧٨ و ٨٢-١٩٨٧. او ما مجموعه اكثر من ١٣ سنة. في العام ١٩٧٠ حظي بجائزة امن اسرائيل لقاء تطوير الـ "شفرير" - وهو صاروخ جو - جو يعمل اليوم مستشارا في شؤون الصناعات العسكرية، لدى لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، وامور اخرى.

يهودا بن مئير:

د. بن مئير باحث كبير في المركز، وحتى العام ١٩٧١ شغل منصب رئيس قسم علم النفس في جامعة بار ايلان، حيث يعمل اليوم. وفي اعوام ٧١-[illegible] كان د. بن مئير نائبا بن حاخام العسكري. وفي اعوام ٨١-١٩٨٤ شغل منصب نائب وزير الخارجية. ومنذ العام ١٩٨٧ كان [illegible] في مسائل الامن القومي - زاوية للنقد الاسرائيلية

ابراهام بن تسفي:

البروفيسور بن تسفي هو باحث كبير في المركز، ويعمل في دائرة العلوم السياسية في جامعة تل ابيب، ونشر كتبا ومقالات عديدة في مجالات اختصاصه: السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، خيار القوى العظمى لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي، المؤتمر الدولي كوسيلة لتسوية النزاع، والمفاجأة الاستراتيجية.

دوري جولد:

د. جولد هو باحث كبير في المركز، ومدير المشروع حول السياسة الخارجية والامنية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط، وقد نشر في المركز مؤخرا كتاب:

America, The Gulf and Israel: CENTCOM and Emerging

US Regional Security Policies, in the Middle East (1988)

وحرر مجموعة Arms Control in the Middle East (١٩٩٠).

جاليا جولان:

البروفيسورة جاليا جولان تعمل كبروفيسورة في مؤسسة تحمل اسم داروين للدراسات السوفييتية وشرقي اوروبا، ومديرة مركز ابحاث الاتحاد السوفييتي وشرقي اوروبا على اسم مارجوري مايروك، في الجامعة العبرية. وكتبت سبعة كتب عن الاتحاد السوفييتي وعن شرقي اوروبا، ونشرت مؤخرا كتاب:

Soviet Policies in the Middle East from World War to Gorbachev (اصدار جامعة كامبردج).

شلومو غازيت:

اللواء احتياط شلومو غازيت باحث كبير في المركز. في اثناء خدمته العسكرية شغل فيما شغل منصبي منسق شؤون المناطق ورئيس قسم الانتخابات العسكرية "امان". وفي السنوات ١٩٨١-١٩٨٥ كان رئيسا لجامعة بن غوريون في النقب، وفي السنوات ٨٥-١٩٨٨ شغل منصب مدير عام الوكالة اليهودية. كتابه العصا والجزرة يبحث في السياسة الاسرائيلية في يهودا والسامرة. وحرر في المركز مؤخرا الميزان العسكري في الشرق الاوسط ١٩٨٨ - ١٩٨٩.

موشيه جروندمان:

السيد موشيه جروندمان انشأ مركز المعلومات في مركز الدراسات الاستراتيجية في شباط ١٩٧٨، وهو يديره منذ ذلك الحين، هو خريج جامعة تل ابيب، ومتخصص في انشاء مراكز المعلومات ومخازن المعلومات المحوسبة في الوسط الاكاديمي، الصناعي والجماهيري. شغل منصب مستشار في مجال المعلومات للوزارات الحكومية والشركات الخاصة.

اريئيل لويطا:

د. لويطا هو باحث كبير في المركز، وهو متخصص في مسائل الامن القومي والاستراتيجية العسكرية بشكل عام، وفي المجال الاسرائيلي بشكل خاص. في العام ١٩٨٦ نشر كتاب المتحيزان (... ناجات ... رتيجية من ... جامعة كولومبيا). وفي المركز نشر في العام ١٩٨٩ - ١٩٩٠ كتاب العقيدة العسكرية لاسرائيل: الدفاع والهجوم، وهو يحرر الان بحث في مجال الصورة الذرية لاسرائيل في عيون العرب.

يعقوب ليفشيتس:

السيد يعقوب ليفشيتس هو خبير في مجال الاقتصاد من الجامعة العبرية. شغل منصب المستشار الاقتصادي لجهاز الامن في السنوات ٧٥ - ١٩٧٩. كما شغل مناصب ادارية مختلفة في مجمع "كلال"، بينها مدير عام "الكترا" (اسرائيل) محدودة الضمان، في السنوات ٨٤ - ١٩٨٩ وفي السنوات ٨٩ - ١٩٩١ شغل منصب المدير العام لوزارة المالية.

شاي فلدمان:

د. فلدمان هو باحث كبير في المركز. في العام ١٩٨٣ نشر كتاب الردع النووي لاسرائيل وكتب كثيرا في مواضيع: السياسة النووية الاسرائيلية، وحرب لبنان، والسياسة الامريكية في الشرق الاوسط وهو يعمل اليوم في مجال مشاكل الردع في المنطقة وفي امكانيات تحقيق تسويات للاشراف والرقابة على السلاح في الشرق الاوسط.

عنات كورتس:

السيدة كورتس هي المشرفة على مشروع البحث في الحرب غير النظامية في المركز منذ العام ١٩٨٩. وهي تحمل لقب الماجستير في علم النفس الاجتماعي من جامعة تل ابيب. ونشرت السيدة كورتس الكثير في موضوع الارهاب وفي السنوات الاخيرة حررت وشكلت عنوانا رئيسيا لـ In Ter، استطلاع الارهاب الدولي السنوي للمركز. وهي تعمل اليوم في المواضيع المتعلقة بالانتفاضة الفلسطينية.

اهارون كلايمان:

البروفيسور كلايمان باحث كبير في المركز، وهو بروفيسور في العلاقات الدولية، ورئيس دائرة العلوم السياسية في جامعة تل ابيب، في العام ١٩٨٨ نشر في المركز كتاب:

Statecraft in the Dark. Israel's Practice of Quiet Diplomacy. ومن كتبه الكثيرة، من المتوقع ان يصدر في العام ١٩٩٢ حربة مشحوذة: التصدير الامني لاسرائيل وسوق السلاح العالمي.

افرايم كام:

د. كام هو باحث كبير في المركز منذ العام ١٩٩٠. انهى اللقب الثالث في العلاقات الدولية في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة. وترجم وحرر كتاب حسين يشرع في الحرب (١٩٧٤)، ونشر كتاب هجوم مفاجيء (الطبقة العبرية، ١٩٩٠). وفي المركز كتب في العام ١٩٩١ التحولات في الاتحاد السوفييتي وشرقي اوروبا: آثار على الشرق الاوسط.

آريه شليف:

عميد احتياط شليف هو باحث كبير في المركز منذ العام ١٩٧٨. وآخر منصب له في الجيش الاسرائيلي في ختام خدمة استمرت ٣٣ سنة كان قائد منطقة يهودا والسامرة (١٩٧٤-١٩٧٦). والكتابان الاخيران اللذان نشرهما شليف في اطار عمله في المركز هما [illegible] مواجهة (وهو يشغل في العلاقات الامنية بين سوريا واسرائيل في السنوات ٤٩-١٩٥٥). والانتفاضة: الاسباب: المميزات والآثار (١٩٩٠).

مقدمـــة

بقلم: يوسف اليفر

ولدت فكرة هذا الكتاب في ٢ آب ١٩٩٠، اي في اليوم الذي قام فيه العراق بغزو الكويت، والذي تبعه تطورات عالمية ومحلية شملت اسرائيل ايضا. وكنا قد اوضحنا في النقاشات الاولية التي جرت في مركز الابحاث الاستراتيجية، انه علينا المساهمة في الجهود المبذولة لدراسة انعكاس هذه التطورات على اسرائيل. وتعتبر هذه المساهمة نتيجة مباشرة للمهمة التي كلفنا بها المركز وهي ان نغني ونعمق النقاش الجماهيري في البلاد والعالم الواسع حول المواضيع الاستراتيجية المتعلقة باسرائيل.

وبدأنا اثناء الحرب بتحديد هذه المواضيع وتعريفها وتوزيع مهمات البحث ومراسلة الباحثين. وتطلعنا الى ان نضع امام القارىء تقريرا بالانجليزية والعبرية، وبقدر المستطاع في "الزمن الحقيقي" - تقريرا يحلل انعكاس الحرب والاحداث التي رافقتها على اسرائيل من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية - الاجتماعية.

ومع انتهاء الحرب، واثناء تحضير الكتاب، واجهتنا ظاهرتين انتشرتا جماهيريا في اسرائيل والمنطقة سنحاول التطرق اليهما باختصار: الاولى هي "رد الفعل المتأخر" (Delayed Reaction) الذي ميز، كما يتضح، التطورات الاستراتيجية المركزية في منطقتنا. وابرز الامثلة على ذلك هي الاحداث التي عقبت يوم الغفران، بدءا من الانقلاب في الخريطة السياسية الاسرائيلية (صعود الليكود الى السلطة ومعاقبة حزب العمل على اخطاء حرب الغفران)، الذي لم يطرأ في الانتخابات التي جرت بعد انتهاء الحرب مباشرة، بل بعد مرور ثلاث سنوات، ومرورا بمبادرة السادات السلمية التي حدثت هي ايضا بعد مرور ثلاث سنوات. ويرى الكثير من الباحثين ان اندلاع الانتفاضة بعد عشرين سنة من الاحتلال الاسرائيلي في المناطق واستلام الاسد السلطة في دمشق بعد ثلاث سنوات من مزيمة حرب الايام الستة، تشكل امثلة اخرى على هذه الظاهرة.

وفي حالة حرب الخليج، تظهر امكانية ان تكون التحاليل الواردة هنا حول الانعكاسات الاستراتيجية، قصيرة النظر الى حد ما، وذلك لانها تستند الى مواضيع وردود فعل من الجائز ان تصبح مع مرور الوقت ظواهر عابرة وليست موضوعية. ومع ذلك هناك عدة نزعات وتوجهات بدأت في الظهور اثناء الحرب، قد لا تكون ثابتة بما فيه الكفاية ولكنها قد تنضج وتتحول الى مركزية. وعلى سبيل المثال، فان قرار الاسد في منتصف حزيران ١٩٩١ الدخول دون شروط مسبقة في مفاوضات مباشرة مع اسرائيل قد يشكل النموذج الاول لرد فعل متأخر صادر عن زعيم عربي عقب حرب الخليج. لقد سجلنا هذه الظاهرة ونحن نوصي القارىء ان يأخذها بالحسبان. ولكنها لا تبرر حسب رأينا، قرار عدم الشروع الان في ابحاث حول ابعاد حرب الخليج.

وهذا الاستنتاج تعززه الظاهرة الثانية، التي يكمن داخلها السبب الذي يبرر مواجهة الجمهور الاسرائيلي بابعاد الحرب دون تأخير. حيث يبدو ان هناك اتجاه في اسرائيل يعمل على طمس وتغييب نتائج وآثار الحرب الاخيرة ويمتنع عن مواجهة العبر والانعكاسات الناجمة عنها وعن التجربة المريرة التي اجتازها السكان. وقد تجلى الامر مثلا باللامبالاة وعدم الانفعال اثر الكشف عن ما سمي بالاخطاء المتعلقة بالاجهزة الدفاعية ضد الحرب الكيماوية التي وزعت على كل منا. وقد واجهنا هذه الظاهرة ايضا اثناء اتصالاتنا التي اجريناها قبيل اخراج هذه المجموعة من المقالات. وقال احد الناشرين المركزيين في البلاد بانه امتنع حتى الان عن نشر اليوم اسود من الحرب، ذلك لانه شعر ان الجمهور غير مهتم بالامر نتيجة لمحاولات تجاهل الحرب.

من الواضح ان باستطاعة كل منا ان يمتحن نفسه بالاجابة على السؤال التالي: هل امتنع عن التفكير بأبعاد الحرب على مستقبلنا بسبب قناعته بعدم وجود مثل هذه الابعاد؟ او بسبب ان التجربة التي اجتزناها كانت خاصة الى درجة لا يمكن ان نستنبط منها العبر والدروس العملية، وكيف يمكن ايضا ان تعشعش في نفوسنا نزعة قوية بعدم التفكير ثانية بصفارات الانذار والغرف المحكمة الاغلاق وبالجنود الاجانب الذين يدافعون عنا هنا في اسرائيل، وبالربط بيننا وبين احداث المنطقة، وبقوة الردع الاسرائيلية وذلك خوفا من المغزى الخطير والمخجل الذي يثيره التفكير بهذه الامور. ومهما يكن حجم تجاهل الجماهير للحرب فانها ليست مسألة ايجابية. حيث وبالرغم من خصوصية حرب الخليج فقد حدثت بها امور جديرة بالفهم والدراسة لاستنباط العبر التي تفيدنا في توقع ما قد يحدث لنا في المستقبل.

ومن هنا تكمن اهمية هذا الكتاب، اضافة الى ذلك ونتيجة لاهتمامنا المكثف في انعكاسات الازمة فقد عرضنا هنا صورة للوضع الاستراتيجي لاسرائيل في منتصف سنة ١٩٩١ بزواياها المختلفة. ولا شك في ان اهمية تشجيع النقاش الجماهيري المبكر والشامل لابعاد الحرب هي التي دفعتنا ايضا الى التطرق للانقلاب الذي حدث في الاتحاد السوفييتي، هذا الانقلاب الذي جعلنا نقف امام كتاب نستعد لنشره، حيث من الطبيعي ان يبرز الى اذهاننا سؤال ما اذا كان من الافضل تأخير نشره واغنائه بالتطورات الجديدة: صحيح ان حرب الخليج لم تكن الا عامل غير مباشر وجزئي للثورة ولكن علم من التقارير الاولية التي وصلت من موسكو في ١٩ آب ١٩٩١ بأن نتائج الانقلاب من شأنها ان تؤثر على بعض التطورات التي تم تحليلها في التقرير وربما من شأنها ايضا ان تؤثر على النتائج والعبر الناجمة عن هذه التطورات، وذلك في مجالات اساسية مثل تسوية اقليمية في الخليج ومسيرة السلام، العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة وتسليح العراق ودول عربية اخرى. وعلى الرغم من ذلك نعتقد بانه ليس للانقلاب تأثير مباشر على معظم مجالات تحليلنا وان ابعاد هذا الحدث المحتملة على منطقتنا تحتاج الى نقاش منفصل دون ان ترتبط قصرا مع حرب الخليج. من هنا ربما تكون الرغبة في تغطية هذا الحدث تغطية كاملة لا تبدو لنا معقولة على ضوء محاولات تأجيل عرض التقارير، فقد قررنا طرح استنتاجاتنا للنقاش العام دون تأخير او تأجيل. ولعل النهاية السريعة للقضية السوفييتية وفشل اولئك الذين كان من شأنهم ان يغيروا السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي قد ساهم ايضا في هذا القرار.

لقد قام بكتابة كل فصل من فصول هذا الكتاب باحث في مركز الابحاث الاستراتيجية او باحث ضيف انضم الى الطاقم في مجال تخصصه. وهذه الفصول في معظمها تشمل الاحداث والتطورات لغاية بداية صيف حزيران ١٩٩١. حيث ان تفاصيل بعض المعلومات (مثل معطيات اقتصادية ومعطيات حول آراء الجمهور) أجملت في شهر آذار اي بعد انتهاء الحرب مباشرة. وقد جرى في المركز نقاش عميق ومفصل حول كل فصل من فصول الكتاب، باشتراك كل المؤلفين وبحضور موشيه غروندمان مدير مركز المعلومات على اسم يافي الذي تابع كل احداث وتطورات الازمة وجمع المواد الخام للباحثين.

هذا بالاضافة الى قيام الباحثين كل في مجال تخصصه بالتشاور والتدقيق مع شخصيات في جهاز الامن وبعض السياسيين والاكاديميين. وكانت بعض موضوعات البحث قد عرضت من قبل الباحثين / المؤلفين في ندوات دراسية في اسرائيل وخارجها - وخاصة في "يوم ددو" (اليوم الدراسي السنوي الذي عقد من قبل "يد ددو" اليعيزر ومركز الابحاث الاستراتيجية على اسم يافي) في مطلع شهر ايار ١٩٩١. كوسيلة للاستماع الى التعليقات والملاحظات بغية رفع مستوى التحليل واغنائه. واتضح في عدد من الفصول (مثلا الرقابة على الاسلحة، والعلاقات السورية - الاسرائيلية) ان هناك ضرورة لعرض خلفية مفصلة تبدو لأول وهلة وكأنها خارجة عن اطار موضوع ازمة الخليج، ويعود سبب هذا العرض الى مركزية الموضوع المتجددة في اعقاب الازمة. كما ان هناك تطابق معين بين عدد من الفصول (مثل الفصول التي تتناول العلاقات الامريكية - الاسرائيلية، والمسيرة السلمية والفصول المكرسة للنتائج العسكرية)، وهذا في رأينا ضروري ومهم، خاصة وان هناك احتمال ان يقوم القارىء بقراءة فصول الكتاب بطريقة انتقائية. ومن مزايا الكتاب ايضا هي ان المشاركين فيه تمتعوا بحرية عرض الادلة والبراهين، او الاتجاه المطلوب في البحث يحرر الكاتب نسبيا من القيود الاكاديمية، ومعتقد

ان اسلوب النقاش والنقد الذي انتهجناه ساهم في رفع مستوى وتوازن فصول المجموعة. ومع ذلك فان مسؤولية ما ورد في كل الفصول تقع في نهاية المطاف على عاتق كل باحث.

هيكلية الكتاب.

يقسم الكتاب الذي امامنا الى اربعة ابواب تتناول ابعاد الازمة على المستوى العالمي والعربي والنتائج والعبر العسكرية والمسيرة السلمية في اعقاب الازمة وابعادها على الجبهة الداخلية في اسرائيل. ويبدأ الكتاب بفصل مقدمة وينتهي بالخاتمة.

وكتب الفصل الاول، العميد احتياط شلومو غازيت الذي يصف الازمة والحرب من خلال تصورات واستراتيجيات الطرفين الرئيسيين، العراق والولايات المتحدة. ويتطرق الفصل، بهذه الطريقة او تلك، الى كل موضوع من الموضوعات التي ترد في فصول الكتاب.

وباب الحلبة الدولية يبدأ بموضوع البروفيسور اهارون كلايمن الذي يتناول فيه الترتيب العالمي الجديد الذي يسعى اليه الرئيس بوش: هل قام ترتيب جديد كهذا في مرحلة ما من مراحل الازمة، وما هو مغزاه؟ وفي السياق، يعرض د. دوري جولد التدخل الامريكي العسكري - السياسي في منطقة الشرق الاوسط اثناء الحرب وبعدها، من "القيادة الوسطى" المتمركزة في الخليج وحتى "قيادة اوروبا" التي تشمل ايضا اسرائيل. ويتطرق البروفيسور ابراهام بن - تصابي بصورة مفصلة الى العلاقات الامريكية - الاسرائيلية، ويوضح، استنادا الى تجارب الماضي، الاسباب التي تقف وراء الضغط الامريكي على اسرائيل في نطاق المسيرة السلمية التي عقبت الحرب. وتتناول البروفيسورة غيلا غولان مغازي وابعاد الموقف السوفييتي من الازمة والحرب بالنسبة لاسرائيل، فيما يستعرض الدكتور "افرايم فام" دور المنظومة العربية اثناء الازمة فيما يتعلق باسرائيل ومصالحها ويتطرق الى امكانية تبلور ائتلاف عسكري عربي ضد اسرائيل في السنوات القريبة القادمة.

باب الدروس والعبر العسكرية يبدأ بتحليل العقيد احتياط د. زئيف ايتان الذي يبين حجم الدمار الذي اوقعته دول التحالف لالة الحرب العراقية، كما يبين حجم القوة العسكرية العراقية التي بقيت بعد الحرب وامكانية ان تلعب دورا كبيرا في حرب عربية مستقبلية ضد اسرائيل. ويعرض د. اريئيل لويتا بطريقة منهجية النتائج والدروس العسكرية التي باستطاعة اسرائيل استخلاصها من هذه الحرب، مع كل محدوديتها من ناحية المشاركة الاسرائيلية. فيما يركز الدكتور زئيف يونان على العبر التي يمكن استخلاصها في مجال انواع الاسلحة التي استخدمت في المعركة. وقد توسع كل من لويتا ويونان في التحليل واشارا الى التغييرات في النظرية العسكرية التي طرأت بعد الحرب والجديرة بالدراسة والاهتمام من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي. اما الدكتور شي فلدمان فقط كتب عن مشكلة الردع الاسرائيلي قبل الحرب وخلالها ويصف التحدي في مجال الردع التي برز بعد الحرب. وتختتم عنات كورتش الباب العسكري بتحليل الارهاب الدولي في الحرب، وبالأصح، تناولت الاسباب التي جعلت العراق تستند ولو قليلا على سلاح الارهاب.

وافتتح الباب الذي تناول المسيرة السلمية "يوسف اليفر" بتحليل فرص المسيرة السلمية في اعقاب الحرب وتطرق الى كل زواياها - الفلسطينية - الاسرائيلية - العربية، والرقابة على التسلح، من خلال التطرق الى الاطراف المشاركة. وفي السياق يركز العميد احتياط اريبه شولو على الموضوع السوري - الاسرائيلي ويستعين باحداث ودروس من الماضي بغية ايضاح فرص تطوير العلاقات [illegible] يعرض د. شي فلدمان بالتفصيل موضوع الرقابة والاشراف على الاسلحة في الشرق الاوسط. هذا الموضوع الذي يشغل كل الاطراف في اعقاب ازمة الخليج. ويحاول الباحثون الثلاثة تقييم فرص نجاح الجهود السلمية في اثر الحرب، استنادا الى المعطيات التي توفرت حتى نهاية حزيران ١٩٩١.

والباب الاخير يتناول ابعاد الحرب على الحلبة الداخلية في اسرائيل. وفي بدايته يعرض البروفيسور ايشر اربان نتائج استطلاع الرأي العام الاسرائيلي الذي جرى بإشرافه [illegible] مركز الابحاث الاستراتيجية بعد انتهاء الحرب بفترة قصيرة.

ويهدف الاستطلاع الى معرفة تأثير الحرب على اهتمام الجمهور بالمشاكل الامنية التي رافقتنا طوال كل السنين. وفي السياق يحلل د. يهودا بن مئير تصرفات الجمهور الاسرائيلي اثناء الازمة والحرب. وكيف مررنا بتجربة صفارات الانذار وسقوط الصواريخ وما هي الرواسب التي بقيت؟. وينتهي هذا الباب بمقال يعقوب ليفشيتس الذي تطرق الى الاقتصاد الاسرائيلي اثناء الحرب، دوره وعيوبه، ويشير بن مئير وليفشيتس الى عدة مجالات من الممكن ان نستخلص منها عبر ودروس عملية في حالة حدوث اوضاع مشابهة في المستقبل.

ويختتم العقيد احتياط اهارون ياريف ذلك بعرض مفصل وشامل للمجالات التي اثرت فيها الحرب على اسرائيل وخاصة الدروس والعبر التي من الممكن استنتاجها في كل مجال ومجال، بما في ذلك المسيرة السلمية بين اسرائيل والعرب.

شكر وتقدير.

من اجل اصدار هذا التقرير احتجنا لمساعدة صندوق "ناثان كومينجس" (Cumminjs Foundation The Nathan) نيويورك، ولم يطالب هذا الصندوق ان يؤثر باية صورة على نتائج البحث انما فقط اراد دعم جهودنا لاغناء النقاش الجماهيري في المواضيع مدار البحث.

وقد ساهم في هذا البحث الذي استكمل في فترة قصيرة الكثير من الاشخاص الذين بذلوا جهودا تجاوزت العمل العادي، حيث كرس يوسي افنير الايام الطوال في تنقيح الفصول لغويا.. وترجم عامر شمير فصلين من الانجليزية الى العبرية، وبذلت كل من روتي الفيس وريفكا شومان جهدا متميزا في اعداد النصوص، وقامت طوبا فولونسكي مديرة مكاتب المركز وشولميت رايخ السكرتيرة العامة بتنسيق المهمات واهتمتا بان يعمل الجميع كما يجب.

ويبدي يعقوب ليفشيتس رغبته بالاشارة الى المساعدة التي قدمها يورام غباي ودوب ميشود من وزارة المالية "وآبي بن بست" من بنك اسرائيل وذلك بتقديم الملاحظات على مسودة البحث ويقدم شي فلدمان الشكر الى "سام فيدرمان" لمساعدته في جمع مواد الفصل العاشر عن الردع.

وختاما من الواجب الاشارة الى ان طاقم الباحثين وجهوا وارشدوا اثناء قيامهم بهذا الجهد الكبير بكل ابحاثه ومشاريعه، من قبل رئيس الابحاث الاستراتيجية اهارون ياريف.

آب ١٩٩١ "يوسف اليفر"

الفصل الأول

حرب الخليج
الاحداث السياسية والعسكرية

بقلم: شلومو غازيت

ان تسلسل الاحداث التي ادت الى احتلال العراق للكويت ومن ثم الى الخطوات السياسية - العسكرية التي وصلت ذروتها في عملية "عاصفة الصحراء" التي قام بها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. يشبه التراجيديا اليونانية التي اراد كل طرف فيها منع تدهورها غير ان القدر سار لوحده ووجه سير الاحداث فيها.

ان احدا لم يكن يتوقع حدوث تطورات يقف خلالها العراق في مواجهة الولايات المتحدة التي تقف على راس تحالف دولي كبير، يعمل بتفويض مجلس الامن. وكانت الخطوات العراقية التي قادت الى المواجهة عبارة عن مزيج بائس من الجهل والوقاحة وجنون العظمة.

ومع انه كان يجب من البداية ان لا يسمح لهذه التطورات ان تحدث غير ان التاريخ مليء بالتطورات التي لم يكن احد يتصور حدوثها.

في خضم الاحداث الدراماتية التي لم يكن بالامكان السيطرة عليها وقع العراق والولايات المتحدة، قبل الثاني من آب واحتلال الكويت، تحت اسر مفاهيم وتصورات سياسية حالت دون ان تفكر الدولتان بروية وحكمة ودون ان تجري تحليلا مفصلا وتقديرا واقعيا لما قد يحدث. فبالنسبة للعراق فقد استمر في انتهاج مفاهيم سياسية - استراتيجية مضللة حتى اثناء الازمة واثناء المعركة التي شنتها دول التحالف لتحرير الكويت.

ان التحليل الذي سيرد في السياق سيركز بالاساس على عرض هذه المفاهيم وانعكاساتها على الاحداث السياسية والعسكرية طوال مرحلة الازمة والحرب.

المفاهيم السياسية العراقية

ان خلفية المواجهة التي استمرت فترة طويلة من الوقت، واعتداء العراق على استقلال وحرية الكويت معروفة منذ وقت طويل ولا مجال هنا لتناولها بالتفصيل غير اننا سنكتفي بعرض اسس الموقف العراقي: لقد طالب العراق بالكويت كجزء من اقليم البصرة العثماني وكجزء لا يتجزأ من المنطقة الجغرافية التي هي الضفة الجنوبية الغربية لشط العرب والمنفذ الطبيعي للعراق الى الخليج الفارسي. ورغم ان المطالب التاريخية للعراق بشأن الكويت طرحت كمبرر للغزو الا انها عمليا كانت ذات اهمية ثانوية لحظة اتخاذ القرار. واستخدمت كمناورة لتبرير العملية ولم تشكل الدافع القوي والواقعي.

ان الحرب العراقية - الايرانية التي استمرت ثماني سنوات كبدت العراق خسائر جسيمة اقتصادية ومالية. وتقدر الديون العراقية بـ ٧٠ - ٨٠ مليارد دولار. وازاء هذه الظروف من غير المدهش ان يبحث النظام عن حلول سريعة وغير مألوفة [illegible] كانت الكويت بمثابة اغراء لم يستطع النظام العراقي مقاومته. ورأى ان عملية عسكرية سريعة تنقل كل الموارد النفطية الكويتية الى الخزينة العراقية، مهمة سهلة وفي متناول اليد.

لا يمكن فصل الخطوات العراقية هذه عن تصوراته السياسية - الاستراتيجية. فالعراق سعى للوصول الى زعامة ذات وزن كبير في العالم العربي. وامل في ان يحقق ذلك عن طريق الحرب ضد ايران غير ان نتائج المعارك لم تقصر من الاضداف المرجوة، بل زادت من الفشل والاحباط. وكانت لنتائج الاستراتيجية التي امل العراق في تحقيقها من [illegible]

الكويت تهدف الى التغطية على الفشل في الحرب ضد ايران والى رفع العراق الى المكانة المركزية والمؤثرة في العالم العربي. وبالمناسبة، يجدر بنا الاشارة الى ان دوافع العراق في حربه ضد ايران عام ١٩٨٠ كانت تصبو الى تحقيق ذات الاهداف: الوصول مباشرة الى الخليج الفارسي وزيادة تأثيره على سوق تصدير النفط من المنطقة. غير ان الخطوة العراقية في ٢ آب استندت الى تصور وتقدير خاطىء لرد الفعل المتوقع على احتلال وضم الكويت.

لا نمتلك في هذه المرحلة، معطيات كافية بشأن طريقة اتخاذ القرار في بغداد، حيث من المحتمل ان تكون القرارات نتاج خيال وادراك وتصورات رجل واحد وهو صدام حسين، ومن المحتمل ايضا ان يكون الجهاز الذي يحيط به ليس فقط لا يؤثر عليه، بل ايضا لا يستطيع ابداء موقف مخالف له وتقديم معطيات تناقض مواقفه وتصوراته وقراراته. كما من المحتمل ان يكون جهاز التخطيط، والتفكير والاستشارة في بغداد ينسجم تماما مع التصورات والقرارات التي نجمت عنها. على اية حال، ليس لذلك اهمية كبيرة حيث انه مهما كان شكل اتخاذ القرار في العراق فهذه هي النتيجة النهائية.

في نهاية حزيران ١٩٩٠ ادعى العراق بشكل واضح بان الكويت ودول الامارات في الخليج تجاوزت الحدود المسموح بها لاستخراج النفط والتي حددتها منظمة الاوبيك، الامر الذي ادى الى انخفاض سعر برميل النفط، واضر بشكل خطير بمدخول باقي اعضاء المنظمة، وبعد ستة اسابيع من ذلك وبالتحديد في ١٧ تموز هدد العراق ولأول مرة باستخدام القوة ضد ما اسماه بتجاوزات الحد المسموح به لاستخراج النفط واحتج على خسارة ٢ مليارد دولار من الدخل السنوي العراقي وعلى قيام الكويت بسرقة حوالي ٢,٤ مليارد دولار ثمن النفط الذي استخرج من حقل الرميله. ولو اكتفى العراق بعملية عسكرية صغيرة وسيطر على الجزيرتين الصغيرتين اللتان تطلان على منفذ شط العرب (بوبيان والوربا) وعلى الجزء الكويتي من حقل النفط الرميله لكان من المشكوك فيه ان يقف احد الى جانب الكويت ويتورط في عمليات عسكرية لتحرير المناطق المحتلة المحدودة. غير ان مشكلة صدام كانت تكمن في شهيته المبالغ فيها.

ويمكن تلخيص التصورات العراقية الخاطئة في ثماني نقاط:

- احتلال الكويت لن يفسر كتهديد آخر.

نعلم اليوم انه لم يكن لصدام حسين اية نية لاستغلال احتلال الكويت بهدف مواصلة الزحف العسكري، وان كان ليس فورا، للسيطرة على مناطق اخرى في السعودية ونصف الجزيرة العربية. ولكن الذي قرر الامور بعد الاحتلال العراقي، لم يكن نوايا بغداد، انما الخوف الحقيقي الذي سيطر على دول المنطقة من خطوات بغداد المقبلة وخاصة فقدان الثقة بوعود صدام حسين كرجل. حيث تجاهل صدام حالة الذعر التي سادت الساحة العربية على ضوء قيام دولة عربية ولأول مرة في التاريخ المعاصر، باحتلال دولة عربية مجاورة.

اثناء الهجوم المفاجىء الذي شنه العراق ضد ايران عام ١٩٨٠ ابدت الكثير من الدول العربية تضامنها مع العملية العسكرية التي هدفت الى اسقاط نظام الخميني والتخلص من خطر زحف المذهب الشيعي. ومع ذلك وفي آب ١٩٩٠ هاجمت بغداد دولة عربية وقفت الى جانبها طوال سنوات الحرب الثمانية. ويعتبر هذا الاعتداء خيانة بعد ان وعد العراق بشكل قاطع بانتهاج اسلوب الحوار البناء والامتناع عن استخدام القوة.

وفي ٨ آب اي بعد ستة ايام من احتلال الكويت قررت بغداد ضم الكويت رسميا. وجاءت هذه الخطوة مثابة رسالة الى الجميع بان احتلال الكويت خطوة لا بد منها وان الانسحاب منها غير وارد على الاطلاق وغير خاضع للنقاش مع بغداد. وفي ذات الوقت جاءت هذه الخطوة ايضا "للتكبيل" امام العراق. لكن لا يفكر باي حل اخر سلمي وسط. غير ان العراق لم يجد اي طرف خارجي يعترف بهذا الضم ولم تكن هذه الخطوة كافية لاضعاف المعارضين لاحتلال الكويت (اذا كان هناك في العراق من امل بذلك) بل، بالعكس، كانت دافعا قويا لتكتلهم ضد العراق.

وكان صدام قد اخطأ في تقديره بان يقف الزعماء العرب موقف المتفرج امام احتلاله وتصفيته لدولة عربية مجاورة

- الدول العربية لن تتحالف مع الكفار.

ان التصور الخاطىء الثاني لصدام حسين كان افتراضه بان الدول العربية الاسلامية لا يمكن ان تطلب مساعدة عسكرية وسياسية من الخارج ولن تنضم الى تحالف سياسي - عسكري مع "الكفار". من هنا، لم يكن هناك ما يدعوه الى الخوف من عملية عسكرية تستعيد منه الغنيمة الكويتية. ولا توجد اية قوة عسكرية عربية تستطيع ان تواجه القوة العسكرية في العراق، الذي يمتلك الجيش الرابع في العالم من حيث كبره.

لذلك، ولولا ان سمحت السعودية باستخدام اراضيها قاعدة لتجميع قوات التحالف الدولي لما كان بالامكان القيام بحملة عسكرية لتحرير الكويت. على انه حتى هذا الافتراض ثبت عدم صحته.

وخلال عشرات السنين من المحاولات العربية لبلورة الوحدة العربية ساد اعتقاد سياسي - استراتيجي بان اي خطر متوقع على العالم العربي سيأتي من الخارج بينما الدفاع عنه ينطلق من الداخل، من قوة عربية مشتركة. وهنا جاءت الازمة الكويتية لتقلب هذا الافتراض رأسا على عقب. فالخطر جاء من الداخل بينما الدفاع جاء من الخارج.

- الربط في الصراع الاسرائيلي - العربي.

في محاولة منه لمواجهة العاصفة التي نشبت في اعقاب احتلاله الكويت قرر صدام ابداء بعض الليونة واقترح حلولا شاملة. وقال ان العراق ليس الوحيد في الشرق الاوسط الذي يحتل اراضي الغير بالقوة. وسيكون العراق مستعدا للتفاوض حول الازمة الكويتية اذا وافقت اسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان واذا وافق السوريون اخلاء لبنان.

لقد نجم عن المبادرة العراقية هذه في ١٢ آب عملية الربط المشهورة التي رافقت كل الاحداث والتطورات السياسية على طول مرحلة الازمة (وحتى مع نهايتها). وكان العراق يعتقد ويأمل بان تجد الدول العربية نفسها مضطرة الى ان تدعم عملية الربط هذه، وبأن ترفض اسرائيل بالطبع، الانسحاب من المناطق المحتلة وبالتالي يتحول الغضب الذي اثارته الازمة من غضب ضد العراق الى غضب ضد اسرائيل ويزول بذلك الضغط على العراق للانسحاب من الكويت وهكذا تبقى الكويت تحت السيطرة العراقية.

غير ان احدا لم يوافق على هذا الاقتراح، صحيح ان هناك بعض السياسيين في الغرب من تحدثوا عن ضرورة حل كل مشاكل المنطقة، ومن بينها، بل في مقدمتها، المسألة الفلسطينية. لكن الربط بحرفيته رفض من قبل الجميع. ولم يطالب احد بان تلتزم اسرائيل مسبقا بالانسحاب من المناطق المحتلة كشرط لانسحاب العراق من الكويت. والاكثر من ذلك، وباستثناء منظمة التحرير، لم تقم اي جهة سياسية عربية بتبني الصيغة العراقية بحرفيتها.

وحدد الموقف السياسي من هذه المسألة من قبل رئيس الولايات المتحدة الذي رفض كل محاولة عراقية لوضع شروط للانسحاب من الكويت.

وبالمناسبة تجدر الاشارة هنا الى ان صدام حسين لم يقل في اي مرة بوضوح بانه اذا انسحبت اسرائيل من الاراضي المحتلة سينسحب العراق ايضا من الكويت. وحين وجه اليه سؤال بهذا الشأن، تهرب من الاجابة الصريحة. وقال ان العراق سيكون مستعد للتفاوض حول ذلك.

- لا يمكن قيام تحالف دولي ضد العراق.

لم يقرأ العراق قراءة صحيحة الخريطة الدولية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة وبعد انتهاء المواجهة بين الشرق والغرب. ولا شك في ان المعركة العسكرية لتحرير الكويت لم تكن ممكنة لو لم تستطع واشنطن تجنيد تأييد دولي واسع. وهذا التأييد اصبح ممكنا، قبل كل شيء، بعد التغيير الذي ظهر اثر نهاية الكتلة الشرقية وبعد دخول الاتحاد السوفياتي الى عهد جديد بعد ان كان حليفنا الاول سابقا [illegible] تلك السنوات التي كان يتمتع فيها بالاحترام [illegible]

قبل الدول العظمى يحول دائما دون اتخاذ القرارات.

ورغم ان الرئيس بوش ادعى فيما بعد انه كان مصمما على القيام بعملية عسكرية حتى دون القرارات العملية التي اتخذت في مجلس الامن، الا انه، دون شك، لم يستطع القيام بذلك لولا وجود شركاء له في العمليات السياسية والعسكرية وتغطية التكاليف الباهظة لذلك. وهناك شك فيما اذا كان الراي العام في الولايات المتحدة والكونغرس يؤيد عملية عسكرية امريكية منفردة.

- الاتحاد السوفييتي لن يقف ضد العراق.

ان تجاهل العراق للخريطة الدولية الجديدة افرز تصورا اخر وهو ان بغداد واصلت كما يبدو الاعتقاد بان الاتحاد السوفييتي لن يسمح بان تقوم قوات خارجية بمهاجمة العراق وبالاحرى ان تسمح لهذه القوات بهزيمتها.

ورغم ان صدام تطرق الى التغييرات المفاجئة في الكتلة الشرقية في خطابه في شباط ١٩٩٠ الذي تحدث فيه عن تراجع تأثير الاتحاد السوفييتي الا انه لم يستوعب حجم هذا التغيير. وقد واصل في رؤيته للحلبة الدولية على انها مشتتة، ولا تستطيع اتخاذ قرارات حازمة ذات تأثير عملي. ورفض صدام الاقتناع بان الاتحاد السوفييتي تنازل حقا عن انتهاج سياسة مستقلة وكف عن ان يكون قوة عظمى امام الولايات المتحدة. ولم يدرك العراق ان موسكو كانت تنشغل في ذلك الوقت في المشاكل الداخلية للاتحاد السوفييتي وانها في هذه الظروف، ليس فقط غير مستعدة للتدخل بشكل فاعل ومبادر في النزاعات الدولية انما ايضا رأت في المساعدات الاقتصادية الغربية عموما والامريكية خصوصا هدفا قوميا من الدرجة الاولى. من هنا نبعت ضرورة تبني سياسة خارجية متناسقة مع سياسة واشنطن.

والاكثر من ذلك، ومن خلال تصريحات القادة السوفييت (وعلى راسهم وزير الخارجية شيفاردنادزة) فور اندلاع الازمة، اتضح ان موسكو تعارض الاعتداء العراقي على الكويت ورأت فيه خطوة غير مقبولة في عالمنا المعاصر.

- العالم الغربي سيستسلم للارهاب وتهديداته:

لقد كان الاسلوب الذي اتبعه صدام حسين في سياسته اسلوبا بربريا وينتهج الارهاب بصورة متطرفة. وقد افترض ان يستسلم العالم امام خطواته هذه ويرتدع ولا يحاول الرد. وكانت سلسلة الخطوات التي انتهجها غير مقبولة في العالم المتحضر: اعمال القتل في الكويت المحتلة، واحتجاز الاف الرهائن الابرياء وتوزيعهم في مواقع حيوية كحماية بشرية، والظهور البائس لصدام حسين على شاشة التلفزيون مع مجموعة من الاطفال البريطانيين المحتجزين كرهائن والاستيلاء على السفارات الاجنبية والتهديدات اللازعة ضد دول التحالف التي سيغرق جنودها في انهر من الدماء وسيعودون في النعوش الى بلادهم، وغير ذلك الكثير. لقد صعب على صدام الادراك بان هذه الخطوات ليس فقط لا تخدمه انما ايضا عززت من الاصرار باتخاذ قرار مقاومته.

- الولايات المتحدة لن تبادر بالحرب:

ان التصور الذي ثبت في النهاية انه الاكثر خطورة بالنسبة للعراق هو اعتقاد صدام حسين بان الولايات المتحدة لم تتحرر بعد من التجربة الفيتنامية، وانها عبارة عن نظام ديمقراطي مشلول تحول الى "نمر من ورق".

وكان هذا الافتراض قد سبق احتلال الكويت - حيث لقد افسر ردود الفعل الامريكية بان الولايات المتحدة غير مهتمة بتصرف العراق في نزاعه مع الكويت.

وهكذا كان ايضا تفسير العراق طوال معظم الاشهر التي سبقت الهجوم للموقف الامريكي بعد احتلال الكويت حيث ان التحركات الامريكية التي شملت تركيز القوات وفرض المقاطعة الاقتصادية على العراق لم تكن بالنسبة الى صدام الا محاولة للتهديد. لا تنسى بالشكل، وهي لقد تأكد صدام من خطئه من ناحية اللغة بان كل محاولات [illegible]

صدام من "الهبوط عن السلم" الذي صعد عليه، مثلا عن طريق مبادرة باجراء لقاء على مستوى وزراء خارجية وعلى مستوى الرؤساء قبل انتهاء مهلة الاسابيع الستة التي قررها مجلس الامن - فسرت من قبل صدام كاشارة اخرى على ضعف امريكا وكاثبات على التردد وعدم الاستعداد لتنفيذ التهديد العسكري.

وخطأ تقدير صدام بهذا الخصوص نبع كما يبدو من الفجوة الثقافية والحضارية حيث ان كونه حاكم فردي مستبد جعل من الصعب عليه فهم طبيعة التصرف في دولة ديمقراطية، ولم يستطع ادراك المغزى والتأثير الحقيقي للمظاهرات التي انطلقت ضد الحرب والتي شاهدها على شاشة التلفزيون، ومغزى وتأثير مجمل النقاشات البرلمانية وغيرها. كل ذلك كان بالنسبة له كاثبات على التفكك الداخلي للقوة الامريكية وكدليل على ضعفها الواضح.

وعشية انتهاء المهلة التي منحها مجلس الامن، فهم العراقيون كما يبدو بان نوايا الولايات المتحدة جدية غير ان صدام حسين تمسك بنقطتين: الاولى هي ان الولايات المتحدة ستتردد في اللحظة الاخيرة ولن تهاجم العراقيين، والثانية، انه لا يمكن حدوث هزيمة عسكرية عراقية نكراء. واستند في ذلك على تقدير يشكك بالقدرة القتالية الامريكية وعلى قدرة العراق على الصمود وامتصاص الضربات وعلى قواته المسلحة بقدرتها على تحقيق الانتصار السياسي عن طريق حرب استنزاف طويلة المدى تكبد الامريكيين خسائر فادحة بالارواح والمعدات، من هنا واصل في ابداء التصلب وعدم التنازل.

واضاف صدام خطأ اخر عندما اجاز لنفسه باستخدام اسلوب حديث وممارسات لا مبرر لها استفزت واثارت رئيس الولايات المتحدة الامريكية والشعب الامريكي. ولعل هذه الممارسات شكلت مع مرور الوقت احد العوامل التي ساعدت الرئيس بوش على تجنيد تأييد شعبي واسع لسياسته واجراءاته.

على ان صدام حسين لم يكن هو الوحيد الذي اعتقد ذلك، حيث ان هناك الكثير في الغرب والولايات المتحدة من وضعوا ظلالا من الشك على استعداد الولايات المتحدة لشن الحرب وعلى جاهزية التنفيذ لدى القوات الامريكية في حالة نشوبها.

ومع ذلك فقد ابدى صدام بعض الليونة.

لقد دفعت مرحلة الحرب الكثير من الخبراء الى دراسة شخصية صدام حسين. والسؤال الكبير الذي واجه الجميع يتعلق في براغميته وقدرته على ابداء الليونة، حيث بالرغم من اخطائه الكبيرة كان قد اصدر بعض القرارات التي دلت عن ليونة لا بأس بها.

والمثل الاول لمسناه فور اندلاع الازمة حين اعلن صدام حسين عن مبادرة سياسية مدهشة تقضي بعقد الصلح الكامل مع ايران مع التنازل عن كل الانجازات التي احرزها وعن كل المطالب التي كانت سببا للقيام بشن الحرب في عام ١٩٨٠. وهذه المبادرة ازالت عنه الخطر العسكري في الجبهة الشرقية وبعد ذلك ساعدت في حدوث خطوات خففت من حدة الحظر المفروض على العراق (وفي مراحل الحرب قامت طائرات عراقية بالفرار داخل الاراضي الايرانية).

بعد ان استغل صدام حتى النهاية احتجاز الرهائن الغربيين وكبادرة حسن نية اكراما لبعض القادة الغربيين (كورت فالدهايم، جاسي جاكسون، ادوارت غيت وغيرهم) قام العراق بالافراج عن كل الرهائن وتنازل عن محاولة استخدامهم كحماية بشرية اثناء الحرب.

حرص العراق جيدا ان لا يحدث اي صدام عسكري غير مقصود وان لا يبادر باية محاولة للهجوم المباغت وانطلاقا من القناعة التامة بان الولايات المتحدة مترددة بشأن تنفيذ قرار الحرب، فان صدام امتنع عن التورط في حرب قد لا تنشب ابدا. وفي هذا الاطار سمحت القوات العراقية لقوات التحالف ان تراقب وتشرف على السفن والقطع البحرية حتى انه سمحوا لوحدات الاسطول بالصعود الى القطع البحرية وتفتيشها.

وكما هو معلوم وفي مرحلة متأخرة جدا، وقبل ايام الحرب، وافق العراق على الانسحاب الكامل من الكويت على امل ان يحول بهذه الطريقة دون هجوم بري، وبعد بضعة ايام ومن خلال الشروط المذلة لوقف اطلاق النار والتي اطلقها الولايات المتحدة، وافق المجتمع الدولي بالاجماع على النظام وبالاساس قرار مجلس الامن

غير ان هذه المواقف اللينة لم تكن الا تصور خاطىء اخر، حيث كان صدام يعتقد بان هذه الليونة والعبث الساخر بحياة البشر سيمكنه من دق الاسفين في نية وعزم دول التحالف على ممارسة القوة ضد العراق.

التصورات السياسية للولايات المتحدة:

اعتقدت الولايات المتحدة (والاصح ارادت الاعتقاد) بان العراق بعد الحرب العراقية - الايرانية، هو عراق جديد، مختلف، معتدل، عراق تفرغ لاجراء الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية اثر الضحايا والخسائر الجسيمة التي كانت ثمن الحرب. وبدايات هذا التصور كانت اثناء الحرب العراقية الايرانية حيث كانت حادثة الرهائن الامريكيين الذين احتجزوا في طهران لاكثر من سنة قد عززت مبدأ "عدو عدوي صديقي" والاكثر من ذلك ان تخوف الولايات المتحدة وقلقها من انتصار الثورة الخمينية في ايران تركز في خطر التوسع الجارف للاسلام عموما وفي يقظة المبادىء الشيعية التي من شأنها تقويض الانظمة المحافظة - المعتدلة في منطقة الخليج الفارسي بشكل خاص. في هذه الظروف بدا النظام البعثي العلماني في العراق وكأنه قادر على ان يكون سدا منيعا في وجه هذا الخطر. وفي مجال اخر ظهر امل في ان عراق موالي للغرب يستطيع ان يخلف ايران في دورها كوسيلة لصد التوسع السوفييتي باتجاه الخليج الفارسي والمحيط الهندي.

من هنا نبعت السياسة الواضحة لدعم العراق والاكثر من ذلك، تشجيع الاخرين لدعمه، مع تجاهل طابع وممارسات نظام صدام حسين تجاه ايران والاكراد والتي تمثلت بدعم وتشجيع الارهاب الدولي وتطوير اسلحة غير تقليدية.

لقد وصل باحثون اعدوا بحثا "سري للغاية" بطلب من مجلس الامن القومي بجانب البيت الابيض (NSC) في تشرين اول ١٩٨٣، الى استنتاج مفاده انه اذا هزم العراق "لا سمح الله" من قبل ايران فان ذلك سيوقع الضرر بمصالح امريكية هامة في الخليج الفارسي، من هنا يجب المبادرة بخطوات تحول دون حدوث هذا الاحتمال. وتمثلت هذه الخطوات، بالاساس، بتشجيع بعض الاطراف على مساعدة العراق والتعاون الوثيق في المجالات الاستخبارية. ومنذ بداية عام ١٩٨٤ فتحت قناة اتصال استخبارية مباشرة بين واشنطن وبغداد. ووضعت الولايات المتحدة تحت تصرف العراق صور القمر الاصطناعي التي تكشف عن استعدادات القوات الامريكية. وكان هناك موقف صغير بدا كانه يناقض ما سلف وهو قضية "ايران غيت" والتي تتمثل في محاولة مجموعة صغيرة في الادارة الامريكية، اجراء اتصال مع النظام الايراني الجديد. انطلاقا من القناعة بانه لا يجب على الولايات المتحدة الاعتماد في سياستها على طرف واحد ووحيد في المعادلة. ومن خلال القناعة بانه مع انعزال الخميني عن الحلبة السياسية ستطلب طهران استئناف العلاقات مع الغرب والولايات المتحدة، ومن خلال الخوف الحقيقي من انه يحظر السماح للعراق بان يبقى قوة وحيدة في منطقة الخليج. غير ان هذا الموقف المناقض، وخاصة اثر فضائحه السياسية التي اثارها، ساهمت في تعزيز التوجه المؤيد للعراق في واشنطن.

- المساهمة العربية في هذا التصور.

لم تكن الولايات المتحدة الوحيدة في هذا التقدير الخاطىء لصدام حسين ونواياه بعد انتهاء الحرب الايرانية - العراقية. فقد كانت معظم الدول العربية هي الاساس في الدعوة لهذا الاتجاه:

- كانت دول الكويت، السعودية، الاردن المحاذية للحدود العراقية والتي لها مبرراتها للقلق، قد وقفن على راس المروجين للتوجه لمعتدل وانضمت اليها مصر التي لها تقدير خاص في واشنطن بسبب اتزان مواقفها في المسائل العربية.
- تعتبر [illegible] من المعسكر العربي المعتدل بدافع من متطلبات الحرب الامر الذي التق بها سمة الاعتدال. وفي هذا السياق من الجدير الاشارة الى التسريحات المعتدلة لقيادة العراقية بما يتعلق باسرائيل وحل النزاع بالوسائل السياسية (الامر الذي اختلف جذريا في نيسان ١٩٩٠)
- الافتراض بان العراق ملزم بعد ثماني سنوات من حرب الاستنزاف بالقيام بالاصلاحات السياسة والامتناع عن مغامرات عسكرية جديدة

* وافتراض اخر: ان الدعم الهائل الذي تلقاه العراق طوال ثماني سنوات من الحرب في الخليج (وبالاساس الدعم الحالي والسياسي) سيجعل العراق بالضرورة ليس فقط مدينا ماليا - اقتصاديا، بل مدينا اخلاقيا تجاه الدول العربية التي دعمته وما زالت تدعمه.

- تجاهل الدلائل.

لقد اضاعت الولايات المتحدة عدة فرص لادراك حقيقة صدام حسين وسياسته ولنقل تلميحات سياسية واضحة له. الاولى في اذار واب ١٩٨٨ حين هاجمت قوات عراقية المدينة الكردية "حلبجة" شمالي العراق وقتلت بواسطة الاسلحة الكيماوية المئات بل الالاف من سكانها ولم يكن هذا حادثا وحيدا وغريبا، بل كان جزء من سلسلة طويلة من اعمال القمع والقتل ضد الاكراد من ضمنها طرد نصف مليون مواطن من قراهم. وشجبت هذه الحوادث من قبل لجنة حقوق المواطن التي تقع بجانب وزارة الخارجية، وفي هذا الوقت بالذات عززت واشنطن من محاولاتها لتحسين العلاقات مع بغداد.

والثانية في شباط ١٩٩٠، في اجتماع مجلس التعاون العربي في عمان حين كشف صدام حسين لاول مرة عن نيته في استخدام القوة العسكرية لتحقيق اهدافه. فقد هاجم بشدة الولايات المتحدة لانها تمارس سياسة اقتصادية امبريالية في الشرق الاوسط وطالب بطرد سفن الاسطول الامريكي من مياه الخليج. ولم تنفعل الادارة الامريكية من هذه التصريحات وفسرتها واشنطن رسميا بانها ليست الا موجة عابرة من الغضب الذي اثاره تقرير لجنة وزارة الخارجية لحقوق المواطن الذي ادان وشجب العراق.

وفي ٢ نيسان هدد صدام اسرائيل حين اعلن انه سيحرق نصف اسرائيل انا حاولت الاخيرة القيام باي عمل ضد العراق، وكان هناك في وزارة الخارجية من انفعل من هذه التصريحات وكان دينس روس المسؤول عن التخطيط السياسي ومستشار بيكر لشؤون الشرق الاوسط قد اوصى بعدم الصمت ازاء هذه التصريحات واقترح النظر في تقليص ضمانات القروض للاستيراد الزراعي العراقي. بينما كان انشغال وزارة الخارجية في مواضيع اكثر اهمية في اوروبا قد ادى الى عدم مناقشة هذا الموضوع وبقي دون رد.

ويمكن ان نؤكد على مبرر لصالح الادارة الامريكية في واشنطن هو ان سنة ١٩٨٩ والنصف الاول من سنة ١٩٩٠ كانت زاخرة بتطورات سياسية مفاجئة: العملية العسكرية الامريكية في بنما وانهيار دول الكتلة الشرقية. وفي الشرق الاوسط انتقل التركيز الى القضية الفلسطينية وذلك للرد على الانتفاضة ومعالجتها. ولم يكن العراق والخليج الا مجرد "ضجة سطحية". هكذا يمكن فهم حقيقة عدم الاهتمام والمتابعة لما يحدث في بغداد والخطر الكامن في الخليج الفارسي.

وفي النهاية، جاء اللقاء بين وفد من مجلس الشيوخ في ربيع ١٩٩٠ وبين صدام حسين ليضيف ويساهم في ذات الاتجاه، صحيح ان النواب في مجلس الشيوخ ابدوا معارضة لاقامة المفاعل النووية والكيماوية في العراق الا ان الصيغة المعتدلة لتصريحاتهم فسرت في بغداد على غير وجهها الصحيح. وعندما احتج صدام على الكلمات القاسية التي جاءت في "صوت امريكا" ضد المس بحقوق المواطن في العراق قام السيناتور "دول" بتهدئته وقال له ان الموظف الذي كان مسؤولا عن البث اقيل من عمله.

ومن الجانب العراقي فقد يكون العراق قد اقتنع حقا بوجود اتصال صهيوني - امبريالي - امريكي لاسقاط نظام الحكم في العراق وتصفية القوة العسكرية غير التقليدية. ويذكر ان تدمير مفاعل اوسيراك في ١٩٨١ من قبل سلاح الجو مر دون رد ضد اسرائيل وهنا في بداية ١٩٩٠ بدأ مشهد جديد يتجلى بهجمات وحشوات سرية جاءت لتكشف وتمنع تطبيع العراق باسلحة غير تقليدية (من الجدير ذكره بهذا الخصوص قضية الرؤوس النووية واحتجاز الانابيب الضخمة التي كانت معدة لانتاج المدفع العملاق) وبالفعل جاء تهديد صدام في ٢ نيسان في اعقاب هذه البيانات والخطوات وحتى ان تحذيره لاسرائيل جاء بالاساس لتراجع وليس تهديدا عراقيا قد يأتي.

- تجاهل اللقاء مع السفيرة غلاسفي

ان موقف الولايات المتحدة في هذه المنطقة كغيرها من المناطق الاخرى كانت تتمركز كلها في محاولة صد الخطر السوفييتي. ولم تكن النزاعات المحلية المفصولة عن المعركة بين الكتلتين تثير اهتمام واشنطن.

ففي ٢٥ تموز ١٩٩٠ التقت سفيرة الولايات المتحدة السيدة ايبرل غلاسفي مع الرئيس صدام حسين ولم تكن قد طلبت مقابلة الرئيس بنفسه غير انها فوجئت حين ابلغت بانها مدعوة للقائه عشية سفرها الى الولايات المتحدة لقضاء اجازة وكان صدام قد درس جيدا هذه الدعوة حيث اراد قبل غزو الكويت باسبوع ان:

أ- ان يفحص مرة اخرى واخيرة نوايا الولايات المتحدة.

ب- ان ينقل تلميحات شخصية بواسطة السيدة غلاسفي الى واشنطن.

ج- وربما درس ايضا امكانية ان يستطيع استخدام مضمون المحادثات لتوضيح موقفه وللدعاية الاعلامية منذ اندلاع الازمة، وبالفعل، ففي خضم الجدل السياسي نشر العراق محضر هذا اللقاء الذي ابلغ فيه صدام انه ليس للولايات المتحدة اي موقف في النزاعات العربية.

وبعد ستة ايام من لقاء السفيرة مع صدام وقبيل بضع ساعات من اجتياز الدبابات العراقية الحدود الكويتية، استمع الكونغرس الى شهادة مساعد وزير الخارجية جون كلي. وتضمنت اقواله تلميحا مشابها: فقد قال بان الولايات المتحدة اعتادت تاريخيا ان لا تتخذ اي موقف في النزاعات الحدودية في هذه المنطقة او في المباحثات الدائرة بين دول "الاوبيك". وفي جواب على سؤال "لي هميلتون" رئيس اللجنة، اضاف كلي وجد "بان الولايات المتحدة غير ملتزمة بأي اتفاق عسكري او دفاعي مع اي دولة من دول الخليج الفارسي". وكان هذا التصريح صحيحا غير انه كان يعني بانه ليس هناك اي التزام امريكي بمساعدة الكويت او السعودية.

وفي ٢٠ آذار ١٩٩١ اي بعد حوالي ثمانية اشهر من ذلك، وثلاثة اسابيع من انتهاء الحرب، ظهرت السفيرة غلاسفي امام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس النواب وعرضت بوضوح تفسيرها لتلك المحادثة. وادعت في هذا التفسير ان الصيغة التي نشرتها بغداد ولفق جزء كبير منها وحذفت اقوال اساسية ذكرت في المحادثة، وكان هدف الصيغة العراقية-تكوين انطباع بان السفيرة حاولت مصالحة الطاغية العراقي، وفي رأيها ان ذلك كان عكس ما قالته تماما: "قلت له اننا سندافع عن مصالحنا الحيوية واننا سندعم اصدقاءنا في الخليج، واننا ندافع عن امنهم وسيادتهم الاقليمية". وقالت ان صدام حسين وعدها بان لا يستخدم القوة لتسوية الخلافات مع الكويت. وادعت بان هذه العبارات حذفت من المحضر العراقي.

لا نعلم اي النصين اصح، ولكن ليس هناك اي شك بشأن التصريحات التي اوردها جون كلي في شهادته في ٢ آب، تلك التصريحات التي تنسجم تماما مع النص العراقي، واذا قبلنا نص السفيرة غلاسفي فان عدم نفي النص العراقي من قبل وزارة الخارجية طوال ثماني سنوات يعتبر خطأ خطيرا.

وفي اوج المعركة السياسية - الاعلامية بعد اندلاع الازمة، كان بامكان بغداد ان تلمس من ذلك دعما آخرا من خلال تلميح فهمه صدام حسين على ان الولايات المتحدة ليس لديها نية في اتخاذ خطوات عسكرية. وقد يكون ايضا فسر صمت واشنطن كتحفظ من الاقوال الخطيرة التي قالتها السفيرة (اذا كانت قد قالتها اصلا).

الاخطاء الامريكية مع اندلاع الازمة:

لم يبق تركيز القوات العراقية على الحدود الكويتية سرا، والمسألة كانت مجرد مسألة تفسير، اذ فسر الامر، وفق التفسير الامريكي الاساسي، على انه مجرد محاولة عراقية لتخويف الكويت. عشية المفاوضات التي عزم على اجرائها. ووثقت واشنطن تماما بوعد صدام للسفيرة غلاسفي بان لا يستخدم القوة. في مثل هذه الظروف، كان يمكن، كما يبدو، ان ترى رجال الاستخبارات الامريكية الذين يتابعون مسألة تركيز القوات العراقية يعتقدون بان احتمال استخدام هذه القوات ضد الكويت ضعيف جدا

امكانية ان يقترح صدام حسين حلا، او ربما يحاول تمديد امد القضي بانسحاب قواته من معظم الاراضي الكويتية ويبقى تحت سيطرته واحدة او اثنتين من الجزر المطلة على مدخل شط العرب، وقطاع شمالي الكويت بحيث يبقى حقل النفط الكبير في الرميله تحت السيطرة العراقية. ولكن منذ بداية الحرب كانت المهمة قد حددت بشكل حازم - الطرد الكامل لكل القوات العراقية من كل الاراضي.

ب- "اعادة حكومكة الكويت الشرعية الى السلطة". لم تتحمس الولايات المتحدة من الطابع الديمقراطي - الليبرالي للنظام الكويتي، غير انها اعتبرت ذلك مسألة على الشعب الكويتي ان يقرر بشأنها. ومن ناحية اهداف الحرب بالنسبة للتحالف تلك الاهداف التي جاءت لتطبيق قرارات مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة كان يجب اعادة النظام الى سابق عهده.

ج- "الدفاع عن حياة المواطنين الامريكيين والمواطنين الاجانب الاخرين الذين احتجزوا كرهائن وحتى كحماية بشرية في العراق والكويت". لقد كان الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا شديدو الحساسية من موضوع احتجاز الرهائن باي شكل كان. ومن هذه الناحية، لا غرابة في ان يكون تحرير كل الرهائن احد المهمات الاساسية للجنرال شوفر تسكوفيف. ولعل الطريقة الساخرة التي احتجز فيها العراق الاف المواطنين الموجودين داخل اراضيه فور اندلاع الازمة، كانت احد الاسباب الهامة التي وحدت العالم ضد نظام حكم صدام حسين. وبعد وقوع الامر، ادرك صدام نفسه انه اخطأ في هذه الخطوة وتم الافراج عن هؤلاء الرهائن قبل الحرب.

د- ورغم انه ليس لذلك علاقة مباشرة بالازمة الكويتية فقد وضع امام الجنرال شوفر تسكوفيف هدفا اخر - "تدمير شبكة تطوير وانتاج، وايضا اماكن تخزين، الوسائل الحربية غير التقليدية الموجودة بحوزة العراق" حيث ان السلاح غير التقليدي الذي كان بحوزة العراق يشكل خطرا يقلق دول التحالف ومن هنا نبعت النية الحاسمة للقضاء على هذا الخطر المستقبلي. وكان من شأن تحقيق هذا الهدف ان يشكل رسالة واضحة الى دول وحكام اخرين، بان العالم لا يحتمل وجود هذه الوسائل تحت تصرف دول قد تستخدمها في نزاعات اقليمية. ورافق ذلك هدف اخر وهو النية في تدمير اجزاء اساسية من مخزون الاسلحة القتالية العراقية مع التأكيد على الوسائل القتالية للاذرع الثلاثة واصابة وتدمير اجزاء من القوات نفسها.

هـ - هناك هدف في مجال اخر هو الرغبة "لايجاد ظروف توفر بعد الحرب، الامن والاستقرار لكل دول الخليج الفارسي".

و- والهدف الاخير "التصفية الجسدية لصدام حسين ونظامه" ورغم ان هذا الهدف لم يتم صياغته كأحد اهداف الحرب الا انه دون شك كان نتيجة مطلوبة ومرغوبة جدا. وقد تطرق الرئيس بوش الى ذلك مرارا من خلال توقعه ان يقوم العراقيون انفسهم بتنفيذ هذه المهمة.

- وضع كل الوسائل والامكانيات المطلوبة للحرب.

العامل الاخير الذي ساهم في انجاح العملية كان القرار السياسي المبدئي بعدم تقييد القيادة العسكرية وان توضع تحت تصرفها كل الوسائل المطلوبة. وتم التعبير عن ذلك بثلاثة امور اساسية اخرى سنعود اليها ثانية في السياق:

* الاولى في المجال الكمي: كان الجنرال شوفر تسكوفيف هو الذي حدد ترتيب القوات التي يحتاجها، وذلك من حيث الكمية والنوعية وانواع الوسائل القتالية وتنظيم القوات ومن ضمن ذلك، عامل مهم بشكل خاص، ما هو حجم الاحتياط وعدد الايام القتالية، التي يجب تركيزها في الميدان. وكانت الفكرة الاساسية هي ان تكون القوات الامريكية هي القوة المركزية وعلى هذه القوات ان تكون قادرة على تنفيذ المهمة لوحدها ومساهمة باقي القوات المشتركة هي اضافية. وبالنسبة الى شوفر تسكوفيف لم تكن العملية مرضية بوصول او عدم وصول كل القوات الاجنبية المشاركة.

* والثانية هي الجدول الزمني: مرة اخرى كانت القيادة العسكرية الميدانية هي التي حددت تاريخ بدء الهجوم، بالاتفاق، اليوم الذي يجب ان لا تبدأ العملية قبله.

* والثالثة التخطيط لهجوم عسكري دون [illegible] الهجوم، حالات تمنع الجنرال شوفر تسكوفيف

العسكرية. واضافة الى معارضة الخطوة العراقية من الممكن ان نفهم الاعتبارات السوفييتية الخاصة في هذا الشأن: من جهة. كان هناك ضرورة ملحة وهامة للانشغال في المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية في الاتحاد السوفييتي. ومن جهة اخرى كان الارتباط الوثيق والمتواصل بالمساعدة الاقتصادية الغربية عموما والامريكية خصوصا وهذا الارتباط حال دون قيام الاتحاد السوفييتي بمواجهات سياسية.

والعنصر الثالث كان دعم المجموعة الاوروبية، وحول هذه النقطة من المهم التأكيد على الدور الكبير الذي لعبته مرغريت تاتشر رئيسة الحكومة البريطانية في الاشهر الاولى من الازمة. حيث ان موقفها الحاسم والمجرد ضد عدوان صدام حسين كان احد العوامل الهامة التي حفزت الرئيس بوش الى تبني خط هجومي متشدد.

وكان من الصعب الحصول على دعم كامل من فرنسا والمانيا. غير ان ممارسات صدام الذي رفض محاولات فرنسا التوسط وايجاد حلول حتى اللحظة الاخيرة قبل نشوب الحرب، لم تترك لهما خيارا آخر - وما كان من المجموعة الاوروبية كلها الا ان وقفت الى جانب الولايات المتحدة في الخطوات السياسية والعسكرية على السواء.

والعنصر الرابع كان هيئة الامم المتحدة، حيث ان عملية سياسية وعسكرية تحت المظلة الشرعية لمجلس الامن سهل كثيرا على خطوات التحالف.

ولعل حقيقة ان كل القرارات ضد العراق اتخذت في مجلس الامن باغلبية مطلقة او حاسمة دون استخدام حق الفيتو من اي دولة من الدول الخمس العظمى، ساعدت باقي دول التحالف في التعاون بشكل كامل. وكانت الولايات المتحدة، ببراعة توماس بتيلرينج سفيرها لدى الامم المتحدة، قد ادارت شؤونها في مجلس الامن بدقة ونجاح كبيرين:

× في ٢ آب، اي في يوم غزو الكويت، تبنى مجلس الامن قرار رقم ٦٦٠، الذي يدين العراق ويطالبه بالانسحاب الفوري. واعتبر هذا القرار اساس كل الاجراءات التي عقبت ذلك.

× بعد اربعة ايام اتخذ قرار رقم ٦٦١. الذي يقضي بفرض الحظر التجاري على العراق، وكان قرار ٦٦٥ الذي اتخذ في ٢٥ من الشهر ذاته قد صعد من هذه الخطوة وفرض حصار بحري كامل على العراق واجاز استخدام القوة من اجل ضمان تنفيذه.

× في ٩ آب اي غداة القرار العراقي بضم الكويت رسميا اتخذ قرار رقم ٦٦٢ الذي يقضي بعدم شرعية الضم.

× وفي ٢٩ تشرين ثاني اتخذ قرار رقم ٦٧٨ الذي منح العراق مهلة ستة اسابيع لتطبيق قرارات مجلس الامن السابقة وتضمن تهديدا باستخدام القوة لفرض هذه القرارات اذا رفض العراق الامتثال لها. وقد مهد هذا القرار الطريق امام الهجوم العسكري.

ومدعوما من القرار الاخير لمجلس الامن بادر الرئيس بوش بخطوة سياسية مدهشة ومفاجئة حين دعا العراق للقائين بين وزراء الخارجية ورؤساء البلدين. وجاءت هذه الخطوة لتؤكد لكل المتشككين بان كل الاحتمالات لتسوية الازمة بالوسائل السلمية قد استنفدت غير ان ممارسات صدام حسين وجوابه المتهرب والوقح، وبعد ذلك الموقف المتصلب الذي عرضه طارق عزيز اثناء لقائه مع وزير الخارجية جيمس بيكر في جنيف، اغلقت نهائيا الطريق امام اي حل سياسي.

تحديد اهداف الحرب

ان احدى العبر الهامة التي استنبطت من التجربة الامريكية في فيتنام هي ضرورة التحديد الواضح والقاطع لاهداف الحرب. وفي هذا المجال لا تستطيع القيادة العسكرية الامريكية التذمر. فقد تم تحديد اهداف "عاصفة الصحراء" بوضوح تام. هذا التحديد الذي ساهم الى درجة كبيرة في نجاح التخطيط العسكري.

وكانت الاهداف التي عرضت امام الجنرال شوفر تسكونيف تتمثل:

- الطرد الكامل لكل القوات العراقية من كل الاراضي الكويتية، وكان التشديد في صياغة هذا الهدف على كلمة الكل وكل
- [illegible] حيث ان احد الاهداف العسكرية التي [illegible] قادة التحالف الدولي الاول، مرحلة الحملة ضد [illegible]

وفور اندلاع الازمة، ومنذ ان تحول احتلال الكويت الى حقيقة ثابتة، ولما خرج الرئيس بوش بشكل قاطع ضد الخطوة العراقية لم يخطر على بال واشنطن ان هناك امكانية ان لا ينظر صدام ودولته بجدية الى التهديد الامريكي باستخدام القوة لتحرير الكويت.

- اقامة تحالف دولي للضغط السياسي والحرب.

في مقابل اخطاء واشنطن الخطيرة في المراحل التي سبقت الغزو العراقي، من الجدير ان نعطي علامة ايجابية خاصة لطريقة معالجة الرئيس بوش للازمة منذ لحظة اندلاعها. لقد كانت هذه طريقة تفكير: "Crisis Management".

سارت الخطوات الامريكية في ثلاث اتجاهات متقابلة، ايجاد اجماع للحرب، تحديد اهداف الحرب، ووضع كافة الامكانيات المطلوبة من قبل القيادة العسكرية، وهذه الاتجاهات الثلاثة هي التي ضمنت مع مرور الوقت الانتصار السياسي والعسكري الحاسم.

ايجاد اجماع سياسي داخلي:

استندت السياسة الامريكية الى بديهية تقضي بان لا تخرج الى الحرب دون تحقيق اجماع ودون دعم الاغلبية العظمى في الولايات المتحدة والحلبة الدولية.

وتمثل تجنيد الدعم الداخلي بتهيئة الرأي العام الامريكي لحرب كبيرة ولامكانية حدوث حرب تتدخل فيها قوة عسكرية امريكية شاملة، وقد يلزم الامر دعوة عدد لا بأس به من الاحتياط الى الخدمة وفي هذه الحرب ستطالب الولايات المتحدة بنشر قوات عسكرية كبيرة في الصحراء السعودية التي هي منطقة مشاكل من الناحية السياسية والمناخية واسلوب الحياة، وستبقى القوات هناك لفترة طويلة.

وكان يجب تهيئة الرأي العام لقبول خطوات ستؤدي فورا الى ارتفاع سعر وقود السيارات (وهو الموضوع الحساس جدا بالنسبة لكل مواطن امريكي) والى ركود اقتصادي وزيادة كبيرة في نفقات الامن، في حين لم يكن واضحا ما اذا كانت قوى خارجية ستساهم في هذه النفقات.

ولضمان وجود الدعم الداخلي كان هناك ضرورة لاتخاذ بعض القرارات الصعبة في الكونغرس الامريكي الذي فيه اغلبية للمعارضة الديمقراطية، وهو حزب يسعى بطبيعة الحالة الى الطعن في الرئيس وسياسته والذي اعتاد التحفظ من استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق اهداف سياسية.

والعامل الثالث كان وسائل الاعلام. فقد لعبت وسائل الاعلام دورا اساسيا في التأثير على الرأي العام، كما لعبت دورا كبيرا في ايجاد اغلبية في الكونغرس الذي دعم خطوات الرئيس بوش.

تجنيد الدعم الدولي.

لم تكن عملية "عاصفة الخليج" ممكنة بدون تعاون وتأييد اربعة عناصر مركزية خارج الولايات المتحدة.

العنصر الاول والاساسي في العملية كلها هو العربية السعودية. حيث من المستحيل القيام بعملية عسكرية لتحرير الكويت لو لم توافق الرياض وتسمح لقوة امريكية (وبعد ذلك قوات الحلفاء) في العسكرة والاستعداد والعمل من اراضيها في اطار عملية "درع الصحراء" وبعد ذلك "عاصفة الصحراء". وكانت هذه الخطوة الاولى التي اتخذها الرئيس بوش عندما ارسل في ٦ آب وزير دفاعه ريتشارد تشيني الى الرياض، وشك في ان تكون السعودية قادرة على الذهاب بعيدا الى هذا الحد لولا دعم مصر بشكل كامل ولولا ان وقفت الى جانب التحالف دولتان مسلمتان ومجاورتان للعراق هما تركيا وسوريا.

والعنصر الثاني هو الاتحاد السوفييتي. حيث منذ اليوم الاول لاندلاع الازمة اتخذت موسكو موقفا واضحا. فقد ادانت الاعتداء العراقي ووقفت الى جانب الولايات المتحدة في المجلس الامن الدولي. وبعد ذلك ايدت استخدام القوة

بحرية مطلقة باختيار الاهداف العسكرية واختيار انواع الاسلحة القتالية وتوزيع القوات بين الاهداف المختلفة حسب سلم الاولويات واختيار المحاور القتالية وغير ذلك.

- الاستراتيجية العراقية في ادارة الحرب.

على الرغم من ايمانه العميق بعدم استعداد الولايات المتحدة لشن هجوم عسكري فان صدام حسين لم يقصر في استعداداته للحرب. حيث بدأ العراق، منذ اليوم الاول بالاستعداد والتجهيز وبوتيرة سريعة جدا. وقد بلور العراق استراتيجية حربية بهدف الخروج من المعركة منتصرا. لم يكن العراقيون يتوهمون: حيث لم يعتقدوا بانهم سيهزمون الولايات المتحدة وينتصرون عليها في المعارك الجوية او البرية، بل كان املهم، وهذا هدف الاستراتيجية العراقية، يتعلق في المجال السياسي - الاستراتيجي: وهو خلق ظروف يجبرون فيها الولايات المتحدة، او عناصر هامة في التحالف على الانسحاب من المعركة. وبالمناسبة، ليس فقط العراق اعتقد ذلك، بل هناك الكثير من السياسيين والمحللين من توقع ان الحرب عموما والهجوم البري خصوصا "لن تكون رحلة" واعربوا عن خشيتهم من المفاجآت المخبأة في جيب سروال صدام حسين والتي هدد بها مرارا وتكرارا.

ومع مرور الوقت اتضح ان هذا الامل كان عبثا ووهما وكل محاولات تحقيق الاهداف السياسية - الاستراتيجية فشلت الواحدة بعد الاخرى.

- الاستفزاز في الحلبة الاسرائيلية.

نجحت الولايات المتحدة في ادراك حقيقة ان احد الشروط الهامة للنجاح في ايجاد التحالف العسكري ضد العراق، التحالف الذي تلعب فيه دول عربية دورا اساسيا، هو الحرص الشديد على ابقاء اسرائيل خارج دائرة الحرب. الامر الذي ادركته بغداد ايضا، وحاولت تفكيك التحالف من خلال جر اسرائيل وتوريطها بشكل فعال في الحرب.

واعتمد العراق عند اطلاقه صواريخ سكاد تقليدية باتجاه المراكز السكنية الكبيرة في اسرائيل، على عنصر الردع الاسرائيلي: فمن ناحية من الجائز الافتراض ان العراق لم يخطر على باله امكانية ان لا تقوم اسرائيل بالرد على ضرب مواطنيها، ومن الناحية الاخرى وعلى الرغم من وجود صواريخ تحمل رؤوسا كيماوية لدى العراق الا انه امتنع عن استخدامها ضد اسرائيل. وفي هذه النقطة لعبت قوة الردع الاسرائيلية دورا هاما اذ خشي العراق من ان ترد اسرائيل بكامل قوتها على استخدام السلاح الكيماوي ضد سكانها، كما ان استخدام صواريخ تحمل رؤوسا كيماوية كان من شأنه ان يحطم قوانين اللعبة التقليدية وان تتحول المعركة من معركة على الكويت الى معركة على العراق برمته.

وقد وردت انباء رسمية وموثوقة من القاهرة ودمشق والرياض تعبر عن تفهم مشكلة اسرائيل وان رد اسرائيل في هذه الظروف لن يؤدي الى انسحاب هذه الدول من التحالف، غير ان العراق علق آماله على الجماهير العربية في دول التحالف التي، هكذا امل، ستجبر زعمائها على التوقف عن دعم وتأييد اسرائيل التي تقاتل دولة عربية شقيقة. واعتمد العراق على اعتقاد ان يؤدي الرد الاسرائيلي الى حرب اسرائيلية - اردنية شاملة، الامر الذي سيضع الدول العربية وخاصة سوريا امام معضلة كبيرة.

وكانت صواريخ سكاد الاربعين التي اطلقت تجاه اسرائيل قد اوقعت خسائرا فادحة بالممتلكات، غير ان الخسائر بالارواح ولحسن الحظ، كانت بسيطة [illegible] ضبط نفس مدهش، الامر الذي افشل بخطة العراقية.

- تفعيل الجماهير العربية.

لقد نجح صدام حسين، الذي يقف على رأس [illegible] العراق، في ان يتحول الى قائد جماهيري

اسلامي ضد الغرب والكفار والصهيونية، وجهاد لتحرير القدس. وجاءت الشعارات الدينية لدفع الجماهير العربية لتأييد حرب العراق وخروجها الى الشوارع ومجاولة تغيير مواقف حكوماتها من خلال مظاهرات جماهيرية صاخبة. لقد ادرك صدام جيدا مشاعر الاحباط العميقة والحقيقية في المجتمع العربي وخاصة في الدول الفقيرة التي تلمس الهوة الآخذة بالاتساع بينها وبين الدول النفطية الغنية. غير ان هذه الحملة العراقية لاثارة الجماهير العربية والمظاهرات التي جرت، لم تنجح في التأثير على الزعماء ولم تغير شيئا من مسار الحرب.

لقد فشلت هذه المحاولة. ولم يكن في الدول المشاركة مباشرة في الحرب، اي تأثير للمتظاهرين (ما عدا، ربما، في مصر، خاصة حين اصبحت العراق على حافة الانهيار التام في ذروة الهجوم البري ضدها) وجرت مظاهرات صاخبة في الاردن ودول المغرب العربي غير انها لم تشكل اي تهديد ضد التحالف العسكري. ومع ذلك، من السابق لاوانه التحديد ما اذا كان لذلك تأثير بعيد المدى على الجماهير العربية لتفجير المشاعر الشعبية التي بادر اليها صدام حسين

فشل موجة الارهاب الدولي

لسنوات طويلة مضت كانت بغداد احدى عواصم الارهاب الدولي، فقد اتاحت المجال للمتطرفين من المنظمات الارهابية الفلسطينية العمل من داخلها ومدت لهم يد المساعدة بكل الوسائل الممكنة. والان وحين وقف العراق امام حرب مصيرية توقع ان يقطف ثمار جهده. لذلك، ومنذ لحظة اندلاع الازمة وحتى بداية الهجوم العسكري اطلقت تهديدات متكررة باستخدام الارهاب الذي سيزعزع العالم الغربي. غير ان "الجبل ولد فأرا". وكان الاكثر دهشة هو التعبير العملي للارهاب الفلسطيني سواء أكان ضد اهداف اسرائيلية او اهداف امريكية وغربية اخرى، وقد فشل الارهاب الى درجة لا بأس بها بسبب الاستعداد الجيد لأذرع الامن في الغرب. واذا كان هناك من علق امالا على ان يلعب الارهاب دورا رادعا وبعد ذلك يؤثر على وقف اطلاق النار. فان أماله لا اساس لها.

تكبيد الولايات المتحدة خسائر جسيمة:

التصور الاساسي العراقي فيما يتعلق بالولايات المتحدة كان انه من اللحظة التي تصل فيها اولى نعوش الجنود الامريكيين الذين سقطوا في الحرب الى بلادهم ستظهر بقوة (اعراض فيتنام) وستضطر الادارة الامريكية، تحت ضغط الرأي العام - الى وقف الحرب، وهذا التصور دفع العراق بكل ما في وسعه الى جر التحالف لحرب برية. وهي الحرب التي امل في ان يكبد فيها اعدائه خسائر فادحة.

غير ان هذه المحاولات اصطدمت باستراتيجية امريكية معاكسة وهي التقليص الى الحد الادنى من نسبة الخسائر وعدم الدخول في حرب برية حتى تتحقق كامل النتائج من الحرب الجوية. والمحاولة الهامة والوحيدة تقريبا التي قام بها العراق في هذا الاتجاه هي الهجوم في ٣٠ كانون ثاني في منطقة "الويغره" و "الخافجه". حيث ان الوحدة العراقية التي حاولت التقدم جنوبا في الغرب تورطت ولم تنجح في الدخول الى عمق الاراضي السعودية، ومقابل ذلك استطاعت الوحدة الثانية السيطرة على المدينة السعودية الواقعة على الحدود (الخافجه) وكبدت الامريكيين ١٢ قتيلا ولكن في نهاية الامر صدت بعملية مشتركة من قبل قوات برية سعودية وقوات جوية امريكية. وقتل خلال ذلك حوالي ٤٠٠ جندي عراقي. والمبدأ الذي استند اليه الرد الامريكي هو الامتناع عن القتال البري المباشر الذي قد ينتهي بخسائر اضافية في غير اوانها.

لذلك، بدأت الحرب البرية فقط في اليوم الـ ٣٨ للمعركة الجوية والنتيجة كانت من الناحية الامريكية عدد قتلى جدا من الخسائر مما ادهش الحلفاء.

- رهان اخير على موسكو

كان يمكن للعراق ان يوفر على نفسه الهجوم البري بعد اليوم [illegible] والاكثر من الخسائر [illegible]

المعركة قد حسمت لذلك جاءت المحاولة للتوصل الى وقف اطلاق النار مقابل انسحاب العراق من الكويت. غير ان العراق اعتقد بانه اذا جرت المفاوضات حول ذلك بواسطة موسكو فقد يحصل لنفسه على شروط افضل. وذهب طارق عزيز وزير الخارجية العراقي الى موسكو للاتفاق على هذه الصفقة. بيد ان العراقيين اخطأوا في هذا التصور ايضا. فلم يخطر على بالهم ان الاتحاد السوفييتي لن يستطيع اقناع الولايات المتحدة بقبول اتفاق يعقد معها.

وكانت الولايات المتحدة قد حرصت على ان تؤكد دائما تقديرها للجهود السوفييتية من اجل انهاء الحرب ولكنها عمليا لم تكن مستعدة لان تسمح لموسكو باحتلال مكانة مركزية في الحلبة الدولية وقطف ثمارا ليست لها. وبسرعة جاء رد واشنطن الحقيقي - انذار جديد وقصير الامد، فرض على صدام حسين بشروطا صعبة جدا للتسوية. لذلك اصبحت الحرب البرية واقعة لا محالة.

- الاستراتيجية العربية لقوات التحالف:

اذا كانت استعدادات التحالف المناهض للعراق والهادفة لتحرير الكويت عملية سياسية تطلبت اقصى درجات المهارة والمناورة السياسية من قبل الرئيس بوش فان العمليات الحربية كانت حرة تماما من اي ضغوطات سياسية.

من هذه الناحية، ومن اللحظة التي اوكلت فيها المهمة العسكرية لقائد قوات CENTCOM الجنرال نورمان شافرتسكوفيف، منح حرية، تكاد تكون مطلقة، في تحديد حجم القوات وتشكيلاتها ووضع خطة الهجوم واختيار موعدها. وهذه الحرية مثيرة للدهشة بالنظر الى التشكيلة المعقدة للقوات متعددة الجنسيات، والتي اشتركت فيها ٣٢ دولة.

ان قرار تجاوز خطة الدفاع عن العربية السعودية (خطة "درع الصحراء") الى خطة معركة هجومية لتحرير الكويت (خطة "عاصفة الصحراء") اتخذ ليلة نهاية شهر ايلول، اي بعد ثماني اسابيع من الاحتلال العراقي. وفي ٣٠ تشرين اول، اي قبل ايام من انتخابات الكونغرس في الولايات المتحدة، صادق الرئيس على بدء الهجوم الجوي في منتصف كانون ثاني ١٩٩١ وبدء الهجوم البري في النصف الثاني من شهر شباط.

- خطة حربية ليس لها "ساعة رملية":

لقد اشترك في عملية عاصفة الصحراء ٣٢ دولة غير انه لا شك في ان الثقل كان يقع على عاتق الولايات المتحدة. ليس فقط لان التركيبة الاساسية للقوات (جوا وبرا وبحرا) كانت امريكية، انما وفضلا عن مسؤولية التخطيط والادارة والقيادة، فقد وضعت الولايات المتحدة بصماتها على المعركة في موضوع مركزي واحد وهو ان هذه كانت حربا لم يكن للولايات المتحدة فيها "ساعة رملية" التي ينتج عنها ضغط من الخارج لانهاء المهمة باسرع ما يمكن.

بالنسبة لنا هنا في اسرائيل من الصعب ان لا نقف متأثرين امام واقع مختلف الى هذا الحد. وقد كان التعبير عن غياب الضغط مزدوجا: قبل كل شيء كان على الصعيد السياسي: فالولايات المتحدة، وبفضل مكانتها الدولية باعتبارها الدولة العظمى الوحيدة في العالم، وبفضل حق الفيتو الذي تتمتع به في مجلس الامن، لم تجد اي عنصر خارجي يستطيع ان يفرض عليها وقف اطلاق النار قبل الموعد الذي حددته هي بنفسها على ان هذا التحديد يجب تقييده، حيث انه وبسبب الظروف الخاصة لمعركة تحرير الكويت كان هناك مثابة "حق الفيتو" للعربية السعودية، فانسحاب السعودية من الحرب ومطالبتها الولايات المتحدة بسحب قواتها من اراضيها من شأنه ان يخلق وضعا غير محتمل للامريكيين. لذلك، ابدت الولايات المتحدة [illegible] تجاه الدول العربية المشتركة في التحالف.

والتعبير الثاني [illegible] الجنرالين باول وشفارتسكوف عندما اللذان قررا بدء الحرب بالمعركة لا بعد ان يوضع تحت تصرفهم في الخليج [illegible] لاخيرة لـ ٦٠ يوما من القتال. وهذا يعني ادارة المعركة دون الخوف من وقف الحرب بسبب نفس الذخيرة، وهو [illegible] على سعيد الاحتياط [illegible] الذخائر، الغذاء، الماء والادوية وغير ذلك من متطلبات المعركة. ومن المهم [illegible] التأكيد على هذه الحقيقة لانها لم تكن [illegible] من وقت الحالة العملية الحاسمة

- غياب الضغوطات السياسية:

لقد كانت الضغوطات السياسية، ولغاية وقف العمليات القتالية الهجومية المبادرة في ٢٨ شباط ١٩٩١، لا وزن لها تقريبا سواء أكان اثناء التخطيط او اثناء القتال نفسه. وعمليا كانت هناك ثلاث ضغوطات: الاول: ضرورة النظر للمشاعر السعودية المختلفة من ناحية الدين والاخلاق والعادات، الامر الذي املى على التحالف مواقع انتشار قوات "الكفار"، والتقيد بالغذاء والشرب واللباس والبحث عن حلول غير تقليدية للترفيه عن الجنود.

والثاني: ضرورة مشاركة بالعمليات والانجازات لكل دولة من دول التحالف، وفي هذا الصدد من الجدير الاشارة الى الانجاز الكبير الذي احرزه الجنرال شافرتسكوفيف الذي وقف على رأس التحالف المعقد، وخرج منه دون ان نسمع عن خلافات سياسية او جدل بين مختلف القادة او شجار على خلفية قومية وغير ذلك.

والضغط الثالث كان ضرورة الخروج عن الخطة الاساسية وتخصيص قوات جوية اضافية لمهاجمة مواقع صواريخ سكاد غرب العراق.

- أسس الخطة الحربية الامريكية:

على هذه الخلفية تبلورت الخطة الحربية للتحالف الذي حدد لنفسه ثلاثة اسس مبدئية. الاساس الاول هو انهاء الحرب بأسرع ما يمكن. "والسرعة كما هو واضح بالمفهوم الامريكي: حرب تنتهي في غضون الاسابيع والاشهر المعدودة. ويجب ان لا تتحول الى حرب استنزاف تستمر سنوات. وهذه العبرة الاساسية التي استقصيت من فيتنام: اذا لم يتحقق الحسم السريع من المشكوك فيه ان يكون بالامكان انهاء الحرب بانتصار عسكري وسياسي".

والاساس الثاني كان ضرورة ان تحسم المعركة بشكل قاطع، اي دون ان يكون هناك شك في نتائجها، من حيث تحديد الطرف المنتصر والطرف المهزوم. وكان الخبراء في المنطقة قد حذروا من امكانية ان يحرز التحالف انتصارا في ميدان الحرب وقد تتحرر الكويت كلها الا ان صدام يستطيع ان يعرض الحرب بانها انتصار عراقي، انتصار لوجهة نظره ولايديولوجيته المناهضة للامبريالية.

والاساس الثالث: انهاء الحرب بالحد الادنى من وقوع اصابات بشرية امريكية ومن باقي دول التحالف. وكانت القيادة الامريكية تدرك ان هناك عامل واحد يستطيع ان يفرض عليها وقف الحرب وهو ضغط الراي العام الامريكي. هذه الاسس جاءت للوقاية من ضربة قاسية، فقد هدفت الى منع خلق ظروف تغير الراي الامريكي في دعم العملية والتحفظ منها.

ويجب ان نسجل لصالح الجنرال شفارتسكوفيف وقيادته العسكرية نقطة هامة كانت حاسمة في بلورة خطة الهجوم، وهي ان القيادة الامريكية لم تنظر الى قوات العدو العراقي باعتبارها قوة عسكرية ذات قيمة نوعية. وحقيقة ان للعراق القوة العسكرية الرابعة في العالم من حيث كبرها لا تعني النظر الى هذه القوة باعتبارها الرابعة في العالم من حيث نوعيتها. والتوجه في التخطيط كان انه يقف في الجانب الاخر قوة عسكرية تتمتع بمستوى متوسط وذات افضلية محدودة وقوة يمكن للقصف الجوي ان يزعزعها ويشوه مقدرتها على الرد.

- مراحل الهجوم:

اعتمدت الخطة الهجومية للتحالف على الفصل الكبير بين مرحلة الهجوم الجوي ومرحلة الهجوم البري.

وكانت اهداف مرحلة الهجوم الجوي:

أ- احراز السيطرة المطلقة على الجو.

ب- ضرب اهداف استراتيجية.

ج- عزل ميدان القتال الكويتي.

د- استنزاف قوة الحرس الجمهوري وباقي القوات البرية.

لقد بدأت الحرب مع هجوم وتدمير شبكة الدفاع الجوي العراقي، في هذه المرحلة استغلت الطائرات الحربية لفتح مسالك لتدمير او التمويه على اجهزة الرادار والرقابة للدفاع الجوي العراقي. وفقط بعد ذلك تم البدء في القصف لتدمير القواعد الجوية والدفاع الجوي

ولم تتمكن طائرات سلاح الجو العراقي، تقريبا، من العمل ولم تبد اية مقاومة امام طائرات التحالف. وكان العراق يدرك ان هذه معركة خاسرة لذلك فضل ان تبقى الطائرات مختبئة داخل المطارات التي تقع تحت الارض. ولكن، وحين بدأت طائرات التحالف في البحث عن هذه المطارات وتدميرها الواحد تلو الاخر، شرعت الطائرات العراقية في الهرب داخل الحدود الايرانية.

ان مجموع الاهداف الاستراتيجية التي حددتها لنفسها قيادة التحالف كان رحبا جدا. فقد شملت: تدمير جهاز القيادة والسلطة المدنية والعسكرية لصدام حسين، وتدمير المختبرات والمؤسسات التطويرية ومصانع انتاج وتخزين السلاح النووي والكيماوي وشبكة صواريخ ارض - ارض. وتدمير صناعات اساسية مختلفة اخرى بما في ذلك محطات توليد الكهرباء.

وبخصوص عزل مناطق القتال فقد جاء بعد هجمات تقليدية على المطارات والموانىء والجسور (المناطق العراقية مليئة بالجسور التي لا بديل عنها) والطرق السريعة.

وفي النهاية جاء سحق القوات البرية. التي ستكون فيما بعد هدفا لهجوم بري يكون مركزه قوات "الحرس الجمهوري" التي تكمن خلف القوات على حدود السعودية مع الكويت وكانت عبارة عن احتياط للعمليات داخل الكويت. وتتمتع هذه بدرجة عالية من التدريب والقدرة والتسليح والقيادة. وفي هذا الصدد من المهم ان نلاحظ نتائج الهجوم الجوي ومن انواع القذائف التي استخدمت في القصف.

حسب تقارير مصادر سلاح الجو الامريكي القى سلاح الجو الامريكي ما يقارب ٩٠ الف طن من القذائف، ومن بينها حوالي ٧٪ فقط كانت قذائف "ذكية"، ولكن عندما نفحص دقة الاصابة فان ٢٥ بالمئة فقط من القذائف غير الموجهة قد اصابت اهدافها، بينما ٩٠ بالمئة من القذائف "الذكية" قد اصابت اهدافها.

ان النسبة العالية للاخطاء تعبر اولا عن الاوامر الواضحة للطيارين الامريكيين بعدم المخاطرة دون ضرورة حتى لو كان الامر يعني مستوى منخفض من الدقة، وثانيا الاستعداد لتعويض عدم الدقة بكمية هائلة من القذائف (من بين ٨٢,٠٠٠ طن ن القذائف العادية كان حوالي ٢٠,٠٠٠ طن اصابت هدفها).

- الهجوم البري:

لم يكن الهجوم البري ضروريا بالنسبة لتحرير الكويت وحسب. اذ انه بعد ٣٥ يوما من القصف الجوي انهار العراق واعلن عن استعداده لاخلاء الكويت. ولم تقبل الولايات المتحدة هذا الاستسلام، وكان هناك اعتقاد في واشنطن ان وقف العمليات الحربية في هذه المرحلة من شانه ان يضعف الى حد ما من الانتصار العادل. اولا كانت الحرب ستنتهي دون انتصار حاسم. كان هناك خوف مبرر من ان يعرض صدام حسين النتيجة باعتبارها انتصار مطلق للعراق. "ها نحن وقفنا خمسة اسابيع امام العالم كله، بينما ارتدع العدو من الدخول في المواجهة البرية التي من المؤكد ان ينهزم فيها".

ثانيا، انتهاء الحرب في هذه المرحلة كان سيبقي في ايدي العراق اساس قاعدته العسكرية وبعد وقف النار لن يعد بمقدور [illegible] على العراقيين. والانكار من ذلك، من الصعوبة بمكان، فيه اذا كان وقف اطلاق النار في هذه المرحلة سيوفر امكانية استمرار حكم صدام حسين. و"الانتصار" السياسي العراقي من هذا النوع كان سيخلق تهديدا خطيرا على الانظمة العربية المعتدلة في المنطقة، والحليفة للولايات المتحدة. وفي النهاية، برز عنصر نفسي - اخلاقي حيث ان الرئيس بوش لم يكن يستطيع ان يعيد الى الوطن مئات الالاف من الجنود الذين حشدوا في الصحراء السعودية [illegible] دون ان يكون لهذا اثر مباشر في انهيار الجيش العراقي.

ان خطة الهجوم البري التي وضعها الجنرال شفارتسكوفيف، استندت الى عدة مبادىء مركزية.

قبل كل شيء الاستخبارات. والاستخبارات في هذا الصدد جاءت لتخدم عدة اغراض: اولا التحليل الصحيح لساحة الحرب، وللمسالك الارضية المختلفة التي تيسر حركة سريعة لعمق المنطقة. وثانيا المعرفة الداخلية لخطوط الاعاقة والتحصينات التي اقامها العراق على طول الحدود الكويتية - السعودية ومع التشكيلة القليلة على الحدود العراقية - السعودية. وثالثا ولما كانت خطة الهجوم البري، على الاقل، تستند الى درجة كبيرة على عنصر المفاجأة فقد كان هناك اهمية قصوى لمتابعة المخابرات العراقية بشأن ما تعرضه عن خطط واستعدادات التحالف عشية المعركة. وهناك هدف آخر في هذا الاتجاه وهو بسلسلة العمليات التي جاءت لتضليل المخابرات العراقية وذلك لاخفاء النية بالمعركة البرية.

وهناك عنصر اخر من انجاز المخابرات وهو سلسلة متتالية من العمليات داخل الخطوط. ودوريات للاستخبارات ودوريات قتالية هدفت الى الاطلاع عن كثب على خطوط الاعاقة والتحصينات العراقية ومعرفة شكل رد وتصرفات العدو. وبالطبع، للتحضير مسبقا لعملية اقتحام تمكن من حركة سريعة الى الامام.

ومن المهمات الاخرى لهذه السلسلة من العمليات هي كسب الثقة بالنفس لجنود دول التحالف الذين في معظمهم تنقصهم التجربة القتالية مقابل الجيش العراقي "الارهابي" الذي انهى ثماني سنوات من الحرب القاسية.

- الخطة الحربية العراقية:

ان الانهيار التام للقوات العراقية في الكويت وجنوب غرب العراق والتقدم السريع لقوات الجنرال شفارتسكوفيف دون ان يصطدم تقريبا باية مقاومة وبدون ان يتكبد خسائر، ادت الى استنباط نتائج غير اساسية عن الجيش العراقي وقدرته القتالية. يجب ان لا نستنتج من الظروف الخاصة "لعاصفة الصحراء" اي نتيجة بشأن المقدرة على التنفيذ والصمود للجيش العراقي في ظروف القتال والمواجهة المقبولة في منطقة الشرق الاوسط.

من هذا التحليل البسيط التالي سنلاحظ المزايا الخاصة التي تركت بصماتها على الخطط القتالية وعلى القدرة التنفيذية للقوات العراقية.

- نتائج القصف الجوي:

القيادة العراقية لم تنجح في تقدير التفوق الكبير لقوات التحالف فيما يتعلق بالقوات الجوية والابعاد العملية لهذا التفوق. لقد اعتدنا القول انه ليس بمقدور القوات الجوية لوحدها حسم المعركة، غير انه في حرب "عاصفة الصحراء" تحقق الحسم من قبل الهجوم الشامل من الجو. ففي ٢١ شباط ١٩٩١ اي بعد ٣٥ يوما من القصف الجوي اعلن العراق عن الاستسلام المشروط: في لقاء موسكو بين الرئيس غورباتشوف وبين الدكتور طارق عزيز تم الاتفاق على الانسحاب العراقي الكامل من الاراضي الكويتية مقابل وقف اطلاق النار. ولم ترض واشنطن بذلك. وكان بالامكان انهاء الحرب دون تدخل القوات البرية. يبدو انه لا يوجد سابقة لجهاز عسكري في الشرق الاوسط استطاع ان يصمد اكثر من ٤٠ يوما امام قصف جوي متواصل ومائل كهذا. وبعد ايام معدودة (وعندما اظهر سلاح الجو العراقي وشبكة الدفاع الجوي مقاومة بائسة جدا وبدأت عملية فرار الطائرات العراقية الى ايران) حسمت السيطرة المطلقة على الجو. منذ ذلك اليوم قامت طائرات التحالف بتنفيذ مهماتها. ومخازن الذخيرة الضخمة التي اقامها التحالف مكنت هذه الطائرات من الانطلاق في الهجوم دون الخوف من نقص الذخيرة.

استنادا الى معرفتنا المتواصلة بعمليات الجيش العراقي سواء ضد جيش الدفاع الاسرائيلي او في السنوات الثماني من الحرب الايرانية - العراقية، فلم يكن متوقعا منه ابداء مقاومة وصمود استثنائيين امام القصف الجوي. وابداء مقاومة وصمود امام الهجوم البري. والنتائج العملية، اضافة الى الحسائر والاضرار الكثيرة، الا انهيار جهاز القيادة والسيطرة من الهيئة العامة وأذرع الجيش. حتى في داخل التشكيلات البرية التي استعدت لها بدرجة كبيرة على الاتصال السلكي، فعلى

تزعزعت السيطرة العملية.

والنتيجة الثانية هي الفشل في وسائل النقل العراقية فقد اقام العراق مخازن كبيرة من الذخيرة وقطع الغيار والوقود والغذاء والماء على طول خطوط الجبهة الا ان الهجمات الجوية لم تتح المجال لتزويد هذه المخازن او الاخذ منها وبقيت القوات الامامية، الاقل من مستوى الفرقة، دون غذاء وماء. وابعاد ذلك على القدرة القتالية في ظروف كهذه واضحة تماما.

والنتيجة الثالثة، كما هو واضح. المعنويات القتالية للجنود الذين اضطروا الى الصمود اسابيع طويلة امام القصف المتواصل. وتفاقمت هذه المشكلة بشكل خاص عندما اعلنت بغداد، عشية الهجوم البري لقوات التحالف، عن استعدادها للانسحاب من الكويت في اطار اتفاق لوقف اطلاق النار، حاول التوصل اليه في موسكو. ومن السهل علينا ادراك معنويات مقاتلين يعرفون انهم سيضحون بحياتهم من اجل هدف تنازلت عنه قيادتهم.

- استراتيجية في اسر تصور سياسي

اضافة الى تأثير التصورات العراقية التي تحكمت بالمواقف السياسية في بغداد، فقد عانى العراق من تصور سياسي اثر الى درجة كبيرة على الاستعدادات الاستراتيجية للجيش العراقي عشية الهجوم الذي شنه التحالف.

لقد اعتقد العراق ان هناك اعتبار سياسي سيحول دون ان تقوم دول التحالف بشن معارك برية عن طريق الاراضي العراقية. حيث كانت تصريحات الدول العربية المشاركة في التحالف والتصريحات الرسمية من باريس قد اكدت مرارا على انه يجب الامتناع عن التغلغل داخل الاراضي العراقية. ومن هنا جاء الاعتقاد بان تحرير الكويت يجب ان ينفذ مباشرة داخل الحدود البحرية او البرية للكويت. وقد عمل الجنرال شفارتسكوفيف الكثير في مجال التضليل الاعلامي وخطوات التمويه لتعزيز هذا الاعتقاد الخاطىء لدى القيادة العراقية.

وثمة تعبير اخر على هذا التصور السياسي وهو عدم القدرة على ادراك اهداف الحرب بالنسبة للولايات المتحدة، فقد اعتقد العراق ان هذه الاهداف تنحصر فقط بتحرير الكويت. ولم يستطع معرفة الهدف الاخر وهو سحق الالة الحربية العراقية بشكل كامل وبخاصة الاسلحة غير التقليدية. وقد تعزز هذا التصور بسبب فشل جهاز الاستخبارات العراقي. وسواء أكان في مجال جمع المعلومات او في مجال التقديرات والبحث، وربما ساعد في ذلك الظاهرة المميزة لنظام حكم مستبد مثل صدام حسين الذي لا يستطيع احد الوقوف امامه والتشكيك في تقديرات وقرارات "القائد"، وعلى اية حال، لم يكن هناك من وضع القيادة العراقية امام الصورة الحقيقية لانتشار جيش التحالف وتابع الحركة اللوغستية للجيوش التي اعدت لمهاجمة العمق العراقي من الحدود السعودية - العراقية.

ولعل النتائج العسكرية المباشرة لهذا التصور ولفشل الاستخبارات عبرت عن نفسها في الانتشار الخاطىء للقوات. فقد ركز العراق قوات برية كبيرة في الاراضي الكويتية وعلى الحدود العراقية - الكويتية. وبقيت الحدود العراقية - السعودية في معظمها، مكشوفة امام الهجوم، وامام الهبوط والاقتحام السريعين في عمق الاراضي العراقية. الاقتحام الذي يهدف الى فصل القوات المتواجدة في الكويت عن بغداد. كما بقي العراق ايضا دون قوات قوية مركزية تستطيع مواجهة التطورات غير المرتقبة في ساحة القتال. ويمكن ان تكون قوات "الحرس الجمهوري" جنوبي العراق معدة للتدخل في الجبهة الغربية غير ان السيطرة الجوية المطلقة لقوات التحالف منعتها من المناورة والحركة. لذلك ومن اللحظة التي اقتحمت فيها قوات التحالف عميقا وسط القوات العراقية في الكويت حسمت الحرب دون ان تستطيع القيادة في بغداد القيام بأي شيء.

وفضلا عن الاستخبارات العراقية يجب الاشارة الى انها فقدت القدرة على التحليق للتصوير الجوي وكانت نتائج الاستكشاف بالهرب الى ايران. وفي ظل مثل هذه الظروف لم يكن بالامكان الحصول على صورة صحيحة عما يجري خلف الخطوط.

- السلاح البيئي

ان الخطة الغربية - العراقية عشية الهجوم البري المرتقب في الكويت شملت استخدام وتفعيل العوائق البيئية. فقد قرر العراق استخدام ذلك دون النظر الى الاضرار البيئية التي ستنجم عن ذلك، ربما ايضاً استخدمها مع وجود نية مسبقة بالتسبب في اضرار بيئية وخلق قدر اخر من الخوف النفسي لدى العدو.

واستخدم هذا السلاح البيئي لاول مرة في ٢٥ يناير حين اطلقت كميات كبيرة من النفط الخام من انابيب النفط الكويتية في "الاحمدي". وكما يبدو ان "مستشارا علميا" كان قد اوضح للقيادة العراقية بانه من الممكن احراق طبقة النفط التي امتدت على طول الشاطىء الكويتي ومياه الخليج وبهذه الطريقة يتم اعاقة محاولة جنود المارينز من النزول الى الشاطىء. لقد كانت هذه النصيحة حماقة علمية، ذلك لانه لا يمكن اشعال النفط المنتشر في طبقة صغيرة على وجه الماء ولكن الاضرار التي تعرضت لها الاسماك والطيور البحرية في الخليج كانت كبيرة جدا. وبذلت جهود جبارة للحيلولة دون حدوث خطر آخر وهو تعطيل المعامل السعودية لتكرير مياه البحر.

وكما هو واضح، لم تساعد هذه الخطوة بأي شيء من الناحية العسكرية، ولكنها كانت احدى الاعمال البربرية التي عززت من اصرار التحالف الدولي للعمل ضد العراق.

والاستخدام الثاني للسلاح البيئي حدث بعد اربعة اسابيع من ذلك، اي عشية الهجوم البري للتحالف. فقد قام العراق في اطار سياسة الارض المحروقة باشعال مئات آبار النفط الكويتية. وادت هذه الحرائق الى تكوين طبقة كثيفة من الدخان الاسود وعلى مستوى منخفض في سماء الكويت. والغرض من هذا الدخان، من وجهة نظر العراق هو شل التفوق الجوي المطلق لقوات التحالف وتقييد ،بصورة جذرية، حرية مناورة وحركة الطائرات في اجواء المعركة البرية. وكان من شأن هذه الطبقة الكثيفة والمحاذية لسطح الارض ان تعرقل عمل جهاز استخبارات التحالف. وفي النهاية، من الجائز جدا ان تكون وراء هذه الخطوة نية واضحة في الانتقام من الكويت حين اتضح ان تحريرها امر حتمي.

من المعلوم انه كان لهذه الخطوة تأثير هامشي فقط لتشويش عمل القوات المهاجمة. ومقابل ذلك فان الاضرار التي وقعت لآبار النفط لم ترمم حتى بعد مرور خمسة اشهر من انتهاء الحرب، وثلثي الآبار التي اشتعلت لم تطفأ بعد، وليس هناك اي تقدير صحيح للاضرار البيئية الدائمة التي نجمت عن ذلك.

سلاح الصواريخ العراقي

لا نعرف ما هي اغراض استخدام العراق لصواريخ "سكاد" (ذكرنا في السابق محاولة الاستفزاز التي هدفت الى جر اسرائيل لرد عسكري) غير ان الواضح هو انه مع عدم القدرة على استخدام الطائرات اصبحت الصواريخ السلاح الوحيد الذي بقي بحوزة العراق لاستخدامها في عمق اراضي العدو.

ولم يكن مستوى الدقة المحدود لصواريخ سكاد بانواعها مفاجئا لاحد. فهي سلاح يستطيع، برؤوس تقليدية، ان يحقق نتائج ضد اهداف في منطقة واسعة ومراكز أهلة بالسكان. وحين اطلقت الصواريخ باتجاه اهداف دقيقة تحولت النتيجة الى صفر. ومن هنا، فان سلاحا بهذا المستوى من الدقة هو سلاح للارهاب والمضايقة وحسب.

لقد امتنع العراق عن استخدام رؤوس كيماوية على الرغم من انه، كما يبدو، نجح في تطوير رؤوس كيماوية لصواريخ سكاد المطورة (من نوع "الحسين" و "العباس") واعدادها للتنفيذ. ومع ذلك من المعروف ان العراق امتنع عن استخدام السلاح الكيماوي [illegible] من التهديدات المتكررة لحكام بغداد. وتفسير ذلك، هو كما يبدو، الخشية من الرد المتوقع من قبل اسرائيل او التحالف اذا استخدم العراق مثل هذا سلاح.

وتجدر الاشارة الى دقة شبكة اطلاق الصواريخ العراقية وتكتيك تشغيلها الذي توافق مع التشويشات الناجمة عن العمليات العسكرية، الامر الذي اثار الدهشة والانطباع

التدخل الاسرائيلي في الازمة والحرب

لم يكن للازمة العراقية - الكويتية وحرب "عاصفة الصحراء" علاقة مباشرة او غير مباشرة مع اسرائيل، بل العكس، كان في ذلك ما يثبت الادعاء الاسرائيلي القديم بان الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني وحتى الصراع الاسرائيلي - العربي لا يشكلان مصدر المشاكل في المنطقة. ورغم ذلك وجدت اسرائيل نفسها منخرطة في الحرب، في ثلاثة مجالات على الاقل.

- الربط بين الازمتين:

ذكرنا المحاولة العراقية، عند اندلاع الازمة، لايجاد نوع من الربط بين الصراع الاسرائيلي - العربي وبين ازمة الخليج: حيث ابدى العراق استعدادا للتفاوض حول الانسحاب من الكويت اذا التزمت اسرائيل بالانسحاب من المناطق العربية التي احتلت عام ١٩٦٧.

وباءت هذه المحاولة بالفشل حين لم تجد اية جهة (بما في ذلك الدول العربية المشاركة في التحالف الدولي) تؤيد هذا الموقف. ولم يمارس اي ضغط دولي على اسرائيل بهذا الشأن. ولم تطالب اسرائيل بالتفاوض او بلورة موقف من المسألة. بل على العكس، ربما نستطيع القول ان طرح الموضوع من قبل صدام بالتحديد عزز الموقف الاسرائيلي وعزز ادعاءه بانه لا مجال لمطالبة اسرائيل الانسحاب من المناطق الا في اطار مفاوضات حول تسوية سياسية شاملة.

والتفت هذه المناورة العراقية من تلقاء نفسها منذ اللحظة التي انتهت فيها مرحلة المفاوضات والاتصالات السياسية لحل الازمة الكويتية، فمنذ ان بدأ الهجوم العسكري لتحرير الكويت اصبح واضحا بان القوات العراقية ستنسحب بالقوة او ان على العراق الاستسلام الكامل ودون شروط.

الصهيونية هي العدو المركزي

حرصت بغداد على ان تربط اسرائيل بالولايات المتحدة كلما ذكرت العناصر المسببة للازمة وذكرت الاعداء الحقيقيين للعراق والامة العربية. ربما تكون بغداد قد قامت بذلك لخدمة الخط الدعائي العراقي ولتجنيد دعم وتضامن شعبي مع العراق الذي وقف "صخرة صلبة ضد الشيطان الاسرائيلي" ولكن ربما يكون هناك قناعة حقيقية بالدور الذي لعبته اسرائيل "والمؤامرة الصهيونية العالمية" في تجنيد تحالف عالمي كبير. تحالف يهدف الى منع دولة عربية من تحقيق توازن غير تقليدي مع اسرائيل. وتصفية صدام حسين ونظامه، وعن طريق ذلك توجيه ضربة قوية للآمال القومية العربية.

لقد قلنا بانه لم يكن هناك نتائج للسياسة الدعائية والاعلامية العراقية بهذا الصدد. والى جانب ذلك يجب الاشارة الى الاهمية الكبيرة لهذه المحاولة. من جهة ليس هناك اي جديد - نحن نعود ونقول بان اسرائيل والصراع معها يشكلان القاسم المشترك الوحيد الذي يستطيع ان يجمع حوله الصف العربي - ومن الجهة الاخرى، وبدون شك كان. وكما يبدو سيكون هناك ابعاد هامة ومثيرة لمواصلة الاعتقاد العربي بشأن مكانة اسرائيل والصهيونية (بالمفهوم العربي لهذا الاصطلاح) في التأثير على الاحداث العالمية "للامبريالية العنصرية الغربية".

استفزاز صواريخ سكاد لاسرائيل

ان صواريخ الحسين التي انطلقت من غرب العراق باتجاه مناطق اسرائيلية مكتظة بالسكان جاءت لاستفزاز اسرائيل وجرها للتدخل المباشر في الحرب. على ان هذه المحاولة الاستفزازية قد فشلت بمعيب [illegible] خارج نطاق الحرب.

ولم تكن الخسائر الناجمة عن ذلك طفيفة. ففي الايام الواقعة بين ١٨ كانون ثاني و٢٥ شباط تعرضت اسرائيل الى ١٧ هجوم اطلق خلالها ٤٠ صاروخا باتجاه اهداف مختلفة في اسرائيل. ومعظم الـ ٤٠ صاروخا اصابت اماكن آهلة بالسكان ونجمت عنها خسائر. ولم تحدث لصواريخ الباقية اية اضرار. والنشاط اسرائيل بعدم ضرب قواعد صواريخ العراقية فاتحا ليس فقط بغداد، بل كان [illegible] الرد الذي انتهجته اسرائيل تجاه العراق بصورة عامة والعراق بوجه خاص

منذ بداية التهديدات العراقية "باحراق نصف اسرائيل". واصبح هذا الانضباط ممكنا نتيجة لعدة عوامل واعتبارات اهمها، كما يبدو، العلاقات الودية بين اسرائيل والولايات المتحدة.

وسنبدأ بالحظ، اصيبت الاف المباني جراء انفجار صواريخ سكاد. وعدد القتلى من الاصابة المباشرة بالصواريخ كان اثنين فقط مقابل حوالي ٢٠٠ جريح. وقد كان هذا العدد القليل من الاصابات قد سهل كثيرا على اتخاذ قرار ضبط النفس في المستوى الحكومي وهو يفسر ايضا غياب الضغط الجماهيري في اسرائيل باتجاه الرد والقيام بعملية عسكرية.

وحتى انه لو اعدت هيئة الاركان خطة للهجوم على قواعد اطلاق الصواريخ فثمة شك في ضمان التدمير الكامل لفعالية القواعد والصواريخ حتى اخرها. ولعل هذا الشك قد ساهم في الامتناع عن القيام بعملية اسرائيلية قد يحدث في اعقابها اطلاق صواريخ عراقية اخرى تجاه اسرائيل. غير ان الجانب المعقد جدا هو شبكة العلاقات مع الادارة الامريكية في واشنطن. وكان الموقف المنطقي للولايات المتحدة منذ الايام الاولى لبلورة التعاون الاستراتيجي بين البلدين، مؤكد على ان لا تلعب اسرائيل اي دور استراتيجي في النزاع العربي - العربي في المنطقة. وفي حالة خاصة كهذه، وحين تحولت المواجهة مع صدام حسين الى جهد قومي مركزي كبير بالنسبة للادارة الامريكية وحين كانت فرص النجاح او الفشل مرهونة بشكل كامل تقريبا، بالدعم المتواصل لعدد من الدول العربية المركزية، فقد اصبحت امكانية قيام اسرائيل بعملية عسكرية ضد العراق خطرا من شأنه ان ينسف الجهود الامريكية برمتها.

ورغم ان العواصم العربية الرئيسية الثلاثة - القاهرة، الرياض ودمشق - اوضحت بانها لن تعارض اي رد اسرائيلي محدود ضد العراق، الا ان ذلك لم يكن كافيا لتهدئة وارضاء واشنطن. وكان التخوف الاساسي هو ان الرد العسكري الاسرائيلي من شأنه ان يتطور ويتحول الى حرب اسرائيلية - اردنية شاملة الامر الذي سيكون محفزا لاثارة مشاعر مختلفة في العواصم العربية وجماهيرها.

ولم تكتف الولايات المتحدة بتحذير اسرائيل بل بذلت جهودا جبارة لتهدئة الوضع في القدس: وبعث مساعد وزير الخارجية لورنس ايجلبرغر الى القدس للتنسيق في المواقف قبيل انتهاء مهلة الانذار للعراق في ١٥ كانون ثاني. وجاء ليحذر من رد عسكري اسرائيلي حتى لو هوجمت اسرائيل، واقترح ان تحصل فورا على بطاريتي صواريخ باتريوت جديدة، مع طواقمها الامريكيين وذلك لحماية اسرائيل من الصواريخ. ولم يكن رئيس الحكومة مستعدا لالتزام كهذا غير انه وعد بالتشاور مع واشنطن قبل اي رد.

وفور ان سقطت الصواريخ العراقية في اسرائيل عاد ايجلبرغر الى القدس. وفي هذه المرة تجاوبت اسرائيل ووصلت صواريخ الباتريوت كما تمت الموافقة على مساعدة مالية امريكية خاصة لتغطية اضرار الحرب في اسرائيل.

والى جانب ذلك لم يكن التوجه الامريكي هذا حازما، ففي خضم مرحلة الاحداث السياسية تحفظت واشنطن من طريقة المعالجة الاسرائيلية للاحداث الخطيرة في الاقصى (٨ تشرين اول ١٩٩٠) وامام الموقف العربي الشامل الذي يستنكر اسرائيل بتطرف وبشدة لم تستطع الولايات المتحدة ان تستتر في التغطية على اسرائيل، حتى انها لم تلتزم الحياد. وهنا، وبعد فترة طويلة خرجت واشنطن عن عادتها ورفضت استخدام حق الفيتو في مجلس الامن لصالح اسرائيل. وحتى انه بعد ذلك، وفي اوج الحرب وقصف الصواريخ على المراكز السكنية الاسرائيلية، وفي اوج الحملة لتهدئة النفوس، لم يمتنع وزير الخارجية والرئيس بوش من توبيخ، وبصورة ظاهرة، السفير الاسرائيلي لدى واشنطن، واستنكار اعمال الاستيطان الاسرائيلي في المناطق.

زيارة القدس التي الاخر فيها الرئيس ووزير الدفاع تشيني ووزير الخارجية بيكر من التجول في عواصم المنطقة كانت القدس هي العاصمة الصديقة الوحيدة التي عرجوا عليها على نحو تظاهري.

وادعت القدس مرارا انه في اعقاب ازمة الخليج ازدادت الدول العربية المشاركة في التحالف، ارتباطا بواشنطن: والولايات المتحدة غير ملزمة بتقديم اي شيء لهذه الدول. على العكس، فهي مدينة للولايات المتحدة بالشكر والجميل. غير ان الادارة الامريكية نظرت من الامر [illegible] فهي ترى انها ملزمة بتقديم المال للدول العربية وتقدير

موافقتها على مساعدة القوات الامريكية وهي ملزمة ان تكون حساسة من كل خطوة من شأنها المس بهذه الدول ومشاعرها.

انتهت الحرب - وماذا بعد؟

ان مئة ساعة من الهجوم البري، بعد القصف الجوي المتواصل وبعد نجاح عمليات الاغراء والتضليل، مكنت من القيام بعملية تشبه الى حد بعيد مناورة احادية الجانب. فحركة القوات جرت تقريبا دون ان تصطدم بمقاومة عراقية. ومنا، وعندما اعلن المتحدث باسم قيادة الجيش في ليلة ٢٧ شباط عن الحاجة الامريكية لـ ٤٨ ساعة اخرى من اجل استكمال العملية العسكرية جاء الرئيس بوش بعد عدة ساعات من ذلك ليعلن عن وقف العمليات الحربية.

وكان قرار الرئيس هذا، كما يبدو، الدعاية الاعلامية الكبيرة للحرب. ولا شك في ان الاعتبار لذلك لم يكن عسكريا، ولم ينبع من البيانات الواردة من ساحة المعركة بقرب انتهاء المعركة، ولم ينبع من الخوف المفاجيء من وقوع خسائر فادحة للتحالف اذا استمرت المعركة، بل كان الاعتبار كما يبدو سياسيا.

اثناء كتابة هذه السطور، اي بعد عدة اشهر من وقف الحرب، من السابق لاوانه حسم الامور، ومع ذلك لا يمكن تجاهل الاشارة بقلق الى هذا القرار الذي يعني عمليا الامتناع عن استكمال المهمة الامر الذي شوش الانجاز العسكري المثير. والتشويش الاول والمهم جدا تمثل في بقاء صدام حسين على رأس السلطة في بغداد. وصدام لم ينجح في البقاء مؤقتا انما ايضا نجح في قمع كل محاولات الثورة والتمرد التي هدفت الى اسقاطه، وقام بذلك بنفس الوحشية وبنفس الوسائل الحربية "الملوثة" التي اعتاد استخدامها في الماضي.

وثانيا ما زال العراق يحاول عرض نتائج الحرب على انها انتصار عراقي. ولم تغير بغداد تقريبا اسلوب لهجتها المتعجرفة واهانتها وهجومها اللفظي على الولايات المتحدة وباقي دول التحالف.

وثالثا ليس لدينا الان صورة واضحة عن حجم القوة العسكرية العراقية التي استطاعت النجاة والهرب من الطوق الاستراتيجي لقوات الجنرال شفارتسكوفيف، لكن كما يبدو، كانت هذه القوة جزء مهم جدا من القوات العراقية. وكلما انجلى الغبار كلما اتضح بان الصورة الوردية من ٢٨ شباط ١٩٩١، اي بعد وقف العمليات الحربية فيما يتعلق بحجم القوات العراقية التي دمرت اثناء الحرب كانت بعيدة عن الوقائع، الامر الذي سيكون له، كما هو واضح، ابعاد مستقبلية.

هذا بالاضافة الى انه من المشكوك فيه ان تستطيع دول التحالف تطبيق قرار مجلس الامن ٦٨٧ الذي يحدد شروط وقف اطلاق النار المفروضة على العراق. واتضح حتى تموز ١٩٩١، ان العراق يحاول التحايل تقريبا على كل بند وبند، ونشك في وجود قوة وارادة ورغبة لممارسة ضغط جديد وحقيقي على بغداد. حيث لم تكن المحاولة السابقة لممارسة الضغط على العراق بواسطة الحظر مشجعة ويبدو ان الامكانية الوحيدة لفرض هذه القرارات هي بواسطة استئناف الحرب، غير ان المبادرة بحرب جديدة في الوقت الذي لم يعد فيه تحرير الكويت هو المقصود تبدو انها خيار لا يتمتع باي فرصة للنجاح.

وفي الختام، هناك خطر من ان ثلاثة من بين اهداف الحرب التي حددت لم تنجز، حيث السلاح غير التقليدي ومخزون الاسلحة التقليدية تضررت جزئيا وحسب، والتطلع الى احلال الامن والاستقرار في منطقة الخليج الفارسي لا يمكن تجسيده طالما بقي صدام حسين في السلطة وطالما كان بحوزته قاعدة عسكرية مثيرة. وفي النهاية، ورغم ان ذلك لم يكن هدفا معلنا، فان التطلع الى تصفية صدام حسين شخصيا والقضاء، على نظامه بقي ايضا بعيدا جدا عن التحقيق.

الفصل الثاني

آثار "النظام العالمي الجديد" على تسوية ازمة الشرق الاوسط"

بقلم: امارون كلايمان

قبل ان يتسنى لنا التوجه الى بحث اثار النظام العالمي الجديد على ازمة الخليج في العام ١٩٩٠ وعلى تسويته في العام ١٩٩١، فان من واجبنا ان نسأل ما هو "النظام العالمي الجديد"؟ وبرأي الكاتب، فان الحاجة لطلب التفسير تشير منذ بدء البحث الى وهن ما من ناحية واضعي الفكرة.

الوهن الاول: صعوبة تعريف المفهوم الاساسي.

بحثنا وبحثنا في كتابات فترة ازمة الخليج الفارسي عن تعريف ما، واضح وموثوق لتعبير "النظام العالمي الجديد"، دون جدوى. فمثل هذا التعريف الثاقب ليس موجودا ببساطة، حتى ولو على لسان من وضع التعبير نفسه في الادارة الامريكية. وفي ظل غياب تعريف رسمي، تبقى امامنا امكانيتان فقط: ان يكون لكل باحث ومحلل تعريفه الخاص، الامر الذي يمنع كل خوض موضوعي، او محاولة ارتشاف "نية المحرر" من سلسلة تصريحات، من قبيل فتت الفرضيات، والمبادىء والمطالب التي تتراكم معا لتعكس باكبر قدر من الصدق التفسير الذي يعطيه واضعو السياسة في واشنطن لمفهوم النظام العالمي الجديد.

وكما ذكرنا، لا يمكن وضع اليد على اي وثيقة تكون مرجعا - سواء لتبنيها او معارضتها. ويمكن لنا فقط ان نستشف مقصد الرئيس بوش عندما تحدث بحماسة عن "النظام العالمي الجديد"، و "عقيدة بوش" بشكل عام، من خلال جملة من التفوهات والتصريحات، للرئيس وللشخصيات المقربة منه، كوزير الخارجية بيكر، ووزير الدفاع تشيني، وجون كيلي واخرين، نشرت على مدى اسابيع عديدة (١) وان كانت الصيغ فيها غامضة هي الاخرى.

وعلى اية حال، يتبين من تحليل الوثائق ان المطروح عمليا هذه المرة ايضا لا يقل عن ١٤ نقطة، تنقسم الى مجموعتين: واحدة فيها سبعة مبادىء عامة ستكون سارية المفعول على النظام العالمي، والثانية تضم سبعة مبادىء اضافية تنطبق على النظام الشرق اوسطي الجديد.

وهاكم المبادىء السبعة ذات الاثر العالمي العام.

١- بشرى التجديد بحد ذاتها. ففي خطاب الرئيس بوش امام الجمعية العمومية في الاول من شهر اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٩٠، اكثر في استخدام كلمة "الجديد"، حيث تحدث عن "التفكير الجديد"، والرحلة نحو "يوم جديد"، و "فترة جديدة"، و "شراكة جديدة"، و "جسور جديدة"، و "نموذج جديد"، وغيره.

٢- الحظر التام للعدوانية العنيفة، والحاجة لتسوية النزاعات بالوسائل السلمية.

٣- استبدال الامن القومي بالامن الجماعي (القارىء الذي يتمتع باحساس تاريخي لن يصعب عليه تشخيص بعض النقاط المعروفة منذ فترة "النظام العالمي الجديد" السابق في عهد الرئيس وودرو ولسون).

٤- تصميم الولايات المتحدة على ان تكون الرائدة في المحاولة المتجددة لفتح صفحة جديدة وقيادة الاسرة الدولية وتقديم الضمان الحقيقي للنظام الناشىء.

٥- الاعتراف بمكانة الاتحاد السوفييتي كشريك في بناء النظام الجديد ودعوته للمشاركة الفاعلة والمركزية فيه.

٦- تبني اطار متعدد الاطراف، على فرض ان التحالف السابق (ضد العراق) سيتسع فيوسع احيانا ايضا (على سبيل

العدل والسلام). يساهم فيه كل شريك بدوره من اجل نجاح المشروع.

٧- تخصيص موقع مركزي في اطار النظام الجديد لنموذج مفعل للامم المتحدة - وذلك من خلال تطوير مؤسساتها ووكالاتها وزيادة صلاحياتها واعطاء مفعول اكبر لقراراتها.

وقد اقترحت سبع نقاط اخرى من الادارة في اطار البحث عن الحلول الاقليمية في الشرق الاوسط: بداية في ساحة الخليج الفارسي، ثم في الساحات الاخرى:

١- اعطاء اولوية للشرق الاوسط كهدف اولي وفوري في تطبيق الخطوط الاساسية العامة.

٢- ترتيبات امنية.

٣- الرقابة على السلاح بانواعه المختلفة ومكافحة انتشاره.

٤- التعاون في البناء والتطوير الاقتصادي.

٥- بلورة سياسة في مجال الطاقة.

٦- مبادرات سياسية لتسوية النزاعات الاقليمية الخطيرة - في الخليج وبين اسرائيل والعرب وفي لبنان.

٧- وبالنسبة للنزاع الاسرائيلي - العربي، تبني فكرة الفعالية الدبلوماسية في مسلكين متوازيين: التفاوض بين اسرائيل والدول العربية، الى جانب الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين. وكل ذلك في اطار الحفاظ على الصداقة مع العالم العربي ومع اسرائيل على حد سواء.

المسلمة والتحفظ عليها.

في التاريخ المزدهر لـ "عاصفة الصحراء" درج البعض على الحديث عن الصلة المباشرة بين الحرب ضد العراق من جانب وبين تكون النظام العالمي الجديد من جانب اخر. فقد اعلن عن النظام الجديد في خريف ١٩٩٠ مما يوحي للوهلة الاولى بوجود صلة سببية واضحة بينهما سواء من حيث الترتيب الزمني او المنطقي لوقوعهما. ولما كانت بداية النظام الدولي الجديد والمبتكر "The new world order" أو "NWO" - قد سبقت الحرب نفسها، فمن الطبيعي بمكان ان تنعكس مبادئه في الجهود لتحرير الكويت وانهاء النزاع، ولمعاقبة المعتدي ولاعادة الاستقرار الى المنطقة. وكل ما يتبقى، هذا اذا ما تبقى شيء، فهو الكشف عن سجل النظام الجديد وتأثيره الملموس في سياق المراحل الثلاثة للمواجهة في الخليج: المرحلة السياسية - "درع الصحراء (٢ اب ١٩٩٠ - ١٦ كانون الثاني ١٩٩١)، والمرحلة الحربية - "عاصفة الصحراء" (١٧ كانون الثاني - ٢٨ شباط)، والمرحلة السياسية - "صمت الصحراء" (٢٨ شباط - ٣ نيسان، موعد قرار مجلس الامن ٦٨٧ حول شروط وقف الاعمال القتالية).

وعلى الرغم مما زعم، فان كاتب هذا المقال لا ياخذ بالادعاء السائد حول الصلة بين مفهوم النظام العالمي الجديد وبين تسوية الازمة كأمر مسلم به، وهو يتساءل اذا كان ثمة اي صلة بينهما. وذلك، باستثناء امكانية وجود صلة ظرفية واحدة، تعود جذورها الى التقارب الزمني بين وقوع الحدثين: الحديث عن النظام العالمي الجديد من جهة، ونشوء ازمة الخليج من جهة اخرى.

والادعاء الاول هو انه ما كان بوسع فكرة النظام الجديد ان تقدم اي اسهام حقيقي في تسوية ازمة الخليج بالمفهوم السياسي، لعدة اسباب منها ان الحديث يدور حول فكرة مجردة وليس حول خطة برنامجية مرتبة وواضحة.

ثانيا: ان اصل فكرة نقطة التحول في تاريخ العالم اجمالا ليس لها صلة بازمة الخليج. وكما يمكن لنا ان نفهم من السياسة قائمة السيد فرانسيس فوكوياما حول "نهاية التاريخ" (١) فان هذا العالم الجديد قد نشأ في سياق ١٩٨٩ - ١٩٩٠ اثر حقبة الاعلان عن انتهاء الحرب الباردة والانفراج في العلاقات بين الدولتين العظميين، وتحقيق الاتفاقات

لنزع السلاح الاستراتيجي وموجة الثورات في شرقي اوروبا. وكذلك توحيد المانيا والخطوات لترسيخ السوق المشتركة في غربي القارة. وسلسلة الاحداث هذه هي التي طورت الامال في الاوساط الجماهيرية الواسعة، في ان عهدا عالميا يقف على الابواب - عهدا سيقوم على اساس التعاون والارتباط المتبادل والحدود المفتوحة والتكامل والجيرة السلمية (٣).

وهن ناحية تبلور النظام العالمي الجديد يمكن لنا القول ان بشوب الازمة في الشرق الاوسط، وانتهاءها ايضا، قد وقعا في توقيت غير مريح. وذلك لان مهندسي النظام الجديد - وعلى رأسهم الرئيس بوش وادارته - لم يتمكنوا من بلورة خطة ملموسة لجملة المبادىء المجردة. وبالقدر الذي "يوجد" فيه هذا النظام، فانه يبقى على المستوى المبدئي وحسب، وبدون تجسيد سياسي ملموس، وبتعبير اخر، فان الظواهر التي نشأت في سياق ازمة الخليج، كتشكيل التحالف متعدد الجنسيات - وهي ظاهرة مثيرة للانطباع بحد ذاتها - لا تعود الى قوة الجذب التي لفكرة النظام العالمي الجديد.

ومن الاهمية بمكان التشديد على ان "النظام العالمي الجديد" الامريكي - الرئاسي يبقى في سياقه المبسط كجملة من المبادىء والتمنيات اختراعا للولايات المتحدة ورؤية امريكية متفردة. وبودي هنا ان اقول ان من المشكوك فيه ان يكون الرئيس بوش قد حرص على او تمكن من تجنيد مؤيدين اخرين للفكرة السامية في اوساط زعماء باقي دول التحالف.

وفضلا عن ذلك ينبغي لنا ان نتذكر بان الرئيس بوش قد اكد في عدة مناسبات على ان تطبيق رؤياه عن العالم الجديد مرهون بانتهاء الازمة في الشرق الاوسط ويزيد هذا القول من صعوبة اثبات الاثار السياسية والمباشرة للنظام العالمي الجديد على تسوية الازمة بالفعل.

انتصار "الواقعية السياسية"

الحقيقة ان ادارة ازمة الخليج، وتسويتها على حد سواء، قد جرت وفق قواعد لعب تقليدية ومعروفة للغاية من النظام العالمي القديم بالذات. وقد وجد هذا الامر تعبيره ابتداء من تشكيل التحالف المناهض للعراق بعناصره المختلفة، وعبر التصويت على ١٥ قرارا في الامم المتحدة في سياق الازمة. وكذلك من حيث موقف كل دولة ودولة من المقاطعة الاقتصادية وارسال القوات الى الخليج، وانتهاء بالمناهج والمواقف المختلفة التي اتبعت في اعقاب الوضع المائع الذي نجم داخل حدود العراق بعد انتهاء المرحلة الحربية.

ان ما وجه سواء الاسرة الدولية ام كل اللاعبين، بمن فيهم الولايات المتحدة في اثناء اتخاذ القرارات، كانت اعتبارات المصلحة الذاتية والامن القومي والتطلع الى الحفاظ على الوضع الراهن حسب مفهوم كل واحد من هذه الاطراف. وبتعبير آخر: "الاقوال في جهة، والاعمال في جهة اخرى". وفي هذه المرة ايضا لم يخرج اللاعبون الرئيسيون في سلوكهم عن المعايير المقبولة في العلاقات الدولية في العصر الحديث.

لقد نشأت في ازمة الخليج ظروف مؤاتية، ولعلها لمرة واحدة، للتعاون متعدد الجنسيات. فقد اتخذ العراق خطوة عدوانية فظة وبارزة بقدر كان من الصعب عدم الرد عليها. ناهيك عن ان احتلال الكويت والخطر الذي حدق بالسعودية قد شكلا تهديدا مباشرا على حقول النفط في شبه الجزيرة العربية وعلى الخطوط التجارية للدول الصناعية. ومن ناحية نظرية العلاقات الدولية ثمة امامنا، اذا، حالة كلاسيكية للفعل ورد الفعل وفقا لقانون ميزان القوى. فمن حيث الاساس، وقع في الازمة اهتزاز مزدوج، سواء لميزان القوى الاقليمي ام لميزان القوى العالمي، من خلال العملية العراقية المبادرة وانشاء التحالف المضاد، وما حسم الكفة في النهاية هو القوة الجسدية - التي لا تتماثل تماما والمعايير الجديدة للعدل والاخلاق. وحتى في اثناء صنع السلام فلا ينبغي ارجاع مبدأ حظر العدوان العسكري وضرورة معاقبة المعتدي لتجديدات النظام العالمي الجديد، فهذه تتجلى في صلب شروط الامم المتحدة لوقف النار. وكلاهما، اي الحظر والرد، كما هو معروف، جزء من التراث الخالد للنظام العالمي السابق، مع فارق انهما لم يحظيا ابدا بالدعم الكامل من الدول العظمى. واذا كان الامر هكذا، فان من واجبنا ابداء الحرص في الاختيار بحيث لا تكون "جديدة" ليست هي المطلوبة. ذلك ان الحديث يدور حول اعطاء مفعول للمعايير المقبولة في العلاقات بين الدول التي سادت على الاقل منذ بداية القرن الماضي، وان كان

هذا ليس بالامر الهين على ضوء التجربة الدبلوماسية الماضية.

وعلى ضوء ما قيل اعلاه، فان الاستنتاج الوحيد الذي نصل اليه هو ان النظام العالمي الجديد لم يكن له تأثير مركزي على تسوية الازمة في الخليج. ولم يكن عمليا امر ذا صلة في النطاق الاقليمي. ويمكن رؤية تعبير اخير لذلك في حقيقة انه على الرغم من استخدام الاصطلاح في عدد لا نهاية له من المرات من قبل الادارة الامريكية، فان مسألة اقامة النظام الجديد لم تدرج ابدا في قائمة اهداف الحرب.

بيد ان الادعاء المعروض هنا لا يكتفي بالكشف عن انعدام المعنى العملي لفكرة النظام الجديد من ناحية الازمة العراقية. ذلك انه لم يكن لجملة المفاهيم هذه اي تأثير على انتهاء الازمة الشرق اوسطية من حيث الجوهر.

وكما ذكر آنفا، ينبغي التمييز بين "النظام العالمي الجديد" على الصعيد الفكري وبين ترجمته العملية على الصعيد السياسي وفي الساحة السياسية. ولا مجال للتنكر لحقيقة ان النظام الجديد لم يحظ حتى الان بالاجماع الاقصى او بالتعبير التأطيري - التنظيمي. وهكذا فان التحليل سيقتصر بحكم الضرورة على المجال الفكري. ومع ذلك، فانه قد اضر في هذا السياق اكثر مما نفع، وذلك لسببين:

السبب الاول: هو انه ولكونه شعارا بيانيا انطلق صبح مساء من فم الرئيس بوش، فقد تعرض اصطلاح النظام العالمي الجديد للنقد اللاذع سواء من الداخل او من الخارج. فقد اعتبرت بعض الاوساط ان استخدام الادارة لهذا الاصطلاح كان مجرد مناورة في العلاقات العامة وليس لها اي مضمون. وتعزيزا لهذا الادعاء جيء كبينة حقيقة ان الاصطلاح تبنته اجهزة الاعلام، وليس رجال الدولة، وكان هناك من وصف النظام العالمي الجديد "بمجموعة محبطة للآمال من الاقوال المجردة والبديهيات المبتذلة"، او "كتعبير مأخوذ من نشرة لحركة شبيبة ساذجة". (٥). وقد ضم خبراء في العلاقات الدولية من الصف الاول اصواتهم الى النقد. فقد انهى البروفسور ستانلي هوفمان من جامعة هارفرد مقالا طويلا ومحترما بعنوان "احذروا انعدام النظام العالمي الجديد" بكلمات: "النظام الجديد من شأنه الا يكون جديدا او عادلا، او حتى موضوع نظام على الاطلاق". (٦). وحاولت فلورا لويس، المحللة المعروفة في صحيفة "نيويورك تايمز" هي الاخرى تخفيض التوقعات وتبريد الحماسة البلاغية بقولها ان كل ما هو مطلوب هو عالم منظم بقدر اكبر قليلا (Orderly) بدل نظام عالمي جديد. (٧).

وفي نفس الوقت، نفر مراقبون ومحللون اخرون من الفكرة لاسباب مغايرة تماما. فقد اعتبروا النظام العالمي الجديد محاولة مكشوفة للغاية لترسيخ وتثبيت الهيمنة الفردية للولايات المتحدة على النظام العالمي. وقدمت صحيفة "معاريف" تعبيرا لمثل هذا الموقف بوضعها النظام العالمي الجديد كأمر "خرج من معامل البيت الابيض ليصف صيغة امريكية للسلام العالمي في كنف واشنطن". (٨). ومهما يكن من امر، فنقطة الاهتمام هنا هي ان عدم تعريف هذا المفهوم الاساسي قد ادى بطبيعة الحال الى اثارة الخلاف والانشقاق بدل ان يشكل مصدر الهام وتأييد حيويين بهذا القدر لنجاح مبادرة الولايات المتحدة.

ومنذ ان انطلقت الفكرة في الهواء في ايلول من العام ١٩٩٠، لا يزال يجري جدال اساسي وعاصف حوليا. ويتمحور هذا الجدال حول اربع مسائل: اهداف النظام الجديد، مضمونه، مغزاه واثاره، وتجسيده. وبهذا المفهوم، فان معالجة الادارة لكل ما يتعلق بالنظام العالمي الجديد، وفي الاساس بما هو مطلوب لتقدم وتحقيق المبادرة، قد صبت في صالح المعارضين للفكرة بحد ذاتها - دون ان يكون لذلك صلة ضرورية بالتطورات في الخليج - سواء لان الموضوع ليس جديا على الاطلاق، او بسبب [illegible] صعبة ومعقدة، جدي وخطير للغاية، وعلى اي حال فان هذه المعارضة بحد ذاتها قد تمكنت من وقف زخم النظام العالمي الجديد حتى قبل ان ينطلق على الدرب.

توقعات مؤيدي النظام الجديد.

ومن ناحية اخرى، ومن زاوية نظر معسكر مؤيدي المبادرة، فان طبيعة عرض الفكرة على الملأ قد الحق بها ضررا اضافيا. فعلى مدى التاريخ يمكن لنا ان نجد دوما اشخاصا معنيين بتغيير نظام قديم بنظام اكثر جدة وعدالة. واذا كانت الامور هكذا في الماضي، فانه ومع اقتراب نهاية هذا القرن، يوجد جمهور كبير من المواطنين العاديين، الذين يعتقدون بالفعل وببراءة بانهم، ومعهم العالم باسره يقفون على شفا عهد جديد. ولكن العالم يسير دوما على نهجه. والفجوة بين الحلم والواقع، بين التوقعات وامكانية تحقيقها لا تزال قائمة. وفي اعقاب ما جرى للاكراد في نهاية الازمة في الخليج، من الصعب الحديث عن نظام عالمي مغاير حقا. ففي الاشهر والسنين القادمة سيكون من الصعب تعديل الانطباع السلبي الذي نشأ واعادة ترميم الثقة بالنظام العالمي الجديد كبديل يمكن تجسيده.

ان امتحان كل نموذج متطور للسياسة بين الامم هو مدى شموليته لكل العالم. ولم يتحدث اهل البشرى بلسان حذر عن "نظام نصف عالمي جديد"، بالمعنى الاختياري، اي تطبيق المبادىء الاساسية الجديدة على مناطق معينة او في مسائل دولية منتقاه. ولم يكتفوا باقل من نظام عالمي جديد، شامل وعام "across the board" - من اجل الانسانية جمعاء. بيد انه في اللحظة الانتقالية بين اعلان النوايا واخراجها الى حيز التنفيذ - في ربيع من العام ١٩٩١، نشأ انطباع بالتطبيق الانتقائي والجزئي بمعنى التركيز على بعض المشاكل (اعادة بناء الكويت، المسيرة السلمية في النزاع الاسرائيلي - العربي، وبتأخير ما، مسألة الاكراد) في ظل عدم الاكتراث او التجاهل لبؤر توتر لا تقل صراخا في طلب المعالجة المنهاجية والمركزة من جانب الولايات المتحدة وغيرها من المحافل الدولية، كالحاجة لاعادة البناء الاقتصادي لدول وسط اوروبا، والنزاعات في افريقيا وفي اسيا ومسألة كشمير.

صحيح ان النظام العالمي الجديد الذي نشأ منذ العام ١٩٨٩ يخلق تحديات لا عد لها، ولكن حقيقة ان ثمة تحت تصرف رجال البشرى مصادر محدودة هي الاخرى صحيحة. ومع ذلك فمن الصعب للمراقب المحايد في النصف الاول من العام ١٩٩١ التحلل من الانطباع بان مبادرة النظام العالمي الجديد قد ولدت هذه المرة ايضا دون غطاء كاف (غطاء، بمعنى الالتزام الجماهيري، المالي، السياسي والعسكري على الاقل من جانب الولايات المتحدة)، على نحو مشابة جدا لمحاولة التقدم لتحقيق حلم الرئيس ولسون قبل سبعين عاما.

المأساة الكردية كانعكاس للنظام المتكون.

لقد عززت من انطباع "ازدواجية المعايير" هذه طريقة معالجة - مشكلة الاكراد - او بتعبير ادق عدم معالجتها - وليس هذا من حيث وجهها الانساني بقدر ما هو من حيث وجهها السياسي. فقد غدا الشرق الاوسط بشكل عام، وازمة الاكراد بشكل خاص، دون قصد، الاختبار الاول والفوري للنظام العالمي لدى الانتقال الحاد من الازمة الى ما بعد الازمة. وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى عدد من الملاحظات:

اولا: بدل ان يدل الرد الامريكي على حزمه وغائيته فقد دل على تردد وشك لا يتلاءمان وقوة عظمى يتوقع فيها ان تقود كل المنظومة باتجاه تحقيق مبادىء النظام الجديد.

ثانيا: كان الميل في واشنطن هو النظر الى المسألة الكردية كمشكلة انسانية اكثر مما هي مشكلة سياسية - قومية، والتوصيه بالحكم الذاتي كشرط كاف لحقوق هذا الشعب، وليس بتقرير المصير او الاستقلال السياسي كجسم سياسي قائم بذاته.

والملاحظة الثالثه هي انه من الناحية الموضوعية هناك جدوى من طرح سؤال الا يعتبر مبدأ "حق تقرير المصير" موضوعا مقدسا وشموليا في عالميته، كحق ينطبق على كل الامم؟ واذا كان الامر كذلك، فما الفرق بين حق ثلاثة ملايين فلسطيني وحق ٢٥ مليون كردي او حق الارمن؟ اين يكمن الفرق؟ وهذه اخرى، نقطة من ناحية ثقل وسالة النظام العالمي الجديد، اذا كانت الشعوبة تكمن في مبدأ لا يمثل قداسة في القانون الدولي "عدم التدخل" في الشؤون الداخلية للدول ذات

سيادة، فبالتالي وفق اي معيار يسمح فيه التدخل في دولة ما فيما لا يسمح التدخل في اخرى؟ واخيرا، كيف، يمكن من
ناحية الضميرية والسياسية على حد سواء، اتخاذ قرار بعدم تقديم الدعم العسكري للاكراد في العراق - ولا سيما بعد ان
لقوا تشجيعا للتمرد ضد النظام في بغداد لانه "على الشعب العراقي ان يقرر مصيره السياسي بنفسه" (٩). وبعد ذلك
بورا، التدخل بشكل جزئي في تقديم مساعدة وملجأ للاكراد المطاردين داخل "مناطق محمية" قائمة داخل النطاق
لاقليمي للعراق دون موافقته السيادية؟ افلا تشكل اقامة "جيب" في الحدود الشمالية للعراق لصالح اللاجئين الاكراد مسا
سيادته؟.

وبالاجمال، فان المراقب المحايد الذي يرغب في بلورة موقف بشأن امال تحقق النظام الجديد، والذي يتطلع الى منح
تأييده للفكرة، لا يمكنه الامتناع عن اخذ الانطباع القاسي بانه يقف امام جهاز يبث اشارات متضاربة في آن معا.

والموضوع هو ان الاشاعة المبكرة اكثر مما ينبغي لبشرى العهد الجديد، حتى قبل ان يضمن توفر الشروط اللازمة
لاقامته والبنية الاساسية الملائمة لاعداده، تشكل تطورا سلبيا. ذلك انه مقابل مبادىء صلبة وقاسية بهذا القدر، كما سنرى
في لاحق السياق، فان اي تسوية للازمة - مهما كانت - ستكون محكومة منذ البداية بان تبدو غير مناسبة وغير ملائمة
للتوقعات المبالغ فيها.

اثار - ولكن في الاتجاه المعاكس.

ومن هنا الى الاستنتاج الاساسي. عرضنا حتى الان الى السؤال حول اثار مفهوم النظام العالمي الجديد على تسوية
الازمة. والجواب الذي قدم لذلك هو ان كل الاحاديث في مسألة الانقلاب السياسي في انظمة العالم لم تسهم الا في تشديد
الصعوبة في ايجاد حلول واقعية لجملة المسائل موضع الخلاف، سواء في منطقة الشرق الاوسط او الساحات الاخرى. بيد
ان صياغة السؤال بهذا الشكل تقدم صورة جزئية فقط.

ان الصلة بين النظام العالمي الجديد والازمة لهي صلة اكثر تعقيدا كونها صلة ثنائية الاتجاه. ويجري الحديث هنا عمليا
عن علاقة متبادلة، وعليه فينبغي البحث عن الاثار لا باتجاه واحد بل بصلاتها المتبادلة. فماذا يمكن، اذا، القول حول
الشكل الذي اثرت فيه تسوية الازمة في الاتجاه المعاكس على احتمالات نجاح النظام العالمي الجديد؟

ومن الواجب ان نؤكد هنا على نقطة في صالح النظام العالمي الجديد، وهي ان نجاحه او فشله مثل اي فكرة او مبادرة
سياسية، لهو موضوع توقيت في الغالب. ولعل "ضبط الوقت" ليس كل شيء، بيد ان له بالتأكيد وزنا كبيرا على النتيجة بل
ووزنا حاسما احيانا ايضا. فمن حيث النظام العالمي الجديد المنشود، فقد وصلت ازمة الخليج منتهاها بمعنى ما على نحو
اسرع مما ينبغي، وابكر مما ينبغي وباقل مما ينبغي من النتائج. فالشكل الذي انتهى فيه النزاع - وليس مؤكدا على
الاطلاق اذا ما حكم الباحث في المستقبل بان النزاع قد "انتهى" بالفعل، وبالتأكيد ليس في اذار - ابريل ١٩٩١ - قد زاد
بلا ريب من صعوبة خلق الاجواء و "المحيط المتفائل" المطلوبين. ومن الناحية العملية، فانه يمكن لنا ان نقرر في موضوع
ازمة ١٩٩١ انه حل في اعقاب نوع من "الحرب المدارة جيدا" (Real War) "سلام مشكل" (Messy Peace).

ومن المناسب التوسع في موضوع الشروط السيئة على ضوء الفرق الكبير القائم بين الشكل الذي خبت فيه الازمة
والسبيل الذي تقاطعت فيه مع محاولة "اقلاع" التسويات السلمية والنظام الجديد.

لقد كانت المرحلة الحربية قصيرة، بل وانتهت بحسم واضح في ميدان القتال. وبالمقابل، فان المرحلة التي تلتها -
السياسية - لم تنته في نقطة زمنية محددة، وبحسم واضح حول طاولة المفاوضات. فقد افلح الرئيس صدام حسين في
البقاء، والى جانبه جزء كبير من قوته التقليدية. كما انه رفض الاعتراف بهزيمته، وظهر امام شعبه كمنتصر، وينظر الى
التواجد الاجنبي في حدود بلاده على سبيل الامر الواقع، وانتظر بنفاد صبر اخراج القوات الاجنبية من اراضيه حتى يعيد
للعراق حرية المناورة من جديد.

ويشهد دولاب التاريخ على انه سبق ان حصل في العام ١٩١٩، وفي العام ١٩٤٥، فان هذه حرة ايضا تتداخل تصفية نتائج

الحرب على المدى الفوري (كمسألة التعديلات على الحدود والمطالبة بالتعويضات على الاضرار الناجمة) بالسياق العام لاحلال السلام الدائم على مدى الايام بل وتجعله صعبا.

وكنتيجة لذلك، فان ابناء جيلنا مثلهم مثل المؤرخين في المستقبل ايضا سيماثلون مبدأ النظام الجديد العام بشروط السلام الملموسة، وفي الحالة الراهنة، بالشروط التي يمليها اخذ الاطراف ايضا. ومعنى هذا الربط الاضافي هو ان كل المعارضين للتسويات السلمية المفروضين سيعربون عمليا عن استيائهم من كل الصفقة - اي تجاه النظام الجديد ايضا والذي سيتماثل دوما بالنظام الذي املاه المنتصرون.

وما يزيد ثمن تفاقم الوضع في العام ١٩٩١ هو حقيقة انه في لحظات الازمة والحرب بقيت بدون حل كل المسائل التي ادت الى المواجهة بما في ذلك معضلة امن السعودية وامارات الخليج، التي بقيت في صيف ١٩٩١ على ما كانت عليه من قبل؛ وظاهرة الاسلام الاصولي المتطرف، الى جانب التطرف السياسي، التي تواصل تهديد الانظمة المحافظة اضافة الى مشكلة الاقليات الاثنية. وسيتطلب الامر وقتا طويلا حتى اقامة تلك "الانظمة" الدولية التي تضمن موقفا نزيها سواء للدول المنتجة للنفط ام لمستهلكيه؛ سباق التسلح القتالي لم يتوقف بعد؛ وميزان القوى في منطقة الخليج على محور الرياض - بغداد - طهران لن يتوازن بالصدفة حتى بعد الازمة الاخيرة.

والى جانب كل تلك المشاكل المعروفة التي ساهمت في رسم صورة الشرق الاوسط كمنطقة غير مستقرة، فقد نشأت مشاكل جديدة، كنتاج ثانوي للنهاية "غير النظيفة" وغير القاطعة للمواجهة وكنتيجة لشروط السلام المخلولة. وبين هذه المشاكل هناك مسألة تغطية نفقات الحرب وتقديم التعويضات؛ الرقابة على مواقع الجيش والصناعات الامنية في العراق؛ الاهتمام بمستقبل عشرات الاف اللاجئين الشيعة والاكراد؛ مسألة استمرار مكوث مراقبي الامم المتحدة؛ وكذلك ادارة كل الجهاز الجديد الذي انشأ بناء على قرار ٦٨٧ لغرض تنفيذ بنود املاء السلام. ولا تحتل مكانا اقل بروزا من هذه مسألة الوجود العسكري الامريكي في شبه الجزيرة العربية والخليج.

شروخ في التحالف المنتصر.

من المفهوم ان المسائل المعقدة - القديمة منها والجديدة على حد سواء تستدعي اجوبة مختلفة من كل الاطراف لدى تحديدها التسويات السلمية للازمة واقامة النظام الجديد للعالم. وقد خلقت ردود فعل المشاركين في التحالف في اشهر العام ١٩٩١ انطباعا قاسيا مفاده انه حتى في هذا المفترق التاريخي للعلاقات الدولية، وبالاختلاف التام مع الطموح المبالغ فيه للرئيس الامريكي، فلن ينجح هذا التحالف الحربي في الصمود ولن يشكل في المرحلة القادمة تحالف السلام الذي سيقيم النظام العالمي. ومثلما هو الامر في الحالات السابقة، فقد ظهر في الخليج ايضا التحالف الحربي كتحالف وامن وآني، واصلت كل عناصره مع ختام الازمة في اتجاهاتها المختلفة واظهرت مفاهيم مختلفة حول كيفية الاستمرار في الطريق وشكل التسوية النهائية. فالخلافات بين الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا بشأن الاكراد، بين اليابان، المانيا والولايات المتحدة حول تمويل "عاصفة الصحراء"، وبين الولايات المتحدة، الصين، شمالي كوريا، تشيكوسلوفاكيا وباقي الدول المصدرة للسلاح، هي نماذج تدل على صعوبة تطبيق شروط السلام قبل - او حتى في آن معا مع بناء النظام العالمي الجديد.

وتثقل مميزات اربعة لتسوية الازمة على آمال تجسيد الحلم بالنظام العالمي الجديد كنتيجة مباشرة للفرصة الناشئة في العام ١٩٩١. وهذه المميزات هي: اشكالية بنود التسوية نفسها: عدم ملاءمة الشرق الاوسط كحقل تجارب اول لتنفيذ مبادىء النظام المطلوب [illegible] الدول التي بدون موافقتها ومساعدتها لا امل للنظام الجديد بنيل الزخم؛ وانعدام الديمومة لمواصلة الحرب حتى نهايتها او حتى نسخ جزء فقط من ذاك التصميم الذي اظهر في ميدان المعركة على صنع السلام.

"صمت الصحراء".

وبشأن النقطة الاخيرة، يبدو انه في اللحظة التي زال فيها الخطر العراقي المباشر، فقدت الازمة بعضا من الحاحيتها. وحسب سيناريو اخر، فلو استمر هجوم التحالف حتى الحسم او حتى الاستسلام، لكان ثمة على الاقل اساس للاعتقاد بان مؤيدي النظام العالمي الجديد سيستمدون تشجيعا من خلال خلق سابقة ايجابية، ولواصلوا الزخم السياسي في اطار توسيع التعاون الدولي والغربي. بيد ان هذا لم يحصل في الواقع. فقد تراكمت التسويات السلمية الاقليمية ببطء مثير للقلق. كما وثبتت حينها مرة اخرى احدى قواعد ادارة الازمات الاقل شهرة. فنجد انه عندما لا يكون هناك حرص على التمييز بين "السلام" و "الإستقرار"، وبين "الاستقرار" و "الشلل"، سيفضل رجل الدولة الاستقرار على مطالبه الاصعب والثمن الباهظ للديمومة والسعي نحو سلام دائم غير معروف.

وفي الوضع المائع الذي ساد المنطقة، اظهرت قوى المحافظة صلابة وتغلبت هذه المرة ايضا على قوى التجدد (١٠). وسرعان ما فقد النظام العالمي الجديد القليل من الزخم والتأييد الذي حظي بهما في البداية.

وعندما ننظر الى آثار تسوية الازمة من حيث مصير المبادرة الفكرية - السياسية الامريكية، فان كل ما يمكن قوله هو انه بدل شق الطريق امام "التجربة الكبرى" وبدل خلق الجو المريح والشروط اللازمة لبناء اسس منظومة دولية جديدة، فان النهاية غير الجمالية للازمة قد استنزفت المنتصرين وافشلت تقريبا النظام الجديد من الناحية العملية.

صعود وهبوط الانظمة العالمية الجديدة

ان صلاحية هذا الاتهام بحق ادارة الازمة في مراحلها السياسية الحاسمة تسري حتى نقطة معينة فقط فلا ريب ان الوضع غير الواضح في ارض الواقع نفسه، وكذلك "المحيط" الاقليمي والدولي قد صعبا الامر امام نمو النظام العالمي الجديد. بيد ان الحجة الاساسية هنا هي ان المفهوم ذاته قد عانى من قصور. فقد لجأ مرارا للسابقة ذات الصلة الوثيقى جدا للرئيس دودرو ولسون وتطلعه لبلورة اسس نظام عالمي جديد في اعقاب "ام كل المعارك" - الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨). وذلك لان ثمة اكثر من قاسم مشترك بين ١٩١٩ و ١٩٩١. ان تجربة عقيدة ولسون تلزمنا هذه المرة ايضا، من حيث الاصل الدقيق لفشلها.

ودون التطرق ابدا للادعاء بان هذا النظام قد فشل عند نهاية الفترة فقط (١٩٣٥ - ١٩٣٩)، سنذكر مدرستين تاريخيتين اخريين: واحدة تعتقد ان شكل تجسدها العملي في بداية الطريق (١٩١٩ - ١٩٢٢) - هو الذي افشل المبادرة، واخرى تدعي ان الفكرة بحد ذاتها - عقيدة ولسون نفسها التبلور الفكري (١٩١٨) لحلم النظام الذي سيقوم في المستقبل - هو الذي ضمن الفشل. ويبدو انه يمكن دمج المدرستين معا لتفسير ما حصل في ١٩٩٠ - ١٩٩١ فيما يتعلق بالنظام وبالازمة.

وبما اننا قد بحثنا مسالة الاداء السياسي، فان ما لا يزال ينقصنا هو الانشغال في الفكرة ذاتها. ومن هذه الناحية، فلا مجال لاعفاء الادارة الامريكية من جزء من المسؤولية عن المحاولة الفاشلة الاخيرة. ومن الصعب جدا الا يأخذ المرء انطباعا بان الادارة لم تنظر الى موضوع النظام العالمي الجديد بكامل الجدية، وامتنعت بالتالي عن اعطاء المبادرة كامل الاسناد. ونأخذ مثلا بلورة المفهوم وعرضه. وبالمقارنة مع الرئيس بوش، فاننا سنقول في صالح ولسون انه انكب على الاقل على صياغة برنامج سياسي متبلور، "النقاط الاربعة عشرة" الشهيرة التي ظهرت في وثيقة واحدة. اما اسلوب الرئيس بوش فيختلف جوهريا مما جعل من الصعب في تالي السياق محاولة اقناع الاخرين بصحة طريقه.

ولا مجال هنا لنتوسع في الحديث حول الاشكالية الكامنة في كل نقطة ونقطة مثار خلاف. ودعنا نتطرق هنا على سبيل ضرب المثال فقط الى المبدأ الخامس: اشراك الاتحاد السوفييتي، دون ان يكون واضحا في حينه، والى اي حد هو قادر على الاسهام في اقامة النظام الجديد - العالمي او الاقليمي - على ضوء تشققه الداخلي. من الجلي ان ثمة صعوبة كبيرة في تعبئة مضامين كل واحدة من النقاط من الناحية السياسية، ناهيك عن الناحية الشخصية لمؤلف فكرة النظام العالمي الجديد

نفسه، اذ ان اداءه في الساعات الاخيرة للازمة قد مس بصورته وسمعته الشخصية. ان مصداقية الرئيس بوش - ولا يمكن فصل القائد عن رجل الدولة - ضرورية لتقدم هجوم النظام العالمي الجديد. ومسألة المصداقية هي بالضبط خط التمييز الذي تأكل وتقلص مع اقتراب نهاية الازمة، في مرحلة الانتقال من الحرب الى المسيرة الدبلوماسية. ولعل بوش قد استخدم على نحو مبالغ فيه وساخر اصطلاحا ذا مغزى مشحون لدرجة كبيرة. ولعله ايضا قد نجح في اقناع نفسه في سياق الازمة بالفرصة التي منحت له لاحداث انعطاف تاريخي واعتقد حقا وببراءة بصحة النظام العالمي الجديد وبصحة طريقه. ومع ذلك، فقد امتنع في كل الاحوال عن تكريس كامل طاقته وشعبيته في الجهود لاقناع الاخرين - ابناء شعبه ونظرائه رؤوساء الدول. وكما نذكر، فان الرئيس لم يشرع في حملة الاقناع الا في نيسان. وقد تمكن من القاء خطاب واحد بشأن مشروعه الدولي حتى اصابه المرض مما حرمه من المضي بكامل النشاط في هذه المهمة الشاقة. وامام الفوضى استعصى على الزعيم الامريكي اظهار الحزم وبدا مجددا كمتردد.

لقد ظهرت هذه الصورة القاسية بوضوح على خلفية المأساة العراقية، عندما زجت ودفعت بريطانيا وفرنسا الولايات المتحدة للعمل في سبيل اللاجئين. وكان هناك من تنبأ للنظام العالمي الجديد بالفشل في الحلبة الداخلية، على خلفية عدم نجاح الادارة في اتباع خطة شاملة لاشفاء الاقتصاد الامريكي. اما في الحلبة الخارجية، فقد صمتت الادارة ازاء القرار الحازم لحكومة تشيكوسلوفاكيا لتنفيذ صفقة السلاح مع سوريا، على الرغم من ان خطوة كهذه كانت تتضارب صراحة، والهدف الايجابي في تقييد بيع السلاح لدول المنطقة. كما ان جهود الادارة لترميم علاقات الولايات المتحدة مع الصين في اطار التجاهل لخروقات لحقوق الانسان في هذا البلد - كل ذلك ادى الى اضعاف مصداقية الادارة في كل ما يتعلق بمنظومة دولية ستدار بشكل مغاير للشكل الذي كان سائدا حتى الان.

مبادىء لم تذكر

فضلا عن ذلك ولدى المقارنة بين عقيدة ولسون وعقيدة بوش، وفي صالح النهج الواقعي، او المثالي الجديد للادارة الامريكية الراهنة، يتضح على نحو بارز غياب اربعة مبادىء من "النظام العالمي الجديد" في حينه من القائمة الراهنة ذات الاربع عشرة نقطة، والتي كانت حجر عثرة امام المنظومة الدولية منذ العام ١٩١٩. وهكذا فان الرئيس بوش في استناده الى دروس الماضي قد اصاب في الامتناع عن الاعلان عن حرب الخليج "كحرب ستضع حدا لكل الحروب". ثانيا، لم تكرر الادارة مطلب "الدبلوماسية المكشوفة"، وذلك في ظل التفهم والتقدير لاهمية الدبلوماسية الهادئة والاتصالات السرية في نسيج العلاقات الدولية في عصرنا الراهن. ثالثا، لم يضم الى الشروط الضرورية للنظام الجديد مبدأ التحول الديمقراطي. لقد حاول الامريكيون في البداية الضغط على قادة الكويت والسعودية للاعلان عن اصلاحات اجتماعية وسياسية في بلدانهم، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن الموضوع بعد ان اصطدموا بالرفض. ومع انه لا يزال يوجد اليوم وعي للاهمية القصوى لتطوير انظمة ليبرالية في العالم على نحو تدريجي، وبدون اكراه، بيد ان الامر ابعد من ان يكون مبدئيا او مقررا في ارتباطه الراهن، بالمقارنة مع الدعوة الشهيرة لولسون To make the world safe for demoracy)(لجعل العالم آمنا من اجل الديمقراطية). ونقطة رابعة واخيرة: لم يكرر الرئيس بوش ان يتبنى كأحد خصائص النظام الذي يقف عند مستهل القرن الحادي والعشرين الفكرة الاشكالية بقدر كبير، فكرة "حق تقرير المصير" لكل الشعوب بصفتها شعوبا، وبهذا المفهوم فقط اسهم الرئيس على المدى القصير في آمال النظام الجديد لان يكون مقبولا في الظروف الدولية الراهنة.

واخيرا، الاختبار المزدوج

هل ثمة لفكرة النظام العالمي الجديد على الاطلاق مكانا في السياقات اللاحقة لازمة الخليج، او ربما سيكون من شأنه ان يحتل موقعه في صفحات التاريخ الدبلوماسي الجديد الى جانب المشاريع الطوباوية وغير العملية الاخرى؟. ويبدو ان ما بوسعه اعطاء الجواب هو المعالجة الامريكية - الدولية لمسألتين معينتين، الاولى هي كيفية المتابعة في معالجة المسألة

الكردية. فعلى الرغم من ان هذه المسألة قد برزت على نحو غير متوقع وغير مخطط على الاطلاق، فقد جذبت الاهتمام العالمي. والمسألة الثانية هي مدى استعداد منتجي ومصدري السلاح - والسلاح التقليدي بالذات - للموافقة على كبح جماحهم في ظل الموافقة الطوعية لفرض القيود على بيع الانظمة والتقنية العسكرية، كما يفهم من النقاط الاربعة عشرة للنظام العالمي الجديد لبوش، وكما تفترض السوق المنفلتة وسباق التسلح المتواصل في الخليج وفي منطقة الشرق الاوسط بأسرها.

ثمة اكثر من سبب للتفكير بان تناول هذين الموضوعين على جدول الاعمال الدولي الكثيف، هو بالذات ما سيحسم الصراع بين التمنيات وتصريحات النوايا من جهة، واجمالي اضطرارات الجغرافيا السياسية والتي تدفع دوما باتجاه الحل الوسط، ان لم يكن التنازل عن المبدأ بكامله - من جهة اخرى. ان المواقف العملية للولايات المتحدة وشركائها في اوروبا على هذين الصعيدين - الالتزام بتطلعات الشعوب المنبوذة بصفتهم شعوبا، والجهود المتداخلة في سبيل ابطاء التسلح والتزود بحجوم اكبر من الف مليون دولار في السنة - هي التي ستحكم على النظام العالمي الجديد بالايجاب او السلب.

وكل ما يمكن اجماله حاليا هو ان ايا من عناصر اصطلاح "النظام العالمي الجديد" الثلاثة لم يتحقق. وما يميز "لعبة الامم" في العام ١٩٩١ هو انعدام النظام وليس النظام القانوني، الثابت والمتفق عليه. ان مبادىء النظام العالمي الجديد ابعد من ان تكون سارية المفعول ومتجسدة في العالم كله. وفي افضل الاحوال، فقد ساد في اشهر الربيع جهد مكثف لتجسيد بعض المبادىء على الاقل على نحو جزئي ومركز في الشرق الاوسط وليس في المنطقة كلها، وحتى ليس في منطقة النزاع في الخليج الفارسي، والتي شكلت برميل البارود في الازمة الاخيرة، او من حيث النزاع الاسرائيلي - العربي. واخيرا ينشأ انطباع بان الحديث لا يدور حول تجديد وتحديث فكري وسلوكي حقيقي يقدر ما هو محاولة متجددة لاعطاء مفعول لمفاهيم مأخوذة من انظمة عالمية قديمة، ويتضح - وهذا صحيح حتى هذه اللحظة - بان النظام العالمي القديم لا يزال على مستوى التحليل العام هو النظام القائم.

ملاحظات ومراجع

١- تشكيل المبادىء الاربعة عشرة "للنظام العالمي الجديد" من مدرسة ادارة بوش يقوم على سلسلة شهادات رسمية هي التالية: خطاب الرئيس امام مجلسي النواب والشيوخ في جلسة خاصة حول ازمة الخليج الفارسي (١٩٩٠/٩/١١)، خطاب الرئيس بوش على شرف افتتاح الجمعية العمومية للامم المتحدة في نيويورك (١٩٩٠/١٠/١)، خطاب الرئيس بوش امام مجلسي النواب والشيوخ (١٩٩١/١/٢٩)، اقوال وزير الخارجية بيكر في شهادته امام لجنة الخارجية لمجلس النواب (١٩٩١/٢/٦)، مقابلة تلفزيونية مع جون كيلي، مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الادنى وجنوب اسيا (١٩٩١/٢/٢٦)، اقوال وزير الخارجية الامريكي بيكر في حديث مع المراسلين (١٩٩١/٣/٢٧). مقابلة مع وزير الخارجية في برنامج "واجه الصحافة" (١٩٩١/٣/٣)، اقوال توماس بيكرينبنغ، السفير الامريكي في الامم المتحدة (١٩٩١/٣/٤)، التقرير الذي قدمه الرئيس في الجلسة المشتركة لاعضاء مجلس الشيوخ والنواب بعد اسبوع من نهاية القتال في العراق (١٩٩١/٣/٨)، الخطاب الذي القاه الجنرال كولين باول، رئيس اركان الجيش الامريكي، امام الاجتماع السنوي لمنظمة "ايباك" (١٩٩١/٣/١٩)، شهادة وزير الدفاع، ريتشارد تشيني امام لجنة الخارجية لمجلس النواب (١٩٩١/٣/١٩).

٢- انظر الترجمة العبرية للمقال، فرانسيس فوكوياما، "نهاية التاريخ"، معاريف ١٩٨٩/١٠/٨.

٣- انظر مثلا مجموعة المقالات بتحرير

Nicolas X Rizopulos, Sea Changes, American Foreign Policy in a World TransforMed

(New York and London: Council on Foreign Relation, 1990)

وكما يدل العنوان الفرعي، فان كل المؤلفين الذين ساهموا في المجموعة قد تطرقوا الى موضوع التحول والتغييرات ذات المغزى في النظام العالمي القائم. ان مهنيتهم وحذرهم فقط هما اللذان منعاهم من تضخيم ذلك لدرجة وصفه بالنظام

العالمي الجديد. وبالمناسبة، فان الكتاب موضع الحديث قد اكتمل في تموز ١٩٩٠ - قبل اقل من شهر من نشوب الازمة.

٤- في هذا السياق من الجدير بالذكر انه في مرحلة متأخرة نسبيا افتتح الرئيس نفسه حملة اقناع بهدف "بيع" مشروعه. وقد وصف خطابه في ١٢ من نيسان ١٩٩٠ في مونتغمري، الباما كاول تصريح في سلسلة تصريحات رئاسية ترمي الى تعريف "النظام العالمي الجديد".

٥- مقال رئيسي، النظام الجديد لبوش - يبدو مطروقا وغير مكتمل التفاصيل"، معاريف ١٩٩١/٢/٨.

٦- ستانلي هوفمان، International Herald Triture ، ٢٦ - ١٩٩١/٢/٢٧.

٧- فلورا لويس، نيويورك تايمز ١٩٩١/٢/١٨.

٨- معاريف ١٩٩١/٣/١٠.

٩- من اقوال الرئيس جورج بوش في مونتغمري، الباما ١٩٩١/٤/١٣.

١٠- المقال الممتاز للمستشرق فؤاد عجمي يجسد على نحو مقنع اللعبة العربية الداخلية في اعقاب الازمة على ضوء السياقات التاريخية القائمة في الشرق الاوسط.

Fouad Ajami, "The Summer of Arab Discontent," Foreign Affairs, Vol. 69, No.5 (Winter 1990/91), pp. 1-20.

ازمة الخليج وعلاقات الولايات المتحدة - اسرائيل

بقلم: دوري غولد

كانت ازمة الخليج في الاساس نزاعا بين العرب اخذ ابعادا عالمية واثر بالدرجة الاولى على علاقة الولايات المتحدة مع جانب الخليج الفارسي من الشرق الاوسط، وليس على الجانب العربي - الاسرائيلي. انما نتيجة المحاولات التي بذلها العراق لايجاد صلة بين المشكلة الكويتية وبين المسألة الفلسطينية - صلة وجدت تعبيرا لها خلال الحرب بضرب صواريخ سكاد المطورة المدى على مدن اسرائيل - اصبح لهذا النزاع الشرق اوسطي البعيد تأثير مباشر على اسرائيل. وبالتالي على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل. ولكن من وجهة نظر السياسة الامريكية، كان من المفروض ان تحافظ اسرائيل على تخفيض ظهورها بشأن كل المواضيع المتعلقة بالعراق.

لذلك، وعلى مستوى ما، يمكن اعتبار ان تأثير الازمة على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل كانت غير مباشرة اكثر مما هي مباشرة. اي ان ازمة الخليج التي غيرت السياسة الامريكية ازاء العراق ومنطقة الخليج كان لها تأثيرات ثانوية على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل. وعندما تحدث وزير خارجية الولايات المتحدة جيمس بيكر في السادس من شباط ١٩٩١ امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب، وذكر النقاط الخمس التي يتكون منها مشروعه لرسم علاقات الولايات المتحدة مع الشرق الاوسط بعد الحرب، لم يكن لبعض هذه النقاط اي صلة باسرائيل (عدا نقطتين منها كان لهما اهمية بالغة - الرابعة وربما الثانية ايضا).

النقاط الخمس هي:

- ترتيبات امنية اقليمية جديدة للخليج الفارسي.
- رقابة اقليمية على السلاح.
- ترميم اقتصادي وتعاون اقليمي.
- صلح بين اسرائيل والدول العربية والفلسطينيين.
- تقليص تعلق الامريكيين بالطاقة.

وعلى الرغم من ذلك، كان لازمة الخليج على مستوى آخر ضرر مباشر للعلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل، خاصة عندما شارفت الحرب ضد العراق على نهايتها. فكما قيل سابقا، اصبح اعطاء زخم جديد للمسيرة السلمية جزءا لا يتجزأ من الاهداف العامة لادارة بوش تجاه المنطقة. فلقد تطرق بوش، خلال اجتماع مشترك لمجلسي الكونغرس في ٦ آذار، للنقاط الاربع الاولى على الاقل من النقاط التي كان قد عددها وزير الخارجية بيكر قبل ذلك بشهر. انما خصص اهتماما كبيرا لا يقارن بالاهتمام السابق للصلح بين اسرائيل والبلدان العربية والفلسطينيين، بتصريحه: "حان الاوان لوضع حد للنزاع العربي - الاسرائيلي".

بينما احرزت ادارة بوش [illegible] في الجانب الشرقي من الشرق الاوسط، بدأت مع انتهاء الاعمال العدائية تبذل الجهود لاحلال السلام في الجانب العربي - الاسرائيلي، املا منها ان يكون ذلك انجازها الدبلوماسي الاساسي بعد الحرب، ربما ان الظروف الناشئة خلال الحرب والتي لم تكن متوقعة بشكل مسبق هي التي حركت الجهود السلمية لواشنطن، ولا يستبعد ان نصب صواريخ بتريوت الامريكية في اسرائيل والعمليات التي قام بها سلاح الجو الامريكي ضد قواذف صواريخ سكاد العراقية، قد اعتبرتها الولايات المتحدة اسبقية وتهدف منها تحريك اسرائيل لتسليم نواح اكثر من امنها للولايات

المتحدة، وهذا ما يفتح الباب لامكانية إستخدام الضمانات كبديل للمناطق.

واكثر من ذلك، كان امل الامريكيين، ان تؤدي هزيمة اقوى عدو لاسرائيل في الجبهة الشرقية الى زيادة مرونة الاسرائيلية بشكل عام. واخيرا، دعمت الحرب وجهة النظر الامريكية السائدة والقائلة، انه لا اهمية للمناطق في عصر الصواريخ، وذلك كما حدد الرئيس بوش بجلاله وعظمته: "علمنا العصر الجديد ان القوة الجغرافية لا يمكنها ضمان الامن".

ان فحص تأثير ازمة الخليج على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل يتطلب ايضا فحص تبادل التأثير غير المباشر بين امن الخليج وبين علاقات الولايات المتحدة - اسرائيل. كذلك الصلات الاكثر مباشرة بين الحرب ذاتها وبين التوجهات الامريكية لمسألة المسيرة السلمية. ولا يمكن التوصل الى تقدير شامل بشأن الميول المتوقعة في العلاقات الثنائية بين البلدين، الا بعد معايرة الميول السالفة جملة واحدة.

تسويات امنية امريكية في الخليج الفارسي

ان الغزو العراقي للكويت لم يؤد الى تطبيق التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل، بل ادى الى ابقاء اسرائيل في الظل طوال الازمة. لقد نبعت هذه الحقيقة من المعطى الإساسي للمخططين الامريكيين، الذي لا يعتبر ابدا ان اسرائيل عامل ذو صلة بما يجري في الخليج الفارسي. ولم تكن وجهة النظر الضيقة هذه بشأن الدور الذي بامكان اسرائيل ان تقوم به في الشرق الاوسط ناتجا عن العلاقات السياسية الباردة التي سادت بين ادارة بوش وحكومة شمير قبل حرب الخليج.

منذ بدء التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل في عهد ادارة ريغان، حرص المتحدثون الامريكيون ان يؤكدوا بان الاتجاه الاستراتيجي لهذا التعاون هو الحوض الشرقي للبحر المتوسط وهذا يعني حسب المفهوم التنظيمي العسكري، ان اسرائيل بقيت في مجال المسؤولية التنفيذية لقيادة منطقة اوروبا (EUCOM) التابعة للولايات المتحدة ومقرها في المانيا، بينما منطقة الخليج تابعة لمجال المسؤولية التنفيذية لقيادة الوسط (CENTCOM) الامريكية، بعد تشكيل هذه القيادة سنة ١٩٨٣.

افترض المخططون الامريكيون في وزارة الدفاع آنذاك ان السعودية وحليفاتها في الخليج قد يسلمن بالعلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل في منطقة (EUCOM)، آخذين المصالح الامريكية العالمية بعين الاعتبار. ولكنهن يصعب عليهن التعاون مع الولايات المتحدة في حالة ضم اسرائيل الى اطار نفس القيادة الامريكية، ولذلك، عندما تم تعيين الجنرال نورمان شفارتسكوف قائدا اعلى لـ CENTCOM (CINCCENT) ورث وضعا كانت فيه لاسرائيل خارج مجال قيادته.

لذلك لم يكن هناك مجال للمفاجأة عندما لم تجد الولايات المتحدة صحة في ان تشارك اسرائيل من ناحية تنظيمية في عملية "درع الصحراء/ عاصفة الصحراء". وفضلت ان تبقى اسرائيل في الظل، حتى لا تؤدي علاقات الولايات المتحدة واسرائيل الى تشويش العلاقات الامنية الحساسة التي حاولت الولايات المتحدة ان تنسجها مع الاعضاء العرب في ائتلافها. وبنفس القدر، لم يكن مجال للمفاجأة، انه عندما طرحت مسألة التسويات الامنية في الخليج الفارسي بعد الحرب، لم تكن لهذه التسويات اي صلة مباشرة باسرائيل.

حسب وجهة النظر المتبناة، كانت اسرائيل عبئا استراتيجيا اكثر منها ذخرا استراتيجيا للولايات المتحدة. كانت الخشية الدائمة ان تكون العلاقات الوثيقة اكثر من اللازم مع اسرائيل هي نقطة الضعف التي تضعضع الائتلاف بين الولايات المتحدة والدول العربية. ولكن من ناحية المصالح الامنية الامريكية الصافية لم تتحول اسرائيل نتيجة الازمة الى طرف استراتيجي لا يمت بصلة للولايات المتحدة. ففي وسط ايلول سنة ١٩٩٠، بعدما اصبح بقاء اسرائيل في الظل حقيقة واقعة، قال مساعد وزير الدفاع الامريكي للشؤون السياسية بول ولفوبتس: "انا اختلف اختلافا شديدا مع الذين يدعون بان

الدور او عدم وجود دور لاسرائيل في الازمة الحالية يلغي الاعتراض القائل ان اسرائيل حليف استراتيجي ثمين ان مكان وظروف هذه الازمة قد جعلت مساهمة اسرائيل اكثر تعقيدا وحساسية، خاصة بعد الحرب. ان دور اسرائيل في الخليج الفارسي لم يكن محسوسا بتاتا، بينما في حلبة البحر المتوسط، اتسع مجال استخدام الاسطول الامريكي للموانىء الاسرائيلية، وبلغ درجة ملحوظة، وبرز ذلك بشكل واضح عندما قامت ٣٢ سفينة بزيارة الموانىء الاسرائيلية سنة ١٩٩٠ (١). ان مسألة ما اذا كانت الولايات المتحدة ستواصل تنمية مصالحها الامنية في اسرائيل تتعلق بمدى حساسيتها لانتقادات الدول العربية وبحسن علاقاتها الامنية مع اعضاء الائتلاف بعد انتهاء الحرب.

ما هي مزايا الترتيبات الامنية الجديدة التي وضعتها الولايات المتحدة للخليج الفارسي؟ وبماذا تختلف عن الترتيبات الامنية الامريكية السابقة التي كانت في الخليج؟ ان القاء نظرة عامة على الترتيبات الامنية، كما طرحها الرئيس وموظفو الادارة الامريكية، تدل على تكرار عناصر مشتركة:

تعزيز الوجود العسكري الامريكي

اذا كان الكثيرون من المراقبين قالوا، خلال فترة الازمة التي سبقت الحرب، ان واشنطن تنوي ان تخلف وراءها في شبه الجزيرة العربية قوات برية على غرار ما في كوريا، لتشكل وسيلة دفاع وانذار رمزي، الا ان ما تم توضيحه بعد الحرب، ان النموذج الكوري لم يخطر ببال الادارة الامريكية. ولقد اكد الرئيس بوش على هذه النقطة في مقابلة مع المراسلين العرب في ٨ آذار ١٩٩١ بقوله: "لا اريد هنا ان ادخل في التفاصيل، لكنني اعود لاكرر باننا غير معنيين بوجود طويل الاجل للقوات البرية (في المنطقة)".

وعلى الرغم من ذلك، أخذ بعين الاعتبار تعزيزات عسكرية من نوع آخر. لقد اوضح وزير الدفاع تشيني ذلك جيدا في الاول من آذار بقوله: "يمكن القيام بالردع ومنع العدوان، بواسطة تواجد امريكي في المنطقة". (٢). تشمل وسائل تعزيز الوجود الامريكي التي فكرت بها الادارة الامريكية، اول ما تشمل، وضع كميات كبيرة من المعدات الامريكية في السعودية، من أجل تقصير الوقت اللازم لنشر القوات تقصيرا ملحوظا والتقليل الى ادنى حد اصابات الوجدات الامريكية الاولى التي تنزل هناك، في حالة نشوب ازمة بالمستقبل في الخليج. (٣). ان ابقاء ٧٠٠ دبابة، كما اقترحت الولايات المتحدة على الكويت والسعودية، يوفر للامريكيين امكانية تجهيز فرقتين كاملتين. (٤). وكان النموذج الذي كثر الكلام عنه ضمن هذا السياق هو وحدات مخازن الطوارىء (POMCUS) الامريكية في المانيا، والتي تمكن الولايات المتحدة من نقل ست فرق الى الجبهة المركزية لحلف الاطلسي خلال عشرة ايام.

كانت سرعة وضع المعدات بشكل مسبق مهمة ملحة ضمن الترتيبات الامنية الامريكية، لان ذلك يأخذ بنظر الاعتبار بنية القوات الامريكية كما هو مخطط لها ان تكون في وسط سنوات التسعينات. كانت خطة وزارة الدفاع لتسليح القوات المسلحة للولايات المتحدة كما عرضها وزير الدفاع تشيني على لجنة القوات المسلحة في شباط ١٩٩١، تقضي بتقليص الفرق الامريكية العاملة حتى سنة ١٩٩٦ من ١٨ الى ١٢ فرقة. وتخفيض عدد حاملات الطائرات من ١٤ الى ١٢. وتقليص عدد اسراب الطائرات المقاتلة التكتيكية من ٣٦ الى ٢٦. وعندما سأله اعضاء اللجنة عما اذا كانت الولايات المتحدة بمقدورها سنة ١٩٩٦ ان تنفذ مرة اخرى حملة مشابهة لعاصفة الصحراء، حدد رئيس قادة اركان القوات المسلحة، الجنرال كولين فاول، بشكل واضح: "لن يكون بالامكان تنفيذ حملة على غرار درع الصحراء/ عاصفة الصحراء خلال فترة زمنية محدود، بخمسة اشهر ونصف الشهر".

لن يكون لوضع المعدات بشكل مسبق قيمة، ولا يعتمد عليها، الا اذا رافقتها تدريبات وتمرينات متكررة لفحص ما اذا كان الجدول الزمني لنشر القوات السريعة واقعيا. كما ان المعدات بحد ذاتها لا تشكل عامل ردع. لهذا السبب، ان اي ترتيبات امنية تحتوي على عنصر آخر هو التمرين المنتظم. لقد حصل (CENTCOM) خلال الثمانينات خبرة هامة بتدريب القوات في اطار التمرينات التي كانت تجري مرة كل سنتين (رمزها "الكوكب الساطع") في مصر ودول عربية

اخرى، ولقد شارك ما لا يقل عن ٩٠٠٠ جندي في مصر ضمن تمرينات الكوكب الساطع التي جرت مؤخرا.

ان اجراء تدريبات منتظمة للقوات الامريكية في شبه الجزيرة العربية يعتبر امرا جديدا. صحيح ان امارة عمان قد شاركت في بداية سنوات الثمانينات بتمرين واحد على الاقل ضمن تمرينات الكوكب الساطع. ولكن عندما بعثت الولايات المتحدة طائرتين لتعبئة الوقود في الجو من طراز KC-135 في تموز سنة ١٩٩٠ لاجراء تمرين صغير في اتحاد امارات الخليج عندما ركز صدام حسين جيشه على الحدود الكويتية، احتجت العربية السعودية على ذلك سرا. (٥).

حاليا، بعد الحرب، يجري فحص خطط تتعلق بوضع وحدات مشاة امريكية تصل الى مستوى لواء وتتغير بشكل دوري كل ثلاثة اشهر. (٦). كما توجد نية لتغيير اسراب الطائرات المقاتلة التكتيكية ايضا. ومن اجل تنسيق هذا التواجد المعزز، بدأت الولايات المتحدة عندما انتهت الحرب باجراء مفاوضات من اجل التوصل الى اتفاق، يوفر لـ CENTCOM، التي مقرها الدائم خارج المنطقة (في قاعدة سلاح الجو مك - ديل الذي في تمبه، فلوريدا)، ان تشكل قيادة امامية ومركز اتصال (حوالي ٢٠٠ جنديا تقريبا) في البحرين. (٧).

ان ضرورة التواجد الامريكي، الذي يعتمد على وضع معدات بشكل مسبق وعلى تدريبات منتظمة، يرتبط جزئيا بمسألة تواجد قوات امنية عربية، غير امريكية، توافق السعودية وشركاؤها في الخليج على وضعها في منطقة الخليج. في ٦ آذار بعد هزيمة العراق، عندما اجتمعت في دمشق، الدول العربية المشاركة في الائتلاف، تبين ان مصر على الاقل ستبقي قوة كبيرة في شبه الجزيرة العربية بالاضافة الى الدعم السوري، المتمثل بتواجد في المستقبل المنظور. لقد باركت الولايات المتحدة تصريح دمشق، واعتبرت هذه القوة العربية المتعددة الاطراف بديلا جزئيا للتواجد الامريكي في الكويت بعد الحرب.

ولكن لم يمض شهران حتى طلبت السعودية من مصر ان تغادر، ولم تلب السعودية ما توقعته القاهرة من مساعدات عربية. ولقد ادى انفجار التفاهم بين الدول العربية الى تعطيل الانسحاب الامريكي من الكويت. وعاد واضحا للجميع، انه بعد الازمة، انا اضطرت العربية السعودية ان تعتمد على مساعدة خارجية تشكل وزنا مضادا للقوة العسكرية العراقية المتفوقة. فلا يوجد من يقدم مثل هذه المساعدة الخارجية التي يعتمد عليها أمن الخليج سوى الولايات المتحدة، ولا يعني ذلك ان كل نواحي التدخل العسكري الامريكي تقبل بها السعودية. فمثلا، عندما تبين ان الرياض قد تراجعت عن موافقتها على تواجد مصري طويل الامد، اوضح القائد السعودي للقوات العربية وقت الحرب، الامير خالد بن سلطان، خلال شهر نيسان، ان فكرة وضع كميات كبيرة من المعدات من اجل يوم عاصف هو الاخر لم يتفق عليه بعد مع الولايات المتحدة بشكل نهائي، كما ان الاشكال البديلة للتواجد والترتيبات الامنية لم تشطب بعد من جدول الاعمال. ولغاية منتصف شهر ايار، قلصت الولايات المتحدة قواتها في الخليج من ٥٤٠,٠٠٠ الى ١٦٠,٠٠٠، مع انه لم يتوفر اتفاق نهائي بشأن الترتيبات الامنية الاقليمية للمستقبل.

هناك نوع من انواع التواجد، يعتقد موظفو الادارة الامريكية انه ليس بحاجة لاتفاق بشأنه، ولا اخفائه بحجاب وضع المعدات والتدريبات، هذا النوع من التواجد هو الاسطول الامريكي. لقد اوضح وزير الخارجية الامريكي بيكر للجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب في السادس من شباط انه "منذ عهد ادارة ترومان سنة ١٩٤٩، توجد قوات صغيرة للاسطول الامريكي في الخليج الفارسي"، ان الترتيبات الامنية كما اشار الرئيس بوش بعد ذلك بحوالي شهر تعني "تواجدا ذا كفاءة تنفيذية للاسطول الامريكي في المنطقة، كما هو الحال منذ اكثر من اربعين سنة". ان القوة الامريكية في الشرق الاوسط، المتواجدة في الخليج منذ سنة ١٩٤٩. لم تضم سوى سفينة علم (قيادة) واحدة ومدمرتين، وزاد "التواجد" المتمثل بثلاث سفن كبيرة الى خمس سفن سنة ١٩٨٠.

كان للادارة الامريكية خطط واسعة المدى بشكل اكبر. قال تشيني الى لجنة الخدمات المسلحة في ٢١ شباط: "من الواضح انه يوجد ما يبرر تعزيز الاسطول الامريكي المتواجد في المنطقة بحيث يتجاوز ما كان عليه في شهر آب الماضي". فكم من الممكن ان يكون حجمه على ضوء تقليص الاسطول في المستقبل؟ تعزيز تواجد سلاح الانزال البحري، فهم

يختلفون عن الجيش في عقيدة المكافئة بقائهم في عرض البحر بحجم كبير. ان توسيع دور جنود الاشاة البحرية المدعوم بتمارين برمائية منتظمة، سيكون بلا شك احد الخيارات المحتملة للترتيبات الامنية في الحلبة المائية.

لقد ازدادت فترات تواجد قوة المهمات الموجودة على حاملة الطائرات في بحر العرب الشمالي خلال سنوات الثمانينات الا ان الاسطول الامريكي لغاية آب ١٩٩٠، لم يتمكن من تحقيق تواجد حاملة الطائرات في تلك المنطقة لفترة تزيد عن ستة اشهر في السنة. ان بقاء حاملة طائرات لفترة زمنية طويلة كان بلا شك احد العناصر المحتملة للتواجد الامريكي البحري. لقد فتحت عاصفة الصحراء مجالات اضافية للانتشار. ان استخدام البحر الاحمر كمنصة لعمل حاملة طائرات ضد العراق قد يؤدي الى تعزيز تواجد قوة من هذا النوع في المنطقة. وقد يكون التعبير العملي لذلك نقل احدى حاملتي الطائرات من البحر المتوسط الى البحر الاحمر وبقائها هناك بشكل دائم.

- مضاعفة مبيعات الاسلحة الامريكية الى شبه الجزيرة العربية.

كما ادت ازمة الخليج الى زيادة مبيعات السلاح الامريكي الى العربية السعودية، بحيث وصلت الى مستوى لم يسبق له مثيل. فور نشوب الازمة، استخدم الرئيس بوش صلاحيات الطوارىء التي تمتع بها، وصادق على بيع ٢٤ طائرة F-15 C/D (طائرات حربية لتحقيق التفوق الجوي)، ٢٠٠ صاروخ ستنغر، ٥٠ قاذف ستنغر، ١٥٠ دبابة حربية M-GOA3، ١٥٠٠٠ قذيفة مضادة للطائرات تحتوي اورانيوم بنسبة ثليلة التركيز (٩). وبعد ذلك بشهر افادت الادارة الامريكية انها تنوي ابلاغ الكونغرس عن صفقة اسلحة للسعودية بحجم لم يسبق له مثيل، تبلغ قيمته ٢٣ مليار دولار.

تم تقسيم هذه الصفقة في تشرين اول الى مرحلتين. وفي نفس الشهر صدر اعلان عن بيع اسلحة معروضة تبلغ قيمتها ٧,٣ مليار دولار، تضمنت ١٥٠ دبابة حربية من طراز M1A2، ٢٠٠ سيارة عسكرية من طراز بردلي، ٢٠٧ حاملات جنود مدرعة من طراز M113، ٩ وحدات مدفعية غير مرتدة، ١٢ طائرة مروحية هجومية من طراز AH-46 اباتشي، ٦ وحدات صواريخ مضادة للطائرات من طراز باتريوت، تسلم من مخازن الولايات المتحدة عند مغادرة القوات الامريكية (٣٨٤ صاروخا)، الوف السيارات التكتيكية والصواريخ المضادة للدبابات. وصادق الكونغرس على المرحلة الاولى (١٠).

اما المرحلة الثانية من الصفقة، والتي كان من المفروض ان تبلغ قيمتها ١٥ مليار دولار، ارجأت في كانون ثاني ١٩٩١ الى ان تنتهي الازمة. كان المفروض ان تتضمن هذه المرحلة ٢٣٥ دبابة حربية M1A2، ٦٣ طائرة مروحية AH-46 اباتشي، ٢٠ وحدة صواريخ باتريوت، ٦٩ وحدة مدفعية غير مرتدة، ٢٤ طائرة حربية من طراز F-15 من النوع المعد للدفاع الجوي، او من النوع المعد للتصدير للاستخدام كقاذفات لاهداف ارضية F-15F(١١).

لم تتضمن صفقة المرحلة الثانية شيئا ابدى السعوديون اهتمامهم به، وهو استبدال اسطول الطائرات القاذفة من طراز F-5E التي بحوزتهم بجيل جديد من الطائرات ذات نفس القيمة. لذلك درست امكانية بيع ما لا يقل عن ٩٠ طائرة F-18(١٢). يبدو ان الادارة الامريكية قد قررت في اذار ارجاء تنفيذ المرحلة الثانية من الصفقة، في الوقت الذي كانت فيه الادارة الامريكية تفاوض كبريات البلدان المصدرة للسلاح حول فرض رقابة على تصدير الاسلحة (١٣).

ماذا كان الدافع من وراء بيع هذه الاسلحة بشكل لم يسبق له مثيل، والتي تتجاوز المصالح العسكرية - الصناعية العادية؟ لا شك ان الولايات المتحدة قد اعتقدت، ان الترتيبات الامنية في الخليج الفارسي يجب ان تتضمن توسيع ملحوظ للقدرات العسكرية للسعودية وباقي دول الخليج. اوضح مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الامن الدولي، رجينلد برتولوميو، في شهر تشرين اول خط تفكير الادارة الامريكية كما يلي: "بصفقة المبيعات هذه نريد المساهمة بمضاعفه قدرة الردع والدفاع لديها لمواجهة الجهات العدوانية في المنطقة، وكسب وقت اضافي في حالة فشل هذا الردع الى ان يجند الدعم من قبل الحكومات الصديقة، ولتشجيع قوة العمل المشترك الذي يوفر للولايات المتحدة وقوى صديقة اخرى ان تقدم التعزيزات للسعوديين.

كما ان مساعد وزير الدفاع للشؤون السياسية، بول فلبوفيتس قد ركز على نفس النقطة بقوله: "كنا نتوقع من القوات

السعودية ان تعيق او تسند الرئيس المعتدي لفترة زمنية كافية لوصول التعزيزات". واكد على الضرورة الملحة لزيادة القوات البرية السعودية: "القادة الذين لم يوال السعوديون اهتماما لخطر غزو بري، بنفس القدر من الجدية التي اولوها لهجوم جوي، من المفروغ منه ضمنيا، انه يتوجب على السعودية بناء قوات برية كافية لردع العراق. كما بنوا قوة جوية لردع ايران". (١٥).

وفعلا اذا اخذنا بالحسبان ما تضمنته صفقة الاسلحة من دبابات من طراز M1A2 في المرحلتين الاولى والثانية، من المفروض ان يحصل السعوديون على ٣٨٥ دبابة حربية من افضل ما يتوفر للولايات المتحدة. هذا بالاضافة الى صفقة ٣١٥ دبابة M1A2 في ربيع ١٩٨٩، يكون المجموع ٧٠٠ دبابة من الخط الاول، ما عدا دبابات اخرى من طراز M-GOA3 اذا خصمنا المدرعات السعودية القديمة، لا نبالغ اذا قلنا ان السعودية ستضيف فرقتين مدرعتين صافيتين للجيش السعودي.

كما ان سلاح المشاة السعودي الآلي والمدفعية سيزدادان بشكل ملحوظ بالصفقة المخطط لها من سيارات مدرعة ومدافع غير مرتدة من النوع المتطور. وتشير بعض التقديرات الامريكية ان العربية السعودية تنوي مضاعفة جيشها البالغ ٤٥,٠٠٠ جنديا الى ضعفين، ومضاعفة الحرس الوطني البالغ ٣٥,٠٠٠ شخصا الى ثلاثة اضعاف.

في المجال الجوي وضعت الولايات المتحدة في سنوات الثمانينات سقفا لكمية الطائرات التي تكون بحوزة سلاح الجو السعودي يتراوح بين ٦٠ - ٦٢ طائرة حربية امريكية من الخط الاول، F-15 لكن ما خصصته الولايات المتحدة بشكل طارىء في شهر آب للسعودية بصفقة المرحلة الثانية البالغة ٢٣ مليار دولار يشكل اضافة ٤٨ طائرة F-15، وهكذا يبلغ ما يملكه سلاح الجو السعودي ١١٠ طائرات F-15، اذا خرجت مرحلتا الصفقة الى حيز التنفيذ. وتأمل الولايات المتحدة ايضا باستبدال طائرة F-5E بطائرات F-18 او غيره من الطائرات القاذفة (الطائرة البديلة F-15F ينقصها الرادار عالي التردد وجهاز متابعة ارضية تلقائية، وجهاز توجيه وتحديد الاهداف "LANTIRN" واجهزة الليزر للتهديف، وهذه الاجهزة كلها موجودة في طائرات F-15E. وهكذا يكون لدى سلاح الجو السعودي حتى منتصف التسعينات ٢٠٠ طائرة امريكية من الخط الاول. وعندما تستكمل السعودية التزود بطائرات "تورنادو" البريطانية، فان سلاح الجو السعودي حينذاك سيختلف اختلافا تاما عما كان عليه في الماضي.

وجهات النظر الامريكية بالنسبة للاستقرار في المنطقة: الرقابة على الاسلحة والمسيرة السلمية

كان لازمة الخليج تأثير اكثر مباشرة على العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل، بقوة تأثيره على وجهات النظر الامريكية بالنسبة للاستقرار الاقليمي والمسيرة السلمية العربية - الاسرائيلية. ففي ١٤ حزيران، قبل شهر ونصف فقط من غزو العراق للكويت، وجه الى وزير الخارجية الامريكية، اثناء ادلائه بافادة امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب، السؤال التالي: لماذا لا تعمل الولايات المتحدة على تحسين الاجواء العامة في الشرق الاوسط، وخاصة فيما يتعلق بمضاءفة سباق التسلح في المنطقة.

وقبل ذلك بفترة قصيرة، كان بيكر قد اعرب عن خيبة امله من مسيرة السلام الاسرائيلية - الفلسطينية و "اعطى لاسرائيل رقم هاتف البيت الابيض". اما بشأن مسيرة سلمية اكثر اتساعا، يعالج الرقابة على السلاح بين اسرائيل والدول العربية، بدلا من مسيرة محصورة بالمسألة الفلسطينية، اجاب بيكر ببساطة، ان جدول الاعمال المعدل هذا يشبه "وضع العجلة امام الحصان". وفعلا، قالت اسرائيل قبل ذلك بسنة، ان الولايات المتدة تتبع اسلوبا ذاتيا باختيارها حصر الاهتمام بالنقطة الرابعة من مبادرة شمير للسلام التي تتكون من اربع نقاط - وهي الانتخابات في اوساط الفلسطينيين - مع تجاهل النقطة الثانية من المشروع - سلام مع الدول العربية.

لقد غيرت ازمة الخليج تغييرا اساسيا، حصر العمل الدبلوماسي الامريكي بالمسألة الفلسطينية. ان الغزو الذي تعرضت له

الكويت قد اثبت ضرورة العمل في اطار الابعاد التي تتسم المحيط الاوسع لاسرائيل. كانت الازمة السابقة المتعلقة بالشرق الاوسط - تشوب الانتفاضة - هي التي حركت السياسة الامريكية السابقة. وكانت لا تعطي سوى اهتماما قليلا فقط نوايا جارات اسرائيل، والتي تملك كميات كبيرة من الاسلحة.

الا انه في ١٢ تشرين اول ١٩٩٠ القى مدير طاقم التخطيط السياسي لبيكر، دنيس روس، محاضرة امام اعضاء معهد الشرق الاوسط في واشنطن عن استراتيجية - سلام امريكية جديدة: "بامكاننا ان نتوقع تقدما على مسلكين مرتبطين (هذا ما كنا نؤكده نحن الاسرائيليين) - بناء قاعدة للحوار الفلسطيني - الاسرائيلي، مع توفير التشجيع لازالة حدة التوتر تدريجيا. لانه ادى الى عدم الاستقرار في المنطقة خلال فترة زمنية طويلة". لقد ادت الازمة بوضوح الى تبني الاطار الذي تفضله اسرائيل للمسيرة السلمية وقلص الخلافات حول هذه المسألة الادارية الهامة.

الرقابة على التسليح في الشرق الاوسط

في الوقت الذي بدأ فيه التفكير يتوحد بصدد مسألة شكل المسيرة السلمية الاسرائيلية - العربية، بدأنا نسمع كلاما من واشنطن عن مسيرة المراقبة الاقليمية على التسليح. ولقد كشف روس، خلال محاضرة له في شهر تشرين اول ١٩٩٠ اهتماما بتبني العبر المستخلصة من التجربة السوفييتية - الامريكية في اوروبا: "نعتقد ان وسائل بناء الثقة، على غرار الوسائل التي اتخذت ازاء السوفييت في اوروبا، لها مكانتها ايضا في العلاقات بين اسرائيل وجاراتها، لتقليص خطر الحرب والخطأ في التقدير، ووضع الاساس لمفاوضات سياسية بينها". تحدث روس عن وسائل بناء الثقة حسب تعريفها الفني الصرف - كجهاز لعملية الرقابة على التسليح - وليس بالمعنى الاوسع، الذي استخدم في المسيرة السلمية الاسرائيلية - الفلسطينية في الماضي، ومن المفروض ان يستخدم في المستقبل (انظر فصل ١٢ عن التسوية السلمية).

لم يكن موضوع الرقابة على التسليح في الشرق الاوسط موضوعا جديدا تماما في واشنطن. ان المبادرات الامريكية الدولية بشأن عدم انتشار الاسلحة التي قدمت في الماضي، بدءا بميثاق عدم انتشار الاسلحة الذرية سنة ١٩٦٨ وانتهاء بنظام مراقبة تكنولوجيا الصواريخ سنة ١٩٨٧ - تشمل الشرق الاوسط ايضا. وخلال المحادثات السوفييتية الامريكية، جرت معالجة هذا الموضوع بشكل مكثف خلال السنوات الاخيرة. الا ان تعاظم القوة العراقية - بما في ذلك قدرتها في مجال الاسلحة غير التقليدية والصواريخ - اثبتت ان هذه الوسائل وحدها، التي اتبعت في الماضي، ليست كافية.

واكثر من ذلك، كان خطر بناء قنبلة ذرية عراقية في المستقبل، يقينا هو القلق الاكبر الذي حرك الامريكيين لتأييد عملية "عاصفة الصحراء" - وهكذا تمكنت الادارة الامريكية من ادخال موضوع سباق التسلح في الشرق الاوسط الى وعي الجمهور الامريكي. ان تحركا اقليميا معينا لمراقبة التسلح يمكنه ان يحول بغالبية اكثر دون صعود صدام حسين ثاني، ويشكل اساسا لحوار عربي - اسرائيلي.

ازاء هذا القلق، اعتبر وزير الخارجية الامريكي بيكر، خلال افادته امام الكونغرس في ٦ شباط ١٩٩١، ان التسويات الامنية في الخليج الفارسي هي اكبر تحد بالنسبة لاي مشروع شرق اوسطي. اما مسألة انتشار السلاح ومراقبته، اعتبرها التحدي الامريكي الثاني من حيث اهميته في فترة ما بعد الحرب. وحسب رأي بيكر، يجب ان تتبع الولايات المتحدة نهجا ثلاثي المستويات:

× فرض نظام خاص على العراق، على غرار المانيا بعد الحرب العالمية الثانية. ان قرار الامم المتحدة الخاص بوقف اطلاق النار يجب ان يشمل قيود على تسلح العراق. وفي النهاية دعي العراق حسب البند الثامن من قرار الامم المتحدة (٦٨٧) الذي اتخذ في ٣ نيسان ١٩٩١، "والموافقة بدون شروط على تدمير" كل الاسلحة الكيماوية والبيولوجية وكذلك الصواريخ البالستية (الموجودة في مجاله) والتي مداها يزيد عن ١٥٠ كم. كما ان القرار يدعو العراق ان يضع كل المواد التي من الممكن ان تستخدم لانتاج السلاح الذري "تحت الرقابة الخاصة للوكالة الدولية للطاقة الذرية، للاحتفاظ بها وازالتها". ومن اجل ضمان تنفيذ القرار، احتفظت الولايات المتحدة لنفسها برافعة فرض عقوبات دولية على العراق، يكون

الغاؤها مشروط بمصادقة جماعية من مجلس الامن او اللجنة الخاصة التي عينها مجلس الامن للمتابعة بعد وقف النار وتظل القيود مفروضة على تزويد العراق بالاسلحة التقليدية كلما بقيت العقوبات سارية المفعول.

* اجراء مفاوضة للتوصل الى تسويات اوسع في الشرق الاوسط. تتضمن مراقبة شراء الاسلحة واستخدامها. وبالنسبة لهذه النقطة يوجد مجال لاتخاذ وسائل لبناء الثقة بين الدول. وقبل ذلك كان بيكر قد حدد بوضوح في افادته امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب في ٦ كانون الاول ١٩٩٠، ان اي رقابة اقليمية عامة على التسلح تشمل اسرائيل: "اذا جعلنا ذلك يحل على سلاح الدمار الشامل، الذري وغيره، وكذلك السلاح التقليدي، فان ذلك يعني انه يتوجب علينا عمل ذلك على طول القوس، وحليفتنا القوية اسرائيل يجب ان تكون شريكة عن طيب خاطر ومشاركة فعالة في هذه المفاوضة". (١٧).

* اعطاء اهتمام لتسويات مراقبة التسلح الدولية السابقة، وربما ان يكون ذلك من خلال حرص خاص على نقل التكنولوجيا المزدوجة الاستخدام.

احد التغييرات الجوهرية الهامة التي طرأت على السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة هو التشديد الذي وضعه بيكر على ضرورة الرقابة على الاسلحة التقليدية: "لا شك ان التحدي الثاني هو موضوع انتشار الاسلحة والرقابة عليها على مستوى اقليمي. والاسلحة المقصودة تشمل الاسلحة التقليدية واسلحة الدمار الشامل". وتجدر الاشارة الى انه بعد شهر من حضور بيكر امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب، حضر الرئيس بوش امام جلسة مشتركة لمجلسي الكونغرس وعدد اربعة من تحديات ما بعد الحرب التي كان ذكرها بيكر، لكنه لم يذكر مسألة الرقابة على الاسلحة التقليدية، مع انه تحدث عن ضرورة منع "انتشار اسلحة الدمار الشامل والصواريخ التي تستخدم لحملها واطلاقها".(١٨).

لا يعني ذلك وجود اي خلاف بين البيت الابيض ووزارة الخارجية حول سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بعد الحرب. لقد اعرب وزير الدفاع تشيني عن رأي وزارة الدفاع حول هذه المسألة خلال افادة له امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب في ١٩ آذار، بقوله ان المصلحة الاساسية للولايات المتحدة بالنسبة لموضوع مراقبة التسلح هي منع انتشار "التكنولوجيا المتطورة"، مثل الصواريخ والاسلحة غير التقليدية. وتطرق تشيني لاولويات الولايات المتحدة في مجال المراقبة على التسلح وقال: "لكنني اعتقد ان قلقنا الاول يجب ان يكون حول كيفية العمل مع اصدقائنا وحلفائنا لضمان امنهم". (١٩).

تبين في نيسان ان للادارة الامريكية موقفا موحدا اكثر حول الموضوع. حتى ان متحدث وزارة الخارجية الامريكية تحفظ من التشديد الجديد الذي وضع بشأن المراقبة على الاسلحة التقليدية، واعطى افضلية للنهج الامريكي السابق الذي يركز على اسلحة الدمار الشامل وانظمة قواذف الصواريخ. ولخص مساعد وزير الخارجية للشؤون السياسية، روبرت كمت، موقف وزارته من موضوع الرقابة على الاسلحة التقليدية بقوله: "من ناحية عملية لم نتخذ قرارات بشأن تقليص الاسلحة التقليدية وما زلنا نفحص مختلف الامكانيات. ولكنني اشير الى انه بغض النظر عن القرارات التي ستتخذ، يتوجب علينا ان نستجيب للاحتياجات الامنية الشرعية لدول المنطقة. ويحدونا الامل، اننا بالتعاون مع دول المنطقة، وبالتفاهم مع الدول التي تزود الاسلحة، سنتمكن من تحقيق وجهة النظر الداعية الى الاستقرار والامن، بالاعتماد على ادنى ما يمكن من مستوى التسلح". (٢٠).

منذ اعلان الرئيس بوش عن مبادرته بشأن الرقابة على التسلح في الشرق الاوسط في ٢٩ أيار، تم باهتمام زائد توضيح نهج سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، بالنسبة للسلاح غير التقليدي والصواريخ، اضافت الولايات المتحدة رغبتها بمنعها التام او تجميد حجمها الحالي. وفي المجال الذري تهدف المبادرة كخطوة اولى فرض "منع مؤكد لانتاج المواد القابلة للاستخدام لهذا السلاح". وتم تفسير هذه الفكرة من قبل المتحدثين الامريكيين، انه خلال المرحلة الانتقالية، تمنع اسرائيل ايضا من انتاج هذا النوع من المواد، بدون فحص ومطالبة ما يوجد في القبو، وتجميد شراء واجراء تجارب على الصواريخ بغض النظر عن مداها، ويجب ان تظل كل الصواريخ من هذا النوع في حدود مستواها الحالي لغاية تدميرها تماما

من السهل [illegible] بالسلاح من غير دمج الاسلحة الكيماوية والبيولوجية بأسرع وقت ممكن"

ولكن في مجال الاسلحة التقليدية كانت المبادرة اقل جزما. فلقد سعت المبادرة الى التروي من جانب الدول التي تزود الاسلحة، بدءا بها ليبدء محادثات تحدد خطوطا موجهة لخفوات التروي وتقييد رسائيات الاسلحة التقليدية". ولم يقترح تجميد او منع تصدير اسلحة لشرق الاوسط فيما يتعلق بالاسلحة التقليدية. واخذت الجهود المبذولة في مجال الاسلحة التقليدية طابعا تجميليا. كل ما في الامر ان تصل الدول الخمس المزودة للاسلحة التقليدية الى تخطيط دولي لصفقات الاسلحة.

الا ان ضرورة المبادرة للمراقبة على التسلح التقليدي لم تسقط من جدول اعمال انكوتفرس. في بداية نيسان، تم ارسال رسالة الى الرئيس بوش تدعوه الى الاعلان من جانب واحد عن تجميد بيع الاسلحة الامريكية الى الشرق الاوسط. وقع على الرسالة خمسة من زعماء المندوبين الديمقراطيين في مجلس النواب وهم (زعيم الغالبية في مجلس النواب، ريتشارد غفهارت "مونتانه"، رئيس لجنة الخارجية دنته باسكل "فلوريدا"، رئيس اللجنة الفرعية للشرق الاوسط لي هاملتون "انديانه"، ورئيس اللجنة الفرعية لشؤون المساعدات الخارجية ديفد اوفي "ويسكونسين"، وسام جزدنسون "كونتيكت").
(٢١)

المسيرة السلمية في الشرق الاوسط:

وان كانت ازمة الخليج قد ضاعفت التدخل الامريكي في المسيرة السلمية العربية - الاسرائيلية، الا انها ادت الى تغيرات هامة في السياسة الامريكية، قلصت خلافات كثيرة كانت في الماضي تشوب العلاقات الامريكية - الاسرائيلية. اولا، كما اشير اليه اعلاه، ضاعفت الولايات المتحدة جهودها الدبلوماسية وانتقلت من حصر جهودها على المشكلة الفلسطينية الى تنويع واسع من المواضيع التي لا تقل حيوية لضرورة ضمان الاستقرار في الشرق الاوسط كان موضوع الرقابة الاقليمية على التسلح، الذي نوقش في التفصيل اعلاه، مجرد احد المجالات الجديدة التي وجه الامريكيون جهودهم اليها.

كما بدأت الدبلوماسية الامريكية تعطي اهتماما خاصا اكبر لضرورة التوصل الى تفاهم بشأن مسألة المياه في الشرق الاوسط. كان الوسيط الامريكي الخاص للرئيس بوش لشؤون المياه في المنطقة، ريتشارد آرمتج، يمارس غالبية الدبلوماسية المائية بشكل سري، اصبحت جهوده علنية ودعى لعقد مؤتمر قمة شرق اوسطية لشؤون المياه.

ادت الكارثة الكردية وما تلاها من مشروع للمساعدات الانسانية الى وضع المشكلة الفلسطينية في المكان المناسب كجزء من المصاعب اللانهائية التي تواجهها المنطقة برمتها، بعدما كانت هذه المشكلة خلال سنوات طويلة في بؤرة الدبلوماسية الامريكية الشرق اوسطية. الا ان الموظف الامريكي الاقل تعاطفا مع اسرائيل، لم يكن بامكانه ان لا يتأثر من هذه الاحداث.

الا ان المشكلة الفلسطينية لم تزل موجودة. كان المجال الثاني الذي تقلصت الخلافات السابقة حوله بين الولايات المتحدة واسرائيل هو دور م.ت.ف في التمثيل الفلسطيني لاجراء المفاوضات مع اسرائيل. حاولت واشنطن قبل الحرب ان تنفذ مبادرة اسحق شمير الخاصة باجراء انتخابات، اما مباشرة بواسطة الحوار بين الولايات المتحدة وم.ت.ف، او غير مباشرة باجراء اتصالات مع م.ت.ف بوساطة مصرية. اعتقد الامريكيون ان م.ت.ف تعطي ضوءا اخضرا للفلسطينيين في المناطق ليشاركوا في المفاوضات مع اسرائيل. وفي هذه الحالة ترفع الولايات المتحدة مقابل ذلك مستوى الحوار بينها وبين م.ت.ف، او على الاقل تعطي الولايات المتحدة وعدا بشأن دور م.ت.ف خلال تقدم المفاوضات.

قدم اقتراح في اسرائيل يقضي باجراء انتخابات لايجاد بديل لـ م.ت.ف. تعتبر الولايات المتحدة ان الانتخابات طريقة ممكنة لضم م.ت.ف الى المسيرة. وعلى ضوء النوايا المتناقضة للولايات المتحدة واسرائيل، لم يكن مفاجئا ان تصل العملية السابقة الى طريق مسدود. ولقد وضعت عملية شاطىء نيتسانيم، التي نفذتها جبهة تحرير فلسطين في اواخر ايار سنة ١٩٩٠، الى وضع حد للحوار بين الولايات المتحدة و م.ت.ف

[illegible] السلام الى ابعاد الولايات المتحدة بشدة الامر عن منظمة تحرير فلسطين الا ان متابعة دقيقة
[illegible] امريكية بعد الحرب تشير الى ان الادارة الامريكية لم تخرج م.ت.ف من حساباتها بشكل تام ونهائي. وجه
[illegible] سؤال الرئيسي هو بالنسبة الاولى الى اسرائيل. عما اذا كان هناك شيء يمكن لعرفات ان يقدمه من اجل اعادته الى المسيرة
السلمية. ان رئيس المنظمة يعتبر ميتا من ناحية دبلوماسية. لقد رفض بيكر ان يجيب على السؤال مباشرة. فقال
[illegible] ان مشكلته قد لحقها ضرر بالغ نتيجة قفزته المتسرعة للصعود على العربة ومعانقته لصدام حسين. هذا ما تقوله لنا
[illegible] العربية الشريكة في الائتلاف معنا. ودعي نفسها لديها افكار معينة فيما اذا كان له او لا يوجد له اي دور مفيد في
المستقبل". (٢٢).

لقد ارتكز بيكر بشكل متواصل في تحديد موقف الولايات المتحدة من عرفات وم.ت.ف على المواقف التي اتخذتها الدول المشاركة في الائتلاف مع امريكا. لقد تطرق رئيس طاقم البيت الابيض، جون سنونو للمعضلة الامريكية بشأن تمثيل الفلسطينيين بقوله: "يتوجب عليك ان تتفاوض وتتعامل مع المجموعة التي تحظى بالثقة، ليس من قبل الفلسطينيين وحدهم، وانما من قبل العالم العربي ايضا. وهذا هو الشق الصعب من المسألة". (٢٣).

لقد التفت الادارة الامريكية حول مشكلة تعامل الولايات المتحدة مع دور م.ت.ف في المستقبل، بارتكازها على الاجماع العربي. اذا كانت الدول الاعضاء في الائتلاف ترفض تسليم اي دور لـ م.ت.ف، فان سياسة الولايات المتحدة واسرائيل بشأن التمثيل الفلسطيني قابلة للتنسيق، الا ان الولايات المتحدة لا تريد الغاء الخيارات المستقبلية بشأن م.ت.ف اذا لزم الامر.

تقلصت الخلافات بين الولايات المتحدة واسرائيل في مجال ثالث يتعلق بالدور الاجرائي الذي من المفروض ان يقوم به المؤتمر الدولي من اي نوع كان. حاولت واشنطن ازالة المخاوف التي كان يعرب عنها رئيس الوزراء شمير بصدد المسيرة السلمية العربية - الاسرائيلية، بطرحها فكرة المؤتمر الاقليمي برعاية الدول العظمى، بدلا من المؤتمر الدولي ذي الصلاحيات الكاملة باشتراك الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن.

هكذا نشأ وضع سياسي عجيب بشأن العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل فيما يتعلق بالمسيرة السلمية. فمن ناحية، كان هناك تقارب ملحوظ للمواقف الامريكية باتجاه المواقف التي حافظت عليها اسرائيل من قبل غزو العراق للكويت. وكان التوقع ان تقل الاحتكاكات بين الولايات المتحدة واسرائيل. ولكن من ناحية ثانية، اظهرت الولايات المتحدة تصميما لم يسبق له مثيل على تحقيق تقدم سريع في المسيرة السلمية قبل اغلاق "نافذة الفرص"، وهذا يعني ان اسرائيل قد يطلب منها تقديم تنازلات، وهذا ما سيراكم المصاعب التي تعتري العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل

واصل بيكر دبلوماسية الحوار المكثف خلال شهري نيسان وايار، وكان واضحا للولايات المتحدة انها من اجل التوصل الى اتفاق مع الدول العربية المشاركة معها في الائتلاف، يجب ان يكون لديها استعداد للتنازل عن بعض الامور التي تم التفاهم عليها مع اسرائيل بشأن نواحي ادارية معينة للمؤتمر الاقليمي، والطلب من اسرائيل ان تسلم باعطاء دور ما ضئيل للامم المتحدة، ومسألة استمرارية جلسات المؤتمر. كما ابدى بيكر استعداده لقبول مشاركة سعودية باقل شكل ممكن. ان وجود مراقب غير سعودي من قبل دول مجلس التعاون الخليجي الست كان كافيا لتلبية طلب الادارة الامريكية بشأن "مسلك ثاني للتقدم"، تشارك فيه دول عربية.

تم اكتشاف عدد اخر من حقول الالغام الكامنة في شبكة العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل والولايات المتحدة. لقد شكل الاستيطان منذ سنة ١٩٨٩ نقطة حساسة بالنسبة لادارة بوش. فيما يتعلق بضمانات القروض الامريكية المطلوبة لاسكان مهاجرين يهود من الاتحاد السوفييتي، زادت وتيرة تصريحات الادارة الامريكية حول مسألة الاستيطان. ادى تكرار تقارير الصحف الامريكية عن اتساع مشاريع الاستيطان الى احراج الادارة الامريكية واثارة غضبها.

وبنفس الوقت كان واضحا، انه اذا جرت محاولات لاجبار حكومة اسرائيل ان تجمد البناء في المناطق، قد يؤدي ذلك الى اماتة المسيرة السلمية قبل اوانها، لان الحكومة الاسرائيلية اذا واجهت مأزقا فانها ستقرر تقديم موعد الانتخابات

لاحباط رغبة واشنطن بالوصول الى اللقاء الاقليمي لو ان بيكر يريد ان يحرف المسيرة السلمية عن خطها. مع العلم انه هو نفسه الذي اجهد نفسه من اجلها. بامكانه القاء التهمة على اسرائيل. ويعتبر موضوع الاستيطان ذريعة نموذجية للدبلوماسية الامريكية من اجل القاء التهمة على اسرائيل. الا ان الولايات المتحدة تعطي اولوية للوصول الى المؤتمر الاقليمي. اما مسألة العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل بشأن الاستيطان يمكن تأجيلها لفترة ما. وازاء الاقتراحات الداخلية في البيت الابيض الداعية لانشاء صلة بين الاستيطان وبين ضمانات العشرة مليارات دولار لاسكان المهاجرين. نشأ اجماع في اوساط المنظمات اليهودية الاساسية في الولايات المتحدة. وتبين في صيف ١٩٩١ ان تحسن الاجماع الداخلي في اوساط يهود الولايات المتحدة نتيجة للحرب. قد يدفع الرئيس الى اعادة النظر بالموضوع قبل ان يتبنى سياسة الصلة (لنكج).

ابعاد تطورات الخليج على سياسة الولايات المتحدة في المنطقة وعلى علاقات الولايات المتحدة - اسرائيل

يكشف التحليل اعلاه اربعة اتجاهات اساسية، الاتجاه الاول، حتى بدون التواجد الثابت للقوات البرية الامريكية، يجب ان نتوقع زيادة التدخل الامريكي في الشؤون الامنية لشبه الجزيرة العربية، بواسطة تسويات امنية تتفاوض الولايات المتحدة بشانها مع حليفاتها في المنطقة منذ انتهاء الحرب.

الاتجاه الثاني، مبيعات الاسلحة الامريكية الى السعودية من المفروض ان تتوسع الى مستوى لم يسبق له مثيل، بقصد انشاء قوة عسكرية سعودية كبيرة، اكبر من القوة الاردنية، انما اصغر من القوة السورية. الاتجاه الثالث هو طرح موضوع تحديد التسلح على جدول اعمال الدبلوماسية الشرق اوسطية. وفي النهاية كان يبدو ان الولايات المتحدة مستعدة للمبادرة بشأن النزاع العربي - الاسرائيلي بشكل مكثف لم يسبق له مثيل منذ عهد كارتر.

للوهلة الاولى يبدو ان هذه التطورات قد تؤدي الى تردي العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة. فكان بالامكان تفسير التدخل الاستراتيجي المتصاعد في السعودية على انه خطوة تمس علاقات الولايات المتحدة - اسرائيل. فلقد بدت العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل في نظر الكثير من المراقبين على انها غبء وليس ذخر، خلال الازمات الاقليمية في الشرق الاوسط، لا يوجد ما يمكن اعطاؤه لاسرائيل ليشكل وزنا مضادا لمبيعات الاسلحة الحديثة الى السعودية.

ان مسألة المراقبة على التسلح من الممكن ان تشكل مصدر احتكاك جديد بين الولايات المتحدة واسرائيل، بغض النظر عن مسألة المناطق والمسيرة السلمية. ومن الممكن ان يشتد هذا الاحتكاك، اذا ركزت السياسة الامريكية بالنسبة للرقابة على التسلح في الشرق الاوسط، على تحديد الاسلحة النوعية بدون التنازل عن حق تزويد كميات كبيرة من الاسلحة.

لكن المعايير المتبلورة للعلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة بعد حرب الخليج لم تكن دقيقة وبسيطة للغاية. فلقد كانت بعض عناصر المخطط الامريكي تجاه الشرق الاوسط بعد الحرب متناقضة بشكل واضح، وهذا ما يؤدي بالتأكيد الى اجراء تغييرات على محتواها الاصلي. ان الرغبة في تحديد السلاح التقليدي كان يتناقض بشكل واضح مع مبيعات الاسلحة الى السعودية. وهذا ما ادى الى تأجيل المرحلة الثانية من صفقة الاسلحة مع السعودية، التي يبلغ حجمها كلها ٢٣ مليار دولار.

ان الدعوة الى اعطاء زخم مكثف للمسيرة السلمية، كان من الممكن ان تؤدي الى توتر دبلوماسي متواصل في العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل. لكن وجهات النظر الاساسية بين الولايات المتحدة واسرائيل قد تقاربت بعد ازمة الخليج حول المسائل الحساسة المتعلقة بالمسيرة السلمية. وعمل هذا التقارب باتجاه ازالة حدة التوتر المتوقع بينهما بعد الحرب. فعلى المستوى الشخصي اعترف الرئيس بوش نفسه خلال مقابلة في اواسط حزيران سنة ١٩٩١، ان الحرب قد ادت الى تحسين علاقاته الشخصية مع رئيس الوزراء الاسرائيلي.

والاكثر من ذلك انه في مجال العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل، اعطي دور استراتيجي ممكن

لاسرائيل لا يقل اهمية عن زيادة مساهمة الولايات المتحدة بالدفاع عن الدول العربية. لقد استخدمت حاملات الطائرات والسفن الحربية الامريكية ميناء حيفا كمنشأة في العمق من اجل اجراء التسليحات والاستجمام. وما شدد عليه المختصون الامريكيون بشأن التواجد البحري الامريكي ضمن التسويات الامنية بعد الحرب، يعني انه في حالة مغادرة القوات الامريكية للبحر الاحمر و (CENTCOM AOR) وانتقالها الى الشرق الاوسط (وقيادة EUCOM AOR) بامكانها ان تحصل على خدمات في اسرائيل في المستقبل ايضا. لقد بحثت قيادة الجيش الامريكي احتمال حل القيادات القديمة واستبدالها بقيادة القوات الاطلسية (Atlantic Forces Command). وهذا ما سيسهل ادراج اسرائيل في اي حالة اجراء اي تشكيلة من تشكيلات انتشار القوات في الخلية.

اذا تبين ان التسويات الامنية الامريكية مع الشركاء العرب في الائتلاف غير قابلة للتنفيذ من ناحية سياسية - واذا كانت التسويات الامنية البرية هي الاخرى غير مقبولة - تزداد في هذه الحالة الاهمية النسبية للعنصر البحري في نظر المخططين الامريكيين. وفي حالة تقليص حاميات القوة البحرية الامريكية، فان استخداما للمنشآت المتيسرة في اسرائيل سيوفر كمية ملحوظة من ايام الابحار التي تتطلبها السفن الامريكية من اجل العودة الى قواعدها في الولايات المتحدة. وحسب الاتجاهات التي ظهرت علاماتها مؤخرا، ستزداد اهمية حيفا للاسطول الامريكي. ان خطط تدريب رجال البحرية التي ستجري في اسرائيل والتي تم تحضيرها آنذاك، سيكون لها بنفس الوقت صلة بفترة ما بعد الحرب، للتدريبات على حرب الصحراء.

لقد اعطت حرب الخليج الحاجة للموضوع الرئيسي في التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل، وهو مشروع الصاروخ المضاد للصواريخ من طراز حيتس. ان صاروخ حيتس، وهو من مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI المسمى "حرب الكواكب")، قد بات قبيل ازمة الخليج من مخلفات الحرب الباردة. الا ان النجاح الظاهري لصاروخ باتريوت في حرب الخليج قد وفر اساسا يرتكز عليه مبدأ اطلاق الصواريخ على الصواريخ لاصابتها، مما عجل باعادة تحديد SDI للهدف من المشروع، بحيث يعالج خطر انتشار سلاح الصواريخ في العالم الثالث اكثر مما يعالج الخطر السوفييتي القديم.

في كلمة القاها الرئيس بوش عن وضع الامة في شهر كانون ثاني، قال ان المشروع سيتركز على الدفاع الدولي من هجومات محدودة: GPALS، بدلا من SDI. وستأخذ الوسائل الدفاعية من الارض مثل حيتس دورا هاما بشكل خاص في النظام الجديد GPALS. وكما هو حال العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة بشكل عام، ظهرت ميول تجذب باتجاهات متعاكسة. ان القلق المتزايد من انتشار الصواريخ في العالم الثالث قد يدفع الادارة الامريكية الى فرض رقابة اشد من السابق على تكنولوجيا صاروخ حيتس. ان مكانة اسرائيل كشريكة تكنولوجية محتملة مع الولايات المتحدة قد يولد التزامات اصعب في مجال نقل التكنولوجيا والرقابة على التسلح.

السؤال المطروح هو ما اذا كانت الكثير من هذه الجوانب الايجابية للمحيط الاستراتيجي الذي تلا الحرب، والتي لها دور ايجابي لمضاعفة التعاون الامريكي - الاسرائيلي، هل ستكون مربوطة بالمسيرة السلمية. في الفترة التي سبقت الازمة، لم تقلص الولايات المتحدة علاقاتها الاستراتيجية مع اسرائيل رغم وجود الخلافات حول المسيرة السلمية. ولكن من ناحية ثانية لم تكن واشنطن ترغب بطرح مبادرات جديدة تتعلق بالعلاقات الاستراتيجية، قد تتطلب تدخلا سياسيا خاصا لصالح اسرائيل.

من الممكن ان يظل هذا الوضع ساري المفعول بعد الحرب، اذا كان ما بعد الحرب يولد ضرورة مضاعفة وتقوية اطر التعاون القائمة، لان مثل هذا التطور قد يحصل بغض النظر عن المسيرة السلمية. الا ان خلق نماذج جديدة من التعاون لن يتأتى الا نتيجة تدخل المستويات السياسية العالية جدا. فلقد كان الميل الاول لطاقم بوش - بيكر - سكوكروفت هو تحويل النصر العسكري في الخليج الى نصر سياسي في المجال العربي - الاسرائيلي من الشرق الاوسط. ويعتبر تعاون اسرائيل في هذه العملية السياسية حيويا لتحقيق هذا الهدف من اهداف ما بعد الحرب.

كان هناك تماس آخر بين المسيرة السلمية وبين التسويات الامنية في الخليج والعلاقات الاستراتيجية الامريكية -

الاسرائيلية ان السعودية ودول الخليج، تحت شعوذة الحرب الايرانية - العراقية، لم تنجح منذ سنة ١٩٨٣ فصاعدا على توثيق العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واسرائيل. ان غياب النفط (الفيتو) العربي قد وفر للولايات المتحدة ان تطور علاقاتها مع اسرائيل في حلبة البحر المتوسط. وبنفس الوقت ان توسع علاقاتها مع حليفاتها العربيات في الخليج الفارسي، كانت تقديرات الولايات المتحدة ان العلاقات الاستراتيجية ليست خاضعة للعبة المجموع صفر (التي يكون فيها مكسب طرف مساويا لخسارة طرف اخر). فلقد رأت المؤسسة العسكرية الامريكية امكانية انشاء علاقات وثيقة مع كلا طرفي النزاع (العربي - الاسرائيلي).

الا ان هذا الاستنتاج المستخلص منذ سنوات الثمانينات، تبيّن خلال ازمة الخليج انه يتناقض مع احساسات الطاقم بوش - بيكر - سكوكروفت، الذين اصروا على عدم قيام اسرائيل باي تدخل في ازمة الخليج من بدايتها حتى نهايتها. لكن المستويات الأدنى المسؤولة عن تخطيط السياسة الامنية للولايات المتحدة ظلت تعتبر استنتاجات الثمانينات صحيحة. وتعتبر ان نجاة دول الائتلاف العربية رغم محاولات العراق لجر اسرائيل الى الحرب، يؤكد صحة استنتاج الثمانينات.

ان المواقف الجديدة في الخليج من اسرائيل قد فتحت مجالا لامكانية نجاح الولايات المتحدة بجمع شبكتي العلاقات الامريكية (مع العرب ومع اسرائيل) اذا رأت ان هذا الجمع صحيحا. فلقد نشأ وضع تلقائي، تجري فيه صيانة السفن الامريكية في حيفا قبل ابحارها الى الخليج. فلم يبق سبب يحول دون الاستعانة باسرائيل بان تضع الولايات المتحدة معدات في اسرائيل وتجري عليها اعمال الصيانة، والاحتفاظ بها هناك لحالات الطوارىء في الخليج. كذلك اذا تبين ان الترتيبات الامنية الامريكية في الخليج ليست قابلة للتنفيذ لاسباب سياسية، ربما يكون بامكان الولايات المتحدة ان تجد بديلا جزئيا في دول قريبة مثل تركيا واسرائيل.

والخلاصة ان حرب الخليج قد اضافت الى عناصر العلاقات الامريكية - الإسرائيلية خليطا من الميول. ففي اواخر ايار، شجب بيكر اعمال الاستيطان الاسرائيلي بعبارات شديدة اللهجة واعتبرها عقبة كبيرة جدا في طريق السلام. وبنفس الوقت كان بامكان وزير الدفاع الامريكي تشيني ان يزور تل ابيب ويصرح بان العلاقات الاستراتيجية بين البلدين اقوى من اي وقت مضى. تظهر على السطح ميول سلبية كثيرة تبشر بتردي العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل. الا ان نزاع الخليج خلق للولايات المتحدة احتياجات جديدة في الشرق الاوسط، وكذلك وجهات نظر جديدة بالنسبة للمنطقة بشكل عام. كما ولد مبادرة رئاسية بشأن الرقابة على التسلح في الشرق الاوسط، وتتطلب هذه المبادرة تعاونا من جانب اسرائيل لا يقل عن التعاون المطلوب من الجانب العربي.

مع الزمن ومع تحول الحرب الى شيء خلا، يعود الشرق الاوسط لينزلق الى طابعه السابق المعروف. والسؤال المطروح هو هل ستؤدي التغيرات التي طرأت على المنطقة الى تقوية ام اضعاف العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل، وترتبط هذه المسألة بمدى الجهود المبذولة من كلا البلدين لتوسيع الاساس الذي يرتكز عليه تحقيق تفاهم جديد، ام انهما سيتركان وجهات النظر القديمة الخاطئة ان توجه تعامل كل منهما مع الاخرى.

ملاحظات ومراجع:

١- تصريح نائب مساعد وزير الدفاع ارتوريوز في لجنة الخارجية التابعة للكونغرس في ١٩٩١/٣/٦.

٢- نيويورك تايمز ١٩٩١/٣/٣.

٣- المصدر السابق.

٤- وول ستريت جورنال ١٩٩١/٣/١٣.

٥- نيويورك تايمز ١٩٩١/٣/٣.

٦- المصدر السابق.

٧- نيويورك تايمز ٢٥، ١٩٩١/٣/٢٦.

٨- المصدر السابق.
٩- واشنطن بوست ١٩٩٠/٨/٢٩.
١٠- مجلس النواب الامريكي. اللجان الفرعية لمراقبة التسلح والامن الدولي، والعلمية، اوروبا والشرق الاوسط، ولجنة الخارجية، ١٩٩٠/١٠/٣.
١١- نيويورك تايمز ١٩٩١/١/٥. Jornal of Defense and Diplomacy آذار/ نيسان ١٩٩١.
١٢- وول ستريت جورنال ١٩٩١/٣/١٣.
١٣- المصدر السابق.
١٤- افادات امام لجان فرعية تابعة للكونغرس.
١٥- المصدر السابق.
١٦- Inside the pentagon's Inside the Army: An Exclusive Weekly Report on Army Programs Procurement and Policymaking. Vol. 3 No. 13,April 1,1991
١٧- جيروزاليم بوست ١٩٩٠/١٢/٢٨.
١٨- نيويورك تايمز ١٩٩١/٣/٧.
١٩- المصدر السابق ١٩٩١/٣/٢٠.
٢٠- USIs, 1.4.91 Worldnet
٢١- واشنطن بوست ١٩٩١/٤/٩.
٢٢- "قابل الصحافة" ١٩٩١/٣/٣.
٢٣- اقتباس من افتتاحية افانس ونوفاك ١٩٩١/٣/٢.

خلفية - محور استراتيجي و "علاقات خاصة"

لا تجد مسيرة استخدام الضغوط بين الاعداء والاصدقاء، تعبيرها بثاتا في فراغ سياسي وجماهيري. وفي هذه المسيرة، فان الفرق القائم في ميزان القوة الاقتصادية والعسكرية بين الاطراف يشكل نقطة مخرج وانطلاق محتمل من اجل ترجمته لنشاط موضوعي في اطار التأثير واضافة لوجود هذا الفرق يجب على الطرف الذي يريد تحديد مسار سياسة زميله بالاتجاه المرغوب له، او يتطلع الى منعه من القيام بخطوة غير مرغوب بها اقناعه بان الهدف الذي يعرض على بساط البحث ضروري جدا بالنسبة له الى درجة يبدي فيها استعدادا لدفع ثمن باهظ من اجل تنفيذه. في الاطار الامريكي - الاسرائيلي، المسار الذي وعلى طوله جرت بصورة تقليدية صراعات النفوذ التي حاولت الادارات الامريكية، من خلالها دفع اسرائيل الى عدم تنفيذ نشاطات او خطوات اعتبرت غير مرغوب بها للمصالح الامريكية (او فرض انماط تصرفات عليها، تتناقض مع الموقف الاسرائيلي الاولي)، كان المسار الذي رافقه وبصورة فعالة جمهوران ومجتمعان، شكلا اهدافا. ويدور الحديث عن الساحة الامريكية الداخلية، من جهة والراي العام والهيئة السياسية الاسرائيلية من جهة ثانية. وطابع الرسالة التي نقلت الى الادارة الامريكية والاسرائيلية من خلال هذه التجمعات السكانية، وايضا التوجه الدقيق وقوة هذه الرسائل - هو الذي حدد وميز مدى العمل الممكن الذي بالامكان تنفيذه والحدود التي حاولت الولايات المتحدة في اطارها توجيه اسرائيل في المسار السياسي الذي ترغب به.

في العقدين الاخيرين كان لهذا التوجيه المستمر في نطاق الخلافات والمواجهات بين واشنطن والقدس محوران رئيسيان حددت بينهما مجالات الحدود الممكنة والتي بالامكان تنفيذها في نطاق الدبلوماسية الامريكية ومجهودات تسوية الصراع الاسرائيلي - العربي. وفي الحالات التي ظهرت فيها خلافات او حدثت فيها شقوق في الرصيف الممتد بين المحورين او القطبين الفكريين لقباطنة السياستين ادى ذلك الى استخدام الضغوط - سواء بصورة فظة او بصورة غير واضحة وغير مباشرة.

محور التفكير والنشاط الاول الذي شكل شبكة التوجهات الرئيسية للذين يتخذون القرارات الامريكية في اللقاءات التي يعقدونها مع الهيئة الفرعية الشرق اوسطية، كان وبصورة دائمة المحور الاستراتيجي. الذي يمتزج برؤية جيو - استراتيجية لمجمل الاهداف الاقليمية للولايات المتحدة. وبهذا الخصوص تم تحديد - وفي سنوات الخمسينات - عدة اهداف اساسية للدبلوماسية الامريكية، منها التطلع للجم الاتحاد السوفييتي (من خلال اطار رحب من الخطوات الاحترازية، الردع والاستعدادات الاقليمية الشاملة)، ضمان تمويل مستمر للنفط من الخليج الفارسي للغرب، وايضا منع تدهور صراعات محلية لمواجهة عسكرية خطيرة تحمل في طياتها احتمالات تصعيد المواجهة بين الدول العظمى الامر الذي يحمل في طياته خطورة كبيرة. وفي هذا الاطار اعتبر الصراع الاسرائيلي - العربي كبؤرة خطر يجب تحديدها - اذا لم يكن بالامكان تحيدها بصورة تامة - وذلك من اجل تقليص اخطار تحول المواجهة الاقليمية والمحلية لمواجهة عالمية.

اما محور التفكير والنشاط الثاني فقد اكد اكثر من تحديده لطابع السياسة المرغوب بها لدى قباطنة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، على تحديد مؤشرات لهذه القيادة حول مجمل الاعتبارات والقيود التي يواجهونها، وقد شكل هذا المحور ومنذ سنوات الخمسينات، محور "العلاقات الخاصة" بين الولايات المتحدة واسرائيل، وقد ارتكز جوهر هذا المحور على شبكة متبلورة من التقارب، الثقة والمعاملة، والمشترك في جميع هذا هي الرؤية المتعاطفة والمؤيدة لاسرائيل بدون شروط. ان مشاعر التعاطف والتأييد هذه ترتكز على التماثل الوظيفي بين التجربة الامريكية في بلورة وابداع مجتمع مهاجرين وبين التجربة الاسرائيلية في استيعاب الهجرة ودمج حضارات مختلفة في اطار واحد متعدد الاراء، هذا اضافة الى التقدير - في اوساط الرأي العام الامريكي - للنشاطات الصهيونية التي ادت الى نمو جزيرة ديمقراطية مستقرة في داخل منطقة اقطاعية ودكتاتورية.

يدور الحديث بناء على ذلك عن سلسلة رحبة من الاراء والاهتمامات المتجذرة جيدا في اذهان الجمهور والرأي العام الامريكي (كما وجدت تعبيرها بصورة خاصة في الكونغرس)، وضعت اكثر من مرة تحفظات ومحاذير متشددة على

لا تجد مسيرة استخدام الضغوط بين الاعداء والاصدقاء، تعبيرها بتاتا في فراغ سياسي وجماهيري. وفي هذه المسيرة، فان الفرق القائم في ميزان القوة الاقتصادية والعسكرية بين الاطراف يشكل نقطة مخرج وانطلاق محتمل من اجل ترجمته لنشاط موضوعي في اطار التأثير واضافة لوجود هذا الفرق يجب على الطرف الذي يريد تحديد مسار سياسة زميله بالاتجاه المرغوب له، او يتطلع الى منعه من القيام بخطوة غير مرغوب بها اقناعه بان الهدف الذي يعرض على بساط البحث ضروري جدا بالنسبة له الى درجة يبدي فيها استعدادا لدفع ثمن باهظ من اجل تنفيذه. في الاطار الامريكي - الاسرائيلي، المسار الذي وعلى طوله جرت بصورة تقليدية صراعات النفوذ التي حاولت الادارات الامريكية، من خلالها دفع اسرائيل الى عدم تنفيذ نشاطات او خطوات اعتبرت غير مرغوب بها للمصالح الامريكية (او فرض انماط تصرفات عليها، تتناقض مع الموقف الاسرائيلي الاولي)، كان المسار الذي رافقه وبصورة فعالة جمهوران ومجتمعان، شكلا اهدافا. ويدور الحديث عن الساحة الامريكية الداخلية، من جهة والراي العام والهيئة السياسية الاسرائيلية من جهة ثانية. وطابع الرسالة التي نقلت الى الادارة الامريكية والاسرائيلية من خلال هذه التجمعات السكانية، وايضا التوجه الدقيق وقوة هذه الرسائل - هو الذي حدد وميز مدى العمل الممكن الذي بالامكان تنفيذه والحدود التي حاولت الولايات المتحدة في اطارها توجيه اسرائيل في المسار السياسي الذي ترغب به.

في العقدين الاخيرين كان لهذا التوجيه المستمر في نطاق الخلافات والمواجهات بين واشنطن والقدس محوران رئيسيان حددت بينهما مجالات الحدود الممكنة والتي بالامكان تنفيذها في نطاق الدبلوماسية الامريكية ومجهودات تسوية الصراع الاسرائيلي - العربي. وفي الحالات التي ظهرت فيها خلافات او حدثت فيها شقوق في الرصيف الممتد بين المحورين او القطبين الفكريين لقباطنة السياستين ادى ذلك الى استخدام الضغوط - سواء بصورة فظة او بصورة غير واضحة وغير مباشرة.

محور التفكير والنشاط الاول الذي شكل شبكة التوجهات الرئيسية للذين يتخذون القرارات الامريكية في اللقاءات التي يعقدونها مع الهيئة الفرعية الشرق اوسطية، كان وبصورة دائمة المحور الاستراتيجي. الذي يمتزج برؤية جيو - استراتيجية لمجمل الاهداف الاقليمية للولايات المتحدة. وبهذا الخصوص تم تحديد - وفي سنوات الخمسينات - عدة اهداف اساسية للدبلوماسية الامريكية، منها التطلع للجم الاتحاد السوفييتي (من خلال اطار رحب من الخطوات الاحترازية، الردع والاستعدادات الاقليمية الشاملة)، ضمان تمويل مستمر للنفط من الخليج الفارسي للغرب، وايضا منع تدهور صراعات محلية لمواجهة عسكرية خطيرة تحمل في طياتها احتمالات تصعيد المواجهة بين الدول العظمى الامر الذي يحمل في طياته خطورة كبيرة. وفي هذا الاطار اعتبر الصراع الاسرائيلي - العربي كبؤرة خطر يجب تحديدها - اذا لم يكن بالامكان تحيدها بصورة تامة - وذلك من اجل تقليص اخطار تحول المواجهة الاقليمية والمحلية لمواجهة عالمية.

اما محور التفكير والنشاط الثاني فقد اكد اكثر من تحديده لطابع السياسة المرغوب بها لدى قباطنة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، على تحديد مؤشرات لهذه القيادة حول مجمل الاعتبارات والقيود التي يواجهونها، وقد شكل هذا المحور ومنذ سنوات الخمسينات، محور "العلاقات الخاصة" بين الولايات المتحدة واسرائيل، وقد ارتكز جوهر هذا المحور على شبكة متبلورة من التقارب، الثقة والمعاملة، والمشترك في جميع هذا هي الرؤية المتعاطفة والمؤيدة لاسرائيل بدون شروط. ان مشاعر التعاطف والتأييد هذه ترتكز على التماثل الوظيفي بين التجربة الامريكية في بلورة وابداع مجتمع مهاجرين وبين التجربة الاسرائيلية في استيعاب الهجره ودمج حضارات مختلفة في اطار واحد متعدد الاراء، هذا اضافة الى التقدير - في اوساط الرأي العام الامريكي - للنشاطات الصهيونية التي ادت الى نمو جزيرة ديمقراطية مستقرة في داخل منطقة اقطاعية ودكتاتورية.

يدور الحديث بناء على ذلك عن سلسلة رحبة من الاراء والاهتمامات المتجذرة جيدا في اذهان الجمهور والرأي العام الامريكي (كما وجدت تعبيرها بصورة خاصة في الكونغرس). وضعت اكثر من مرة تحفظات ومحاذير متشددة على

يشع حدا للآمال المتعلقة بالتوصل الى تسوية اقليمية وعلاقات جديدة ومستقرة

ومن هذه الناحية كانت المجهودات الامريكية التي استهدفت منع رد عسكري اسرائيلي على الصواريخ العراقية التي كانت تنطلق نحو المراكز السكانية في اسرائيل، تعبر عن احدى التوجهات التي تبلورت حتى قبل اطلاق الرصاصات الاولى في حرب الخليج - ترك اسرائيل خارج ساحة المواجهة بين المجموعة الدولية وبين التهديد العراقي. في هذا الصراع الذي عرض كحجر زاوية في الطابع العام للعبة في البيئة الدولية بعد الحرب الباردة، وجدت اسرائيل نفسها في الزاوية. حيث كانت المهمة المركزية التي حددت لها من قبل قائدة الائتلاف هي وقوفها على الرصيف حيال التطورات وعدم محاولة التأثير بصورة مباشرة عليها.

وبالفعل ابان جميع مراحل الحرب بذلت الادارة الامريكية مجهودات كبيرة من اجل ضمان بقاء اسرائيل خارج دائرة القتال. وكان تزويد اسرائيل بسرعة بصواريخ "باتريوت" (برفقة طواقم تشغيل امريكية) في اعقاب قصف الدفعة الاولى من الصواريخ العراقية، وابداء استعداد لمشاركة اسرائيل في المعلومات التحذيرية التي يتم الحصول عليها من خلال الاقمار الصناعية عن قاذفات الصواريخ. كانت جزءا من الثمن الذي قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل على ضبط نفسها المستمر على الرغم من التحرشات العراقية. وبكلمات اخرى فان العقوبات التي استخدمت في هذه الحالة كانت بجوهرها عقوبات ايجابية، استهدفت تقليص حجم الاضرار التي تلحق باسرائيل جراء قصف الصواريخ.

والى جانب الاستنزاف في المكانة الاستراتيجية لاسرائيل والتي كشفت عنها حرب الخليج، وجدت تعبيرها ابان "عاصفة الصحراء" حقيقة ارتباط اسرائيل المتزايد بالولايات المتحدة. وهنا امتزجت الاضرار المباشرة وغير المباشرة التي لحقت باسرائيل ابان الازمة والحرب (والحاجة الماسة التي وجدت من اجل الحصول على مساعدة طارئة مثل الاسلحة والمعلومات التحذيرية ابان الحرب) وموجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي (التي ادت الى وجود ضرورة ملحة للحصول على ضمانات مصرفية امريكية لقروض من اجل بناء مساكن للمهاجرين) وذلك لدرجة ضاعفت من ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة كعنصر يضمن ويساعد في الاحتياجات العسكرية - الاقتصادية والاجتماعية الملحة.

لقد ادى هذا التذبذب في معادلة الارتباط، الى وجود مصدر ودافع جديد لدى الادارة الامريكية للمناورة والتأثير، ثم استخدامه حتى قبل انتهاء حرب الخليج. ويعبر عن هذه التوجهات الجدال حول مسألة حجم المساعدات الطارئة لاسرائيل، والذي جرى ابان الحرب والشروط التي حددت لها.

وبالامكان تمييز تعبيرا اوضح من ذلك في حقيقة بلورة شبكة الشروط التي حددت للحصول على الضمانات المصرفية الامريكية لقروض اسكان مهاجرين بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار، والتي ادت الى استمرار مسيرة الموافقة على هذه الضمانات مدة ستة اشهر.

وفي ضوء هذه السابقة لا ريب في انه وفي المستقبل ولدى الموافقة على ضمانات مصرفية باحجام اعلى بكثير (والتي ستكون اسرائيل بحاجة ماسة اليها في ضوء توقعات الهجرة) ستكون هذه الضمانات مرتبطة بشبكة من الروابط والشروط التي توفر للادارة درجة عالية من المراقبة والرقابة، على كل ما له علاقة بتخطيط وتنفيذ سياسة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق، وسيؤدي ذلك الى تقليص هوامش المناورة لدى الحكومة الاسرائيلية في قضية ذات اثار ايديولوجية، سياسية واجتماعية واسعة النطاق.

وفي الوقت الذي وجدت فيه اسرائيل نفسها قبيل الحرب وابانها على هامش المواجهة الكبرى مع صدام حسين، يزداد فيها ارتباطها بالمساعدات الامريكية، الامر الذي كشف عن نفسه بصورة واضحة في قضية القطار الجوي الذي نقل لاسرائيل بطاريات صواريخ "باتريوت" (والتي تسلمت ادارتها - على الاقل بصورة جزئية - طواقم امريكية) وجدت الادارة الامريكية نفسها في موقف متعزز وموثوق مع استمرار المعارك تتمتع وبدرجة لم يسبق لها مثيل بتأييد ودعم جماهيريين. واعتبر الانتصار في الخليج على الساحة الداخلية كانتصار شخصي للرئيس مقابل مجلسي الكونغرس المترددان، اللذان تعتريهما الشكوك، ومقابل زعماء الحزب الديمقراطي الذين كان معظمهم مترددين بتأييد استخدام القوة

يضع حدا للاعمال العدائية والتوصل الى تسوية دائمة وشاملة حديثة ومستمرة.

ومن هذه الناحية كانت المجهودات الامريكية التي احتدمت مع بدء عسكري اسرائيلي على السواريخ العراقية التي كانت تنطلق نحو المراكز السكانية في اسرائيل، تعبر عن احدى التوجهات التي تبلورت حتى قبل اطلاق الرصاصات الاولى في حرب الخليج - ترك اسرائيل خارج ساحة المواجهة بين المجموعة الدولية وبين التهديد العراقي. في هذا الصراع الذي عرض كحجر زاوية في الطابع العام للعبة في البيئة الدولية بعد الحرب الباردة، وجدت اسرائيل نفسها في الزاوية، حيث كانت المهمة المركزية التي حددت لها من قبل قائدة الائتلاف هي وقوفها على الرصيف حيال التطورات وعدم محاولة التأثير بصورة مباشرة عليها.

وبالفعل ابان جميع مراحل الحرب بذلت الادارة الامريكية مجهودات كبيرة من اجل ضمان بقاء اسرائيل خارج دائرة القتال. وكان تزويد اسرائيل بسرعة بصواريخ "باتريوت" (برفقة طواقم تشغيل امريكية) في اعقاب قصف الدفعة الاولى من الصواريخ العراقية، وابداء استعداد لمشاركة اسرائيل في المعلومات التحذيرية التي يتم الحصول عليها من خلال الاقمار الصناعية عن قاذفات الصواريخ. كانت جزءا من الثمن الذي قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل على ضبط نفسها المستمر على الرغم من التحرشات العراقية. وبكلمات اخرى فان العقوبات التي استخدمت في هذه الحالة كانت بجوهرها عقوبات ايجابية، استهدفت تقليص حجم الاضرار التي تلحق باسرائيل جراء قصف الصواريخ.

والى جانب الاستنزاف في المكانة الاستراتيجية لاسرائيل والتي كشفت عنها حرب الخليج، وجدت تعبيرها ابان "عاصفة الصحراء" حقيقة ارتباط اسرائيل المتزايد بالولايات المتحدة. وهنا امتزجت الاضرار المباشرة وغير المباشرة التي لحقت باسرائيل ابان الازمة والحرب (والحاجة الماسة التي وجدت من اجل الحصول على مساعدة طارئة مثل الاسلحة والمعلومات التحذيرية ابان الحرب) وموجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي (التي ادت الى وجود ضرورة ملحة للحصول على ضمانات مصرفية امريكية لقروض من اجل بناء مساكن للمهاجرين) وذلك لدرجة ضاعفت من ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة كعنصر يضمن ويساعد في الاحتياجات العسكرية - الاقتصادية والاجتماعية الملحة.

لقد ادى هذا التذبذب في معادلة الارتباط، الى وجود مصدر ودافع جديد لدى الادارة الامريكية للمناورة والتأثير، ثم استخدامه حتى قبل انتهاء حرب الخليج. ويعبر عن هذه التوجهات الجدال حول مسألة حجم المساعدات الطارئة لاسرائيل، والذي جرى ابان الحرب والشروط التي حددت لها.

وبالامكان تمييز تعبيرا اوضح من ذلك في حقيقة بلورة شبكة الشروط التي حددت للحصول على الضمانات المصرفية الامريكية لقروض اسكان مهاجرين بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار، والتي ادت الى استمرار مسيرة الموافقة على هذه الضمانات مدة ستة اشهر.

وفي ضوء هذه السابقة لا ريب في انه وفي المستقبل ولدى الموافقة على ضمانات مصرفية باحجام اعلى بكثير (والتي ستكون اسرائيل بحاجة ماسة اليها في ضوء توقعات الهجرة) ستكون هذه الضمانات مرتبطة بشبكة من الروابط والشروط التي توفر للادارة درجة عالية من المراقبة والرقابة، على كل ما له علاقة بتخطيط وتنفيذ سياسة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق، وسيؤدي ذلك الى تقليص هوامش المناورة لدى الحكومة الاسرائيلية في قضية ذات اثار ايديولوجية، سياسية واجتماعية واسعة النطاق.

وفي الوقت الذي وجدت فيه اسرائيل نفسها قبيل الحرب وابانها على هامش المواجهة الكبرى مع صدام حسين، يزداد فيها ارتباطها بالمساعدات الامريكية، الامر الذي كشف عن نفسه بصورة واضحة في قضية القطار الجوي الذي نقل لاسرائيل بطاريات صواريخ "باتريوت" (والتي تسلمت ادارتها - على الاقل بصورة جزئية - طواقم امريكية) وجدت الادارة الامريكية نفسها في موقف متعزز وموثوق مع استمرار المعارك تتمتع وبدرجة لم يسبق لها مثيل بتأييد ودعم جماهيريين. واعتبر الانتصار في الخليج على الساحة الداخلية كانتصار شخصي للرئيس مقابل مجلسي الكونغرس المترددان، اللذان تعتريهما الشكوك، ومقابل زعماء الحزب الديمقراطي الذين كان معظمهم مترددين بتأييد استخدام القوة

بصورة غير مباشرة بلغ مواجهة. ويبدو ان ادارة بوش حاولت، ومنذ البداية، تأجيل لحظة الحقيقة في العلاقات مع حكومة شمير. وعوضا عن ذلك فشل وبصورة واضحة بلورة توجهات تدريجية متعددة المراحل، لا تستوجب - في مراحلها الاولية على الاقل - خوض مواجهة مباشرة مع كل جذور الخلافات والمواجهة الايديولوجية، القومية، السياسية والاستراتيجية للصراع.

وبالفعل حل محل الامال الاولية بخطوة سياسية شاملة وسريعة - تستخدم الادوات والالية الدولية، التي طبقت نجاح واصرار في ساحة الخليج - مرحلة تحديد وبلورة قصيرة درست ابانها عملية تنظيم متعددة الاطراف وثنائية معقدة ومتشعبة. ومما شملته عملية التنظيم هذه جملة من الخطوات الاساسية، المسبقة والتي تعزز الثقة، استهدفت ايجاد مناخ ملائم لبدء الحوار الاسرائيلي - الفلسطيني، وعقد - في اعقاب استكمال هذه الخطوات الاولية - مؤتمر اقليمي يوفر رعاية ودعما لمفاوضات ثنائية في المجال الفلسطيني وفي المجال الاسرائيلي - العربي، وبلورة - في اطار متعدد الاطراف - لاتفاق حول حكم ذاتي للفلسطينيين لمدة ثلاثة اعوام، وفقط بعد تطبيق عملي لهذا الاتفاق، اجراء مداولات حول المكانة الدائمة للمناطق.

لكن هذه التوجهات التدريجية والتي تتضمن اضافات كثيرة، والتي عبرت عن قناعات هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي الاسبق المعقدة اكثر من اللازم عن الصراع لا تمكن من التوصل لحل من خلال خطوة سياسية واحدة، اهملتها بسرعة ادارة بوش، واستبدلتها بتوجهات ذات تطلعات اكبر واكثر سرعة، وذلك في اعقاب القمع الوحشي للتمرد الكردي في العراق.

التخوف من انعكاس الفروق التي تكشفت بين امال الترتيبات العالمية الجديدة وبين امكانية تطبيقها من الناحية العملية على الساحة العراقية، على ساحة الصراع الاسرائيلي - العربي (الامر الذي سيؤدي الى تقليص مكانة وقدرة الادارة الامريكية، على التأثير على الاطراف) دفع الادارة الى تكثيف مدى نشاطاتها على هذه الساحة دون توقع نضج خطوات مسبقة، تستهدف ايجاد مناخ ملائم لبدء مسيرة السلام. وهكذا جراء الاحساس بان "نافذة الفرص" لاحراز تقدم على الترتيبات قد تغلق بسرعة بذلت مجهودات من اجل عقد المؤتمر الاقليمي. وفي ضوء تبلور هذا الاطار لمسيرة التسوية بالافكار الامريكية - ما هي احتمالات الضغط الكامنة بهذا التقدم الجديد في الاطار الاسرائيلي - العربي؟.

تعتبر نقطة الانطلاق في هذه المسألة، التقديرات القائلة بانه في ضوء المواقف التقليدية للولايات المتحدة منذ حرب الايام الستة توجد احتمالات واضحة لخلافات بين الولايات المتحدة واسرائيل بكل مبادرة سلام امريكية. وفي خلفية التفسيرات الامريكية لقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن وفي خلفية التوجهات الاساسية لجميع الادارات الامريكية منذ فترة رئاسة الرئيس جونسون والتي تنص بان كل تسوية دائمة يجب ان ترتكز على انسحاب اسرائيلي شامل (باستثناء تعديلات طفيفة) في كافة الجبهات، فان كل مجهودات دبلوماسية امريكية تحمل في طياتها نواة المواجهة مع اسرائيل. وعلى وجه الخصوص بعد تسلم حكومة الليكود للسلطة - في ايار ١٩٧٧ - فان التأكيدات المتكررة لادارات كارتر، ريغان وبوش بان كل تسوية يجب ان ترتكز على صيغة "مناطق مقابل سلام" تحول هذه المواجهة الى امر حتمي في ضوء الاراء والمواقف الجوهرية لكل حكومة ليكود

لكن وجود هذا الفرق الجوهري في هذا "المدماك" المركزي لبنية الاتفاق وطابعه لا يعني بان الخلافات يجب ان تطفوا وبصورة حتمية في مرحلة اولية من المسيرة وان تجر في اعقابها محاولة فرض مواقف واشنطن على اسرائيل. وبالفعل حتى في ايام كيسنجر وزير الخارجية الامريكي جرت محاولات مستمرة من اجل تأجيل لحظة الحقيقة الى مرحلة متقدمة في مسيرة التسوية، بحيث لا يكون مجديا للاطراف تهديد ما تم انجازه في المراحل الاولى لمسيرة "خطوة بعد خطوة". وبالفعل عوضا عن خوض مواجهة مباشرة وفورية مع المجمل المعقد الذي يكتظ بالصراع، فقد تم تبني اسلوب المراحل التدريجية والتي حددت لها هدفا لتغذية مسيرة التغيرات في توجهات الاطراف حيال الصراع. نضج هذه المسيرة - هكذا اعتقد كيسنجر - كان من الممكن ان يؤدي الى وجود اتضاح واستعداد في اوساطهم وفي نهاية المطاف للتنازل عن

بصورة غير مباشرة بدلا من المواجهة. ويبدو ان ادارة بوش حاليا، ومنذ البداية، تأجيل لحظة الحقيقة في العلاقات مع حكومة شمير. وعوضا عن ذلك فضل وبصورة واضحة بلورة توجهات تدريجية متعددة المراحل، لا تستوجب - في مراحلها الاولية على الاقل - خوض مواجهة مباشرة مع كل جذور الخلافات والمواجهة الايديولوجية، القومية، السياسية والاستراتيجية للنزاع.

وبالفعل حل محل الاهداف الاولية بخطوة سياسية شاملة وسريعة - تستخدم الادوات والالية الدولية، التي طبقت نجاح واصرار في ساحة الخليج - مرحلة تحديد وبلورة قصيرة درست ابانها عملية تنظيم متعددة الاطراف وثنائية معقدة ومتشعبة. ومما شملته عملية التنظيم هذه جملة من الخطوات الاساسية، المسبقة والتي تعزز الثقة، استهدفت ايجاد مناخ ملائم لبدء الحوار الاسرائيلي - الفلسطيني، وعقد - في اعقاب استكمال هذه الخطوات الاولية - مؤتمر اقليمي يوفر رعاية ودعما لمفاوضات ثنائية في المجال الفلسطيني وفي المجال الاسرائيلي - العربي، وبلورة - في اطار متعدد الاطراف - لاتفاق حول حكم ذاتي للفلسطينيين لمدة ثلاثة اعوام، وفقط بعد تطبيق عملي لهذا الاتفاق، اجراء مداولات حول المكانة الدائمة للمناطق.

لكن هذه التوجهات التدريجية والتي تتضمن اضافات كثيرة، والتي عبرت عن قناعات هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي الاسبق المعقدة اكثر من اللازم عن الصراع لا تمكن من التوصل لحل من خلال خطوة سياسية واحدة، اهملتها بسرعة ادارة بوش، واستبدلتها بتوجهات ذات تطلعات اكبر واكثر سرعة، وذلك في اعقاب القمع الوحشي للتمرد الكردي في العراق.

التخوف من انعكاس الفروق التي تكشفت بين امال الترتيبات العالمية الجديدة وبين امكانية تطبيقها من الناحية العملية على الساحة العراقية، على ساحة الصراع الاسرائيلي - العربي (الامر الذي سيؤدي الى تقليص مكانة وقدرة الادارة الامريكية، على التأثير على الاطراف) دفع الادارة الى تكثيف مدى نشاطاتها على هذه الساحة دون توقع نضج خطوات مسبقة، تستهدف ايجاد مناخ ملائم لبدء مسيرة السلام. وهكذا جراء الاحساس بان "نافذة الفرص" لاحراز تقدم على الترتيبات قد تغلق بسرعة بذلت مجهودات من اجل عقد المؤتمر الاقليمي. وفي ضوء تبلور هذا الاطار لمسيرة التسوية بالافكار الامريكية - ما هي احتمالات الضغط الكامنة بهذا التقدم الجديد في الاطار الاسرائيلي - العربي؟.

تعتبر نقطة الانطلاق في هذه المسألة، التقديرات القائلة بانه في ضوء المواقف التقليدية للولايات المتحدة منذ حرب الايام الستة توجد احتمالات واضحة لخلافات بين الولايات المتحدة واسرائيل بكل مبادرة سلام امريكية. وفي خلفية التفسيرات الامريكية لقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن وفي خلفية التوجهات الاساسية لجميع الادارات الامريكية منذ فترة رئاسة الرئيس جونسون والتي تنص بان كل تسوية دائمة يجب ان ترتكز على انسحاب اسرائيلي شامل (باستثناء تعديلات طفيفة) في كافة الجبهات، فان كل مجهودات دبلوماسية امريكية تحمل في طياتها نواة المواجهة مع اسرائيل. وعلى وجه الخصوص بعد تسلم حكومة الليكود للسلطة - في ايار ١٩٧٧ - فان التأكيدات المتكررة لادارات كارتر، ريغان وبوش بان كل تسوية يجب ان ترتكز على صيغة "مناطق مقابل سلام" تحول هذه المواجهة الى امر حتمي في ضوء الاراء والمواقف الجوهرية لكل حكومة ليكود.

لكن وجود هذا الفرق الجوهري في هذا "المدماك" المركزي لبنية الاتفاق وطابعه لا يعني بان الخلافات يجب ان تطفوا وبصورة حتمية في مرحلة اولية من المسيرة وان تجر في اعقابها محاولة فرض مواقف واشنطن على اسرائيل. وبالفعل حتى في ايام كيسنجر وزير الخارجية الامريكي جرت محاولات مستمرة من اجل تأجيل لحظة الحقيقة الى مرحلة متقدمة في مسيرة التسوية، بحيث لا يكون مجديا للاطراف تهديد ما تم انجازه في المراحل الاولى لمسيرة "خطوة بعد خطوة". وبالفعل عوضا عن خوض مواجهة مباشرة وفورية مع المجمل المعقد الذي يكتنف بالصراع، فقد تم تبني اسلوب المراحل التدريجية والتي حددت لها هدفا لتغذية مسيرة التغيرات في توجهات الاطراف حيال الصراع. نضج هذه المسيرة - هكذا اعتقد كيسنجر - كان من الممكن ان يؤدي الى وجود اتضاح واستعداد في اوساطهم وفي نهاية المطاف للتنازل عن

رغم ان حرب الخليج لم تغير جوهر البنية وطابع النزاع الاسرائيلي - العربي والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، فانها وفرت للولايات المتحدة مكانة رفيعة وثقة سواء في الساحة الشرق اوسطية او في الساحة الامريكية الداخلية. ان حجم الانتصار الامريكي وتعزيز مكانة الرئيس بوش في بلاده (الى جانب الاستنزاف المستمر في العناصر الجوهرية لمحور "العلاقات الخاصة") توفر للادارة الحالية هوامش واسعة نسبية للمناورة في مجهوداته المتعددة لاحراز تقدم على مسيرة احلال السلام بين اسرائيل وجاراتها. وفي ضوء ذلك من الصعب وجود تهديد ديمقراطي جاد لمكانة الرئيس بوش واحتمالات اعادة انتخابه في شهر تشرين الثاني عام ١٩٩٢ لمرحلة رئاسية ثانية. كما ان الارتباط المتزايد والمتعاظم لاسرائيل بالمساعدات الامريكية الى جانب التدني النسبي في مكانتها كثروة استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة (والذي كشف عنه بصورة واضحة في حرب الخليج) يساعد في ايجاد وبصورة متمازجة جملة من الشروط والظروف التي قد تؤدي الى توفير تأييد واسع لمسيرة سياسية امريكية جديدة. وقد تشمل هذه المسيرة في اطارها ايضا استخدام عناصر الاكراه والضغط، من اجل استخدام مصادر الولايات المتحدة كنقطة انطلاق من اجل تطبيق اقصى حد من النفوذ على حليفتها اسرائيل. ارتفاع وشروط المساعدات الاقتصادية والعسكرية، وايضا حجم الضمانات المصرفية الامريكية لقروض بناء مساكن للمهاجرين، كل هذه ستشكل في المستقبل المحاور المركزية للضغوط، لانه حول هذه المحاور بالذات تلتف وبصورة حادة قوة الارتباط الاسرائيلي بالولايات المتحدة. (لقد اشار اسحق موداعي وزير المالية في محاضرة القاها في ايلات بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٩١، الى المجال الاقتصادي كساحة من المحتمل ممارسة ضغوط امريكية من خلالها على اسرائيل "في حال عدم التوصل لاتفاق حول مسيرة السلام").

بالامكان العثور على دلائل اولية تؤكد بان المسار الرئيسي الذي من خلاله ستتطلع ادارة بوش الى ممارسة نفوذها على اسرائيل سيكون المجال الاقتصادي، بالتحذيرات الحازمة التي ادلى بها روبرت دول زعيم الاقلية الجمهورية، في مجلس الشيوخ، دعا دول في عدة مقابلات اجرتها معه وسائل الاعلام الامريكية في شهر أيار ١٩٩١ - ولم يتطرق لاسرائيل فقط - الى تقليص حجم المساعدات الاقتصادية لدول الشرق الاوسط التي تبدي تململا ورفضا في توجهاتها حيال مسيرة السلام.

ويوجد نموذج مألوف لطابع التصريحات الانتقادية لدول: في شهر كانون الثاني عام ١٩٩١، عندما اصبح مشروع الانتخابات في المناطق بؤرة الجدال الحاد بين القدس وواشنطن، تحول زعيم الاقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ الى رأس حربة ادارة بوش في محاولاته تليين مواقف حكومة شمير في قضية مشاركة مبعدين وذوي عنوان في شرقي القدس في اللقاء الذي كان يتم الاعداد له بين ممثلين اسرائيليين وفلسطينيين. واوصى دول في سلسلة تصريحات علنية بتقليص خمسة بالمائة من حجم المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل (وايضا لمصر، الفلبين، تركيا وباكستان) وذلك من اجل تخصيص اموال للديمقراطيات الجديدة في اوروبا الشرقية، التي تعاني من مشاكل اقتصادية خطيرة. وعلى الرغم من ان جوهر اقوال دول كان اقتصاديا محضا، فقد تداخلت في مضامينه اقوال سياسية ونغمات انتقادية للسياسة التي تتبعها اسرائيل في المناطق، لم يؤد "بالون التجارب" الذي اطلقه دول في الفضاء في العام ١٩٩١، الى اي مبادرة لا في الكونغرس ولا في الادارة، ومع ذلك لم يرتدع العضو الجمهوري في مجلس الشيوخ عن اعادة عرض هذه المبادرة واطلاق الطلقة الاولى في نطاق المجهودات الامريكية، التي تستهدف ممارسة نفوذ على اسرائيل من اجل التراجع عن مواقفها المتجذرة سواء في الشؤون الاجرائية او القضايا النوعية.

اما بالنسبة للذريعة الفورية، التي بسببها ستستخدم الضغوط - في هذا الاطار بالامكان التوقع من الادارة التمسك بنفس العناصر في السياسة التي تتبناها اسرائيل والتي يوجد عدم اتفاق حولها ايضا في اوساط الجمهور والجاليات الامريكية، والتي تشكل في الوقت نفسه اساس محور "العلاقات الخاصة"، كحافز لتجنيد تأييد جماهيري واسع (داخلي وخارجي) في الخطوات العقوبية التي تبادر بها. وهكذا وعلى سبيل المثال بالامكان ان يوفر الاستيطان ومجهودات توسيعها وتكثيف عدد المساكن فيها في الوقت الذي تضاعف فيه الادارة من المجهودات التي تستهدف احراز تقدم على المسيرة السياسية،

رغم ان حرب الخليج لم تغير جوهر البنية وطابع الصراع الاسرائيلي - العربي والصراع الاسرائيلي - الفلسطيني، فانها وفرت للولايات المتحدة مكانة رفيعة وثقة سواء في الساحة الشرق اوسطية او في الساحة الامريكية الداخلية. ان حجم الانتصار الامريكي وتعزيز مكانة الرئيس بوش في بلاده (الى جانب الاستنزاف المستمر في العناصر الجوهرية لمحور "العلاقات الخاصة") توفر للادارة الحالية هوامش واسعة نسبية للمناورة في مجهوداته المتعددة لاحراز تقدم على مسيرة احلال السلام بين اسرائيل وجاراتها. وفي ضوء ذلك من الصعب وجود تهديد ديمقراطي جاد لمكانة الرئيس بوش واحتمالات اعادة انتخابه في شهر تشرين الثاني عام ١٩٩٢ لمرحلة رئاسية ثانية. كما ان الارتباط المتزايد والمتعاظم لاسرائيل بالمساعدات الامريكية الى جانب التدني النسبي في مكانتها كثروة استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة (والذي كشف عنه بصورة واضحة في حرب الخليج) يساعد في ايجاد وبصورة متمازجة جملة من الشروط والظروف التي قد تؤدي الى توفير تأييد واسع لمسيرة سياسية امريكية جديدة. وقد تشمل هذه المسيرة في اطارها ايضا استخدام عناصر الاكراه والضغط، من اجل استخدام مصادر الولايات المتحدة كنقطة انطلاق من اجل تطبيق اقصى حد من النفوذ على حليفتها اسرائيل. ارتفاع وشروط المساعدات الاقتصادية والعسكرية، وايضا حجم الضمانات المصرفية الامريكية لقروض بناء مساكن للمهاجرين، كل هذه ستشكل في المستقبل المحاور المركزية للضغوط، لانه حول هذه المحاور بالذات تلتف وبصورة حادة قوة الارتباط الاسرائيلي بالولايات المتحدة. (لقد اشار اسحق موداعي وزير المالية في محاضرة القاها في ايلات بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٩١، الى المجال الاقتصادي كساحة من المحتمل ممارسة ضغوط امريكية من خلالها على اسرائيل "في حال عدم التوصل لاتفاق حول مسيرة السلام").

بالامكان العثور على دلائل اولية تؤكد بان المسار الرئيسي الذي من خلاله ستتطلع ادارة بوش الى ممارسة نفوذها على اسرائيل سيكون المجال الاقتصادي، بالتحذيرات الحازمة التي ادلى بها روبرت دول زعيم الاقلية الجمهورية، في مجلس الشيوخ. دعا دول في عدة مقابلات اجرتها معه وسائل الاعلام الامريكية في شهر أيار ١٩٩١ - ولم يتطرق لاسرائيل فقط - الى تقليص حجم المساعدات الاقتصادية لدول الشرق الاوسط التي تبدي تعنتا ورفضا في توجهاتها حيال مسيرة السلام.

ويوجد نموذج مألوف لطابع التصريحات الانتقادية لدول: في شهر كانون الثاني عام ١٩٩١، عندما اصبح مشروع الانتخابات في المناطق بؤرة الجدال الحاد بين القدس وواشنطن، تحول زعيم الاقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ الى رأس حربة ادارة بوش في محاولاته تليين مواقف حكومة شمير في قضية مشاركة مبعدين وذوي عنوان في شرقي القدس في اللقاء الذي كان يتم الاعداد له بين ممثلين اسرائيليين وفلسطينيين. واوصى دول في سلسلة تصريحات علنية بتقليص خمسة بالمائة من حجم المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل (وايضا لمصر، الفلبين، تركيا وباكستان) وذلك من اجل تخصيص اموال للديمقراطيات الجديدة في اوروبا الشرقية، التي تعاني من مشاكل اقتصادية خطيرة.وعلى الرغم من ان جوهر اقوال دول كان اقتصاديا محضا، فقد تداخلت في مضامينه اقوال سياسية ونغمات انتقادية للسياسة التي تتبعها اسرائيل في المناطق، لم يؤد "بالون التجارب" الذي اطلقه دول في الفضاء في العام ١٩٩١، الى اي مبادرة لا في الكونغرس ولا في الادارة، ومع ذلك لم يرتدع العضو الجمهوري في مجلس الشيوخ عن اعادة عرض هذه المبادرة واطلاق الطلقة الاولى في نطاق المجهودات الامريكية، التي تستهدف ممارسة نفوذ على اسرائيل من اجل التراجع عن مواقفها المتجذرة سواء في الشؤون الاجرائية او القضايا النوعية.

اما بالنسبة للذريعة الفورية، التي بسببها ستستخدم الضغوط - في هذا الاطار بالامكان التوقع من الادارة التمسك بنفس العناصر في السياسة التي تتبناها اسرائيل والتي يوجد عدم اتفاق حولها ايضا في اوساط الجمهور والجاليات الامريكية، والتي تشكل في الوقت نفسه اساس محور "العلاقات الخاصة"، كحافز لتجنيد تأييد جماهيري واسع (داخلي وخارجي) في الخطوات العقوبية التي تبادر بها. وهكذا وعلى سبيل المثال بالامكان ان يوفر الاستيطان ومجهودات توسيعها وتكثيف عدد المساكن فيها في الوقت الذي تضاعف فيه الادارة من المجهودات التي تستهدف احراز تقدم على المسيرة السياسية،

للرئيس بوش اساسا مرجحا بالنسبة لاتخاذ عقوبات عقوبية تتخذ ضد اسرائيل. ومع ذلك كان ابراز بؤر الاحتكاك وعدم الاتفاق في موضوعات تحصل فيها المواقف الاسرائيلية بصورة دائمة على تأييد جماهيري واسع في الولايات المتحدة (مثل مسألة مكانة القدس) وخصوصا قبل بروز استعداد عربي موازي لاضفاء مرونة على اطار واسع من القضايا الجوهرية، سيضع عقبات امام الادارة الامريكية ومجهوداتها من اجل بلورة شبكة شاملة من التأييد والتعاطف (في الكونغرس والرأي العام) لسياسة الضغوط التي ستتبعها.

واضافة الى هذه القنوات المركزية التي تتطلع الدبلوماسية الامريكية الى تحديد مسار الضغوط على اسرائيل من خلالها، بالامكان التقدير بان ادارة بوش لن تتردد باستخدام مكثف لسلاح التهديد، وذلك لطابع العلاقات والقضايا الواسعة والمتشعبة. ومثلما كان هنري كيسنجر وزير الخارجية يذكر بصورة دائمة مؤتمر جنيف ابان فترة "اعادة التقييم" للسياسة الامريكية حيال اسرائيل في ربيع العام ١٩٧٥ (الذي كان بالنسبة لحكومة رابين خيارا مدمرا)، يعتبر اسوأ بكثير من سياسة "خطوة بعد خطوة"، يجب ان نتوقع استخدام قباطنة السياسة الاسرائيلية وبصورة متكررة لخيار المؤتمر الدولي تحت اشراف مجلس الامن والسكرتير العام للامم المتحدة كبديل حتمي في حال فشل محاولات احراز تقدم على المسيرة السياسية في نطاق الاطر والاجهزة المتوفرة الان. وقد وجدت المؤشرات الاولى لهذه النوايا في عدة تصريحات ادلى بها جيمس بيكر، عبرت عن خيبة امل وزير الخارجية جراء الصعوبات التي واجهها في مجهوداته حتى ذاك الحين. وقد يرافق هذه الاشارات التهديدية، حول ما يجب ان تتوقعه اسرائيل جراء اغلاق الطريق امام الوساطة الامريكية ايضا تهديد اكثر تعميما يتعلق بترك ساحة الصراع والتخلي عنها من الناحية العملية، لمبادرات وخطوات تقوم بها اطراف اخرى (على سبيل المثال المجموعة الاوروبية) تعتبر توجهاتها حيال اسرائيل وبصورة تقليدية شائكة اكثر من مواقف اي ادارة امريكية.

ومع ذلك من الجدير التأكيد انه حتى اذا نجحت ادارة بوش وفي نهاية المطاف بممارسة ضغوط، فان هذا لا يشكل ضمانة لنجاحه بتحقيق اهدافه في ظل الظروف والمعطيات المتحسنة، وذلك لانه في حالة عدم تناظر متطرف في مصادر القوة والارتباط بين الطرفين فقد يتخذ الطرف الاضعف قرارا بتبني سياسة متمردة - بغض النظر عن ماهية العقوبة المتوقعة. وبالفعل في الحالات التي تعتبر فيها القضية مدار الخلاف قضية متعلقة بالوجود، وتقع في نطاق المصالح الحيوية (على سبيل المثال مسألة مكانة القدس او بقاء منظمة التحرير الفلسطينية خارج اطار المفاوضات) فقد يكون ثمن الخنوع للضغوط بالمفاهيم الايديولوجية، الامنية او السياسية، الداخلية كبيرا جدا، الى درجة لن تتمكن من خلالها اي تعويضات امريكية سخية تحويله الى خيار قابل للتنفيذ ومقبول (كما حدث على سبيل المثال في اعقاب البيان المشترك للدول العظمى في البادىء من تشرين الاول ١٩٧٧).

ومع ذلك يجب ان نتذكر انه في ظل الظروف الدولية والاقليمية بعد حرب الخليج والحرب الباردة، فان مغزى التراجع الاسرائيلي عن المواقف المتبلورة والراسخة لن يماثل من حيث الاخطار الكامنة في العديد من عناصره لمغزى تنازل مماثل في الفترات التي سبقت ذلك. وعلى سبيل المثال: ايد الاتحاد السوفييتي في سنوات السبعينات وبداية سنوات الثمانينات وبصورة تامة نموذج الحد الاقصى الذي يفرضه مؤتمر دولي وذلك مع التأكيد على مكانة المنظمة الدولية، كمنظمة ذات صلاحيات تدخل في اعمال اللجان الفرعية، الجغرافية او الوظيفية، وانه حتى في حالات الضرورة بامكانها التدخل وفرض ارادتها. هذا التوجه الذي رافق المواقف التقليدية غير القابلة للمرونة لموسكو في اطار واسع من القضايا (على سبيل المثال مكانة منظمة التحرير الفلسطينية في المسيرة السياسية، معارضة الاتفاقيات الجزئية بين اسرائيل وجاراتها، والمطالبة باقامة دولة فلسطينية في مناطق يهودا والسامرة) كان يشكل عنصرا رادعا للحكومة الاسرائيلية في صدها اقتراحات ومبادرات لعقد مؤتمر سلام دولي (وايضا المواقف غير المرنة والمتصلبة لسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية من قضية المؤتمر، وفرت لاسرائيل حافزا اخر للتحفظ من الفكرة). ومع ذلك عندما تعرض فكرة المؤتمر في الوقت الذي يكون فيه واضح للجميع بان الاتحاد السوفييتي تخلى عن نموذج التسوية بالاكراه، ويلتزم بمسيرة متعددة

الاطراف وان الولايات المتحدة - الذي كان تقديرها وبصورة دائمة يرتكز على نموذج مقلص ومحدود لحدث دولي - تشكل العنصر المركزي الذي بامكانه قيادة المؤتمر نحو مسار المفاوضات الثنائية والمباشرة، فان هوامش المخاطر التي ستتحملها اسرائيل على عاتقها اذا وافقت في نهاية المطاف على المسيرة متعددة الاطراف هذه - ستكون اقل بكثير من الماضي. واضافة لذلك، في اطار المناخ الاستراتيجي - الحالي. وبعد ان اثبتت الولايات المتحدة وقبل فترة غير طويلة، بانها القوة ذات النفوذ المركزي في الساحة. وعندما تبدي اوساط محلية مثل سوريا، التي كانت في الماضي غير البعيد تشكل جزءا لا يتجزأ من جبهة الرفض العسكرية، استعدادا متنامياً لتحسين علاقاتها مع واشنطن (على الرغم من عدم بروز مرونة اي كانت على المواقف السورية التقليدية. في الصراع وسبل تسويته) فان هذا يعني بان اي مرونة وحتى تراجع نوعي على مواقف اسرائيلية معينة لن يتضمن تهديدا وخطورة، كما كان من المحتمل حدوثه في عهد آخر ومقابل شبكة مختلفة من مضامين التهديدات الدولية والاقليمية.

لكن في ضوء هذا الواقع الجديد وايضا في ضوء اختفاء احد عناصر التهديد الخطيرة بالنسبة لاسرائيل، لا توجد اي ضمانات تؤكد بان الحكومة الاسرائيلية ستستجيب لمجهودات الاقناع وحتى الضغوط التي قد تمارسها ادارة بوش، خصوصا عندما تقف في خلفية ذلك (طالما تمترسوا في مواقفهم) قضية ترتبط بمستقبل ومكانة مناطق يهودا والسامرة. ومن هذه الناحية فان ضعف محور "العلاقات الخاصة" وايضا الاستنزاف المستمر بشبكة التأييد الواسعة لاسرائيل الذي بدأ في اوساط الجمهور الامريكي في العقد الاخير لن يستطيع مساعدة الادارة الامريكية بتنفيذ اهدافها في هذه القضايا وفي هذه الابعاد التي تعتبر من وجهة نظر الذين يبلورون السياسة الاسرائيلية تغص بالمشاريع الوطنية والايديولوجية العميقة.

انعكاسات الازمة على السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط

بقلم: جاليا غولان

يتعرض الاتحاد السوفييتي لكماشة الهيجان القومي والتطلع للعزلة، ويعاني من انهيار اقتصادي شبه تام ومن ازمة قيادية باحجام كبيرة. ولهذا فان الصراع العربي - الاسرائيلي لا يشكل موضوعا يتمتع باولويات عالية بنظر الذين يبلورون السياسة السوفييتية، وعلى الرغم من ذلك يتدخل الاتحاد السوفييتي رغما عنه وعمليا في قضايا متعلقة بهذه المنطقة التي تمتد جنوبي حدوده، هذه المنطقة التي لا تعتبر فقط ذات امكانيات اقتصادية بالنسبة للاقتصاد السوفييتي السيء، بل وبدرجة رئيسية ذو اهمية خاصة في شبكة العلاقات بين الدول العظمى، خصوصا في المجال العسكري. ولقد اعطت اعادة التفكير السياسي "لغورباتشوف في السياسة الخارجية تفسيرا جديدا" بصورة تامة لهذه المصالح، تفسيرا يتوافق تماما مع فكرة الارتباط المتبادل مع دول العالم، وعدم الارتكاز على الايديولوجية في العلاقات الدولية، ووضع حد لـ "لعبة المراهنة على مبلغ صفر" في العلاقات مع الغرب، ولهذا دخلت موسكو فترة ازمة الخليج وهي في وضع صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة، وعلاقات متعددة الوجوه تغص بالمشاكل مع دول عربية ودول اسلامية في المنطقة، وتحسن في العلاقات مع اسرائيل - وبداية جدال داخلي بخصوص مدى عقلانية السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط سياسيا وعسكريا.

تأثير الازمة والعبر منها: المجال العالمي

شكلت ازمة الخليج ومن نواحي كثيرة اختبارا لـ "اعادة التفكير" التي تبناها غورباتشوف. ولكونها الازمة الدولية الاولى التي تندلع في "عهد ما بعد الحرب الباردة"، لم تضع مجال الاختبار - ومثلها الحرب التي تلتها - فقط حدود التفكير الجديد، بل وابرزت للعيان جميع الثنايا، القيود، نقاط العلاج وحتى افضليات السياسة الخارجية السوفييتية. وبالامكان القول بان هذه السياسة صمدت بصعوبة امام صعوبات الامتحان، سواء في الساحة الداخلية او في الساحة الدولية. ان استقالة شفاردنادزه والصدام الذي تم منعه في اللحظة الاخيرة بين المصالح السوفييتية والامريكية في الاسبوع الاخير من الحرب (عندما حاول السوفييت منع اندلاع المعركة البرية من خلال وقف اطلاق النار بوساطة موسكو) ابرز مؤشرات تدل على تحدي السياسة الجديدة وعلى الضغوط الكبيرة التي تتعرض لها، لكن نغمة التعاون التي ابداها السوفييت في نهاية الحرب وبعدها كانت تحمل دلائل تشير الى ان اعادة التفكير خرجت سالمة من الازمة وانها سارية المفعول حتى وان يكن بتغييرات معينة.

العبرة العالمية الرئيسية من الازمة، والتي بدت على الفور والتي تعتبر ذات اهمية كبيرة هي ضرورة وضع حد لعدم الاستقرار الاقليمي من اجل الحفاظ على الترتيبات العالمية التي تتبلور مع انتهاء الحرب الباردة. تؤدي الصراعات الاقليمية ليس فقط الى سباقات تسلح وتطويرات تكنولوجية تتناقض مع اتفاقيات الحد من انتشار الاسلحة التي تم التوصل اليها على مستوى الدول العظمى، بل وتتضمن ايضا احتمالات ايجاد خلل مفاجيء في موازين القوى الاقليمية، الامر الذي يهدد المصالح الوطنية لهذه الدولة العظمى او تلك، وتبرز من خلال ذلك تناقضات في القوة الكامنة بالمصالح الوطنية وتضع عقبات امام الدول العظمى.

والامكان التأكيد وبصورة متزايدة على التحديث الاقتصادي للمسالح الاساسية للولايات المتحدة ادت الى القيام بعملية امريكية، تقريبا من طرف واحد، اعتبرت بمثابة كابوس في موسكو تجاوزا سعودية القطبية (تختلف عن القطبية الثنائية السابقة ابان الحرب الباردة) استهدفت تشكيل اساس لترتيبات جديدة من المفروض ان تسود في عهد ما بعد الحرب الباردة. وابرز هذا العمل عدم التناظر في العلاقات بين الدولتين العظميين. اذ وقف الضعف السوفييتي بتناقض واضح مع القوة الامريكية. واتخذ التعاون بين القوى العظمى شكل الموافقة السوفييتية الصامتة على السياسة الامريكية. ومن هذه الناحية من الممكن ان تكون الازمة الاقليمية قد كشفت وببساطة (ولم تعمل على ايجاد) عن الطابع الحقيقي للعلاقات بين القوتين العظميين. لكنها ومن ناحية ثانية تحدت هذه العلاقات وهددت بلجم احراز تقدم جديد في المستقبل عليها. كما كشفت عن ما يصفه غورباتشوف "بانعكاسات" العلاقات المذكورة. (١) ولهذا فانه وبخصوص هؤلاء الذين يبدون اهتمام بوجود شبكة العلاقات المذكورة، اي هؤلاء الذين يريدون الحفاظ على الترتيبات الجديدة، فقد اتخذ حل الصراعات الاقليمية اهمية اكبر بكثير.

ومع ذلك، لم تكن عبر الحرب في المجال الدولي جميعها سلبية. لقد تكللت بنجاح كبير المجهودات التي بذلها غورباتشوف من اجل الاثبات بان التعاون بين الدولتين العظميين ضروري اضافة الى انه ممكن. الزعيم السوفييتي وخصوصا في فترة تسلم شفاردنادزه لوزارة الخارجية حاول ابراز التقدمية. العقلانية والمسؤولية كعناصر تؤكد ماهية السياسة السوفييتية، في العهد الجديد، والاثبات بانه يلعب دورا بناء واخلاقيا في الساحة الدولية، وكان يأمل ودون ادنى شك من خلال اعماله هذه الاستمرار باقامة - بل وتوسيع - التجارة مع الغرب والمساعدات والعلاقات الاقتصادية الضرورية لاحراز تقدم على سياسته الداخلية. لقد ايد الاتحاد السوفييتي وعلى الرغم من المحاولة القصيرة الايام لانهاء الحرب قبل بدء الهجوم البري، وطوال ازمة، الائتلاف المناهض للعراق. لقد ارادت الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى هذا التعاون من اجل الحصول على موافقة مجلس الامن على الخطوات المختلفة ضد العراق، بدءا بالعقوبات، واستمرارا بالحرب وانتهاء بوقف اطلاق النار غير المشروط. وبالفعل يقول عدد من المعلقين السوفييت بان صدام حسين لم يكن ليقوم بغزو الكويت لو كان يعتقد بانه من المتوقع حدوث تعاون بين الدولتين العظميين بهذا الشكل الذي مكن من عملية عسكرية ضد العراق.

وعلى الرغم من وجود اشخاص في واشنطن يعتقدون بان الاتحاد السوفييتي لم يتعاون بدرجة كافية خصوصا عندما عرض اقتراحات السلام السوفييتية التي استهدفت منع وقوع الحرب البرية، فان النتيجة التي توصلت اليها الادارة هي ان الاتحاد السوفييتي ابدى تعاونا ولعب دورا ايجابيا اذ ساعد بصورة معقولة المجهودات المناهضة للعراق ميدانيا، ومد يد العون وبصورة فعالة في مجلس الامن. اما النتيجة التي خلصت اليها واشنطن فتؤكد بان "اعادة التفكير" ظلت تمهد الطريق لرؤية ازمة الخليج كسابقة للتعاون بين الدولتين العظميين في المستقبل. ويبدو انه اضيف لهذه النتيجة قدر ضئيل من الحذر من جانب واشنطن بخصوص التأثير المحتمل للقوى المحافظة - العسكرية، في موسكو، والتي بدت قوتها في المحاولة السوفييتية للتوصل لوقف اطلاق النار قبل الاوان. (٢).

المجال الاقليمي

تركت ازمة الخليج نتائج مختلطة على علاقات الاتحاد السوفييتي مع دول الشرق الاوسط ومع شعوب المنطقة. لقد ادى دعم الائتلاف المناهض للعراق الى وجود ثمار عبرت عن نفسها بعلاقات جيدة مع مصر (التي بدأت تتحسن قبل ذلك) والامر الذي يتخذ اهمية لا تقدر بثمن - اقامة علاقات دبلوماسية مع العربية السعودية. لقد كانت موسكو تتطلع الى ذلك منذ فترة طويلة وتوقعت حدوث ذلك لدى انسحابها من افغانستان، وقدم لها في نهاية المطاف على ايدي الرياض كوسام للتعاون السوفييتي بالازمة. ولقد ادت الخطوة السعودية الى رفع اسهم السوفييت في منطقة الخليج مما ادى اليه اقامة علاقات مع البحرين والحصول على اعتماد مالي بمبلغ ٤ مليار دولار من حكومات الكويت، السعودية واتحاد امارات الخليج. (٣). كما سجلت انجازات سياسية على علاقات الاتحاد السوفييتي - ايران، وذلك عندما شاركت موسكو ايران في

ان الانفصال عن الامريكيين ابان الحرب، الامر الذي طمح به المحافظون في موسكو، كان ذو اهمية خاصة من حيث الجدوى التي جناها السوفييت في المفاوضات مع ايران. ومع انتهاء المعارك بدأت المفاوضات بخصوص ملكية الطائرات السوفييتية، التي قام العراقيون بنقلها الى ايران ابان الحرب بالامكان القول بصورة عامة، بان تحسن العلاقات بين السوفييت والايرانيين وبينهم وبين باقي دول الخليج. اعتبرت في موسكو كانجاز كبير، يحمل في طياته احتمالات كبيرة بخصوص الاقتصاد السوفييتي الذي يعاني من ازمة.

لكن الاستغلال المعين لهذه الفرص لعقد صفقات اسلحة تثير مسألة معقدة. الغزو العراقي للكويت في الوقت الذي كانت فيه الفيالق مسلحة بأسلحة سوفييتية، عمق من الجدال المستمر منذ فترة حول مسألة اخلاقية و/او جدوى بيع الاسلحة كعنصر ذو اهمية اولى في شبكة علاقات الاتحاد السوفييتي مع دول الشرق الاوسط. وقد حمل حوالي ٣٨ بالمائة من الذين شاركوا في استفتاء جرى في اوساط المواطنين السوفييت، على الاقل جزءا من مسؤولية الغزو لبلادهم بسبب ارساليات الاسلحة، وفي الوقت الذي ركزت فيه الاوساط الشعبية على هذا البعد اعتقد اكاديميون وصحفيون بانه على الرغم من ادخال صفقات الاسلحة اموالا على الاتحاد السوفييتي، فان معظم دول العالم الثالث لم تستطع الالتزام بتسديد الدفعات التي التزمت بها. وبناء على ذلك وصف بيع الاسلحة كمشروع مساعدة - خارجية ضخم الحجم وليس اكثر من ذلك. (٤).

وكشفت الازمة ايضا عن مشكلة جودة الانظمة في المنطقة التي تزيدها موسكو وهدف هذا الدعم، ولهذا بدت في مراحلها الاولى، بأن النتائج الرئيسية للازمة ستؤدي الى تقليص كبير لعلاقات الاتحاد السوفييتي مع عدد من دول المنطقة، خصوصا في مجال تزويدها بالاسلحة. وبالفعل قال بلونوغوف نائب وزير الخارجية، المسؤول عن المنطقة بان "توجهاتنا العامة بخصوص التعاون العسكري مع دول الشرق الاوسط تستوجب اعادة بحث واستخلاص عبر" في ضوء الازمة. (٥).

لكن مقابل هذه التوجهات اكد الجيش والصناعات العسكرية، تبريرات تقول بان بيع الاسلحة السوفييتية يشكل ١٥ بالمائة من الدخل بالعملات الاجنبية ولهذا يجب الاستمرار بالبيع. ومع ذلك فقد لقيت هذه المبررات دعما من تكثيف القوات الامريكية في المنطقة، والذي ارفق باستمرار عقد صفقات الاسلحة الامريكية الكبيرة مع مصر، السعودية، ودول اخرى في المنطقة، ووفقا لاراء اوساط عسكرية ومحافظة في الاتحاد السوفييتي، تستوجب هذه الصفقات على الاقل الحفاظ على مواقع النفوذ السوفييتية القائمة في المنطقة. ووفر باعثا اخر، التطلع لتقليص الخسائر الاقتصادية التي نجمت عن حرب الخليج (الحاق اضرار بالمداخيل جراء تجميد صفقات ثنائية او متعددة الاطراف مع العراق، خصوصا في مجال النفط، لكن ايضا في مجال الاسلحة). (٦). وقد يشكل تعويضا مغريا بيع اسلحة لدول الخليج الغنية وبيع متزايد لسوريا، التي اصبحت الان مريحة اكثر في مجال عقد صفقات كهذه جراء المهمة التي قامت بها ابان حرب الخليج. ويبدو ان القلق الوحيد الذي شعر به تجار الاسلحة السوفييت جراء حرب الخليج، كان عدم قدرة الاسلحة السوفييتية على خوض منافسة ناجحة ضد الأسلحة الامريكية الاكثر تطورا من الناحية التكنولوجية. تعلقت العبرة التي اخذها السوفييت من الحرب بـ "الفارق التكنولوجي"، والذي جراءه لم تستطع اسلحة الدفاع الجوي السوفييتية التغلب على صواريخ "توماهوك" و V.HARM. (٧). واضافة لذلك فان التمهيد للهجوم الجوي بالمقارنة مع الهجوم البري وضع علامات استفهام حول مهمة الدبابات في الحرب المستقبلية، (وبهذا الخصوص صفقات استكمال بيع الدبابات السوفييتية). (٨). ومع ذلك فقد اكد مراقب غربي ان دول العالم الثالث لا تشتري السلاح من اجل محاربة الولايات المتحدة بل من اجل محاربة بعضها البعض بهدف قمع سكانها وتعتبر دبابات "تي - ٧٢" اداة جيدة لذلك. (٩). اضافة لذلك بالامكان القول انه لم يكن لدى العراق اسلحة سوفييتية متطورة جدا، كما ان القوى البشرية العراقية التي استخدمت الاسلحة السوفييتية لم تكن بالمستوى العالي كما هو الوضع في القوات الغربية.

وكانت هناك مشكلة اخرى تمثلت بالانقسام في العالم العربي، اذ ان عددا من الحلفاء الهامين لموسكو (اليمن الجنوبي،

منظمة التحرير الفلسطينية والجزائر) ايضا حكام مسيئين. ومن هؤلاء ايضا دول مثل سوريا التي توجد لها علاقات اقتصادية هامة مع الاتحاد السوفييتي في مجال بيع الاسلحة. ولم يساعد تأييد موسكو للائتلاف المناهض للعراق في العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، على سبيل المثال. وكانت العلاقات مع الفلسطينيين قد تدهورت بدرجة نوعية قبل ذلك في اطار "اعادة التفكير"، عندما تطلع السوفييت الى التعاون مع الدول العظمى ووضع حد للصراعات الاقليمية الامر الذي ادى الى وجود نوع من السياسة الحيادية بكل ما له علاقة بمطالب الفلسطينيين واسرائيل. وفي الوقت الذي اقام فيه السوفييت علاقات مع الفلسطينيين، ابان الازمة، اعرب ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية وبصورة علنية عن عدم رضاهم من الموقف السوفييتي.

واذا اخذنا بعين الاعتبار التذمرات السابقة التي عرضها الفلسطينيون وممثلون عرب اخرون قبل الازمة، جراء التغيرات السابقة في الموقف السوفييتي في اطار "اعادة التفكير" سنجد بان التدهور الذي طرأ ابان الازمة كان مسألة كمية اكثر منها نوعية. ولم يشعر غورباتشوف بقلق كبير جراء هذه الظاهرة ودافع عن مواقفه امام صحفيين عرب وجهوا انتقادات له. لكن اعضاء محافظين في الحزب الشيوعي والمختصون في الشؤون العربية (خبراء في السياسة الخارجية بالشؤون العربية) اعربوا عن قلقهم من التأثير البعيد المدى للتأييد السوفييتي لوقوف الامريكيين ضد زعيم اسلامي وعربي - خصوصا ضد زعيم "تقدمي"، وقع على تحالف مع موسكو. وقد عززت الخطوات التي قام بها هؤلاء من عضد المؤسسة العسكرية والصناعات العسكرية، الذين مارسوا ضغوطا على غورباتشوف من اجل استعادة، على الاقل، جزءا من النفوذ والثقة التي كانت تتمتع بها موسكو من خلال وضع حد للحرب. وشكلت "مبادرة غورباتشوف" قبل الهجوم البري محاولة ايجابية في هذا الاتجاه. وعلى الرغم من فشل هذه المبادرة، الا ان المجهودات السوفييتية شكلت انجازا في مجال تحسين العلاقات مع العرب، خصوصا العلاقات مع العراق، وقد تضمن هذا التنازل للجيش والمحافظين، قدرا ما من الاخطار على العلاقات الامريكية - السوفييتية، لكن كما تم التأكيد اعلاه، فلقد ادت عودة غورباتشوف السريعة لمسار التعاون الى تقليص الاضرار.

لقد خرجت موسكو من الحرب وفي نهاية النطاف بانجازات نوعية في الخليج ومشاكل صغيرة، من شبه المؤكد ان تكون عابرة في العلاقات مع عرب معينين، اي الفلسطينيين، لكن في ضوء العزلة التي اصبحت تعاني منها منظمة التحرير الفلسطينية جراء تأييدها لصدام، من المرجح ان يكون الفلسطينيون بحاجة لموسكو اكثر من حاجتها لهم. ولهذا فان كل ضربة جديدة تتلقاها العلاقات المتوترة بين الاتحاد السوفييتي ومنظمة التحرير الفلسطينية لن تتضمن ما قد يلحق اضرارا خاصة بالسوفييت. لكن في الاطار الاكثر نوعية من المحتمل ان تكون دولة مثل سوريا التي شعرت بقلق حتى قبل ذلك جراء تقديراتها لمدى اعتبار موسكو دولة حليفة وقوة عظمى، لمست بذلك تأكيدا لمخاوفها المتعلقة بهامشية دور الاتحاد السوفييتي في الازمة، وايضا العجز الذي ابدته موسكو في محاولة التوصل لموافقة حول اقتراحها بوقف اطلاق النار في العراق.

وعلى الرغم من الضغوط التي مارسها المحافظون الذين توجد في اوساطهم بذور وطنية لاسامية، المختصون في الشؤون العربية لم يكن لازمة الخليج تأثيرا كبيرا، وعلى الاقل، ليس تأثيرا سلبيا على علاقات الاتحاد السوفييتي - اسرائيل. وقد تم تنفيذ القرار الخاص بتحسين العلاقات مع القدس وذلك على الرغم من الازمة. ومن الناحية العملية ازالت الازمة ذروة المشاكل التي كانت تواجهها موسكو في محاولتها ارضاء اصدقائها العرب في قضية الهجرة الجماعية ليهود الاتحاد السوفييتي لاسرائيل. وهكذا، سمحت ابان الازمة المبادرة التي تم تأجيلها قبل فترة طويلة (جراء الضغوط العربية) والمتعلقة بتحليق طائرات بصورة مباشرة بين اسرائيل والاتحاد السوفييتي (والتي لا تشمل نقل مهاجرين)، وتم رفع مستوى العلاقات بين البلدين الى مستوى قنصلي لدى اعادة فتح الممثلية الاسرائيلية في موسكو. ومن خلال رفضها محاولة صدام حسين ايجاد علاقة تربط بين المشكلة الكويتية والمشكلة الفلسطينية لم تتمادى موسكو اكثر من واشنطن عندما وافقت "ربط غير مباشر" او "ربط متتالي" فقط، اي وافقت على وجوب عرض الصراع العربي - الاسرائيلي على

المحافظون وبصورة عميقة [illegible] المساعدة بالمعدات للشخصيات ذات [illegible] حيات وتطلعات مثل تلك المتعلقة بشعر الجميع منذ لحظة الاقالة هذه هو دور المحافظين في السياسة الخارجية، بما في ذلك في السياسة حيال الازمة نفسها وقد طالبوا في الفترة التي سبقت الحرب ليس فقط الاستمرار ببيع الاسلحة للشرق الاوسط في اطار منافسة الولايات المتحدة، والحصول على جدوى اقتصادية، بل وطالبوا ايضا بتخصيص استثمارات كبيرة جدا من اجل التغلب على الفوارق التكنولوجية بين الاسلحة الامريكية والسوفييتية. هذه الفوارق التي اتضحت في اعقاب حرب الخليج. وقد عزز ذلك من مطالب اعادة دراسة مسألة نزع السلاح ومشاريع تحويل الصناعات العسكرية لصناعات مدنية، والتي تبنتها الحكومة قبل ذلك. واضافة للمجال العسكري فقد تعززت مطالب المحافظين وبدرجة كبيرة من خلال الازمة، والتي تدعو لوجود سياسة خارجية سوفييتية، اقل ارتباطا بالولايات المتحدة، حتى وان لم تكن عودة تامة لمنافسة بصيغة ما قبل غورباتشوف ولعداء سوفييتي - امريكي.

النتائج بالنسبة للصراع العربي - الاسرائيلي

ترتبط مسألة تأثير نتائج الحرب على السياسة السوفييتية في الشرق الاوسط وبدرجة كبيرة بالقوة والنفوذ الذي تمكن المحافظون من تحقيقه خصوصا في الجيش وهيئة الصناعات العسكرية والحزب الشيوعي وذلك مقابل القوى الديمقراطية. الذين صب غورباتشوف جام غضبه عليهم في نهاية الربيع اي بعد فترة قصيرة من حرب الخليج. ويرى هؤلاء بالمنطقة الممتدة جنوبي الجمهوريات الجنوبية الهائجة والتي تشرف على مدخل البحر الابيض المتوسط ومخرجه وعلى المصادر الاقتصادية الهامة، كمنطقة يجب ان يسودها الاستقرار. ويشاركون غورباتشوف الرغبة بالحصول على مساعدات من العرب، لان تحديث الاقتصاد السوفييتي يعتبر شرطا للتطوير العسكري (ولاغلاق هوة الفوارق التكنولوجية)، كما ان لهذه المساعدات اهمية خاصة بالنسبة لقطاعات اخرى في الصناعات السوفييتية، واضافة لذلك تعتبر عملية التحديث ضرورة حيوية لوجود الفيدرالية السوفييتية، التي تعتبر هدفا قريبا من افئدة هؤلاء. ولهذا فان الجيش ومعظم حلفائه في الساحة الداخلية معنيون ومن المؤكد بصورة لا تقل عن غورباتشوف بالتجارة، الاعتمادات المالية، الاستثمارات وباقي صور المساعدات المطلوبة من الغرب.

وعلى الرغم من ذلك فان معظم الجيش وعلى الاقل في الاوساط العليا جدا ومعهم المحافظون (في الحزب والمخابرات - كي.جي.بي) لا يريدون حصول الاتحاد السوفييتي على هذه المساعدات على حساب القوة السوفييتية ومكانة السوفييت في العالم - الامر الذي ستحصل على جدوى منه الولايات المتحدة، كما انهم لا يريدون حدوث ذلك على حساب مكانة السوفييت، سواء أكان الحديث يدور عن قواعد او صفقات اسلحة او نفوذ عام في الشرق الاوسط. اما توجهاتهم حيال الغرب فما زالت تنافسية حتى وان لم تكن تتطلع الى المواجهة. ويفضلون في الحسابات النهائية (عندما تتطلب الضرورة تحديد افضليات) قوة سوفييتية على العلاقات مع الغرب. كما انه ليس من الواضح اذا كانوا على استعداد للتخلي عن المداخل الناجمة عن بيع اسلحة فقط جراء عدم الاستقرار الذي يؤدي اليه سباق التسلح المستمر في المنطقة.

وفي جوهر الامر، الموقف حيال الغرب - ومكانة الاتحاد السوفييتي في العالم - هو الذي يميز بين الافضليات السياسية لغورباتشوف وتلك التي يحددها الجيش وباقي المحافظين، ولا يدور الحديث بالضرورة عن تحديد مبادىء بل عن تسلسل الاولويات، ويبدو ان غورباتشوف تمكن من الحفاظ على الاولويات التي حددها لنفسه ايضا بعد محاولات المحافظين تحسين المواقف السوفييتية في الشرق الاوسط (من خلال خطوات تستهدف منع الهجوم البري). لكن الصعوبات التي واجهها بهذا الخصوص وجدت تعبيراتها بتحذير غورباتشوف قبل فترة قصيرة من انتهاء الحرب من طابع علاقات بلاده مع الولايات المتحدة.

في الفترة التي وجه فيها شفاردنادزه السياسة الخارجية (مع دعم قوي من يكوبلف) اعطيت اولويات عالية جدا لمكانة التعاون مع الغرب. ويعتبر الكسندر بسمارتنيخ خليفة شفاردنادزه، وكما يبدو مؤيدا ليس اقل من سلفه لهذا التوجه. لا

سيما وانه يعتبر من مؤيدي [illegible] وكتب في الشؤون الامريكية. غير [illegible] المطلعين الاكثر [illegible] ممثلي الحزب. لكن بسفارتنيخ لم يكن ذو اطلاعات. والاهم من ذلك انه لم يكن معروفا [illegible] مثل تلك الدرجة يسمع به شفاردنادزه

ازداد بعد ذهاب شفاردنادزه، وجراء ازمة الخليج، وعلى الاقل بكثير مما له علاقة بشؤون الشرق الاوسط، نفوذ مستشار غورباتشوف، يفغني بريماكوف (على الرغم من انه كان ليكوبلف باعتباره مستشارا رئيسيا لغورباتشوف نفوذا معينا في الشؤون الخارجية، فقد كان لبريماكوف مسؤولية عامة عن العلاقات الخارجية). ويبدو ان بريماكوف هو الذي يحدد طابع السياسة في الشؤون الشرق اوسطية. وليس رجل وزارة الخارجية مثل بلوتنوغوف نائب وزير الخارجية (المسؤول عن المنطقة) او كوكوتوشه رئيس قسم الشرق الاوسط. وعلى الرغم من ان بريماكوف فشل في المجهودات التي بذلها من اجل وقف اطلاق النار قبل بدء المعركة البرية، فان المحاولة (مثلها مثل المجهودات السابقة التي بذلها من اجل احلال السلام، والتي تناقضت مع سياسة شفاردنادزه) عززت من مكانته في اوساط الجيش واوساط المحافظين في الحزب. وعلى الرغم من انه من اصحاب "اعادة التفكير" فان بريماكوف "مختص بالشؤون العربية" ويوجد لديه فهم جيد لطابع العلاقات الداخلية (السياسية) والقوى العاملة في الاتحاد السوفييتي. ولهذا من المرجح ان يختار الطريق الوسط بين المحافظين وبين خط التفكير الاكثر راديكالية الذي اتبعه شفاردنادزه (الذي تتبنى سياسته اليوم القوى الديمقراطية والتي بدأ يؤيدها غورباتشوف في فترة لاحقة). (١٠).

ويبدو ان هذا الطريق الوسط يعبر عن ذاته بالمميزات التالية:

اولا، استمرار تحسين العلاقات مع اسرائيل، بما في ذلك استئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة وذلك منذ اللحظة التي يتضح فيها بان اسرائيل ستشارك في مفاوضات السلام. وهذا هو الشرط الاسرائيلي لمشاركة السوفييت في هذه المباحثات، في الوقت الذي تشكل فيه الموافقة الاسرائيلية على اجراء مباحثات سلام الشرط السوفييتي لاستئناف العلاقات. وقد شكلت اللقاءات التي عقدت بين بفلوف رئيس الحكومة السوفييتية واسحق شمير رئيس الحكومة الاسرائيلية، وبعد ذلك مع بسمارتنيخ، وايضا الاعداد لها اشارة واضحة الى ان موسكو مستمرة بتحسين تدريجي لعلاقاتها مع اسرائيل، ويبدو ان السوفييت اتخذوا قرارا باستئناف العلاقات مع اسرائيل في العام الماضي، عندما كان من المقرر اجراء مباحثات الحكم الذاتي في القاهرة (بمشاركة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كـ "مراقبين") ولم تؤد حرب الخليج الى استبدال هذا المخطط.

ثانيا، مرونة بخصوص طابع الاتفاق العربي - الاسرائيلي المحتمل. اوضح غورباتشوف في عدة مناسبات بان الاتحاد السوفييتي سينظر بعين العطف للاتفاق الذي سيتم التوصل اليه بين الاطراف ذات العلاقة بالامر. وهذا يعني من الناحية العملية تناول بسيط او عدم تناول تام لمسألة اي منطقة او ما هي مساحة المنطقة التي يجب على اسرائيل الانسحاب منها، او ما هو شكل السلطة التي يجب تقديمها للفلسطينيين. المبدأ الوحيد الذي يوجه القيادة السوفييتية، هو "توازن المصالح" الذي يوصف كاعطاء حق تقرير المصير للفلسطينيين (ولا يدور الحديث بصورة واضحة عن اقامة دولة) مع ضمان امن اسرائيل، وهناك موضوعات معينة لا تثير اهتمام السوفييت مثل مستقبل القدس، مصير اللاجئين اوالعلاقات مع الاردن، ولا تعرب موسكو تحت قيادة غورباتشوف عن اراء رسمية بخصوص هذه الموضوعات. ولم تطرأ تغيرات على هذه المواقف جراء ازمة الخليج.

اما الميزة الثالثة فهي المرونة بكل [illegible] علاقة بالمسيرة واجراءات التوصل الى اتفاق عربي اسرائيلي. يؤيد الموقف السوفييتي تسوية شاملة لكافة المشاكل المركزية، التي يجب اجراء مداولات حولها في اطار مؤتمر دولي، والذي من المرغوب فيه عقده بمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن. واشارت موسكو قبل فترة طويلة من اندلاع ازمة الخليج الى استعداد لتأييد اتفاقيات مرحلية، المفاوضات الثنائية والمتعددة الاطراف قبل مؤتمر دولي وابانه (مع فرض قيود على عقد كامل المؤتمر بحيث يتم اجراء مداولات في المسائل التي لم يتم العثور على حلول لها في المباحثات

الثنائية) وحتى مباحثات تحت اشراف الدولتين العظميين فقط - حتى وان كان ذلك في اطار مراقبين فقط - وذلك على العكس من المباحثات تحت اشراف الامم المتحدة. وقد اشار غورباتشوف في لقاء القمة الذي عقد في حزيران ١٩٩١ في واشنطن ان الاتحاد السوفييتي لا يريد الا مهمة رمزية في هذه المسيرة. احد الانجازات الكبيرة، لازمة الخليج، من وجهة النظر السوفييتية، هو موافقة الرئيس بوش، في شهر ايلول (في قمة هلسنكي) - هذه الموافقة التي تم تكرارها في البيان المشترك الذي اصدره بيكر - بسمارتنخ في شهر شباط - على تعاون واشنطن مع الاتحاد السوفيتي في اطار مشترك في مسيرة السلام العربية - الاسرائيلية. ومن المحتمل ان تعيد واشنطن التفكير في مسألة تنازلاتها هذه، في ضوء التجربة السوفييتية الفاشلة لمنع المعركة البرية، لكن لا واشنطن ولا موسكو استبدلت مواقفها الاجرائية او استعدادها للعمل من خلال التعاون المشترك.

وفي نهاية المطاف ابداء اهتمام باتفاقيات امن اقليمية وترتيبات مراقبة اقليمية على التسليح. لقد شملت الاقتراحات التي عرضت باصلها من قبل شفاردنادزة (في شباط ١٩٨٩) وقدمت لواشنطن واسرائيل قبيل اندلاع ازمة الخليج، اقامة مركز لمعالجة الازمات العسكرية، يقترح ويراقب سلسلة وسائل امن تشمل المنطقة جميعها، مثل فرض قيود على التسليح في المنطقة، مراقبة نقل التكنولوجيا - خصوصا في المجال غير التقليدي - نزع السلاح النووي والكيماوي، تقليص حجم القوات، تحديد مناطق منزوعة السلاح، الاعلان المسبق عن القيام بمناورات، مراقبة دولية واجراءات من اجل التأكد من التنفيذ، وايضا التزامات بمكافحة الارهاب (١١). ستكون الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كمعولتان رئيسيتان للاسلحة المبادرتان الرئيسيتان ومن المرجح ايضا ان تكونا المراقبتان لهذه التسويات، لكن الامم المتحدة هي التي ستوفر الاطار العام واجهزة التنفيذ المطلوبة (١٢). وقد سمعت هذه الافكار مرة اخرى ابان ازمة الخليج ويبدو انها عرضت من قبل بيكر وزير الخارجية، وايضا من قبل الدول العربية في المباحثات التي جرت بعد الحرب (١٣). واضافة الى ان ازمة الخليج ابرزت للعيان كافة اخطار عدم الاستقرار الاقليمي على العلاقة بين الدول العظمى ونزع الاسلحة الاستراتيجية، فقد اكدت على الاخطار الكامنة ليس فقط في تكنولوجيا الصواريخ المتقدمة، بل وايضا بحيازة الاسلحة غير التقليدية، على دول العالم الثالث. وهكذا ادت حرب الخليج الى تركيز سوفييتي كبير على فرض رقابة على الاسلحة غير التقليدية او ما يطلق عليه "اسلحة الدمار الجماعي".

من المحتمل ان يكون التأكيد الكبير على الاسلحة غير التقليدية بالمقارنة مع الاسلحة التقليدية في مجال مراقبة التسليح والامن الاقليمي في الشرق الاوسط، مؤشرا على النفوذ المتزايد للجيش والمحافظين على السياسة الشرق اوسطية واذا فرضت رقابة على الاسلحة غير التقليدية، فقط، سيستطيع الاتحاد السوفييتي الاستمرار ببيع اسلحة للدول العربية (وكنموذج على ذلك الصفقة التي يدور الحديث عنها بمبلغ ملياري دولار والتي وقعت في شهر شباط ١٩٩١ مع سوريا) (١٤).

وبناء على ذلك فان العناصر الجديدة في السياسة السوفييتية، والتي تشكل جزءا من الطريق المرحلية، قد تكون التالي:

اولا: التأكيد على مراقبة انتشار الاسلحة غير التقليدية، الذي والتي بصورة غير مباشرة ان لم يكن بصورة مباشرة يتوافق مع موقف الجيش والمحافظين. بما في ذلك المختصين في الشؤون العربية، ويثير ارتياحا لدى الدول العربية، دون ان يثير غضب الولايات المتحدة. وهكذا سيخفت القلق السوفييتي الحقيقي حيال موضوع انتشار الاسلحة النووية، في الوقت الذي سيعرب فيه العرب عن رضاهم لان اسرائيل ستكون الدولة التي ستفرض عليها قيود نوعية كبيرة جدا. وحتى اذا افترسنا بان اسرائيل ستوافق بتحبيب على فرض القيود عى الاسلحة الكيماوية والبيولوجية، فانها ستكون اكثر حذرا حيال القدرات النووية التي تنسب اليها. وفرض قيود على انتشار الاسلحة التقليدية يحمل في طياته "اخطار اضرار" اقل نوعية حيال اسرائيل، لانه توجد لدى اسرائيل قدرات نوعية ذاتية (ان لم تكن بالضرورة نوعية) اكبر بكثير من تلك التي تمتلكها الدول العربية في مجال انتاج الاسلحة غير التقليدية. وعلى كل الاحوال فان التركيز على الاسلحة غير التقليدية يلقى تأييد الولايات المتحدة وربما بسبب بيع اسلحتها نفسها للمنطقة في فترة ما بعد الحرب.

ثانيا، من خلال التعبير عن "توجه مستقل" جراء التفوق العملي والرمزي الذي حققته الولايات المتحدة ابان حرب الخليج، من المرجح ان ترضخ القيادة السوفييتية للضغوط الداخلية التي تطالب بتبني سياسة "سوفييتية" وان لا تبدو كتابعة للولايات المتحدة. ولهذا من المحتمل ان لا يستأنف التعاون السوفييتي - الامريكي وتوطيد العلاقات بخصوص القيود على صيغ متلائمة للشرق الاوسط - التعاون الذي امتازت به فترة شفاردنادزة، ومن المحتمل ايضا ان يحاول السوفييت الوساطة بانفسهم بين الاطراف، وليس فقط بصورة رمزية، كما بالامكان الادراك من جولة بسمارتنخ في المنطقة في شهر ايار. ومع ذلك يجب ان لا يفسر ذلك كموقف يتضمن وضع عقبات. وبالفعل مثلما يسلم الجيش السوفييتي بضرورة المساعدات الغربية من اجل تحسين قدراته التكنولوجية وامكانياته الاخرى، فانه مستمر بتأييد حل الصراع العربي - الاسرائيلي من اجل التوصل الى استقرار اقليمي وفرض قيود على الانتشار العسكري الامريكي. لكن من المؤكد محاولة السوفييت عرض مواقفهم بصورة مغايرة قليلا لتلك التي تعرضها الولايات المتحدة، او على الاقل يعودوا ويؤكدون تأييدهم لحلفائهم العرب. ومثلما كانت عليه الفترة التي سبقت غورباتشوف، يقولون الان من حين لاخر بان موسكو تستطيع المساعدة في مسيرة السلام على حساب علاقات التفاهم والعلاقات الجيدة مع العرب. لكن من اجل القيام بذلك فانهم بحاجة من الناحية العملية لهذه العلاقات.

ولهذا، فانه من اجل ارضاء العرب (واضفاء مصداقية على طلب السوفييت التعاون في المسيرة) والاستجابة للاصوات التي تسمع في الساحة الداخلية بخصوص ضرورة الحفاظ على الكبرياء السوفيتي وعلى استقلالية الاتحاد السوفييتي، يستطيع السوفييت تبني بعض من المواقف التالية التي توجد فيها مؤشرات توجهات مستقلة:

أولا وقبل كل شيء، التركيز وبصورة اكبر (من التركيز الامريكي) على المشكلة الفلسطينية. ومن الممكن ان لا يكون ذلك فقط مسألة تكتيكية، بل وايضا ثمرة قناعات تؤكد بان الحل الدائم للصراع العربي - الاسرائيلي ليس ممكنا بدون العثور على حل للمشكلة الفلسطينية. ويبدو ان التأكيد سيتم ايضا من اجل احقاق "الحقوق" وليس في اطار مطالب واضحة لاقامة دولة فلسطينية، ويبدو ان السوفييت ما زالوا على استعداد للمساعدة لضمان تمثيل فلسطيني - في اطار وفد عربي او اردني. لم تتحسن العلاقات بصورة نوعية مع منظمة التحرير الفلسطينية - ولا يرى لا رؤساء الجيش ولا بريماكوف على سبيل المثال بانفسهم كرافعي راية شؤونها. ولهذا السبب يجب ان لا نفترض بان غورباتشوف سيعطي المشكلة الفلسطينية اولويات كبيرة، تتضمن ما يمكن ان يؤدي الى المس ببدء مسيرة مفاوضات.

ثانيا، تبني موقف مغاير قليلا (لموقف الولايات المتحدة، وخصوصا لموقف اسرائيل) خصوصا بالنسبة لجودة ومدة الاتفاق المرحلي. ومن المرجح ممارسة السوفييت ضغوطا من اجل التوقيع على اتفاقية مرحلية قصيرة قدر الامكان وذلك في الوقت الذي يشاركون فيه بالتوصل اليها. ويسود اعتقاد بانهم سيؤيدون المطالب العربية وعلى الاقل في مجال تقديم ضمانات للعثور على حل دائم وضمان حقوق الفلسطينيين بتقرير المصير، بحيث تشملها صيغة الاتفاق المرحلي. الاهتمام الكبير الذي ابداه الجيش والمحافظون ابان ازمة الخليج، باستخدام الامم المتحدة من اجل لجم الولايات المتحدة قد يجد تعبيره بتأييد تخصيص مهمة للامم المتحدة بكل اتفاق مرحلي يتم التوصل اليه. لكن يجب ان لا نفترض بان غورباتشوف سيبدي تنازلات كهذه للمحافظين، اذا اتضح بان مهمة من هذا النوع ستؤدي الى عقبة امام التوصل للاتفاق المنشود. ولهذا من المحتمل ان ينتصر الخط المرن في سياق تخصيص مهمة للامم المتحدة.

ثالثا، ابداء اهتمام بتوسيع مباحثات السلام (مؤتمر اقليمي). ومن المحتمل ان يؤيد السوفييت مشاركة اوروبية، لكنهم لن يصروا على ذلك ومن المرجح اكثر ممارستهم ضغوطا من اجل عقد عدة جلسات كاملة، وذلك على العكس من التوجهات الاسرائيلية الداعية الى اقل عدد ممكن من هذه الجلسات، والتي تعتقد بانه يجب قصر الاجتماع الكامل على افتتاح احتفالي فقط.

لكن ايضا في هذه المسألة من شبه المؤكد تغلب القيادة السوفييتية على المحافظين، اذا وافق اطراف الصراع على اجراء مباحثات بعد عقد الاجتماع الكامل سواء اكانت عدة اجتماعات كاملة او رمزية محضة. ومن المحتمل ان تبدي موسكو

اهتماما اكبر بممارسة ضغوط لتوسيع مضامين المؤتمر، بحيث تشمل معظم المسائل المتعلقة بالصراع العربي - الاسرائيلي، بما في ذلك، وربما بصورة خاصة، مسألة مراقبة التسلح والامن الاقليمي.

اذا سمح الامريكيون بمشاركة سوفييتية (ويبدو ان هذا الامر اصبح معقولا اذا اعتمدنا على حجم التعاون بين بيكر وبسمارتنخ ابان زيارتهما للمنطقة في شهر ايار)، لن تكون هناك تجاوزات نوعية او تعديلات نوعية، كما تم التأكيد اعلاه، في المواقف الامريكية واضافة لذلك يجب ان لا نفترض بان الامريكيين سيسمحون بان تؤدي هذه "التعديلات" الى منع اجراء مباحثات او التوصل الى الاتفاق. وستتركز مضامينها بصورة رئيسية في اعطاء تعبير لمواقف سوفييتية مستقلة، ومن خلال ذلك ارضاء المحافظين المتواجدين في الكرملين. وعلى الرغم من ان الكثير سيكون مرتبطا بقوة هذه القوى داخل الاتحاد السوفيتي (١٥)، يجب ان لا نفترض ان غورباتشوف سيعود لموقف جميع مضمونه متركز بارضاء العرب. كما يجب ان لا نفترض بان المحافظين سيمارسون ضغوطا كبيرة عليه، كافية من اجل دفعه الى القيام بذلك، لان الصراع العربي - الاسرائيلي لا يشكل بالنسبة للسوفييت مشكلة امنية ذات اولويات عالية.

توجد لدى غورباتشوف حوافز اخرى، وخصوصا منذ ازمة الخليج، لتفضيل التوصل الى حل سريع للصراع، هي: (أ) هذا احد الصراعات الاقليمية القليلة - ان لم تكن الوحيدة - التي لها ابعاد محلية وهي العلاقة الرمزية مع الاطراف التي تؤيد البرسترويكه ومعارضيها في الاتحاد السوفييتي نفسه، (ب) توجد فيه احتمالات للتحول الى بؤرة الفوارق بين التفكير الـ "قديم" والجديد في قضايا دولية، بالضبط كما شكلت ازمة الخليج بؤرة كهذه (ج) هذا صراع تتدخل فيه دولتان عظميان ولهذا فان استمراره قد يمس بالتقدم في العلاقات بينهما وبضمان وجود ترتيبات عالمية جديدة. وهذه هي بالطبع نفس العناصر التي ستضع عقبات، من وجهة النظر السوفييتية امام التعاون الذي يستهدف التوصل الى حل سريع للصراع. لكن هذه العناصر يمكن ان تؤدي الى تخصيص انتباه للصراع اكبر مما كانت عليه الاوضاع في الظروف العادية، وذلك من قبل قيادات تعاني من مشاكل داخلية كثيرة وقاسية جدا.

ملاحظات ومراجع:

١- ٩١/٢/٢٦ (خطاب غورباتشوف في مينسك، التلفزيون السوفييتي المركزي، ٩١/٢/٢٧ FBIS-SOV).

٢- ابان الحرب ايضا راجت شائعات مختلفة حول ارسالية اسلحة سوفييتية للعراق، على الرغم من الاغلاق، وتقديم مساعدات لبغداد بصور اخرى، بما في ذلك نقل طائرات عراقية من ايران، لقاعدة الجو السوفييتية في افغانستان من اجل الاحتفاظ بها هناك حتى انتهاء الحرب. كما قدمت تقارير عن بقاء خبراء عسكريين سوفييت في العراق. ومن المحتمل ان تكون هذه الخطوات ناجمة عن مبادرة اوساط محافظة غير راضية في موسكو، لكن يبدو ان واشنطن وبصورة عامة كانت راضية جراء عدم وجود خروقات فظة بهذا الخصوص من جانب الاتحاد السوفييتي.

٣- ايزفستيا ٩٠/١٢/٢٤.

٤- اندريه كولوسوف الذي يوصف كمعلق سياسي، كتب: "الادعاء بان ارساليات الاسلحة تؤدي الى ارباح كبيرة بالعملات الصعبة كانت، في الوضع الحالي، ليس اكثر من اسطورة. ومن الواضح ان صفقات معينة مربحة، لكن هذه الارباح تقلصت منذ فترة وذلك من خلال قروض من كافة الانواع وارساليات قدمت دون مقابل".

انظر Reappraisal of Ussr The Third Word Policy International Affairs no 4 p 40

ايضا: يوري كورنيلوف ليتوراتورنايه غاوته ٩٠/١/٣١ او الملاحظات الاحصائية التي نشرت في ايزفستيا ٩٠/٣/١ او اندريه كولوسوبسكي (مساعد نائب وزير الخارجية وربما نفس الشخص الذي ذكراعلاه) Risk zonesin.44-45 the world International Affairs no 8 (1989)PP والمقال الذي نشر في فترة ابكر من ذلك "صراع اقليمي وامن عالمي".

i Mirovaia ekonomica i mezhdunarodine otnoshaniiq no.6 (1988)pp- 32-41 .د

كوزيرف في ازفستيا ٩٠/٢/٢١ غياورغر اربتوف جيش الدولة ام دولة الجيش". اوغونييك رقم ٥ (١٨٩٠) بيتر ليتابين "قضية تقييد بيع الاسلحة".

SSHA:Ekonikia Politika Ideologia no 1 (20-12-89)pp> .13-20: او حديثه عن قروض بمبلغ ٩٠ مليار روبل (وتشير عدة تقديرات غربية الى مبلغ اعلى بكثير ١٣٠ مليار دولار) للاتحاد السوفييتي، وقد استشهد يبغنتي كيسلوف بالاميرال غريشين نائب الوزير العلاقات الاقتصادية الخارجية، الذي قال بان الكشف عن القروض التي للاتحاد السوفييتي مقابل ارساليات الاسلحة سيؤدي الى "انفجار مشاعر في اوساط الجمهور" وسيشكل "قنبلة اعلامية" (التلفزيون السوفييتي، "١٢٠ دقيقة" ١٩٩٠/٨/٧).

٥- مقابلة مع بلونوغوف في "نيوتايم" ٦:٣٣(١٩٩٠).

٦- توقع موظفون سوفييت عجز في الدفعات لصفقات تجارية بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار ١٩٩٠ وخصوصا مقابل صفقات نفط ثلاثية بين السوفييت والعراقيين لتزويد دول مثل بلغاريا، رومانيا والهند بالنفط، وايضا خسائر اخرى بسبب عدم سداد ديون عراقية للاتحاد السوفييتي، والتي قيل بصورة غير رسمية بانها تتراوح بين ٥ - ٢٠ مليار دولار (سوفياتسكايا روسيا ٩٠/٨/٢٦، تاس ٩٠/٨/٣٠). صناعات النفط السوفييتية الفاشلة لم تكن لتستطيع الاستغلال وبصورة نوعية الازدياد الفاحش في الاسعار الذي نجم عن الازمة.

٧- غنادي غرسيموف في "سوفياتسكايا كولتوره رقم ٩١/٣/١٠ صفحة ١٢ اندريه كورتونوف راديو موسكو بالانجليزية FBIS -SOV ٩١/٣/١٥ (٩١/٣/١٩).

٨- هناك غراسيموف.

٩- مراسل سي،بي،اس في موسكو جونثان سندرز راديو موسكو بالانجليزية ٩١/٣/١٥. هناك.

١٠- يوجد من يقولون بان الضغوط من جانب المسلمين في الاتحاد السوفييتي ستؤدي الى اتباع موقف اكثر تأييدا للعرب من جانب القيادة السوفييتية. ويسعى المحافظون على وجه التحديد الى ارضاء المسلمين بهدف الحفاظ على وحدة الاتحاد السوفييتي. لكنني على قناعة بان المسلمين السوفييت المنتفضين ليسوا معنيين بالسياسة الخارجية، كما لم يعرضوا اي طلبات تتجاوز تلك المتعلقة بحقوقهم بالحكم الذاتي. معلقون سوفييت، خصوصا المحافظون منهم يتطلعون الى ذكر العنصر الاسلامي كوزن مضاد لاقامة علاقات ايجابية مع اسرائيل ولتبني توجهات اكثر مرونة حيال الصراع، لكن لا يبدو هذا حتى الان عنصرا نوعيا في السياسة السوفييتية المتعلقة بالشرق الاوسط.

١١- تاس ٨٩/٢/٢٣ ايزفستيا ٩٠/٤/٢٩ (خطاب شفاردنادزة).

١٢- الاقتراح لم يكن كاملا، كانت هناك فوارق في التأكيدات بالتوجهات للولايات المتحدة ولاسرائيل بخصوص الدور الذي يجب ان تلعبه الامم المتحدة مقابل الدور الذي ستلعبه الدول العظمى، لكن المداولات لم تتجاوز المراحل الاولى.

١٣- طالب شفاردنادزة من الامم المتحدة دراسة فرض قيود على بيع وتزويد الاسلحة التقليدية للسوق الدولي، وذلك اعتمادا على مبدأ الانتقال من "التسليح الزائد" الى "القدرة الدفاعية المعقولة" وفرض قيود على انتشار "الوسائل المدمرة والتي تزعزع الاستقرار الى درجة اندلاع حرب". (برافدا ٩٠/٨/٢٦). ويتم فرض القيود على ايدي نظام دولي يسيطر على عدم انتشار انواع معينة من الصواريخ وتكنولوجيا الصواريخ وعلى انواع اسلحة معينة، اضافة الى اتباع اسلوب تسجيل دولي لبيع الاسلحة وتزويد الاسلحة. وكان من المفروض ان تدرس ترتيبات اقليمية وايضا رقابة ذاتية ومراقبة متبادلة من قبل اطراف الصراع الاقليمي.

١٤- تشمل الصفقة كما نشرت وسائل الاعلام طائرات متقدمة (كما يبدو طائرات ميغ - ٢٩ وسيخوي - ٢٤ اضافة لتلك التي تم تزويد سوريا بها). شبكات صواريخ، لكن السوفييت رفضوا تزويد سوريا بصواريخ SS-23. وذلك لان انتاج هذه الصواريخ يتناقض مع اتفاق INF. واضافة لذلك لا يوجد وضوح حول اذا ما كان مبلغ ملياري دولار سيعبر عن قيمة الاتفاق الجديد لتزويد سوريا باسلحة سيغطي كافة فترة السنوات ١٩٩١ - ١٩٩٥، لان هذا سيشكل انخفاضا عوضا عن

ارتفاع بالمقارنة مع اتفاقيات ١٩٨٥ - ١٩٩٠ (حين كان معدل قيمتها يساوي مليار دولار سنويا) ام ان الاتفاق يتناول عاما واحدا فقط. الامر الذي سيعني العودة لمستوى التمويل الذي كان قبل عام ١٩٨٥ (حيث وصل الى حجم مليارى دولار سنويا). ولان السعوديين اعطوا دمشق مبلغ ٢،٥ مليار دولار فقط. ويشتري السوريون كما ذكرت وسائل الاعلام صواريخ من كوريا الشمالية والصين ودبابات من تشيكوسلوفاكيا. فان الصفقة التي من المفروض ان توقع قد تكون اقل بكثير مما جرى الحديث حوله. ويبدو ان هذا سيكون مسار الامور، خصوصا في ضوء الحقيقة القائلة بان السوفييت يرفضون تقديم اعتمادات ويطالبون على الاقل بدفعات جزئية على حساب ١٦ مليار دولار على الاقل مدينة بها سوريا لهم مقابل شراء اسلحة بالماضي، ولا يطالب السوفييت فقط بالدفع نقدا.

١٥- يشير اتفاق نيسان بين يلتسين وغورباتشوف. الى ان الاخير عزز مكانته بدرجة كافية لصد ضغوط المحافظين.

المجموعة العربية في الحرب وتاثيراتها على اسرائيل

بقلم: افرايم كيم

تشكل الازمة في الخليج مفترق طرق هام في شبكة العلاقات بين الدول العربية، لقد ادى الغزو العراقي للكويت الى التشويش على شبكة التوازن في العالم العربي، والى تجاوز اعراف اللعبة القائمة فيه وادت الى تهديدات خطيرة للمصالح الحيوية لدول مختلفة في الشرق الاوسط وخارجه، وبهذا ادت الى سلسلة من التطورات السريعة، وجزء منها لم يكن متوقعا، ولتدخل دول كثيرة في الازمة واستخدام غير عادي للقوة العسكرية بحجم واسع.

وارتبطت بهذا المفترق ابعاد لم يسبق لها مثيل في النشاطات داخل المجموعة العربية. وللمرة الاولى في المرحلة الحديثة احتلت دولة عربية اخرى ذات سيادة. وكشف رفض العراق الانسحاب من الكويت عن فشل خطير للمؤسسات العربية - مثل مؤتمر القمة، اجهزة جامعة الدول العربية، او مجلس التعاون الخليجي - وذلك عندما فشلوا في حل الازمة من خلال الاطار العربي، كما كانت تفضل جميع الدول العربية. وعندما وصلت هذه المجهودات لطريق مغلق، ومع ازدياد الاعتراف في العالم العربي بان المشكلة ليست احتلال الكويت، بل وايضا القوة العسكرية التهديدية التي بناها العراق، اجبرت دول عربية مركزية - على العكس من توجهاتها حتى اندلاع الازمة - على استدعاء قوة امريكية كبيرة من اجل القيام بعملية عسكرية واسعة ضد العراق، ومن اجل استقرار المنطقة بعد العملية، وقد برزت في هذا الموضوع العربية السعودية التي ادت ماهنة التهديد العراقي الى تحريكها - وذلك بصورة متناقضة تماما مع مواقفها المبدئية - ودفعها الى وضع قوة امريكية - غربية على اراضيها من اجل الدفاع عن امنها واستخدام القوة لتدمير التهديد الذي يواجهها.

وكانت لهذا المنعطف ايضا جوانب مأساوية من جانب الدول العربية، حاجتها لقوات عسكرية من دول غربية لحل الازمة، تظاهرة القوة العسكرية الهائلة للولايات المتحدة، حرب عرب ضد عرب، سرعة انهيار الالية العسكرية العربية الكبرى، المشاهد المذلة والمهينة التي رافقت الخنوع العراقي، مشاهدة القتلى، الجرحى والدمار، تلاشي الامال التي كانت تعلقها اطراف عربية على صدام حسين - كل هذا ادى الى حدوث هزة سيسمع صداها لفترة زمنية طويلة ايضا في اوساط الدول التي تنتمي للجانب المنتصر.

يحاول هذا الفصل دراسة نتائج الازمة في الخليج على العالم العربي واللاعبين الرئيسيين فيه، وبعد ذلك دراسة مغزى هذه التطورات في المجموعة العربية بالنسبة لاسرائيل. ويجب القول في مستهل الحديث بانه يوجد قدر كبير من المشاكل في تحليل هذه النتائج على الاقل من ناحيتين. من الناحية الاولى جزء من التحولات المستقبلية للتطورات في العالم العربي في اعقاب ازمة كبيرة كهذه قد تتضح فقط في فترة متأخرة جدا وبصورة تدريجية ومن الصعب تمييزها الان بعد هذه الفترة القصيرة من الازمة. ومن جهة ثانية التحولات التي بدأت في فترة قريبة من انتهاء الازمة قد تتغير، وربما تتوقف، وقد يتضح في فترة لاحقة بان هذه لا تعدو عن كونها توجهات عابرة وتوجهات غير متبلورة، نجمت عن ضائقة الازمة والصعقة التي تسببت بها.

مميزات المجموعة العربية في اعقاب الازمة

لقد قطعت الازمة في الخليج مسيرة تصالح امتاز بها العالم العربي منذ العام ١٩٨٩، بدأت في اطارها عملية تقارب بين دول عربية متعادية، وبذلت فيها مجهودات من اجل بناء اتحادات عربية للتعاون الاقتصادي والسياسي. والاهم من ذلك ان

الازمة ساهمت بايجاد اسس لاعادة توزيع القوى في العالم العربي. وتبرز هذه التغيرات الكبيرة التي بدأت بتوجهات المجموعة العربية، في السنوات الاخيرة، اعتبر جزء كبير من الدول العربية في العام ١٩٨٩ وفي نهاية الحرب العراقية - الايرانية من المعسكر البراغماتي والذي برزت فيه الاردن، العربية السعودية، المغرب وحتى العراق واعتبرت مرتبطة بهذا المعسكر. وكانت مصر تمر بمسيرة الخروج من عزلتها عن العالم العربي والتي دامت حوالي عشر سنوات، واخذت بالتحرك بالتدريج نحو هذا المعسكر البراغماتي. ووقفت في الطرف المقابل مجموعة راديكالية صغيرة شملت سوريا، ليبيا وبدرجة اقل اليمن الجنوبي والجزائر.

وقد ازدادت الان وبعد الحرب في الخليج قوة المعسكر البراغماتي، الذي تقف على رأسه العربية السعودية ومصر. وبقيت دول قليلة في المعسكر الراديكالي سوريا لم تستبدل مواقفها الاساسية، لكنها مرتبطة بالمعسكر البراغماتي. وتحول العراق في العام ١٩٩٠ الى الاكثر تطرفا في الدول العربية الراديكالية، وكان من المتوقع وفي اعقاب هزيمته اعادة تقييم مواقفه - ولا يوجد حتى الان وضوح بأي اتجاه - وربما يقوم بذلك تحت سيطرة نظام جديد في المستقبل. اما الاردن فقد عزل نفسه عن العالم العربي، جراء تأييده للعراق، لكنه بدأ ومنذ الان بالعمل من اجل تحسين شبكة علاقاته مع الدول التي تحالفت ضد العراق.

وتوجد عدة مميزات اخرى في اعادة تقييم الاوضاع العربية، ويبرز في مركز المجموعة العربية المحور الثلاثي، مصر - العربية السعودية - سوريا. لقد شكل هذا المحور على اساس موضوعي يرتكز على التحالف ضد التهديد العراقي، لكن مصالحه المشتركة اوسع من ذلك بكثير، انه يرسخ مواقفه على رأس الدول الثمانية الاعضاء في الائتلاف المناهض للعراق، ويحدد لنفسه مبادىء وانماط عمل مستقبلية، وتعود مصر من خلال ذلك وبدرجة كبيرة الى قيادة العالم العربي وذلك في الوقت الذي تتعاون معها فيه العربية السعودية ومصر، ولم يعد العراق قادرا على منافستها سواء اليوم او في السنوات القريبة.

تقلص التهديد العراقي وبدرجة كبيرة لدول النفط في الخليج، لكن ظلت ايران - وبدرجة معينة العراق - بؤرة محتملة لعدم الاستقرار في المنطقة، لكن الشبكة الامنية الاقليمية المتوقع بناؤها في الخليج والتي ترتكز على الدعم الامريكي من المفروض ان تقلص جزءا من هذه الاخطار. وايضا الهزيمة العراقية القاسية التي الحقها به الائتلاف الذي لم يسبق له مثيل والذي اقيم بسرعة، من المتوقع ان تستخدم كعنصر رادع لاي عدوانيين يحاولون الاخلال بالتوازن الاقليمي دون سبب يبدو منطقيا. وبنظرة اكثر شمولا، لقد ساهمت الازمة في الخليج بمضاعفة تدخل الدول الاسلامية غير العربية المحيطة بالمجموعة العربية، لقد ضاعفت ايران وتركيا نشاطاتهما في منطقة الخليج، وضد العراق نفسها وخرجتا من الازمة اكثر قوة.

وبالامكان وعلى اساس هذه المميزات الاشارة الى عدة تحولات، قد تحدد مسار توجهات المجموعة العربية في المستقبل القريب: اولا، تتركز معظم اعمال المجموعة في منطقة الخليج والتطورات المرتبطة بالوضع الداخلي والعسكري في العراق، وتبذل مجهودات من اجل اقامة مجموعة فرعية في منطقة الخليج اكثر رسوخا من السابق، حول النواة التي تشكلها الدول العربية التي شاركت بالائتلاف المناهض للعراق بحيث تكون ذات قدرات عسكرية، سياسية واقتصادية، ومعظم هذه الدول معنية بضم العراق - تحت نظام معتدل - وايران في اطارها الحالي، وذلك من اجل منعها من التآمر على هذه الدول، لكن لا يوجد وضوح الى اي مدى ستوافق هاتان الدولتان على التعاون مع دول الخليج في توجهاتها من اجل ايجاد استقرار في المنطقة.

ثانيا، توجد احتمالات احتكاك بين دول المحور الثلاثي، مصر - العربية السعودية - سوريا: نزاع اساسي بين مصر وسوريا، الطابع الراديكالي للنظام السوري، الشكوك السعودية حيال مصر وسوريا والمخاوف من حشد قواتهما في اراضيها، الامال الكبيرة في مصر وسوريا بالحصول على مساعدات سعودية سخية لسنوات طويلة، والتي لا يوجد وضوح حول ما اذا كانت ستتنزل بكاملها، عدم الاتفاق بين الدول الثلاث حول الترتيبات الامنية في الخليج وبخصوص احراز تقدم على

المسيرة السياسية للنزاع العربي - الاسرائيلي. لقد ادت هذه الخلافات الى تأجيل تطبيق الترتيبات الامنية في الخليج، وذلك على الرغم من الاتفاق المبدئي الذي تم التوصل اليه بعد الحرب، والذي ينص على توفير مصر وسوريا معظم القوة الدفاعية العربية عن الخليج. وعلى الرغم من ان هذه الاحتكاكات قد تطفو على السطح من حين لاخر ايضا في المستقبل، الا انه وكما يبدو توجد احتمالات معقولة لاستمرار وجود هذا المحور الثلاثي في المستقبل القريب لانه توجد مصلحة لعناصره بذلك. مصر وسوريا بحاجة الى المساعدات المالية السعودية، تسعى سوريا الى الحصول على مساعدة مصر والعربية السعودية، من اجل تعزيز مكانتها في العالم العربي وتحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة، وتبدي مصر اهمية بمشاركة سوريا في المسيرة السياسية، والعربية السعودية، بحاجة الى مساعدة الدولتين من اجل استقرار الاوضاع في منطقة الخليج، ربما من خلال وجود قوة عربية صغيرة فيها.

ثالثا، تعرض على بساط البحث في العلاقات بين الدول العربية قضية اعادة تقسيم الثروة العربية بين الدول الغنية والفقيرة. وبعد سنوات من انخفاض المساعدات التي تقدمها دول النفط للدول العربية المحتاجة جراء انحطاط سوق النفط والنتائج التي ترتبت عليه، طرأت الان تغيرات على هذه المسألة. ان حاجة العربية السعودية، الكويت ودول الخليج الاخرى للمساعدات العسكرية من مصر وسوريا، ابان ازمة الخليج وربما ايضا في نطاق التسويات المستقبلية، دفعت هذه الدول الى تقديم مساعدات مالية هائلة لمصر وسوريا. لقد التزمت دول الخليج باعطاء مصر ثلاثة مليارات من الدولارات وسوريا مليارين وشطب ديون مصر والبالغة حوالي سبعة مليارات من الدولارات. وقد ادت هذه المساعدات الى تحسين الاوضاع الاقتصادية في مصر وسوريا على الاقل على المدى القصير وتتطلع الدولتان الى استمرار الحصول على هذه المساعدات في المستقبل وعلى المدى البعيد. وقد وافقت العربية السعودية، على اقامة صندوق بـ ١٠ مليار دولار لتقديم مساعدات متعددة السنوات لمصر وسوريا. ومع ذلك من المشكوك فيه ان تعبر هذه المساعدات عن انقلاب واسع في توجهات دول الخليج حيال اعادة توزيع الثروة العربية، هذا وخصوصا ان دولا عربية اخرى محتاجة - وعلى راسها الاردن - لا تتمتع بذلك حتى الان.

ستتأثر توجهات المجموعة العربية ايضا بحالة استقرار الانظمة العربية، وتعرض علامات السؤال الرئيسية بهذا الخصوص حول مستقبل النظام العراقي، الذي تعرض لسلسلة من المحن الداخلية القاسية والتأثيرات الخارجية في اعقاب الحرب: هل سيستمر نظام صدام حسين بالوجود ام سيسقط قريبا؟ هل سيوجه النظام العراقي معظم مجهوداته ومصادره لاعمار الداخل، معترفا باخطاء الماضي ويتبع توجها معتدلا خارجيا، ام يتبنى توجهات قومية تتطلع الى اعادة بناء القوة العسكرية العراقية باذلا مجهودات لتجاوز القيود العسكرية التي فرضت عليه؟ ماذا ستكون سياسته حيال سوريا، ايران وحيال الدول العظمى وحيال اسرائيل؟، لقد حاول العراق وحتى شهر تموز ١٩٩١ المناورة في مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية التي تمارس عليه، بما في ذلك التطلع الى الحفاظ واعادة بناء ما يمكن من قدراته العسكرية. ومن السابق لاوانه تحديد درجة نجاحه بذلك، واذا كان هذا هوالتوجه المركزي الذي سيتبناه في المستقبل ايضا.

اما الاحتمال المعقول اكثر - هذا على الرغم من انه ما زال بعيدا عن كونه مؤكدا وفوريا - فهو عدم استمرار نظام صدام حسين لفترة طويلة، وان يطالب بدفع ثمن اخطائه وان يخلي الطريق امام نظام يحصل على تعاون عربي، دولي في مجال اعادة اعمار العراق. وسواء استبدل النظام ام لم يستبدل، ستجبر القيادة العراقية على مواجهة، وخلال فترة طويلة في المستقبل، مشاكل متعلقة باستقراره وشرعيته الداخلية، سيواجه اندفاعات هيجان في اوساط الاكراد وربما ايضا في اوساط الشيعة، ومشاكل الاعمار الاقتصادية وذلك في ظل ديون كبيرة وانعدام مصادر المساعدات، ويواجه الان عقوبات وطلبات تعويض، ومؤامرات خارجية من جانب ايران وسوريا وربما ايضا من جانب تركيا التي ستحاول التأثير على طابع النظام في بغداد. وعلى كل الاحوال بالامكان القول بان ضعف العراق سيفرض قيودا كبيرة على قدرته على المبادرة والقيادة في مجال السياسة الخارجية وستضاءل بدرجة نوعية التهديدات العراقية الخارجية - حيال الخليج، ايران واسرائيل - وتقلص من القدرة على ممارسة ضغوط عراقية على الاردن.

اضافة لاثارها على الوضع في العراق ساهمت الازمة في الخليج بتوسيع احتمالات عدم الاستقرار في دول اخرى مثل الاردن والجزائر، كما سمعت اصوات تدعو الى ايستبدال قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. لم تصل الامور في اي من هذه الحالات الى تهديد فوري لوجود القيادة، ومن الصعب التأكيد بانها ستصل الى هذا الحد في المستقبل. لكن بالامكان الاشارة بهذا الصدد لتحويلين محتملين: الاول، تتوفر احتمالات لتعزيز جديد للاوساط الاسلامية في عدة دول عربية، وقد تساهم بذلك الردود الشعبية في العالم العربي على اهانة العراق وتدخل الجيش الامريكي، والثاني، احتمال ازدياد عدم الاستقرار الداخلي في عدة دول في الخليج، جراء تأثير عدم الاستقرار الذي وجد في العراق و/او ائتمر الايراني. وربما جراء الهزة التي مرت بها منطقة الخليج تطالب قوى جديدة بحصتها بالسلطة، او باعادة توزيع الثروة داخليا فيما بينها، وفي هذا الاطار فان الطلب الذي عرض لتحقيق ديمقراطية اكثر في الكويت، لدى اعمارها قد يؤثر ايضا على جاراتها.

المجموعة العربية: اللاعبون الرئيسيون

ستتبلور مميزات المجموعة العربية وبدرجة كبيرة ايضا جراء التغيرات التي ستطرأ على مكانة وسياسات العناصر الرئيسية العاملة فيها وفي محيطها في اعقاب الحرب في الخليج.

مصر: خرجت من الازمة ومن الحرب بانجازات كبيرة. وقامت بدور مركزي في المجموعة العربية بالحفاظ على وحدة العناصر العربية في الائتلاف المناهض للعراق، وتوجد اليوم في موقع قيادي بارز في العالم العربي، اذ تتوطد علاقاتها مع العربية السعودية، وسوريا، وذلك في الوقت الذي وجهت فيه ضربة لتطلعات العراق وصراعه من اجل قيادة العالم العربي، وحسنت مصر في المجال الدولي من مكانتها كثروة استراتيجية للولايات المتحدة والغرب حين الازمة، وكعنوان رئيسي في العالم العربي يجب التوجه اليه من اجل معالجة القضايا المركزية التي تعرض على بساط البحث، وحصلت مصر في المجال الاقتصادي على مقابل نوعي حسن من وضعها الاقتصادي في مستواه العام حتى وان لم تتمكن من حل مشاكلها الاساسية: واضافة للمساعدات العربية التي سبق ذكرها، شطبت ديونها العسكرية للولايات المتحدة والبالغة حوالي ٧ مليار دولار. ويتبلور مخطط من اجل شطب ديونها لدول اوروبية، ولاعادة توزيع جزء منها، وعلى المستوى الشخصي تمكن الرئيس مبارك من اقامة شبكة وطيدة من العلاقات والحوار مع معظم الزعماء في المجالين العربي والدولي. وفي هذه المكانة القوية ستكون مصر نشيطة بوجه خاص بتوجيه المسيرة السياسية في الصراع العربي - الاسرائيلي وربما ايضا في بلورة الشبكة الامنية في الخليج.

السعودية: خرجت قوية من الازمة. تقلصت التهديدات العراقية لها، وتوجد الان في موقع نفوذ في مركز المحور القيادي في العالم العربي، اثبتت نفسها بمراهنتها على التدخل العسكري الامريكي، وستحسن من وضعها العسكري الترتيبات التي سيتم بلورتها في الخليج - مقابل التهديدات من جانب ايران والعراق المحتملة في المستقبل - وقد ازدادت ثقة القيادة السعودية بنفسها. وفي اطار الترتيبات الامنية التي تتبلور في الخليج، تعطي السعودية في هذه المرحلة اهمية كبيرة لقوتها العسكرية ولتحسين قدرة التدخل الامريكي السريع في المنطقة، وتقليص حجم تواجد القوات العربية في المنطقة. وعلى هذا الاساس تتوفر احتمالات لتحول السعودية الى عنصر اكثر فعالية من السابق في المجموعة العربية مرتكزة بذلك على قوتها الاقتصادية وعلى علاقاتها الجيدة مع جميع الدول العربية تقريبا. وفي هذا الاطار قد تبدي تدخلا اكبر في المسيرة السياسية للصراع العربي - الاسرائيلي، وقد يحدث ذلك ولدرجة كبيرة جراء ضغوط واهتمام امريكيين، ومن غير المتوقع ان تلعب دورا مركزيا في هذه المسيرة.

سوريا: يجب دراسة وضع سوريا في اعقاب الازمة على خلفية الانحطاط الاقتصادي الذي كانت تتعرض اليه في النصف الثاني من سنوات الثمانينات. وكانت سوريا في السنوات الاخيرة تتعرض لعزلة جزئية في العالم العربي، وقد رفض معظم النظام العربي تقاربها مع ايران ابان الحرب العراقية - الايرانية، كما رفض ايضا توجهاتها حيال قضايا الصراع العربي - الاسرائيلي. وازدادت حدة ازمتها الاقتصادية والحقت اضرارا بمخططاتها العسكرية، ولحقت اضرار بمكانتها

الدولية في الغرب في اعقاب مشاركتها بالارهاب. وانهارت ركيزتها الاستراتيجية، الاتحاد السوفييتي، في اعقاب التطورات التي حدثت في المعسكر السوفييتي، لم تتمكن من تحقيق مصالحها في لبنان.

بدأت سوريا وفي ضوء ازمتها هذه، في العام ١٩٨٩ بخطوات دبلوماسية، في المجال العربي، بهدف تحسين مكانتها فيه. وكانت اهم هذه الخطوات التقارب مع مصر، وقد شكلت الازمة في الخليج محركا مربحا لتحسين مكانتها العامة. وبالفعل استغلت وبصورة جيدة مشاركتها في الائتلاف المناهض للعراق من اجل تحقيق ارباح كبيرة: توجد سوريا ايضا اليوم في مركز المحور القيادي في العالم العربي، اذ تتوطد باضطراد علاقاتها مع مصر والسعودية، ضربت منافستها العربية الرئيسية بقسوة، وتجري حوارا اكثر ثباتا مع الادارة الامريكية، وتحصل على مساعدات عربية كبيرة تحسن وبصورة حقيقية اوضاعها الاقتصادية، وتحصل على مساعدات اقتصادية، من دول اوروبا الغربية، التي رفعت عنها العقوبات التي فرضت عليها في اعقاب تاييدها للارهاب، وتمكنت من استغلال الازمة من اجل تعزيز تمسكها بلبنان نوعيا، وتحسين وضعها الداخلي في لبنان وتوفير مكانة رسمية لسيطرتها عليه.

واضافة لذلك ترتبط بالانجازات التي حققتها سوريا عدة مشاكل بالنسبة لها. ان هزيمة العراق تعني ايضا توجيه ضربة قوية للجبهة الشرقية التي تواجه اسرائيل، وتعتبر سوريا دولة راديكالية ومن ناحية طابع نظامها وسياستها فانها تواجه صعوبة بالاندماج في مجموعة دول ذات طابع براغماتي مؤيد للغرب لا سيما وان مكانتها داخل هذا المعسكر ستكون ادنى من مكانة مصر والعربية السعودية، كما تواجه ايضا قيودا بالنسبة لطابع علاقاتها مع الولايات المتحدة وخصوصا الحصول على مساعدات اقتصادية، طالما اعتبرت كدولة مرتبطة بالارهاب.

وفي ضوء ذلك بالامكان الافتراض بان سوريا ستحاول ترجمة هذا التحسن الذي طرأ على مكانتها للحصول على انجازات سياسية اخرى. وهكذا من المتوقع ان تتطلع الى تعزيز علاقاتها مع مصر والسعودية في اطار المحور الثلاثي، وذلك من خلال نية التأثير على الترتيبات الامنية التي ستحدث في الخليج. وهذه العلاقات يمكن ان تساعد سوريا في ترسيخ المساعدات الاقتصادية التي تتوقع الحصول عليها من دول الخليج وذلك مقابل مجهوداتها، وذلك على اساس المدى البعيد. وبصورة موازية من المرجح ان تحاول سوريا التأثير - في مجال قدراتها المحدودة - على وجود نظام مريح لها في العراق. وستساعد سوريا مكانتها في الائتلاف المناهض للعراق في تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة والدول الاوروبية، وذلك من خلال اعطاء انطباع عن اعتدالها في مجال المسيرة السياسية للصراع العربي - الاسرائيلي، وربما ايضا في مجال اطلاق سراح الرهائن وسياستها حيال الارهاب. وستحاول استغلال هذا التحسن من اجل ممارسة ضغوط لاحراز تقدم على المسيرة السياسية وذلك وفقا لشروطها وخصوصا في مسألة مضبة الجولان. وعلى الرغم من هذه التوجهات المتوقعة لا يوجد اي سبب للافتراض بان سوريا ستهمل في هذه المرحلة شبكة علاقاتها مع الدول الراديكالية، مثل ايران وليبيا، وعلى كل الاحوال من الواضح انها ستستمر في تطوير قدراتها العسكرية، هذا اضافة الى ان المساعدات الاقتصادية السخية التي حصلت عليها تمكنها من توسيع نطاق شراء الاسلحة، خصوصا من الاتحاد السوفييتي، ومن هذه الناحية فان القدرات العسكرية السورية، والافتراض بان سوق السلاح الامريكي لن يفتح امام سوريا، سيدفعها للاستمرار بالارتباط العسكري بالاتحاد السوفييتي.

الاردن: لحقت اضرار بالمكانة الاستراتيجية للاردن في اعقاب ازمة الخليج. لقد ادت هزيمة العراق - التي تعتبر الركيزة العربية الرئيسية في الاردن في العالم العربي وايضا حيال ما يعتبر بنظره كتهديد اسرائيلي - الى بقاء النظام الاردني في وضع ضعيف استراتيجيا، وذلك في الوقت الذي يتعرض فيه لضغوط داخلية وخارجية. لقد ازدادت عزلة الاردن - الذي كان الى ما قبل سنوات معدودات الدولة ذات العلاقات العربية الافضل - في العالم العربي، في اعقاب تأييده للعراق. ولحقت اضرار بمكانته في الولايات المتحدة واوروبا، وازدادت خطورة الاوضاع الاقتصادية في الاردن - الذي كان حتى ازمة الخليج يواجه صعوبات خطيرة - في اعقاب وقوفه لجانب العراق: لقد فقد الاردن المساعدات المالية، التي كان يحصل عليها من السعودية ودول الخليج بمبلغ حوالي نصف مليار دولار سنويا، والذي كان اقتصاده يرتبط بها.

والاقتصاد السعودية لحملات عنيفة اقتصادية ضد الاردن. وطرأ انخفاض كبير على حجم الداخيل للاردن من العمال الاردنيين الذين يعملون في دول الخليج، وضاعف العمال الاردنيين الذين عادوا من الخليج من حجم البطالة في الاردن الذي كانت كبيرة أصلاً، قبل الازمة. ويجب التأكيد من جهة ثانية، بان هذا النظام نجح بعهم التورط في المواجهة بين العراق والتحالف، بصورة عامة امتنع عن التواجد في وضع - كان يتخوف منه - يتمثل بدخول قوات عراقية، واسرائيلية الى الاراضي.

ولا يمكن اقل اهمية من ذلك الضعف الداخلي للنظام، ومصاعفة القيود المفروضة على حرية عمله، والتي تتضاعفت في اعقاب ازمة الخليج. وتكمن بؤرة هذه المشكلة في صعود قوة الاوساط الاسلامية في الاردن، بقيادة الاخوان المسلمين، الذين يعتمدون على تأييد شعبي، وسيطرة على الشارع وتنظيم جيد ساعدهم في السيطرة على مواقع سياسية. مارست الاوساط الاسلامية في اعقاب الغزو العراقي للكويت ضغوطا على النظام وبدعم جماهيري من اجل تبني توجهات متطرفة مؤيدة للعراق والدعوة لنضال ضد اسرائيل والولايات المتحدة. ولم يجد النظام الاردني في ظل الاجواء الوطنية - الدينية الداخلية اي خيار الا تأييد العراق، على الرغم من ادراكه مدى الاضرار القاسية المرتبطة بذلك والتي ستلحق بمكانته. واثر ذلك، تضاعفت التعبيرات الوطنية الفلسطينية في الاردن وذلك منذ بدء الانتفاضة، لا سيما وانهم يحتلون مكانة هامة في الاوساط الاسلامية. ولا تؤدي هذه الاعتبارات وكما يبدو الى اخطار فورية على استقرار النظام ووجوده، اكثيا تتضمن ما يؤدي الى تضييق الخناق وبدرجة كبيرة على حرية عمله في المجالين الداخلي والخارجي.

اذا ادت هزيمة العراق الى تخفيف الاعباء والضغوط عن النظام الهاشمي وحررت يداه من اجل العمل على اصلاح الاخطاء التي ارتكبت بمكانته. وبالفعل بدأ الاردن بالعمل على فتح صفحة جديدة في علاقاته، خصوصا مع الولايات المتحدة والدول الاوروبية ومع مصر وسوريا، مرتكزا بذلك على الفرضية القائلة بان جميع هذه الدول تفضل استمرار واستقرار النظام الهاشمي على كل بديل اخر. ولا ريب في ان هذه الفرضية تساعد النظام بتحسين على الاقل جزءا من الاضرار التي الحقت بمكانته. لكنه مع ذلك ما زال يواجه مشاكل قاسية متعلقة بمستقبله. سيرى النظام وكما يبدو بان الضرورة تتطلب بذل جهود من اجل اشفاء مرونة على التوجهات في بلاده، ومن المرجح ان تساعده هزيمة العراق في هذا المجال. وقد عمل في الاشهر الاولى التي اعقبت انتهاء الحرب على لجم تأثير الاوساط الاسلامية وسيطرتها على دوائر قوى سياسية. الا انه سيجد صعوبة بالغة لهدمها وذلك بسبب عمق التأييد الذي يحصلون عليه واستمرار تعزيز مكانتهم، ولا ريب في ان هذا سيؤدي الى انتقال الاعباء على حرية مناورته. وسيجد النظام صعوبة في المجال العربي، بتحسين علاقاته مع السعودية والكويت، اللتان تكنان له كراهية بسبب تأييده للعراق، وستنتقل عليه هذه الكراهية اعباء الحصول على مساعدات اقتصادية من دول الخليج، التي تعتبر ضرورية من اجل التغلب على الازمة الاقتصادية في الاردن. وسيؤدي استمرار الازمة الاقتصادية الى المساهمة بتعزيز جديد لقوة العناصر الاسلامية.

منظمة التحرير الفلسطينية والجمهور الفلسطيني، برمته خرجوا متضررين من الازمة.

وعلى الصعيد تأييدها للعراق طرأت تشوشات على علاقات منظمة التحرير الفلسطينية، بالدول العربية التي شاركت بالائتلاف وبالاساس السعودية والكويت، التي حصلت عليها من دول الخليج. وجراء ذلك لحقت اضرار بقيمتها على تعددية الاتجاهات واعتمادها في المناطق بالاموال. واضافة لذلك تدهت زعزعة وكما يبدو مؤقتة في معظم الدول العربية والغربية، التي كانت تعترف بالمنظمة كممثل للفلسطينيين في السيرة السياسية، وجزء من هذه الدول عملت وفي نطاق تحالفها مع الاغلبية على اعمال مكانة المنظمة كممثل للفلسطينيين، وعرضت في عدة دول ضرورة اقامة ممثلية فلسطينية غير تابعة للمنظمة، او اقامة قيادة في المنظمة تكون عرفات، وبيات تبدو في ظل هذه الظروف توجيات انقلابية ومحاسبة للنظام، من خلال ذلك ضرورة التخلي عن التوجيات العسكرية، وتحسين العلاقات مع مصر والسعوديه وتحسين الاتصالات مع اسرائيل. وبالمقابل تطلبت الضرورة من المنظمة التأكد من ولاء سكان المناطق لقيادتها، ومنع اقامة قيادة

بديلة عن القيادة الحالية. وكما هو الوضع بالنسبة للاردن فان منظمة التحرير الفلسطينية ستنطلق من الفرضية القائلة بانه لا توجد اليوم مؤسسة بديلة، تستطيع منافستها على تمثيل الفلسطينيين، وان الحاجة الى ممثلية فلسطينية في المسيرة السياسية ستؤدي الى اعادتها الى المنشأة. وبالفعل منذ الفترة التي مرت على انتهاء الحرب في الخليج وحتى صيف العام ١٩٩١، طرأ تحسن تدريجي وجزئي على علاقات منظمة التحرير مع دول عربية واوروبية. والبعد الاكثر اهمية في هذا الموضوع هو بدء تحسين علاقات المنظمة بسوريا، ويرتبط هذا باتساع السيطرة السورية على لبنان، وجراء اهتمام السوريين بالحيلولة دون تطورات غير مرغوب بها من ناحيتهم على المسيرة السياسية.

وفي نهاية المطاف، لقد ذكر انفا تدخل دول المحيط الرئيسية - ايران وتركيا - في المجموعة العربية. ايران حققت ارباحا كبيرة من الازمة والنتائج التي ترتبت عليها من المجالات الاقليمية، العربية والدولية. لقد ادت الهزيمة التي منى بها العراق الى اضعاف التهديدات التي تتعرض لها ايران. وادت الى وجود فراغ مكن ايران من محاولة التطلع الى مكانة قيادية في منطقة الخليج. وساعدت الازمة ايران بتوسيع علاقاتها مع العالم العربي بما في ذلك مع السعودية، والى تحسين مكانتها في الغرب، ومع ذلك فان التواجد والنشاطات العسكرية الامريكية في المنطقة لا تعتبر مريحة لايران ويضع عقبات امام احراز تقدم على اهدافها في منطقة الخليج.

وبالنسبة للمستقبل من المرجح ان تحاول ايران ضمان اندماجها ومركزيتها بكل ترتيبات تحدث في منطقة الخليج، كما ستعمل على ابعاد التواجد الامريكي والتدخل الدولي بهذه الترتيبات في المنطقة. والسؤال الذي يطرح نفسه هل ستندمج ايران بالتوجهات الجديدة من خلال توجهات بناءة ام ستتخذ توجهات راديكالية، وتخوض مواجهة مع السعودية، والولايات المتحدة وتؤدي باعمالها هذه الى عدم الاستقرار في المنطقة؟. الرد على هذا السؤال سيكون مرتبطا وبدرجة كبيرة بنتائج الصراعات الداخلية في ايران. ويمكن اختبار السياسة المستقبلية لايران وتوجهاتها في العلاقة مع الولايات المتحدة في المستقبل القريب، وذلك من خلال موقفها من مسألة الرهائن في لبنان. وعلى كل الاحوال من المرجح ان تتطلع ايران الى مد نفوذها داخل العراق وذلك من اجل اقامة نظام مريح لها، لا سيما وانها معنية ببقاء العراق ضعيف. ومن الجدير بالذكر بهذا الخصوص ان ايران مستمرة بتطوير مخططات قوتها العسكرية، بما في ذلك في مجال صواريخ ارض - ارض والاسلحة غير التقليدية، وكانت حتى قبل اندلاع ازمة الخليج قد وسعت من حجم مشترياتها العسكرية من الاتحاد السوفييتي.

تركيا: شكلت حلقة هامة في الائتلاف المناهض للعراق خصوصا لاعتبارات متعلقة باندماجها في المجموعة الاوروبية، لكن ايضا جراء اهتمامها بتقليص القوة العسكرية العراقية، ومن المحتمل ان تؤدي نتائج الازمة في الخليج الى تشجيعها على محاولة التدخل وبدرجة اكبر في شؤون الشرق الاوسط والعالم العربي، وذلك باعتبارها جارة تبدي اهتماما بما يدور في العراق وكعنصر فعال جدا في المجال الاقتصادي بما في ذلك قضية النقص بالمياه، خصوصا اذا طلب منها المساهمة بالاستقرار الامني في الخليج. ومع ذلك سينصب اهتمام تركيا على استمرار التركيز على علاقاتها مع المجموعة الاوروبية.

المغزى بالنسبة لاسرائيل

تشير الخلاصة التي يمكن التوصل اليها من دراسة نتائج ازمة الخليج، الى انه طرأت تحولات في عدة مميزات مركزية على صورة الوضع في الشرق الاوسط. لقد طرأت تغيرات كبيرة على ميزان القوى الداخلي في المجموعة العربية وربما لم تصل بعد الى نهايتها. لقد تقلصت التهديدات العراقية لمنطقة الخليج ولاسرائيل وذلك على الاقل على مدى السنوات القريبة. ومع ذلك فان التحولات ومن عدة نواحي لم تغرس جذورها عميقا، والمميزات التي كانت معروفة قبل الازمة تعود وبصورة جزئية الى سابق عهدها. ومن المحتمل ايضا استمرار تشكيل منطقة الخليج بؤرة ازمات في المستقبل وخصوصا اذا استمر عدم الاستقرار الداخلي في العراق، واذا نجحت بغداد وخلال سنوات باعادة اعمار معظم قوتها العسكرية، او اذا توجهت ايران نحو التآمر. وقد تأخذ اليقظة الاسلامية، اندفاعات جديدة في عدة دول عربية، كما حدث في الاردن ابان

الازمة، وكما يحدث في الجزائر، وتحاول معظم الدول العربية وكرد على هذه التهديدات، بلورة هيئة اقليمية اكثر توازنا. ترتكز على تعزيز القوى العربية المعتدلة في الخليج وعلى الدعم الدولي. ومن اجل استقرار هذه الهيئة، تحاول معظم الدول العربية ومعها الدولتين العظميين والدول الاوروبية، احراز تقدم على حل بؤر صراع اخرى، وعلى رأسها الصراع العربي - الاسرائيلي، ولهذا تحاول استغلال اجواء "الترتيبات الجديدة" التي وجدت في اعقاب الحرب، وما يعتبر التزاما امريكيا بتحريك المسيرة السياسية فور انتهاء الحرب، ومن هذه الناحية من المحتمل جدا ان يؤدي احراز تقدم حقيقي في المسيرة السياسية الى انتقال سوريا بالتدريج الى المعسكر البراغماتي العربي.

ومن جهة ثانية لم تطرأ تغيرات نوعية على عدة قضايا مركزية اخرى تشغل العالم العربي، لم تطرأ اي تغيرات حقيقية على الإزمات الاقتصادية، التي تعاني منها معظم الدول العربية. من المتوقع ان يؤدي وضع قضية اعادة تقسيم الثروات العربية على جدول الاعمال اليومي وضرورة مكافأة مصر وسوريا على دورهما في الحرب والترتيبات الامنية، الى زيادة المساعدات العربية لهما، ومن المشكوك ان يؤدي ذلك الى حل جذري لازمات الدول العربية الفقيرة. لم يتم استبدال اي نظام عربي بعد الازمة وذلك حتى صيف العام ١٩٩١، وذلك على الرغم من مرور عدة انظمة عربية بازمات داخلية، لكن هذه الازمات قد تعبر عن ذاتها في المستقبل. ويبدو مع مرور زمن على ازمة الخليج بان التوجهات العربية - وخصوصا السعودية - بخصوص طابع الوضع الامني في الخليج لا تعتريها شكوك من الناحية النوعية، لكنها تركز على تحسين عناصر قائمة.

تبقي الفترة الزمنية القصيرة التي مرت على انتهاء الحرب سؤالا مفتوحا: هل تؤدي التحولات التي بدأت، او التي طرأ عليها تسارع، في اعقاب الازمة الى تحولات حقيقية على صورة الاوضاع في الشرق الاوسط؟ لا تعتبر التغيرات التي بدت في توجهات المجموعة العربية حتى الان عميقة ونوعية، لكن من الجدير التأكيد على ان مميزات التغيرات تتطلب دراسة بعد فترة زمنية، اطول بكثير. وعلى كل الاحوال فان نتائج الازمة في الخليج على العالم العربي تحمل في طياتها معاني مهمة بالنسبة لاسرائيل - سواء من حيث الافضليات والاحتمالات التي فتحت امامها، او من حيث الضرورات والاخطار التي وجدت بالنسبة لها.

يقف على رأس الافضليات التي وجدت بخصوص اسرائيل في اعقاب الازمة التقليص النوعي الذي طرأ على التهديد العراقي التقليدي وغير التقليدي لاسرائيل وذلك لسنوات قريبة. وفي هذا الاطار تم التشويش وبدرجة كبيرة - حتى وان لم تتم تصفية تامة - لقدرة العراق على ضرب اهداف اسرائيلية من اراضيه وايضا ارسال قوات عسكرية للجبهة مع اسرائيل ابان حرب مستقبلية.

تلحق الضربة التي تلقاها العراق اضرارا اكثر من اي فترة سابقة بالقدرة العربية على اقامة جبهة شرقية فعالة ضد اسرائيل، وذلك من عدة نواحي، اولا، العنصر العراقي في هذه الجبهة ضرب بقسوة وخصوصا من حيث بعده العسكري، وايضا من حيث الدوافع الحربية ضد اسرائيل والتي كان يغذيها العراق ولدرجة كبيرة في السنوات الماضية. ثانيا، ضرب العنصر العراقي ادى الى تخفيض ولدرجة كبيرة جدا اخطار انضمام او انجرار الاردن للحرب دون دعم عراقي. وسيجد الاردن في اعقاب مضاعفة خطورة اوضاعه الاقتصادية والاضرار التي لحقت بمكانته السياسية صعوبة كبيرة بتنفيذ مخططات بناء قوته العسكرية، ثالثا، هذا يعني بان سوريا ستجد صعوبة اكبر من السابق، بالاعتماد على مساعدة عسكرية عربية نوعية خلال السنوات القريبة، في حال حرب ضد اسرائيل. واضافة لذلك اكدت الحرب ما اتضح لسوريا وكما يبدو قبل اندلاعها - انه ليس بالامكان الاعتماد على الاتحاد السوفييتي كركيزة استراتيجية ابان الازمة. وهذا يعني انه وللسنوات القريبة القادمة سيطرأ وكما يبدو انخفاضا في اخطار اندلاع حرب عربية - اسرائيلية وحتى ان حدث ذلك في ظروف معينة، مثل وضع جمود مستمر دون مخرج في المسيرة السياسية، وتوجد لهذه الامكانية ابعاد اخرى: المس بعناصر الميزان الاستراتيجي لسوريا، يدفعها ومنذ الان الى دراسة استراتيجية حيال اسرائيل يتم خلالها التأكيد بدرجة اكبر على المعالجة السياسية وعلى تطوير العلاقات مع الولايات المتحدة ومع باقي المعسكر البراغماتي العربي. وتوجد في هذه

الاستراتيجية اخطار وافضليات لاسرائيل.

التغيرات التي احدثتها الازمة في الخليج بالمجموعة العربية قد تؤدي الى فتح توجهات عمل جديدة في مجال المسيرة السياسية للصراع العربي - الاسرائيلي. اولا، ضعف العراق، الضربة التي تلقتها التوجهات لاستخدام القوة جراء الحرب والتغير في مكانة سوريا في المجموعة العربية عززت من المعسكر البراغماتي العربي. ومغزى هذا التعزيز يتلخص في ان العالم العربي بصورة عامة على استعداد اليوم لاعطاء فرصة اوسع الى المعالجة السياسية، على الاقل في المستقبل القريب. وبصورة عامة يعني هذا اعطاء تأكيدات على احراز تقدم سريع على المسيرة السياسية على اساس "مناطق مقابل سلام" بقيادة امريكية، ويؤدي تعزيز المعسكر البراغماتي ايضا على توفير احتمالات جيدة جدا لبلورة اقناع عربي بخصوص صورة ومامية احراز تقدم على المسيرة.

ثانيا، لقد طرأ توسع معين في مجال المصالح المشتركة بين اسرائيل ودول عربية في اعقاب الحرب منها: الاهتمام باستقرار الاوضاع في الشرق الاوسط، ولجم ازدياد القوة العراقية، وادراك الاخطار الكامنة، في يقظة الاسلام المتطرف. وساهم هذا الاتساع بالمؤشرات التي بدأت ترسلها السعودية والكويت، ابان الازمة، والتي تؤكد على وجوب وجود اعتدال اكثر حيال اسرائيل، والتي نجمت ايضا وبدرجة كبيرة عن غضب الدولتين من الفلسطينيين واخذت بعدم التأثر من التهديدات الفلسطينية، وتنصلت من التزاماتها حيال منظمة التحرير. واضافة لذلك الرغبة باستغلال الالتزامات الامريكية لاحراز تقدم على المسيرة السياسية، واجواء "الترتيبات الجديدة" بدأت تساهم بادخال تغيرات على مواقف دول عربية في مجال المسيرة السياسية، وحتى هذه المرحلة لا يوجد وضوح حول ما اذا كانت هذه التغيرات نوعية تشير الى استعداد لتحولات جذرية، ام انها تكتيكية تستهدف ايجاد خلافات بين اسرائيل والولايات المتحدة. وعلى كل الاحوال فان ازدياد اهتمام المعسكر البراغماتي العربي بتسوية الصراعات في المنطقة قد يمهد الطريق في المستقبل امام تغيرات اخرى في المواقف العربية بصدد الاعتراف باسرائيل والصلح معها، لكن بشرط ان يكون هذا الامر مرتبطا بالتوصل الى تسوية شاملة للصراع العربي - الاسرائيلي، وهذا الاهتمام قد يساعد في المستقبل بفتح قنوات حوار جديدة بين اسرائيل ودول عربية. وعلى كل الاحوال لم يطرأ حتى الان، وكما يبدو من غير المتوقع اضفاء مرونة نوعية على المطالب العربية من اسرائيل، وعلى رأسها: الانسحاب من جميع المناطق وحل المشكلة الفلسطينية بروحية الشروط العربية.

ثالثا، لحقت اضرار بالمكانة العربية والدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك باعتبارها شريك مساوي لبقية الاطراف في المسيرة السياسية بنظر الدول العربية والغربية. ولقد ادت زعزعة مكانة منظمة التحرير الى ازدياد حجم الفراغ بمسألة التمثيل الفلسطيني في المسيرة السياسية. ولحقت اضرار بنظر جزء من الاطراف العربية والولايات المتحدة، على الاقل بصورة مؤقتة، بمكانة المنظمة كعنصر من المفروض ان يحدد التمثيل الفلسطيني حتى وان يكن من وراء الكواليس. لكن لم يتم اقامة ممثلية فلسطينية مخولة اخرى مكانها، وايضا ابداء الملك حسين استعداد للعودة للمشاركة بالمسيرة السياسية في اطار ممثلية اردنية - فلسطينية، اذا طلب منه ذلك لم يؤد الى تعبئة هذا الفراغ، ومع ذلك لم تختف منظمة التحرير عن الساحة وبدأت اطراف مختلفة بالمطالبة باعادتها للمسيرة السياسية. وفي ضوء حاجتها لتحسين مكانتها ربما في اعقاب ضغوط من جانب سكان المناطق تسعى منظمة التحرير الى اضفاء مرونة على مواقفها المتعلقة بالصراع، وذلك من اجل القضاء على الاضرار التي لحقت بها وايضا من اجل استئناف الحوار بينها وبين الادارة الامريكية، ولهذا فانه اذا لم يتم تشكيل ممثلية فلسطينية بديلة من المتوقع ان تعود منظمة التحرير الى احتلال مكانتها كممثل وحيد للفلسطينيين بنظر معظم الدول العربية وربما ايضا بنظر الولايات المتحدة.

وفي نهاية المطاف فان زعزعة ميزان القوى الاقليمي، الذي ادت به الازمة والتطورات التي سبقتها، وضرورة اصلاح ذلك يكشف عن عدة بؤر مشاكل واخطار بالنسبة لاسرائيل، اولا، لقد ادت الازمة الى يقظة التوجهات الاسلامية المتطرفة، خصوصا في الاردن. واذا استمرت هذه التوجهات في الاردن بالمستقبل فستزداد خطورتها السلبية بالنسبة لاسرائيل من عدة نواحي: تقليص اخر في مدى حرية نشاطات النظام الاردني، وربما زعزعة استقراره، ازدياد المشاكل على الحدود الاردنية،

زيادة مستوى العداء لاسرائيل، وتأثيرات سلبية على سكان المناطق والعرب في اسرائيل.

ثانيا، على الرغم من انخفاض مستوى التهديد العراقي فقد توجد بؤر مشاكل جديدة في الخليج تترك آثارا سلبية نوعية على اسرائيل. واحد هذه الاحتمالات يتمثل بازدياد قوة ايران الراديكالية، التي ستحاول استغلال ضعف العراق. اما الاحتمال الثاني فيتعلق باعادة بناء جزء كبير من القوة العسكرية العراقية، وذلك خلال مسيرة تدوم سنوات، وترتكز على توجهات قومية - راديكالية. اما الاحتمال الاخر فيتعلق بحدوث تغيرات على السياسة العراقية، وربما يتم ذلك من خلال نظام عراقي اخر سيتجه نحو تقارب مع سوريا و/ او ايران، ويمكن ان يؤدي هذا وعلى المدى البعيد الى ايجاد قاعدة سياسية لاستئناف العمل في الجبهة الشرقية لاسرائيل.

ثالثا، على الرغم من تقليص حجم القوات العسكرية العراقية والتأكيد على ترتيبات مراقبة انتشار الاسلحة، فقد تؤدي نتائج الحرب الى المساهمة بالتسريع بسباق التسلح في الشرق الاوسط، على الاقل من ثلاث نواحي: (أ) دراسة العبر العسكرية للحرب قد تؤدي الى دفع عدة جيوش عربية وخصوصا تلك التي اطلعت عن كثب على الالية العسكرية الامريكية - الى التأكيد على التسلح النوعي بنفس الاسلحة التي اثبتت جدارتها في الحرب. (ب) المساعدات المالية الكبيرة من دول الخليج لمصر وسوريا ستمكنها من تقليص القيود التي تفرضها على الميزانيات في مجال المشتريات والتسلح. (ج) التأكيد على تعزيز القدرات العسكرية للسعودية ودول الخليج قد يؤدي الى عقد صفقات اسلحة جديدة بينها وبين الولايات المتحدة ودول اوروبية، الامر الذي سيؤثر على سباق التسلح ايضا خارج منطقة الخليج.

وفي نهاية المطاف يبدو انه وبالنسبة لاسرائيل تتجه التطورات في العالم العربي اتجاها ايجابيا. وفي النتيجة النهائية توجد لاسرائيل ارباح استراتيجية بعيدة المدى مرتبطة بانخفاض اخطار الحرب واحتمالات فتح قنوات حوار جديدة مع اوساط عربية، على الرغم من وجود اخطاء سياسية مختلفة، ومسألة اذا ما كان ميزان الارباح في العالم العربي سيبقى لفترة طويلة مرهونة وبدرجة كبيرة بالتطورات المستقبلية في العراق وفي الاردن وبطابع السياسة السورية المستقبلية، وبالتوجهات التي ستظهر في اطار المسيرة السياسية للصراع العربي - الاسرائيلي.

الخطر العراقي الذي يهدد اسرائيل بعد حرب الخليج

بقلم: زئيف ايتان

كان الجيش العراقي قد شارك في حروب ضد اسرائيل في الماضي (١٩٤٨، ١٩٦٧، حرب الاستنزاف سنة ١٩٧٠، وحرب ١٩٧٣)، بارسال قوات برية وجوية. اما سنة ١٩٩١ شارك العراق باطلاق صواريخ ارض - ارض، وفي الجداول التالية نلاحظ حجم الخطر العسكري العراقي في الحاضر والمستقبل القريب.

مشاركة العراق في الحروب الاخيرة ضد اسرائيل

في حرب الايام الستة، شارك سلاح الجو العراقي في الحرب ضد اسرائيل، كما ارسلت قوة برية عراقية وصلت الى الاردن. وصل خلال الحرب لواء مؤلف، تعرض لهجوم شديد من سلاح الجو الاسرائيلي، وتراكمت هذه القوة الكبيرة حتى بلغت فرقة، بقيت في الاردن حتى خلال حرب الاستنزاف، وقصفت مدفعيتها على اسرائيل. انسحبت القوة الى العراق سنة ١٩٧٠. وفي حرب يوم الغفران (١٩٧٣) شارك سلاح الجو العراقي والجيش البري العراقي في القتال ضد اسرائيل. ولم يقم سلاح الجو الاسرائيلي بضرب القوة العراقية وهي في طريقها الى الجبهة. ساعد العراقيون السوريين على صد تقدم الجيش الاسرائيلي باتجاه دمشق، وهكذا اثروا على نتيجة الحرب. مع انه على المستوى التكتيكي قام الجيش الاسرائيلي بضرب العراقيين.

على اساس الماضي (معطيات حرب يوم الغفران)، مع الاخذ بالحسبان الوضع الحالي للجيش العراقي (جدول أ)، تم تحضير الجدول ب، الذي يبحث مسألة مشاركة قوة عراقية في حرب ضد اسرائيل كجزء من مجمل القوات المسلحة العراقية في ثلاث مراحل: ١٩٧٣ (معطيات حرب يوم الغفران)، ١٩٩٠ (تقديرات)، و١٩٩٢ (تخمينات).

الجدول أ: القوة العسكرية للعراق قبل وبعد حرب الخليج.

العنصر	قبل الحرب	الاضرار خلال الحرب	بعد الحرب	ملاحظات
الطاقة البشرية	١,٢٥٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠ اصابة ٥٠,٠٠٠ اسير	١,١٥٠,٠٠٠	بعضها غير منظم
فرق	٦٠ - ٦٥	٢٩ اصيبت اصابة شديدة	٢٠ - ٢٥	مع الزمن يجري اعادة تنظيم المزيد من الفرق
دبابات	٦,٠٠٠	٣,٠٠٠	٣,٠٠٠ المصابة	سترمم بعض الدبابات
حاملات جنود مدرعة	٥,٠٠٠ - ٨,٠٠٠	٢,٠٠٠	٣,٠٠٠ - ٦,٠٠٠	
مدفعية	٤,٥٠٠ - ٥,٠٠٠	٢,٠٠٠ ٢,١٠٠	٢,٥٠٠ - ٣,٠٠٠	
عدد قواذف صواريخ ارض - ارض ذات مدى اقل من ٣٠٠كم	٤٨	عددا من القواذف		ليس معروفا
قواذف ثابتة ومتحركة لصواريخ ارض - ارض من طراز الحسين والحجر	١٠-٦٠	جزء من الثابت/ المتحرك	٣٨ على الاقل	لا يوجد تأكيد للعدد الذي كان وما تبقى
طائرات حربية	٧٠٠	تدمير ١٨٦ وهرب ١٢٠الى ايران	٤٠٠	من المشكوك به ان تعيد ايران الطائرات
طائرات مروحية	٥٤٠-٥٧٠	٨٠	٤٦٠-٤٨٠	الارقام غير مؤكدة

جدول ب: المشاركة العسكرية العراقية في الحرب ضد اسرائيل.

نوع القوة	مجموع القوة العراقية	القوة التي ارسلت او التي يمكن ارسالها، عدد/ تقدير
١٩٧٣		
مدفعية	٩٧٠	؟٣٠٠
دبابات	١٢٠٠	؟٧٠٠
فرق	٧	٢,٥
طائرات حربية	٢٥٠	٧٣
١٩٩٠		
مدفعية	٤٥٠٠	١٥٠٠
دبابات	٦٠٠٠	٢٠٠٠
فرق	٥٥	١٠
قاذفات صواريخ		
ارض - ارض	٦٠-١٠٠؟	٥٠
طائرات حربية	٧٠٥	٢٠٠، نصفها طائرات نوعية
١٩٩٢		
مدفعية	٣,٥٠٠	١٠٠٠
دبابات	٣,٠٠٠	٨٠٠
فرق	٣٠-٤٠	١٠
قواذف صواريخ		
ارض - ارض	٣٨	١٥
طائرات حربية	٤٠٠	١٥٠-١٨٠ نسبة قليلة منها نوعية

ملاحظة: المعطيات بالنسبة لسنة ١٩٩٠ و١٩٩٢ هي تقديرات تأخذ بالحسبان العوامل التالية:

١- حجم القوات العراقية في تلك الفترة، بالنسبة لسنة ١٩٩٢ يؤخذ بالاعتبار ترميم الوسائل القتالية المصابة وشراء كمية ضئيلة.

٢- موافقة او معارضة دول المواجهة على استيعاب قوة عراقية بالحجم المعطى.

٣- سبل لتوفير الصيانة للقوة العراقية في دول المواجهة.

٤- ابقاء قوة عراقية في العراق لمواجهة الاخطار التي تهدد العراق من جانب ايران والكويت والسعودية والولايات المتحدة، واخطار داخلية مثل الاكراد.

الخلاصـــــة:

ان الخطر العراقي بعد حرب الخليج يختلف حجمه تماما عما كان عليه قبل الحرب. لا توجد اي طريقة لتقدير احتمال مشاركة العراق مرة اخرى في مواجهة عسكرية ضد اسرائيل. لان المواجهات بين الدول العربية او الصلح بينها يحصل بسرعة فائقة، مثل ما حصل بين مصر والاردن سنة ١٩٦٧. وما بين سوريا ومصر سنة ١٩٩٠. وعلى اية حال. اذا شن العرب حربا ضد اسرائيل سنة ١٩٩١، فان مساهمة العراق المحتملة في مثل هذه الحرب ستكون هامشية، اما سنة ١٩٩٢ يكون حجم الخطر العراقي المحتمل ان يهدد اسرائيل اكبر، ولكنه لا يبلغ الحجم الذي كان عليه سنة ١٩٩٠. وسيكون اطلاق صواريخ ارض-ارض بعدد غير كثير امر ممكن، الا اذا فرضت رقابة دولية فعالة لتحديد مكانها وتدميرها في العراق قبل إستخدامها.

واخيرا، مقابل التقليص الملحوظ لحجم القوات العراقية نتيجة الحرب، ساعدت هذه الحرب بشكل غير مباشر على تعاظم قوة عدد من البلدان العربية، كما ساعدت على سباق التسلح في المنطقة. فلقد قويت بعد الحرب كل من السعودية وسوريا ومصر والامارات العربية الموحدة والبحرين وقطر وعمان.

العبر العسكرية المستخلصة لاسرائيل من حرب الخليج

بقلم: ارينيل لفيته

كانت حرب الخليج، من نواحي كثيرة، فريدة من نوعها وشاذة. وينطبق ذلك على طابع الحرب بشكل عام، وكذلك على الطابع الذي كانت فيه اسرائيل متورطة في الحرب. تجمعت في هذه الحرب جهود ائتلاف دولي غني بالموارد وطول النفس وذي خبرة تكنولوجية عظيمة ضد دولة واحدة معزولة، من العالم الثالث. جرت التحضيرات للحرب بشكل مكثف خلال عدد من الاشهر، وقام الائتلاف باستلام زمام المبادرة وتوقيت بدء الحرب. واخيرا واجه الائتلاف عدوا سلبيا بشكل تام تقريبا، لانه لاعتبارات سياسية استراتيجية، فقد الحكمة العسكرية في مجال انتشار القوات وادارتها. وهكذا تحولت القوات العراقية الى عاجزة وغير قادرة على الدفاع عن نفسها ازاء قوات الائتلاف.

بالنسبة للجانب الاسرائيلي، كان التدخل الاسرائيلي في الحرب سلبيا بشكل اساسي (امتصاص ومساعدة)، كما ان الخطر الذي وقع فعلا ضد اسرائيل كان خلال الحرب منحصرا بالمجال الجوي الصاروخي (صواريخ ارض - ارض) ورؤوس حربية تقليدية فقط، اقتصرت على الجبهة الداخلية. كانت الدولة المهاجمة بعيدة مئات كثيرة من الكيلومترات عن حدود اسرائيل، وكانت تتعرض طوال الوقت لهجوم مكثف من قوات الائتلاف التي كانت تخدم من جملة ما تخدم احتياجات الامن الاسرائيلية. وحظيت اسرائيل من ناحيتها على مساعدات امريكية مباشرة (الردع وصواريخ باتريوت)، ولكن اسرائيل كانت مقيدة عن العمل ضد المعتدي، لاعتبارات سياسية، هي عدم تشويش جهود الائتلاف الذي يخدم مصالح اسرائيل، واعتبارات عسكرية تتمثل بمحدودية المساهمة الخاصة التي يمكن لاسرائيل ان تقدمها ضمن جهود الائتلاف.

على ضوء الاسباب المذكورة اعلاه، تعتبر حرب الخليج ليست فقط فريدة من نوعها، وانما شاذة ايضا، على الاقل فيما يتعلق بالجانب الاسرائيلي، من المشكوك فيه ان يكون الخطر الاساسي الذي يتوجب على اسرائيل ان تجابهه عسكريا في المستقبل محصور في المجال الجوي الصاروخي ومقتصر على الجبهة الداخلية وفي نطاق الاسلحة التقليدية، ومن جانب دولة لا توجد لاسرائيل معها حدود مشتركة. وليس من المنتظر في المستقبل ان تكون هناك قيود سياسية بنفس الشدة على ردة الفعل الاسرائيلية على مبادرتها. كما يصعب ان يخطر على البال توفر مثل ذلك الوقت الطويل لاسرائيل للتحضير للحرب، كالوقت الذي توفر لها في حرب الخليج، بحيث تكون المبادرة وتوقيت الحرب بيد اسرائيل، كما يصعب ان يخطر على البال توفر نفس سياسي او غير سياسي طويل لدى اسرائيل لخوض حرب طويلة الاجل الى هذا القدر. كما لن يتوفر لاسرائيل ابدا تلك الموارد لادارة حرب ساحقة وقصف جوي مكثف، كما توفر للائتلاف ضد العراق.

بالاضافة لخصوصية سيناريو الحرب، كذلك اتصفت الحرب بالتعتيم الذي احاط مجرياتها. لقد كان هذا التعتيم غير عادي من حيث شدته ونجاحه، والى حد ما لم تكشف اسرارها بعد. كما ان المعلومات المتوفرة لدينا عن مجريات الحرب بعضها غير دقيق، وعدم دقتها في بعض الحالات مقصودة.

لهذه الاسباب، ان العبر العسكرية المستخلصة لاسرائيل من حرب الخليج، محدودة من حيث مجالاتها ومن حيث مدى سريان مفعولها. عمليا، يجب التعامل مع العبر المطروحة فيما يلي على انها عبر اولوية فقط. كما ان مدى سريان مفعول هذه العبر ليس متطابقا، فهي تتطلب فحصا مجددا وعميقا ومنظما، سواء على اساس معلومات جديدة عن حرب الخليج او على اساس صلة هذه العبر بسيناريو الحرب الاسرائيلية.

ولاعتبارات عديدة سيتضح فيما يلي تركز العبر المطروحة في هذا المقال على المواضيع السبعة التالية: الدفاع عن الجبهة الداخلية، والحماية من الصواريخ، ومواجهة الاخطار البعيدة عن حدود دولة اسرائيل. ونظرية ومبنى قوة الجيش الاسرائيلي، والاستخبارات والحرب الاستخبارية، ومواجهة اخطار الامن الداخلي، والرقابة الامنية. والاعلام والرأي العام.

الدفاع عن الجبهة الداخلية:

من الطبيعي، انه طالما كانت الامور تتعلق باسرائيل، فان مجال الدفاع عن الجبهة الداخلية هو عنصر القوة الاساسي الذي صمد في حرب الخليج. فالجبهة الداخلية هي وحدها التي تعرضت لهجوم هام متواصل، حتى ان بعض هذه المناطق من الجبهة الداخلية هي التي تعرضت للهجوم. ولكن الهجوم ليلي فقط وبنفس الوقت لم تتعرض اسرائيل لهجوم على الجبهة الامامية. ففي هذه الحالة تحولت الجبهة الداخلية الى جبهة امامية، وكذلك العكس، اذ تحولت الجبهة الامامية الى جبهة داخلية، ولكن لا يجوز الافتراض ان الامور ستكون هكذا في المستقبل، لا من حيث اقتصار الخطر على الجبهة الداخلية، ولا من حيث طابع الخطر على الجبهة الداخلية. لذلك يجب الحذر من استخلاص عبر متسرعة تلزم اجراء تغييرات جذرية على الميزانية، بحيث تعطي افضلية للجبهة الداخلية في توزيع الموارد العسكرية، ومع ذلك ان تقرير مراقبة الدولة ومعلومات اخرى صدرت منذ الحرب تبين بوضوح انه في بداية الازمة، لم تكن الجبهة الداخلية مستعدة كما يجب لمواجهة خطر جدي لصواريخ تحمل رؤوسا متفجرة، فما بالك ذات الرؤوس الكيماوية او غيرها، ان الفترة الطويلة من انتظار الحرب قد ضاعفت وعي الاجهزة لقابليات الجبهة الداخلية للضرر، ووفرت امكانية تصحيح او تعويض عدد من النواقص البنيوية في دفاع الجبهة الداخلية، الا ان الحلول المتبناة خلال الانتظار كانت بالتأكيد جزئية ومرتجلة. ويلزمها اعادة فحص بناء على التجربة التي تراكمت من الحرب.

بدون ذكر التفاصيل، يمكن تحديد ان ثلاثة مجالات اساسية لدفاع الجبهة الداخلية، تستحق علاجا عميقا ومنظما على ضوء التجربة التي تراكمت خلال حرب الخليج.

المبنى التنظيمي – انشاء بنية قيادية توحد جهود كل الجهات الرسمية في معالجتها لكل مواضيع الجبهة الداخلية وقت الطوارىء: الانذار والتهدئة، كشف وتشخيص الاضرار، معالجة المصابين والمباني، اخلاء السكان، الارشاد والاعلام، التوزيع، صيانة وانعاش معدات الحماية، فرض نظام الدفاع المدني، وغير ذلك. ويعبر عن ملاحظة ضرورة هذا التغيير القرار المبدئي لوزير الدفاع موشيه آرنس تشكيل قيادة للجبهة الداخلية في اطار الجيش الاسرائيلي. حتى في حالة تنفيذ قرار تشكيل قيادة للجبهة الداخلية، يظل السؤال المطروح على حاله وهو هل من المرغوب به ان يتحمل الجيش مسؤولية المعالجة العامة للجبهة الداخلية. ربما يوجد لزوم لاخذ هذه المسؤولية من الجيش، لتخفيف اعباء الجيش في مجال لا يتعلق بمهامه الاساسية، وتمكين جهة اخرى (مثل شرطة اسرائيل) من الحصول على خبرة في معالجة الجبهة الداخلية.

تخصيص الموارد – اجراء تحسينات على تخصيص موارد الطاقة البشرية، وخاصة من الناحية النوعية، والمعدات وميزانية البنية التحتية والتدريبات. انها امور ضرورية لمضاعفة كفاءة الجبهة الداخلية لمواجهة عدد كبير ومتنوع وواسع من الاخطار في اماكن كثيرة طوال اليوم.

الاطار المبدئي ونظرية القتال – توجد حاجة لتجديد وتغيير الاطار المبدئي الموجه للتطوير والتوزيع وصيانة معدات الحماية (النوع ومجموعات السكان والتوقيت وغير ذلك) من المطلوب اعادة فحص وحسم مسألة ضرورة انفاق الاموال على الملاجىء، ازاء وجود حلول بديلة لحماية السكان، تتوفر فيها قلة التكاليف نسبيا ومن السهل

جدا تحويلها، ويمكن البقاء فيها مدة طويلة تتطلبها اخطار المستقبل، ويرافق ذلك تغيير انظمة البناء فيما يتعلق بالملاجىء/ الغرف الامنة، وملائمة نماذج الانذار وتهدئة الجمهور حسب شكل الحماية التي يتم اختيارها. بالاضافة الى ضرورة عمل اطار مبدئي لادارة نظام الطوارىء في حالة تعرض الجبهة الداخلية للخطر. كما تتطلب توجيهات لعمل الاجهزة التعليمية والاقتصادية، والتأمين على الاضرار المادية الناجمة عن اعتداءات العدو، وتوفير التعويضات والحماية لقطاعات اقتصادية تتضرر بشكل خاص، وغير ذلك.

وهكذا لا بد من التأكيد بان التغييرات المطلوب اجراؤها على وجهات النظر المتعلقة بالدفاع عن الجبهة الداخلية، لا تقتصر ولا تتركز بشكل اساسي على التغييرات التنظيمية والفنية والادارية. صحيح ان التجربة المتراكمة تشير الى ضرورة تعميق معالجة الدفاع المدني عن الجبهة الداخلية وادارة الاقتصاد في اوقات الطوارىء. ما يوجب حسم هذه الامور هو محدودية الموارد المتاحة وضيق الميزانية العامة والفرق بين البناء الجديد وبين البناء القديم فيما يتعلق بمستوى وقدرة الحماية، وغير ذلك، يوجب هذا الواقع حسما سياسيا مؤلما في مجال القرارات الادارية الخطيرة المتعلقة بالدفاع المدني، وخاصة بالنسبة لضرورة توفير قدرا متساويا من الحماية لكل المجموعات السكانية ومناطق الدولة، على الرغم من ضعف احتمال تعرض مناطق معينة للخطر، وعلى الرغم من المعطيات الطبيعية (مثل طابع البناء) الذي يوفر سهولة اكثر لحماية بعض المباني. الى اي مدى مثلا يمكن تبرير انفاق الاموال للدفاع عن السكان ذوي الحالات الخاصة مثل اصحاب الذقون؟ كما يتطلب الحسم فيما يتعلق بتوجيه موارد عامة للدفاع المدني مع الاخذ بالحسبان احتياجات الاقتصاد في مجالات اخرى ساخنة مثل استيعاب الهجرة.

الحماية من الصواريخ

تعرض العمق الاسرائيلي في حرب الخليج لاول مرة لقصف مكثف متواصل بصواريخ ارض - ارض، مع ان نسبة قليلة من الصواريخ قد اصابت مراكز سكنية، الا ان الخسائر البشرية والاضرار المادية كانت ثقيلة جدا. ومنذ حرب الخليج، حصل ازدياد مضطرد وواسع في تزود الدول العربية والمحيطة بصواريخ ارض - ارض بشكل عام، وصواريخ بعيدة المدى بشكل خاص. وان كانت غالبية الحالات نضجت فيها الصفقات ووقعت قبل الحرب، الا ان ذلك لا يقلل من حجم الخطر المتصاعد في هذا المجال.

وعند تقدير فداحة الخطر، يجب الاخذ بالحسبان القدرة الفائقة على النجاة التي اثبتتها قوات صواريخ ارض - ارض العراقية، عندما تعرضت لهجوم جوي مكثف، بالاضافة الى المدى البعيد والمجال الرحب لعمل صواريخ ارض - ارض. (هذا ما ضاعف قدرتها على النجاة)، والرؤوس الحربية الاكثر تطورا والتي ستزود بها هذه الصواريخ في المستقبل، ان جملة هذه العوامل تطرح بالحاح اهمية تطوير رد اسرائيلي على صواريخ ارض - ارض. ومدخل مثل هذا الرد هو توفر الانذار عندما تطلق الصواريخ.

ولقد اثبت الانذار الذي مقداره عدة دقائق في اللحظات الحاسمة عن اطلاق صواريخ ضد اسرائيل انه حيوي جدا، سواء الدفاع الايجابي (لاطلاق صواريخ مضادة للصواريخ) وللحماية السلبية للجمهور الواسع، ان الانذار بشكل عام، والانذار نا الفترة الزمنية الطويلة نسبيا بشكل خاص قد حسنت امكانية الدفاع الايجابي وقلصت عدد الاصابات من الصواريخ تقليصا ملحوظا. كما كان للانذار فضل ملحوظ بتحسين مشاعر الجمهور ازاء مواجهة الخطر. ولا شك ان قيمة الانذار اكبر بكثير في حالة استخدام العدو للاسلحة الكيماوية ضد اسرائيل لان ارتداء كمامات الغاز ووسائل الحماية الاخرى تحتاج لوقت زمني قصير جدا وتوفر حماية جيدة جدا ضد القنابل الكيماوية.

خلال حرب الخليج، حصلت اسرائيل في البداية على فترة انذار قدرها دقيقة ونصف، ثم خمس دقائق، عن اطلاق الصواريخ. اعتمد الانذار على اقمار صناعية امريكية لانذار من طراز DSP (Defense Support Program)، وكان الانذار ينقل الى اسرائيل في الوقت المناسب بفضل انظمة الاتصال الخاصة التي

انشئت ضمن اطار التعاون الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة. وتتوفر لاسرائيل امكانية الاعتماد في المستقبل ايضا على الولايات المتحدة للحصول على انذار في حالة اطلاق صواريخ ارض - ارض. هذا على الاقل ما تم فهمه بعد الحرب من كلام وزير الدفاع موشيه ارنس ومما نشر عن مجمل ما تم التوصل اليه خلال لقاء الوزير آرنس مع وزير الدفاع الامريكي تشيني خلال زيارته لاسرائيل في ايار ١٩٩١. توجد افضلية للحل الامريكي بسبب كبر النفقات والمصاعب التي تواجه اسرائيل في حالة قيامها بتطوير ذاتي لجهاز انذار من الصواريخ. ولكن اذا اثارت اي شكوك بشأن سلامة الترتيبات في هذا المجال مع الامريكيين. لا يبقى مناص سوى انفاق مبالغ كبيرة لتطوير قدرة ذاتية معينة للانذار من اطلاق صواريخ ارض - ارض على اسرائيل. يمكن لاسرائيل ان تحصل على قدرة مشابهة للاقمار الصناعية من نوع DSP. وهي جيوسنكرونية عالية الارتفاع. ولكن يمكن الاكتفاء بقدرة ذاتية محدودة في هذا المجال، تعتمد مثلا على نظام رادار متطور تكلفته غالية، ولكن في حدود امكانيات اسرائيل. وحسبما نشرت الصحف، توجد امكانية للحصول على دعم جهات اجنبية (مثل المانيا) توافق على تقديم الدعم المالي لتطوير مثل هذا الرادار لاسرائيل.

كما ان الخطر العربي في مجال الصواريخ يتطلب تطويرا لوسائل النجاة للمستوى السياسي في اسرائيل. وكذلك العناصر الحيوية من القوة العسكرية ومراتب القيادة والسيطرة ومنشآت البنية التحتية الحيوية. وهذا ما يتطلب موارد لا بأس بها. ولكن على اساس سلسلة من دراسات المقارنة يمكن التحديد بدرجة كبيرة من الثقة، ان جهودا معينة في مجال النجاة بالحماية والانتشار هي امر حيوي وفعال جدا، حسب معايير التكلفة والفائدة، في مواجهة خطر الصواريخ. ويظل ذلك صحيحا بشكل مطلق وبشكل نسبي بالمقارنة مع اي طريقة اخرى للدفاع عن العناصر الحيوية لاستمرار بقاء دولة اسرائيل ورفاميتها.

ما ذكر اعلاه ينقلنا الى بحث النفقات المطلوبة للاستثمار في مجال تطوير نظام الدفاع الايجابي من الصواريخ، وبحث اي من النظم افضل. ليس بالامكان استنفاد بحث هذا الموضوع ضمن هذا الاطار. ولكن من المناسب ان تطرح هنا عدة اعتبارات اساسية تتعلق بفهم الدفاع الايجابي:

تتمتع قوة الصواريخ ارض - ارض العربية بالوفرة والتنويع والحركة والمدى، وهذا ما يوفر لها قدرة عالية نسبية على النجاة. بالاضافة الى الميزة الفائقة لهذه الصواريخ في القدرة على الاختراق، بالاضافة الى الانطباع بشأن الفعالية الاستراتيجية العالية (بغض النظر عن الاهداف العسكرية) الذي خلقه اطلاق صواريخ ارض - ارض من العراق الى اسرائيل، مقارنة بصعوبة اختراق الطائرات العربية للمجال الجوي الاسرائيلي. ومن هنا ينشأ التقدير بانه خلال حرب في المستقبل، ستستخدم الجهات العربية صواريخ ارض - ارض ضد اسرائيل، سواء بقصف الجبهة الامامية ام الجبهة الداخلية. ولا بد، اذا حصل ذلك فعلا، ان تكون الصواريخ محملة برؤوس حربية تقليدية فقط، ولسوف ان يضمحل هذا القصف بصواريخ ارض - ارض خلال الحرب نتيجة للخطوات المضادة التي ستقوم بها اسرائيل. ومع ذلك، تتطلب النجاة ان يكون العمل الاسرائيلي على اساس الافتراض بان العمق الاسرائيلي سيظل عرضة لهجوم صواريخ ارض - ارض طوال فترة الحرب في المستقبل.

ان حساسية اسرائيل لاصابة عناصر القوة الحيوية لديها، ومحدودية قدرتها على النجاة بالاساليب السلبية على اعتبار انها دولة صغيرة، يفرضان انفاق مبالغ معينة على الاقل للحماية الايجابية ضد الصواريخ.

ان التزود وانشاء نظام دفاعي فعال ضد صواريخ ارض - ارض، اذا كانت الفعالية تامة (اكثر من ٩٠٪) في كل دولة سرائيل. ضد كل انواع الرؤوس الحربية للصواريخ (التقليدية والكيماوية وغيره تقدر تكاليفها بعدة مليارات من الدولارات) كما ان نفقات التشغيل والصيانة السنوية لهذا النظام، بالاضافة لتكاليف التغييرات والتحسينات اللازمة لملاءمة النظام الدفاعي مع التطورات التي تدخل على القدرات الهجومية العربية، يكون مجملها مئات ملايين الدولارات سنويا.

لا تقتصر المعضلة على التكاليف الباهظة لانشاء نظام دفاعي فعال ضد صواريخ ارض - ارض. انما توجد نسبة عالية من الغموض فيما يتعلق بتوفر التكنولوجيا وامكانية التنفيذ الفعلي لانشاء هذا النظام الطموح، الذي يسعى لانشاء حزام

دفاعي مغلق تقريبا على كل اراضي دولة اسرائيل. وتزداد هذه الشكوك وتكبر كلما كان مستوى الدفاع المطلوب يرتفع اكثر الى اعلى ويقترب من ١٠٠٪. وضمن هذا السياق يمكن الاطلاع على تقرير Office of Technology Assessment عن مبادرة الدفاع الاستراتيجية (SDI) الامريكية. فهو يشير بوضوح الى مجمل المصاعب، والمشاكل والغموض الذي يكتنفه انشاء نظام دفاعي ايجابي ضد الصواريخ، ويضمن مستوى معقولا للدفاع التام من صواريخ ارض - ارض.

هنالك اشارات اولية تدل على ان مجرد انشغال اسرائيل بشكل مكثف بنظام الدفاع الايجابي الشامل لاسرائيل، قد يبرهن على انه عامل مضاد للاستقرار بالنسبة للنزاع الاسرائيلي - العربي، على غرار ما حصل بين امريكا والسوفييت. والمقصود هنا هو عدم استقرار استراتيجي من النوع الذي رافق تطوير الجيل الاول من الصواريخ المضادة للصواريخ (ABM) في نهاية سنوات الستينات، ومرة اخرى في بداية الثمانينات، عندما اعلن الرئيس ريغن عن مبادرة الدفاع الاستراتيجية (SDI)، وكانت حسب صيغتها الاصلية تهدف توفير الدفاع الكامل ضد الصواريخ البالستية السوفييتية، ففي منطقتنا، تم التعبير عن القلق من فعالية باتريوت، بعد التحسينات التي ادخلت عليه خلال الحرب، وما سيدخل عليه من تحسينات في المستقبل، وعلى اثر تطوير صاروخ حيتس، ويصدر التعبير عن هذا القلق في البلدان العربية، وخاصة في سوريا. ومصدر هذا القلق هو الخوف من انه في حالة استكمال اسرائيلي لنظام دفاع ضد صواريخ ارض - ارض التي تشكل خطرا عليها وتوفير الحماية للسكان الاسرائيليين ضد الاسلحة الكيماوية، يزول اساس توازن الرعب الهش والغير متناسق (انما فعال استراتيجيا وحيوي سياسيا)، والقائم حسب تقدير العرب، بينهم وبين اسرائيل منذ سنوات السبعينات، وضمن هذا السياق يمكن النظر الى طلب سوريا من الولايات المتحدة ان تخلي من اسرائيل صواريخ باتريوت التي وضعتها فيها خلال الحرب، وكذلك الجهود السورية لشراء كميات كبيرة من صواريخ ارض - ارض من طراز متطور بعيد المدى، وتصاعد هذه الجهود منذ انتهاء حرب الخليج.

لقد تضافر عامل عدم الاستقرار الاستراتيجي والغموض التكنولوجي والتكاليف الاقتصادية العالية، وادت كلها الى ميثاق بين الدول العظمى في بداية سنوات السبعينات يقضي بتجميد تطوير نظام الصواريخ المضادة للصواريخ، وادت في السنوات الاخيرة الى تقليص مدى مبادرة الدفاع الاستراتيجي، بحيث تقتصر على رد جزئي محدود فقط ضد هجومات الصواريخ (G-PALS).

ومن ناحية الاستقرار يجدر التمييز بين نظام دفاعي محلي محدود ضد الصواريخ وبين نظام دفاعي كامل وشامل. فالنظام الاول لا يساعد على الدفاع عن اسرائيل فحسب، وانما يقوي الردع وكذلك الاستقرار ايضا. بينما النظام الثاني، في حالة محاولة انشائه والمحافظة على حزام دفاعي صاروخي كامل فوق سماء مدينة اسرائيل (استرودوم)، قد يؤدي ليس الى مشاكل تكنولوجية واقتصادية فحسب، وانما قد يؤدي الى عدم الاستقرار، والى سباق التسلح الاستراتيجي بين اسرائيل والدول العربية.

واخيرا، ما يجدر ذكره ان قيود الردع من جهة، والضربات من جهة اخرى، التي اثرت على مواجهة اسرائيل لتهديد صواريخ ارض - ارض خلال حرب الخليج، كانت تحصيل حاصل لوضع خاص من المشكوك به ان يتكرر ثانية في المستقبل، اما في حالة نشوب حرب عربية - اسرائيلية في المستقبل ستكون قوة الردع الاسرائيلية فعالة للغاية، ضد خطر صواريخ تحمل رؤوس حربية غير تقليدية ضد العمق الاسرائيلي، كما ان الامكانيات (السياسية والتنفيذية) لمهاجمة اهداف من الصواريخ وغيرها في البلدان المجاورة من المتوقع ان تكون مفتوحة امام الجيش الاسرائيلي، لدرء الخطر وللرد المعاكس، في حالة وجود خطر يهدد اسرائيل من الدول المجاورة، وهذا ما سيقلص ان لم يصف الخطر الذي يكمن لاسرائيل في صواريخ ارض - ارض.

هناك عامل اخر يقلل من خطر التهديد الصاروخي على اسرائيل، هو تجديد رفع حافة استخدام السلاح غير التقليدي على اثر حرب الخليج وعلى ضوء نتائجها، وهذا التطور هام جدا، لان استخدام مواد الحرب الكيماوية في حرب ايران - العراق، قد اعتبرته دوائر واسعة انه فعال نسبيا، ولا يرافقه ثمن سياسي باهظ، ثم نجحت دول الائتلاف في وضع حد

واضح بين شرعية استخدام الاسلحة التقليدية وبين عدم شرعية استخدام الاسلحة غير التقليدية خلال حرب الخليج. وبذلت دول الائتلاف جهودا لمعاقبة العراق على نشاطاته وتهديداته في هذا المجال (بتجريده من البنية التحتية لاسلحة الدمار الشامل التي لديه). وبدأ تنفيذ ذلك في بداية صيف ١٩٩١ بموجب قرار مجلس الامن رقم ٦٨٧. ان العاملين السابقين، النجاح بتوضيح عدم شرعية الاسلحة غير التقليدية، والجهود المبذولة لتجريد العراق من هذه الاسلحة، قد خلقا دافعا سلبيا قويا يدعو العرب الى عدم المبادرة باستخدام اسلحة الدمار الشامل، في اوضاع لا تشكل خطرا على وجودهم. وهكذا يتقلص احتمال مثل هذا السيناريو.

وبعد كل الاعتبارات السالفة الذكر، ان السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي النسبة بين التكلفة والفائدة لنظام استراتيجي للدفاع الفعال في اسرائيل. ويتعلق الامر كثيرا بحجم وتكلفة نظام الدفاع المقصود. ومن الواضح تماما ان الهدف من نظام الدفاع المقصود هو اصابة صواريخ ارض - ارض، عداك عن القدرة الاخرى الخاصة باصابة الطائرات. وهذا يعني ان نظام الدفاع هذا سيكون بالتأكيد على حساب موارد (ميزانية وطاقة بشرية) مخصصة حاليا لمهام اخرى للجيش الاسرائيلي. ومن الممكن ان يؤدي انشاء النظام الدفاعي المقصود الى فتح او كشف نقاط ضعف جديدة في اسرائيل، في الوقت الذي يغطي فيه على نقطة الضعف الخاصة بالتعرض لخطر صواريخ ارض - ارض. فلا بد من وضع حد اقصى للنفقات العامة على نظام دفاعي ايجابي، وهذا ما يتطلب قرارات صعبة تعتمد على الفائدة العامة المنتظرة من النظام الدفاعي، وتحديد افضليات لمختلف الاهداف التي تحتاج للدفاع.

من مجمل الاعتبارات المفصلة اعلاه، تظهر ضرورة ان يكون الرد الاسرائيلي على خطر صواريخ ارض - ارض ردا مركبا من عناصر متضافرة. احد جوانب هذا الرد يجب ان يكون قدرة محدودة في مجال الضرب على الصواريخ، وهناك جوانب اخرى للرد الاسرائيلي تتمثل بنظام رادع وقدرة على الردع وكفاءة هجومية، ولا يقل عن ذلك اهمية هو السعي لتسويات للمراقبة ونزع السلاح المتعلق بصواريخ ارض - ارض وانظمة الدفاع المضادة لهذه الصواريخ، ان مواضيع الردع ونزع السلاح تم بحثها على حدة في هذا الكتاب في الفصلين ١٠، ١٤، لذلك لا داعي للتوسع بتفاصيلهما هنا في هذا الفصل.

مواجهة الاخطار البعيدة

ان التورط السلبي لاسرائيل في حرب الخليج قد فتح العيون لوعي الخطر ومعضلات الرد الكامنة في المواجهة العسكرية للاخطار التي مصدرها بعيد عن حدود دولة اسرائيل، كان الوعي لهذه المسألة قائما، ولكنه كان مركزا بشكل اساسي على مسالة ارسال قوات الى الجبهة الشرقية، واصبح من الواضح حاليا ضرورة ايجاد رد عملي شامل، يشمل مشكلة صواريخ ارض - ارض بعيدة المدى، التي بعض قواذفها متحركة، وموجودة على بعد مئات الكيلومترات عن اسرائيل، سواء في دول المجابهة ام في الدول المحيطة.

ومن الطبيعي انه لا توجد امكانية للبحث المفصل هنا للطابع الدقيق للحلول العملية المطلوبة ضد الاخطار البعيدة، ومدى تيسرها في الوقت الحاضر، ونكتفي هنا بالاشارة الى ان الاهتمام والعمل خلال مواجهة هذا الخطر يجب ان يشمل المجالات التالية:

الاستخبارات: ان الشرط الذي لا بد منه، من اجل المعالجة الفعالة للاخطار البعيدة بشكل عام والمتحركة بشكل خاص، هو توفير المعلومات الاستخبارية الكافية وفي الوقت المناسب عن العدو وظروف الميدان، يمكن الحصول على جزء اساسي من هذه المعلومات بواسطة الاقمار الصناعية، والبعض الاخر من مصادر اخرى. ولقد لمح في الاونة الاخيرة عدد من كبار متحدثي الجهاز الامني وعلى راسهم وزير الدفاع الى ان القمر الصناعي هو الحل الذي اختاروه للرد على هذه المشكلة الاستخبارية.

القدرة على نقل قوات الى مسافات بعيدة: لقد اثبت سلاح الجو الاسرائيلي خلال سلسلة من الاحداث (من قصف الفرن الذري في بغداد الى قصف مقر م.ت.ف في تونس) انه يتمتع بالقدرة على مهاجمة نقاط محددة خلال فترة زمنية وجيزة،

على مسافات طويلة. الا ان مواجهة مصادر الخطر الصعبة المنتشرة في مجال رحب على بعد مسافة طويلة تتطلب نقل قوة مكثفة لمسافة طويلة في النهار والليل. وهذا ما يتطلب تواجد قوات جوية (طائرات وطائرات عمودية حربية وطائرات عمودية مجومية) وتواجد قوات برية (قوات كوماندو وقوات منقولة جوا تتميز بالخفة والحركة ومزودة بالمعدات الحربية المتطورة)، على ان يستمر تواجد هذه القوات فترات طويلة ان لم تكن متواصلة؛ هذه القدرة تتطلب من جملة ما تتطلبه كفاءة متطورة في مجال السيطرة والمراقبة، والاتصالات والحرب الالكترونية وتعبئة الوقود جوا، ونقل سريع للقوات، وفوق ذلك كله، قدرة على العمل الفعال ليلا وفي الاحوال الجوية الصعبة.

القدرة على الضرب عن بعد (Stand off): كان احد المغازي الاساسية لانتشار صواريخ ارض - ارض بعيدة المدى في المنطقة هو توسيع دائرة الدول التي يكون بامكانها اصابة اسرائيل مباشرة. وهكذا تمكن العراق خلال حرب الخليج ان يهاجم اسرائيل، بدون ان تكون اسرائيل في حالة قتال مع الدول الثلاث التي بين اسرائيل وبين العراق، وهي سوريا والاردن والسعودية. ان ظاهرة وجود دول عازلة ليست متورطة في الحرب لها مغزى سياسي كبير، فهذه الظاهرة تخلق معضلة صعبة تحتاج الى رد. هل نرد عبر اراضيها ونخاطر بانضمامها الى دائرة القتال الفعلي ضد اسرائيل، ام تمتص الضربات وتمتنع عن الرد المباشر.

ان الصعوبة السياسية التي تواجه العمل ضد الاخطار البعيدة يضاف الى المصاعب الاخرى التي يتضمنها العمل المباشر ضد هذه الاخطار، والتي تم بحث بعضها اعلاه. انما توجد امكانية للتغلب على بعض هذه المشاكل والاضطرارات بواسطة كفاءة هجومية معينة طويلة المدى وعن بعد

(Stand off)، والقصد هو القدرة العملية للضرب من دولة اسرائيل على اهداف تبعد مئات الكيلومترات عن حدودها، بنفس قوة تشكيلة انواع الذخيرة، وتعرض التكنولوجيا العصرية في العالم تشكيلة من الوسائل لتنفيذ مثل هذا الهجوم، بواسطة الصواريخ الجوالة والصواريخ البالستية وغيرها.

النظرية وبنية القوات

تمكنت قوات الائتلاف في حرب الخليج ان تحقق حسما سريعا ونسبة فائقة من التدمير. وكان هذا النجاح العملي ناتجا عن استراتيجية عسكرية شاملة، امتازت بتطويق الاجنحة والتوقيت السليم للهجوم البري. فلقد بدأ الهجوم البري بعد توفير الظروف العسكرية والسياسية لتنفيذ الهجوم، بقوات جوية وقوات الكوماندو وعملية ادارية (لوغستية) بارعة وغير ذلك. ليست هذه العبر جديدة، لا من ناحية النظرية العسكرية ولا من الناحية التاريخية. فلقد برزت اهميتها في الحرب العربية - الاسرائيلية وتجلت بوضوح في حرب يوم الغفران (تشرين ٧٣) الا ان قيمة هذه العبر تزداد اهمية كلما كثرت القوات وزادت العقبات في ميدان القتال على الجبهة.

لا شك ان اسرائيل لن تكون تحت تصرفها في حرب المستقبل هذه الوفرة من الوسائل، ومجال العمل السياسي الرحب، وتلك الحصانة الاقتصادية التي مكنت قوات الائتلاف في حرب الخليج ان تخوض حربا طويلة الامد يجري فيها اطلاق النار من مواقع ثابتة بدون حركة. كما ان الظروف الجغرافية لدولة اسرائيل تحد بالضرورة من امكانية عزل منطقة القتال وخوض قتال دفاعي، على الرغم من الفروقات البارزة بين الولايات المتحدة واسرائيل بشكل عام، وفي سياق الفرق بين حرب الخليج وبين الحرب العربية - الاسرائيلية بشكل خاص، الا انه بالامكان دراسة الامور المتشابهة، للمقايسة النظرية، في مجال الاستمرارات والتحديات والاصابات العسكرية والسياسية، ففي كلتا الحالتين، توجد قوات كثيرة على الجبهة وعدم تعادل بين الطرفين بالحساسية للضحايا، والتفوق التكنولوجي الواضح على العدو، بالوسائل القتالية بشكل عام والقوات الجوية بشكل خاص. وهذا ما يبرز ضرورة بلورة نظرية عسكرية دفاعية - هجومية متوازنة. بحيث تركز هذه النظرية على التحركات الهجومية التي لا تنفذ الا بعد التحضير الملائم للقتال الهجومي، مثل تركيز قوات برية وتحقيق تفوق جوي ودك نظام الدفاع الجوي وتدمير الاهداف النوعية وتشويش انظمة السيطرة والتحكم والاستخبارات المعادية،

وتوجيه ضربات معينة للقوات البرية (القيادات والمدفعية وتجمعات السيارات العسكرية المدرعة).

في حرب المستقبل التي تخوضها اسرائيل، يستغرق القتال الدفاعي الذي يسبق عملية الهجوم الاساسية عدة ايام فقط. ودلت على عكس التحضيرات الامريكية للهجوم البري، حيث استغرقت هذه التحضيرات ستة اسابيع، وخلال القتال الدفاعي يوجه الجيش الاسرائيلي ضربات جوية وبحرية وبرية ايضا. الا ان الضربات البرية في المرحلة الاولى تقتصر على اطلاق النار بدون مناورات، وباستخدام قوات خاصة ضد قوات الجبهة وقوات العبدة واهداف عسكرية نوعية في مؤخرة العدو، وكذلك توجد امكانية للقيام بهجومات تكتيكية محلية محدودة. ولا يبدأ القتال الهجومي الاساسي من اجل الحسم وانهاء الحرب الا بعد ذلك. ويتطلب القتال الهجومي اكبر قدر ممكن من تضافر كل عوامل القوة، وتنفيذ مبدأ الالتفاف تجنبا للتعرض للدمار المكثف للقوات خلال الهجوم.

سبق ان وقف كاتب هذه السطور عند اهمية انتقال الجيش الاسرائيلي الى مثل هذه النظرية العسكرية المتوازنة (انظر النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم، اصدار الكيبوتس الموحد سنة ١٩٨٩). وهنا تكفي الاشارة الى انه بالاضافة الى الاعتبارات المذكورة اعلاه، يوجد عدد من الاعتبارات الاخرى، بعضها خاص بالوضع الاسرائيلي - العربي، ويؤكد اهمية التوازن النظري للجيش الاسرائيلي بين الدفاع والهجوم. ويتعلق امم اعتبار بارتباط الجيش الاسرائيلي ارتباطا عاليا بقوات الاحتياط اللازمة للحسم البري (ومن هنا تأتي عدم امكانية خوض قتال يشق صفوف العدو او يلتف على جناحه لحسم المعركة في بدايتها اذا لم تكن الحرب بمبادرة اسرائيلية). ويجدر الانتباه الى ان هذا الاعتبار كان له تأثير لا بأس به على توقيت بدء القتال البري في حرب الخليج من قبل قوات الائتلاف. لقد انتظروا تجمع القوات القادمة من اوروبا وانتشارها تحضيرا لعملية الهجوم على الجناح، وذلك قبل بدء القتال البري الاساسي.

بالاضافة الى ارتباط الجيش الاسرائيلي بالاحتياط، هناك اعتبار اخر هو طابع التشكيلات العسكرية العربية المنتشرة بين الجبهة وبين مجالات المناورة (اذا بقيت هذه المجالات)، وكثرة التحصينات والعقبات في هذه المجالات، ويضاف الى ذلك التفوق النسبي للدفاع العربي، الذي يشكل اعتبارا اخر لصالح التحضير الدقيق للقتال البري الاساسي بالروحية المذكورة سالفا.

وهنا يجدر التأكيد على الصلة بين التغيير النظري المقترح اعلاه وبين التكنولوجيا العسكرية. لقد اصبح التغيير المقترح اكثر قابلية للتنفيذ واكثر اهمية على اثر الميل الواضح للتكنولوجيا العسكرية الى تقوية عنصر النيران على حساب المناورة، ويفضل القائمة التكنولوجية الفنية المطروحة حاليا من قبل الصناعات الامنية، انها تعرض ذخيرة موجهة بدقة وبعيدة المدى ومتطورة (برية وجوية وبحرية) لتدمير القوات وضرب الاهداف النوعية في الجبهة والمؤخرة، وتعرض وسائل سيطرة ورقابة متطورة، بالاضافة الى الاستخبارات الميدانية والاستخبارات التي توفر معلومات عن الاهداف في الوقت المناسب وبأضيق دائرة، وكذلك الطائرات المروحية المتطورة ذات الكفاءة العملية نهارا وليلا، ونشر الالغام، وغير ذلك. (تم بحث عدد من جوانب التكنولوجيا العسكرية الجديدة، واهميتها في ميدان القتال في الخليج، في الفصل التاسع).

وما يجدر التأكيد عليه، ان التجربة المتراكمة من حرب الخليج تشير ليس الى الطاقات التنفيذية الكامنة في التكنولوجيا الجديدة فحسب، وانما تشير كذلك الى القيود والمصاعب التي ينطوي عليها تطبيق هذه التكنولوجيا. قصدنا الاساسي يتعلق بالمصاعب التي ظهرت ليس في مجال المعلومات الاستخبارية عن الاهداف فحسب، وانما بتقديرات نتائج الضربات (Battle Damage Assessment)، وكذلك تمييز قواتك عن قوات العدو في الوقت المناسب، هذه وتلك من الامور لها اهمية حيوية للتطبيق الناجح للتكنولوجيا، التي من المفروض ان تحول ميدان المعركة من غني بالمناورات الى غني بقوة النيران. وبالتالي فان هذه المصاعب التي تم اكتشافها تدل بوضوح على ضرورة العمل بحذر وانتقاد قبل اجراء تحول جذري ببنية القوات ونظرية القتال، اعتمادا على هذه التكنولوجيا.

واخيرا، يجدر التأكيد على ان التغييرات النظرية - التكنولوجية المذكورة لها مفاز تنظيمية ومالية هامة. ان استنفاد الامكانيات الكامنة بهذه التكنولوجيا من قبل الجيش الاسرائيلي، وكذلك تعميق القدرة على اسلوب الالتفاف وقدرة القتال من مسافات بعيدة، لا بد انها تتطلب اجراء تغييرات تدريجية على مبنى قوة الجيش الاسرائيلي. والقصد هو اجراء تغييرات معينة، سواء بتخصيص الموارد ام المهمات المشتركة بين الاذرع، وخاصة القوات البرية والجوية، وكذلك داخل هذه الاذرع، كذلك شكل الاطر وعددها والوسائل القتالية التي تحت تصرفها، وتأهيل وتدريب الطاقة البشرية وغير ذلك، تتطلب تغييرات وملاءمات. وهذا ما يتطلب دراسة وتحضير عميقين في الاطر المناسبة للجيش الاسرائيلي. ولا يمكن تنفيذ ذلك الا بتشجيع ومتابعة متواصلة من كبار قادة الجيش الاسرائيلي. وتجدر الاشارة انه خلال عام ١٩٩١ ظهرت بوادر تدل ان كبار قادة الجيش على علم بضرورة المبادرة وتنفيذ تغييرات تنظيمية تكنولوجية ونظرية بعيدة المدى.

الاستخبارات والحرب الاستخبارية

من الطبيعي ان يكون المخفي اعظم من المشكوف فيما يتعلق بالجوانب الاستخبارية لحرب الخليج، من هنا تنبع الصعوبة في استخلاص اسرائيل للعبر الاستخبارية من هذه الحرب، كل ما يمكن عمله في هذه المرحلة هو تقديم عدد من الملاحظات العامة، اعتمادا على الجزء المصغر من المعلومات، وان كان بعضه موجه حسب ميول معينة، الا انه يلقي ضوءا على الموضوع.

يؤخذ انطباع من دراسة المادة العلنية ان ازمة الخليج وحرب الخليج لا يشكلان قمة نجاح استخباري تام، لا لدول الائتلاف ولا لاسرائيل، ولا للعراق طبعا، وليس المقصود هنا التأكيد على وجود فشل استخباري ذريع لهذا الطرف او ذاك، بل رسم صورة مركبة جدا عن المهام الاستخبارية في مختلف السياقات الاستراتيجية والتنفيذية والتكتيكية. يتطلب ايضاح العبر المستخلصة منها سردا موجزا للعمل الاستخباري في كل مجال من المجالات.

فيما يتعلق بالمجال الاستراتيجي، يمكن الحصول على انطباع بان الاستخبارات على اختلاف انواعها لم تتمكن هذه المرة، ومن المشكوك به ان تتمكن في المستقبل من التغلب بشكل منظم على الصعوبة البنيوية المتعلقة بتخمين نوايا قائد العدو. ينطبق ذلك على نية غزو العراق للكويت، وعلى تخمين ردة فعل الولايات المتحدة على الغزو بنشر القوات وما تلاه من عمل عسكري، وعلى تخمين ان يقرر العراق الانسحاب من الكويت وتوقيت هذا الانسحاب، وعدم استخدام العراق للسلاح الكيماوي، وعلى قرار اسرائيل عدم الرد العسكري على اطلاق صواريخ ارض - ارض العراقية عليها. ان عدم النجاح في هذا المجال يعود لعدة اسباب بنيوية: عدم توفر معلومات موثوقة ومفصلة عن النوايا، وخاصة ما يتعلق بالقرارات الفردية، كما حصل في العراق، وما حصل عمليا في الولايات المتحدة. السبب الثاني هو صعوبة طبيعية لدى المراقبين بتفهم شبكة الاعتبارات التي توجه سلوك الزعماء. السبب الثالث هو عدم معرفة الزعماء انفسهم كيف يختاروا سلوكهم قبل ان يضطروا لمواجهة مشكلة اتخاذ القرار في الوقت المناسب. السبب الرابع هو صعوبة اجراء تقديرات واضحة عن النوايا، بناء على اساس من المعلومات تتعلق بانتشار الجيش بشكل يوفر انواع من آفاق العمل السياسي والعسكري. السبب الخامس هو مواجهة الخداع المتعلق بنشر معلومات غير صحيحة او عمل ضجة ما في اتجاه آخر. السبب الاخير هو افضليات في تركيز جهود جمع المعلومات واجراء التقديرات الاستخبارية (من المشكوك به ما اذا كانت الكويت، او من الضروري انها كانت، على راس سلم الافضليات لمعالجتها من قبل استخبارات الولايات المتحدة او من قبل استخبارات اسرائيل).

بينما فشلت الاستخبارات في مجال تخمين نوايا العدو، نجحت نسبيا بتقدير التحضيرات والنشاطات العسكرية. وتنطبق صحة هذا الكلام على دول الائتلاف وعلى اسرائيل قبل غزو الكويت، وتنطبق صحة هذا الكلام على الائتلاف خلال الازمة والحرب. ولقد تمكنت استخبارات دول الائتلاف في الفترة الواقعة بين غزو العراق للكويت وبين المعركة البرية من جمع ودراسة معلومات كثيرة وسليمة عن الاهداف الاستراتيجية والتنفيذية للعراق، ويعود الانجاز الاستخباري في الحالتين الى الاستغلال الناجح للقدرة المتفوقة بوضوح على العراق بالتكنولوجيا المتطورة لجمع المعلومات (اقمار

صناعية للتجسس، وتصوير جوي، وتنصت). والجهود الاستخبارية البشرية المضاعفة والمتضافرة بين دول كثيرة، اما العراق بالمقابل، منى بفشل ذريع في رسم صورة استخبارية عن قوات الائتلاف. ويمكن التقدير بان هذا الفشل نابع من جهود الائتلاف التي بذلت لشل قدرة العراق على تجميع المعلومات، بالاضافة الى نجاح دول الائتلاف في اخفاء المعلومات والتضليل ونشر معلومات غير صحيحة. كما ان العراقيين كانوا يحللون المعلومات التي يحصلون عليها تحليلا موجها حسب ميول صدام حسين.

اجمالا، يمكن القول ان اساس نجاح الائتلاف وفشل العراق في مجال المعلومات الاستخبارية عن شكل انتشار القوات والاهداف، يعود الى الفجوة الكبيرة بينهما في قدرة تجميع المعلومات. ولكن يمكن القول ان العراقيين لم يحاربوا تقريبا، او انهم خاضوا قتالا ساكنا روتينيا متخلفا. توجد هنا عبرة تهم اسرائيل بشكل خاص. لقد فشلت استخبارات الائتلاف بعدة نقاط، فلم تتمكن استخبارات قوات الائتلاف من استغلال التفوق التكنولوجي لرسم صورة استخبارية تامة وشاملة. تجلى هذا الفشل فيما يتعلق برسم صورة دقيقة ومتجددة عن ميدان القتال بشكل عام، وتقدير اضرار نتائج الضربات (Battle Damage Assessment) بشكل خاص، وبرز هذا الفشل في الحالات المعدودة التي حاول العراقيون خلالها ان يعملوا بشكل اصيل وديناميكي ومتحرك، حتى لو لم تكن هذه الحالات حكيمة من ناحية عسكرية. وهذه الحالات هي قتال الجيش العراقي في خفجه، واستخدام صواريخ ارض - ارض العراقية خلال الحرب، ونقل ٤٨ طائرة من العراق الى ايران. يبدو ان العراقيين تمكنوا من مفاجأة قوات الائتلاف في هذه الحالات الثلاث.

ان العبرة المستخلصة من الفشل في هذه الحالات، انه الى جانب كل التقدم التكنولوجي في المجال الاستخباري، يظهر الضعف النسبي للاستخبارات في مجال جمع واستخدام المعلومات في الوقت المناسب لرسم صورة استخبارية وجمع معلومات عن الاهداف وتقدير الاضرار (نتائج الهجوم) في ميدان القتال المتحرك ذي قوة النيران الكثيفة بشكل عام وفي ميدان القتال الليلي بشكل خاص. ولهذا يجب الحذر من التوقعات المبالغ بها للجدوى العملية الكامنة بانضاج الانقلاب التكنولوجي في ميدان القتال في المستقبل القريب. ان عملية التطوير واستيعاب التكنولوجيا الجديدة لم تؤد بعد الى انقلاب استخباري (عملي) حقيقي في ميدان القتال، انما يوجد تطور تدريجي فقط في هذا المجال. ومع ذلك، يجب عدم الاستخفاف باهمية اي تقدم تدريجي في هذا المجال، بمثل ما امكن تحقيقه بفضل ادخال الطائرات الصغيرة بدون طيار المتطورة للاغراض الاستخبارية. فلقد اثبتت نجاحا ملحوظا خلال حرب الخليج، ولقد برهنت لمن كان بحاجة الى مثل هذا البرهان، بانها تتمتع بقدرة ملحوظة على جمع المعلومات في الوقت المناسب.

واخيرا، كلمة بصدد العبرة المستخلصة من الغموض الاستخباري فيما يتعلق بالوضع الدقيق للمشروع الذري العراقي، وكذلك بالنسبة لتوفر رؤوس حربية كيماوية لصواريخ ارض - ارض في العراق خلال حرب الخليج. صحيح ان ذلك ليس قمة نجاح استخباري، ولكنه لا يعتبر فشلا ذريعا، والسبب الاول ان ضحد او نفي الاحتمالات من قبل الاستخبارات اصعب عن تأكيد صحتها، والسبب الثاني ان هذه المعلومات حساسة جدا او محرمة، فمن الطبيعي انه لا يمكن الحصول على مثل هذه المعلومات الا من مصادر قيادية يصعب الوصول اليها، ولا بد ان تتكرر في المستقبل ظاهرة نقص المعلومات الحيوية عن موضوع حرج، والسؤال المطروح هو، في حالة عدم توفر معلومات اكيدة عن وجود وسيلة قتالية حرجة لدى العدو، فهل من الانسب ان يتشدد رجال المخابرات ام يخففوا تقديراتهم. ان الاجابة على هذا السؤال معقدة وتدور حولها الخلافات. لكن الواقع يعلمنا ان مخمني المخابرات يميلون في هذه الحالات الى التشديد في تقديراتهم لان المسؤولية الملقاة على عاتقهم ثقيلة وللخطأ ثمنه في هذه الحالات - سواء كان ذلك صحيحا ام لا، الا انه يحتوي على منطق وفائدة. وهذه العبرة هامة للحالات القادمة.

مواجهة الخطر الامني الداخلي

الى جانب التطورات العسكرية لحرب الخليج، طرحت في اسرائيل مسألة شكل معالجة الخطر الامني الداخلي. من الواضح

ان جزءا فقط من مواجهة خطر الامن الداخلي يقع ضمن المجال العسكري، الا ان هذا الموضوع يقتصر على هذا الجزء.

يبدو انه على الاقل، فيما يتعلق بالمدى العسكري والاستخباري للعمل، يمكن الاستفادة من النجاح الذي تحقق بمعالجة خطر الامن الداخلي خلال الحرب. ولقد تحقق هذا النجاح بفضل ثلاث وسائل: منع تجول مستمر، اغلاق محاور الحركة بين الضفة الغربية وقطاع غزة وبين اسرائيل خلال الحرب، التهديد باستخدام الشدة لردع السكان العرب المحليين الهائجين عن القيام باعمال ارهابية في المناطق او انطلاقا من المناطق. وما يجدر ذكره ان فترة الانذار الطويلة التي سبقت نشوب الحرب في الخليج، وفرت للجيش امكانية اجراء التحضيرات الشاملة لمعالجة مشاكل الامن الداخلي. ومن المشكوك به ان تتوفر مثل هذه الفترة الانذارية ومثل هذه التحضيرات في حالة نشوب حرب اسرائيلية - عربية في المستقبل، كما ان عدم التدخل العسكري الاسرائيلي المباشر في الحرب، الى جانب توفر القوات لمعالجة الامور في المناطق (بفضل عدم وجود خطر على الجبهة)، قد سهلا على عملية اغلاق المناطق وفرض النظام داخلها، الا ان النقطة الاساسية ظلت سارية المفعول، وهي انه بالاستعدادات المناسبة يمكن تقليص الخطر على الامن الداخلي الى الحد الادنى، حتى لو كان السكان المحليون يريدون استغلال الحرب للمساهمة بدورهم في النضال العربي ضد اسرائيل، وما تم الحصول عليه من خبرة له صلة هامة.

الا ان تطبيق هذه الخبرة في المستقبل يحتاج تكييفا معينا حسب الطابع الخاص لحرب اخرى.

ومع ذلك، يجدر التوقف عند الابعاد السياسية والاقتصادية طويلة الاجل للمحافظة على الامن الداخلي بواسطة نشاطات عسكرية مكثفة وحازمة على حدود المناطق وداخلها، وما يرافقها من عزل سكان المناطق عن اسرائيل، وعلى سبيل المثال، ان خطوات منظمة وطويلة كهذه تخلق من جملة ما تخلق دينامية فصل بين المناطق واسرائيل، يتجلى بتعبيرات محددة على المدى الطويل، ويجب ان لا نتوقع من وسائل الامن الداخلي التي اثبتت نفسها خلال حرب الخليج ان تظل مجدية لفترة طويلة بعد الحرب ايضا. لاعتبارات سياسية مختلفة لا توجد امكانية للاستمرار بفرض هذه الوسائل. كما ان سكان المناطق يتعودوا على بعض هذه الوسائل، ولكن يصعب عليهم ان يستمروا ويضبطوا نفسهم ازاء باقي الوسائل على المدى الزمني طويل الاجل، خاصة في ظل عدم احراز اي تقدم على درب التسوية السياسية للمسألة الفلسطينية. ومن ناحية اخرى، لا بد ان قيمة وسائل الردع والفرض الاخرى التي موزست مع سكان المناطق تضمجل مع الزمن، كما اضمحلت قيمة وسائل العقاب والفرض التقليدية (منع التجول والاعتقالات والطرد وتفجير البيوت او اغلاقها وغير ذلك) خلال الانتفاضة.

ويجدر هنا التوسع بطرح وجه آخر من الخطر على الامن الداخلي، وهو الخطر على الامن الداخلي المتوقع من داخل الخط الاخضر، خلال الحرب او غير الحرب. ان الاتجاهات الحالية للعلاقات العربية - الاسرائيلية داخل الخط الاخضر مقلقة جدا. وهناك حاجة لبذل جهود مركزة ومنظمة لوقف هذا الاتجاه بمضاعفة دمج عرب اسرائيل في شؤون الدولة وتقليص شعورهم بالظلم. وفي حالة عدم احراز تقدم على هذين المستويين، يجب ان نتوقع زيادة ملحوظة في حدة المواجهات بين السكان العرب واليهود في دولة اسرائيل، قد تتحول الى مواجهات عنيفة خلال حرب اسرائيلية - عربية في المستقبل، ويقال هذا الكلام، على الرغم من ان سلوك مواطني اسرائيل من العرب كان هذه المرة على ما يرام بشكل تام. ولما كان المقصودون مواطنين من دولة اسرائيل وفي مناطق سيادة الدولة، لا توجد امكانية قانونية لمواجهة هذا الخطر بنفس الوسائل والاساليب والادوات التي استخدمت في المناطق، لذلك من الضروري ان يبدأ الاهتمام من الان ببذل الجهود لايجاد تسوية لطلبات عرب اسرائيل، وتبني اساليب اخرى متنوعة لاجراء معالجة فعالة لمشاكل الامن الداخلي داخل الخط الاخضر خلال اي حرب. وهي بالضرورة ضمن مجال صلاحيات شرطة اسرائيل ومصلحة الامن العامة. الا ان الشرطة وحدها قد يصعب عليها العمل بفعالية في مجال فرض النظام بدون مساعدة مكثفة من حرس الحدود، وربما الجيش الاسرائيلي ايضا.

الرقابة ووسائل الاعلام والرأي العام

لقد بحثت الجوانب الاجتماعية لحرب الخليج بتوسع في فصول اخرى من هذا الكتاب. ولا نركز هنا سوى على العبر

العسكرية المتعلقة بالرقابة والاعلام والرأي العام كما استخلصت من حرب الخليج. كانت احدى العبر البارزة في هذا المجال هي اتساع تفهم الرأي العام في العالم لضرورة التعتيم وفرض الرقابة الصارمة على مجريات الحرب، لدواعي متعلقة بامن القوات المحاربة. ولم يثور الجمهور الاسرائيلي ابدا ضد الرقابة العسكرية فيما يتعلق بهذه المواضيع. ولكن السلوك الاسرائيلي في هذا المجال لم يكن يحظى بتفهم كبير من العالم، ولم يلق تعاونا من جانب ذوي الشأن. ومن الممكن ان يكون الوضع في المستقبل مختلفا بفضل الاسبقية التي حصلت هذه المرة، وبفضل تثقيف وسائل الاعلام والرأي العام خلال حرب الخليج. وعلى ضوء التجربة الناجحة نسبيا للرقابة والتعتيم الاعلامي خلال حرب الخليج في اسرائيل (بكل ما يتعلق باماكن سقوط الصواريخ، مثلا) وفي باقي دول الغرب التي حاربت في الخليج.

ومع ذلك يجدر تدقيق وتحديد الاستنتاج المذكور اعلاه في مجالين. الاول، بالنسبة لامكانية نجاح جهود سلطات الامن الميدانية ان تمنع وصول معلومات الى وسائل الاعلام. لقد ثبت عدم فعالية ذلك سواء في اسرائيل او في الخليج. فلقد وصلت معلومات عسكرية كثيرة وهامة الى وسائل الاعلام خلال حرب الخليج. ولا بد من الافتراض ان ذلك سيتكرر في المستقبل، بفضل جرأة بعض الصحفيين بالبحث عن المعلومات، ووسائل جمع المعلومات والاتصالات المتطورة والموجودة حاليا لدى مندوبي وسائل الاعلام (مما يضيف مزيدا من المعلومات التي يحصلون عليها بالطرق العادية، يحصلون على معلومات بالجولات ونقاط المراقبة وتسرب وتسريب المعلومات)، وبفضل انتشار التكنولوجيا التي توفر امكانية نقل المعلومات الاعلامية الى الخارج بسرعة وبدون رقابة. ومع ذلك تجدر الإشارة الى ان مندوبي وسائل الاعلام الدوليين في اسرائيل والخليج، في هيئات تحرير الصحف وشبكات الراديو والتلفزيون، قد اثبتوا بشكل عام استعدادا فائقا للتروي والتعاون مع السلطات التي ارادت ان تفرض تعتيما على مجريات الحرب الاساسية. وكان للضغط الجماهيري دورا ساهم في خلق هذا الاستعداد. كما ان جزءا من هذا الاستعداد نبع من التهديد بفرض عقوبات واتخاذ اجراءات شديدة. وخاصة الامتناع عن التعاون، اتخذتها السلطات ضد اعضاء وسائل الاعلام الذين لم يلتزموا بتعليمات الرقابة.

التحديد الثاني الذي لا يقل اهمية، يتعلق باستعداد المؤسسة العسكرية ان تتعاون مع وسائل الاعلام وتضع نفسها تحت تصرفها بشكل متواصل، وتقدم لها كمية ونوعية من المعلومات اليومية المفصلة من قبل ضباط كبار، وبشكل يرضي وسائل الاعلام والجمهور. ولقد اثبت ذلك فعاليته في حرب الخليج، فهو يوفر الاعلام والمتعة بنفس الوقت، شريطة عدم المس بستار الدخان الذي ارادت السلطات ان تفرضه على النشاط التنفيذي، وساهمت في ذلك سياسة السماح بنشر وكشف معلومات واسعة بعد استكمال العمل التنفيذي.

العبرة الاخيرة التي تم بحثها اعلاه ليست بالامر الجديد، فلقد طرحت بوضوح خلال استخلاص عبر حروب سابقة، توجد امكانية وضرورة لفرض رقابة امنية على التطورات العسكرية خلال القتال. ومثل هذه الرقابة يمكن تفهمها من قبل الجمهور، وان تلقى التعاون من قبل مندوبي وسائل الاعلام. الا ان فعاليتها مشروطة بتفهم العناصر المسؤولة عن الرقابة وكذلك عناصر الاعلام، لان تعاون وسائل الاعلام هو بالاساس تطوعي. ومن اجل تشجيع مندوبي وسائل الاعلام ان يواصلوا تعاونهم لا بد من الاستعداد لكشف معلومات مرتبة بشكل عميق وسريع عن مجريات القتال قدر الامكان، وبنفس الوقت، اتخاذ الاجراءات القاسية ضد من يخرق التعتيم الاعلامي.

الخلاصـــة:

شكلت حرب الخليج نموذجا مميز اسرائيل بواسطته جوانبا معينة من كفاءتها العسكرية بدون تدخل شامل مباشر منها في الحرب ذاتها. وبالتالي تشكل نتائج الحرب شهادة حكم محايد للجيش الاسرائيلي، انما ظهرت العلامات بالنسبة لبعض المواضيع. اما المواضيع التي لم تظهر علاماتها، ليس بالامكان بلورة رأي واضح بالنسبة لكفاءتها، وما زال يوجد مجال واسع لاجراء التحسينات لغاية الموعد الذي قد يأتي به الامتحان النهائي.

يمكن القول انه على الاقل في المجال العسكري الامني، اظهرت شهادة الحكم المحايد وجود عدد غير قليل من النقاط

المضيفة لدولة اسرائيل والجيش الاسرائيلي. وتشمل العلاقات بين المستوى السياسي والمستوى العسكري، سواء قبل الحرب ام خلال الحرب. كذلك التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة واتجاهات بناء قوة الجيش الاسرائيلي، وبنسبة اقل انما ذات اهمية المخابرات والجبهة الداخلية. هناك مجالات تتطلب استخلاص العبر وادخال تغييرات نظرية، هي شكل القوة ووسائل القتال وغيرها. انما فوق ذلك كله، نشأت على اثر الحرب "نافذة الفرص"، لاجراء تغييرات بفضل الضربة القاسية التي تلقتها القوات العسكرية العراقية، وكشف نقاط الضعف الكثيرة في كفاءة الجيوش العربية عندما تواجه جيشا غربيا عصريا كالجيش الاسرائيلي. ان السنوات القادمة، اذا تم استغلالها كما يجب، يمكنها رفع كفاءة الجيش الاسرائيلي الى درجة عظيمة حتى يتغلب على الجيوش العربية، اذا شنت حربا علينا. كذلك توفرت امكانية لاستغلال التفوق العسكري الاسرائيلي الواضح على دول الرفض، لتحقيق تسويات سياسية مع العرب المستعدين لذلك، والقيام بذلك من مركز قوة.

التكنولوجيا في الحرب
الدروس الاولية من حرب الخليج

بقلم: زئيف بوخان

ان من يرغب في استنباط العبر من حرب الخليج فيما يتعلق بتأثير التكنولوجيا الحديثة على ساحة الحرب في مناطق اخرى عليه ان يكون حذرا. وذلك لعدة اسباب:-

اولا: لقد كانت مزايا الاطراف المتخاصمة، ونسبة القوى بينها وطريقة ادارة الحرب من قبلها خاصة جدا. وبهذا الصدد يجب الاشارة بشكل خاص الى النهج السلبي العراقي. لقد كانت حرب الخليج حربا احادية الجانب حيث اختلفت مراحلها تمام الاختلاف عن معظمه، وربما كل الحروب الاخرى معركة جوية متواصلة عقبها معركة برية قصيرة جدا وسهلة جدا.

ثانيا: خصوصية مزايا المنطقة: منطقة صحراوية مكشوفة تمكن فيها السلاح الجوي والاستخبارات والاسلحة الدقيقة من العمل بشكل حسن.

ثالثا: الوقت الطويل الذي كان امام التحالف الذي استمر تقريبا اكثر من نصف سنة وهذا الوقت مكن من القيام بتحضيرات اساسية وتخطيط دقيق للمعركة.

يجب التأكيد انه اثناء كتابة هذا الفصل توفرت للكاتب معلومات جزئية فقط وثمة معلومات كثيرة جدا ما زالت مجهولة، وخاصة فيما يتعلق بالمعركة البرية في المراحل الاخيرة. (يجب الاشارة الى انه من الممكن استخلاص معلومات كثيرة من المشاهدة المتفحصة للتلفزيون الذي كان يبث الانباء طوال الحرب). على اية حال، في هذه المرحلة نستطيع الحديث فقط عن العبر الاولية، وعموما، يمكننا القول ان السلاح الدقيق تمتع بدور حاسم في الحرب ليلا ونهارا جوا وبرا.

في هذا الفصل، سنتطرق قبل كل شيء الى العبر العامة التي استخلصت بشأن قدرة (السلاح الموجه الدقيق) من حيث المعارك الجوية والبرية والاستخبارية وصواريخ ارض ارض ثم سنتطرق الى التأثيرات الخاصة لكل ذلك بالنسبة لاسرائيل.

دروس عامة

- قدرة السلاح الموجه الدقيق:-

بموجب تقرير وزارة الدفاع الامريكية (١) القيت من الجو طوال فترة الحرب ٦ر٢٥٠ طن من القنابل الموجهة التي اصابت اهدافها في حوالي ٩٠٪ من الحالات. كما القيت ٨٢ر٢٥٠ طن من القنابل العادية التي اصابت اهدافها فقط في ٢٥٪ من الحالات. الامر الذي يعني انه كي يتم تدمير الاهداف بقنابل عادية، وهذا غير ممكن بالنسبى لجزء من الاهداف، ثمة ضرورة لعدد كبير جدا من الطلعات. ويجدر الاشارة الى ان تنفيذ كل مهمات القصف كان مرتبطا بجهاز مساندة كبير يشمل، طائرات مرافقة، طائرات حربية الكترونية، طائرات للتزويد الجوي بالوقود في معظم الطلعات، وطائرات استخبارية. اي ان تكلفة الطلعة كانت مرتفعة جدا. لذلك، ورغم حقيقة ان ثمن السلاح الدقيق مرتفع جدا، الا ان تكلفة تدمير هدف، بما في ذلك تكلفة الطلعة بالسلاح الدقيق كانت اقل وارخص. والاكثر من ذلك، مستوى التدمير السريع بالسلاح الدقيق كأن تؤدي الى الانهيار السريع (انظر في السياق الى هروب الطائرات العراقية الى ايران).

يجب التأكيد على ان هذه النتائج انجزت في ظروف مثالية. بعد شلل سلاح الجو والدفاع الجوي العراقيين. ومن المؤكد ان هذه النتائج ستكون اقل جودة فيما لو استخدمت ضد عدو اقوى، سواء كان على صعيد القنابل العادية او السلاح الدقيق.

ولكن كلما كان الدفاع الجوي للعدو افضل تزداد افضلية السلاح الدقيق الذي ينجز اصابة دقيقة، على القنابل العادية التي تلزم اقتراب من الهدف لتنجز اصابة معقولة.

المعركة الجوية

لقد ثبت مجددا صحة حقيقتين قديمتين: الاولى من المستحيل الصمود في الحرب في ظروف ضعف جوي بارز والثانية من المستحيل الانتصار في الحرب فقط عن طريق السلاح الجوي، اذ يلزم الامر عملية برية لانهاء الحرب.

اعلن صدام حسين عن موافقته للانسحاب من لكويت قبل بدء المعركة البرية وذلك دون تدمير خيرة جيشه، لذلك يمكن القول ان الحرب حسمت جوا، غير انه لو تم قبول اقتراحه لفسر الامر من قبل العراق واخرين كثيرين بانه نصر عراقي، وبان امريكا تخشى من الحرب البرية. لذلك كان ثمة ضرورة لعملية برية بهدف انهاء الحرب للتأكيد على التفوق الحاسم في البر ايضا.

لقد بدأت الحرب بشل المضادات الجوية العراقية حيث ان القنابل المتملصة F 117 A/ التي القيت في ٤٠٪ من الطلعات في الساعات الاولى (٢) والصواريخ البحرية (طوموهوك) والقنابل الذكية بانواعها المختلفة والوسائل القتالية الالكترونية. كل ذلك ونتيجة لانسجامها وتزامنها النابع من التحضير المتواصل ولعدم الرد الحقيق ادت الى شل قدرة الدفاع الجوي العراقي في وقت قصير جدا.

وثمة اهمية خاصة للاشارة الى دور الطائرة المروحية "افاتشي" في تنفيذ بداية الهجمات في الحرب، حيث ان الطائرات المروحية "الافاتشي" الثمانية التي تسللت ليلا على ارتفاع منخفض جدا دمرت موقعي انذار مبكر اساسيين غربي العراق بواسطة ٢٧ صاروخ (هليفر). وفتحت بذلك ممرا واسعا عبرت عن طريقه معظم الطائرات الى بغداد وعملية الفتح هذه والتفوق الذي يمنحه للمهاجم ثبتت اهميتها حتى في الحرب التكنولوجية، والاكثر من ذلك من السهولة بمكان القيام بمفاجئة وتنفيذ عملية فتح حاسمة باستخدام السلاح الدقيق الذي يحتاج الة قوة صغيرة جدا لتنفيذ مهامه.

في الصراع المتواصل بين الطائرة وشبكة المضادات الجوية عدنا، في الظروف المثالية لحرب الخليج، الى الحالة التي سادت في حرب الايام الستة، بعد سنوات من ذلك "لوى الصاروخ جناح الطائرة" في حرب الغفران. وفي هذه الحرب بذلت جهود تطويرية كبيرة لاعادة الطائرة الى سابق عهدها. ورأينا النتائج الاولى لهذه الجهود في عمليات سلاح الجو الاسرائيلي في البقاع اللبناني عام ١٩٨٢. ففي هذه المرة رأينا ما نستطيع انجازه ضد المضادات الجوية في ظروف مثالية وضد عدو اقل مستوى من خلال استغلال التفوق في عملية الفتح. وحتى بعد تدمير وحدات الرقابة الجوية اثناء عملية الفتح وانهيار جهاز المضادات الجوية بشكل كامل، فما زالت معظم اجهزة المضادات الجوية العراقية موجودة غير انها دون سيطرة مركزية. واثناء المعركة الجوية برزت نقطتا ضعف: الاولى لم يكن بالامكان تدمير الدفاع الجوي المكثف على ارتفاع منخفض، والمسنود بتوجيه بصري والكتروبصري، بواسطة الاسلحة الالكترونية ومعظم طائرات الـ "طورتيندوا" البريطانية سقطت اثناء هجومها بارتفاع منخفض على مطارات محمية جيدا.(٣) لذلك اضطر البريطانيون الى ان يتوقفوا في وقت مبكر جدا عن الهجمات بهذه الطريقة. اما الامريكيون فقد عملوا منذ البداية على ارتفاع اكثر من ٥٠٠ر٥ قدم. (٤) وباسناد الوسائل الالكترونية (انظر في السياق) على ارتفاع كهذا يكون للسلاح الدقيق افضلية كبيرة على القنابل العادية.

ثانيا من الصعب جدا تشخيص وتدمير قواعد اطلاق متنقلة، حيث لم تتمكن حتى الطائرات المخصصة من نوع Wild Weasel التي اطلقت حوالي ٥٠٠ر صاروخ Harm. (٥). High Speed Anti Radiation (Missiles) من تدمير صواريخ ارض-جو خلال وقت معقول. لذلك وبغية تواصل وتصعيد المعركة الجوية كان من الضرورة الاستناد الى جهاز الحرب الالكترونية الضخم لمواصلة تدمير اجهزة الدفاع الجوية.

لقد شل سلاح الجو العراقي منذ البداية بواسطة قصف المدرجات ومواقع الرقابة والسيطرة ومواقع مساعدة اخرى. ومع

استمرار الحرب توقف كليا عن العمل بواسطة القصف المباشر بالقنابل الذكية وصواريخ ارض SLAM لمكامن الطائرات المحصنة (هذه المواقع لم يكن بالامكان اصابتها بقنابل عادية). ان الوتيرة السريعة لقصف المكامن ادى في وقت قصير الى هرب افضل الطائرات العراقية الى ايران، ويجب ان لا نستخلص من ذلك بان في حرب بين اعداء اخرين يتمتعون بمزايا مختلفة من الممكن التوصل الى تفوق جوي حاسم وفي وقت ليس قصيرا الى هذا الحد.

في الظروف التي نجحت، استطاع الذراع الجوي العمل ضد اهداف ارضية عمليا بدون ازعاج، ان القدرة في العمل الليلي التي امتازت بها الطائرات والاسلحة الدقيقة ساعدت في استغلال كل ساعات اليوم باستثناء بعوائق الاحوال الجوية احيانا. وفي مثل هذه الظروف المثالية التي نستطيع خلالها اكتشاف القدرة الجوية. من الممكن ايضا ان نرى العقبات امام السلاح الجوي. صحيح انها تستطيع تدمير الاهداف المرئية والمشخصة من الجو سواء كانت اهداف صعبة او سهلة. ولكن من الصعب جدا معالجة تشخيص فتحات التهوية وفتحات اخرى لهذه الاهداف. وهكذا اتضح انه يلزم وقت طويل لتحقيق نتائج قوية ضد قواعد وقوات ارضية محصنة جيدا. وكان هناك تأثير ايضا لحالة الجو. فعلى الرغم من التطورات التكنولوجية، فان حالة الجو السيئة ما زالت تشكل خطرا جديا يحول احيانا دون تفعيل سلاح الجو في لحظات حاسمة في المعركة.

كان للقصف الاستراتيجي على العراق هدفين أساسيين: تدمير القاعدة العسكرية بما في ذلك الصناعة العسكرية والاسلحة غير التقليدية، وتدمير القاعدة المدنية وخاصة محطات الكهرباء والماء والوقود ووسائل الاتصال كوسيلة للضغط يؤدي الى وقف الحرب.

وتدمير القاعدة العسكرية والمدنية للعراق جوا سيكون له بالتأكيد ابعادا طويلة الامد بالنسبة للعراق والشرق الاوسط فمن جهة ان عملية تدمير القاعدة المدنية لم تؤثر كما يبدو وبصورة فعالة على اتخاذ قرارات صدام حسين اثناء الحرب. صحيح ان ثمة ادعاء بان اصابة الملجأ في بغداد الذي يمكن ان يكون قد تواجد فيه عائلات القيادة العراقية، قد ادى الى اتخاذ القرار الاول الذي اعلن فيه استعداده الانسحاب من الكويت. ولكن حتى لو ان ذلك قد حدث فعلا، يجب ان لا نستخلص منه نتيجة ان المعركة حسمت جوا. لذلك فان وجهة النظر القائلة اعتمادا على الدروس المستقاة من الحروب السابقة بدءا من الحرب العالمية الثانية، بان للقصف الاستراتيجي تأثير حاسم على عمليات الحرب، وخاصة الحرب القصيرة، ان وجهة النظر هذه تتعزز في اعقاب هذه الحرب. ومع ذلك ثمة سؤال: هل القصف المكثف للمدنيين في بغداد كان من شأنه ان يقصر من امد الحرب؟

لما كانت دول التحالف قد امتنعت عن القيام بمثل هذا القصف فانه يصعب الاجابة على مثل هذا السؤال. ولكن من الجائز الاشارة الى تجربة الحرب العالمية الثانية التي قصفت فيها المانيا بهذه الصورة طوال سنين.

ومن جهة ثانية ان تواصل قصف القوات البرية العراقية من الجو، وعزلها عن مصادر التموين وتدمير جزء كبير من مدفعياتها ومدرعاتها وعزل معظم وسائل الاتصال عنها، كل ذلك ادى الى اقتراح صدام حسين الخروج من الكويت قبل بدء المعركة البرية بغية انقاذ خيرة جيشه. والاكثر من ذلك فان القصف الجوي المتواصل على القوات البرية العراقية ادى بالتأكيد الى الحسم السريع والسهل للمعركة البرية. اذ يجب التأكيد على ان معظم الاليات العراقية دمرت في المعركة الجوية اكثر منها في المعركة البرية. ١١٫٦٨٥ دبابة و١٫٤٠٠ مدفعية دمرت في المعركة الجوية بينما دمرت في المعركة البرية ١٫٣٢٣ دبابة و ٧٤٠ مدفعية فقط.(٦)

ان القصف الجوي نفذ بالدمج بين القصف السطحي والتدمير المركز للاهداف. وشارك في القصف ايضا المدفعية التي شملت الاف الصواريخ من نوع MLRS مع رؤوس متفجرة، وعشرات صواريخ ATACMS. في هذه المرحلة لا يتوفر لدينا الا معلومات جزئية عن قدرة وتأثير الوسائل القتالية المختلفة في عملية القصف المركز. لقد تم اطلاق ٥٫٥٠٠ صاروخ "سريع" من الصواريخ الموجهة مع رؤوس ليلية ضد سيارات مدرعة والمدفعية واهداف اخرى. واكثر من ٨٫٠٠٠ قنبلة موجهة بالليزر. (٧) اطلقت بنجاح كبير ضد اهداف مختلفة بما في ذلك قطع طرق الامدادات (الجسور). واستخدمت صواريخ MLRS ضد بطاريات المدفعية وبطاريات ارض-جو واهداف اخرى. لقد ادت هذه الهجمات المتواصلة على القوات

الارضية الى وقوع خسائر جسيمة وعمليات فرار واسعة. وهذه الخسائر وقطع اجهزة الاتصال والنقص في الطعام والماء حطمت الارادة والقدرة القتالية حتى قبل بدء المعركة البرية. (٨)

الاستخبارات

تم تغذية استخبارات الاهداف من قبل الاقمار الصناعية، والصور الجويب والطائرات دون طيار، Joint Services Tactical Acquisition and Reconmissance System (ل-STARS) (AWACSوشبكة تطير في بوينغ ٧٠٧ لتشخيص الاهداف الارضية التحركة التي عملت بشكل تجريبي.

ان اهمية الدائرة-الاستخبارية القصيرة لاكتشاف اهداف متحركة تجلت في الهجوم على مواقع صواريخ "السكاد". حيث كان هناك ضرورة لايجاد اتصال فوري بين القمر الاصطناعي الـ DSP الذي مهمته تشخيص مواقع الصواريخ ارض-ارض وبين طائرة J. STARS والطائرات الهجومية التي تحلق في سماء غرب العراق.

وهذا النموذج غير متميز بالنسبة لساحة المعركة. بشكل عام كانت دائرة الاستخبارات وتقدير الاضرار التي اعتمدت على الصور الجوية كبيرة جدا وبطيئة (تطلب الامر عدد كبير من الساعات) (٩). والنموذج البارز في ضعف وفشل الذوائر الاستخبارية الكبيرة تجلى في مفاجئة "الخافجة" ففي المرة الوحيدة التي خرج فيها العراقيون للهجوم انكشف الامر بعد ان كانوا قد وصلوا داخل الخافجة.

نشير بشكل خاص الى المعركتين التي تم فيهما التزود بمعلومات استخبارية في دائرة قصيرة: الطائرات بدون طيار الاسرائيلية التي تم تشغيلها بالاساس من قبل الاسطول وجنود البحرية (١٠) وشبكة الـ J. STARS حيث تمكنت طائرتا J.STARS في ٩٠٪ منالحالات تشخيص وحدات متحركة في مداخل رئيسية وتم قصفها جوا في وقت قصير. (١١)

المعركة البرية

لا يوجد في هذه المرحلة الا معلومات قليلة عن تفاصيل الحرب البرية، وكل ما سيقال هو في اطار التكهنات وحسب. غير ان ثمة شيء واحد واضح تماما: هو ان عدد الخسائر للتحالف في المعركة البرية كان قليلا جدا (جزء كبير من هذه الخسائر كان جراء الحوادث والاصابات الذاتية) ونبعت هذه النتيجة كما يبدو من عدة عوامل: العامل الاول: القصف الجوي المكثف قبل بدء المعركة البرية، والثاني هو الدور المهم الذي لعبته الطائرات المروحية الهجومية في ساحة المعركة البرية والثالث افضلية نراع المدرعات الامريكي الذي كان يقصف على بعد كبير وفي الليل.

لا نعرف بعد ما اذا كانت خطوط الدفاع وحقول الالغام العراقية جنوبي الكويت قد شكلت عائقا جديا الى هذ الحد مثلما اعلن قبل الحرب. وهل حقا كان الامر يتطلب قصفا جويا وبريا متواصلا الى هذا الحد؟ على اية حال المعلومات الدقيقة التي توفرت للامريكيين عن مكان العوائق العراقية، اضافة الى تدمير جزء كبير من المدفعية جوا قبل بدء المعركة البرية.(١٢). ساهمت الى درجة كبيرة في القيام باقتحام سريع وبسير. حيث ان العائق غير المحمي بالنيران لا يعدو كونه للتخويف فقط.

لا يتوفر لدينا معلومات منفصلة عن المعارك المتنقلة في اطار التطويق العميق. حيث ان التطويق العمودي من قبل الفرق الامريكية المظلية ساهم في الاغلاق السريع للجيب العراقي. والقدرة الليلية للدبابات والطائرات المروحية الامريكية منحت القوات الامريكية منذ البداية تفوق جدي في القتال ضد سلاح المدرعات العراقي. واجمالا اصيب عدد قليل جدا من الدبابات الامريكية مقابل مئات الدبابات العراقية. ان مستوى السحق العالي الذي ميز الحرب التي اندمجت بالتوفيق التكنولوجي والتكتيكي معا، ظهر لاول مرة في القتال البري. وفي البحر والجو تحققت نسبة سحق عالية في حرب الغفران وحرب لبنان، وهذه المرة، وفي المعركة البرية في حرب الخليج، اتضح ان تطور القدرة للاصابة الدقيقة لاهداف ارضية في

الهجوم على "فرقة حمورابي" للحرس الجمهوري في الليلة الاخيرة من الحرب. هذه المروحيات استخدمت ايضا كمدفعية طائرة في الهجوم على التحصينات العراقية. ادى ذلك في حالات معينة الى استسلام جماعي للجنود العراقيين الذين كانوا في هذه التحصينات مثل التقدم السريع للقوة الفرنسية في التطويق العميق.(١٢). حيث قامت المروحيات باخلاء الطريق للدبابات التي لم يبق لها مهمة سوى جمع الاف الاسرى العراقيين. يجب التأكيد على ان المروحيات عملت، عمليا، دون التعرض لاي خطر في ظروف جوية خالية. ومع ذلك، لا شك بانه سيكون للمروحيات الهجومية في المستقبل وزنا اكبر في الحرب البرية.

تأثير صواريخ ارض-ارض

ان الدرس الاساسي الذي يمكن استخلاصه من هجمات صواريخ ارض-ارض هو انه يجب ان لا نقيس تأثيرها حسب عدد الاصابات القليلة التي يسببها صاروخ واحد، بل حسب تأثيرها على مسار المعركة ونتائجها.

ان التوجه الذي يقلل من اهمية صواريخ ارض-ارض (عندنا وعند الجنرال شوفر تسكوفيف) بسبب قدرتها المتدنية بالمفهوم العسكري الخالص، هو توجه خاطيء من الاساس. ان التأثير النفسي، السياسي والاقتصادي في الداخل الاسرائيلي كان كبيرا جدا. وقد سببت الصواريخ العراقية الى انحراف ذو مغزى في الجهد الحربي الجوي لمعالجة هذا الخطر وبالاساس بغية الحؤول دون توسع الحرب.

ان معالجة هذا الخطر انقسم الى مجالين: اصابة المواقع المتحركة لاطلاق الصواريخ من الجو واصابة "السكاد" نفسه بواسطة "الباتريوت". وفي المجالين كان النجاح جزئي ومحدود. وبالرغم من الجهد الجوي الكبير فما زال موجودا، بعد الحرب، عدد كبير من مواقع الاطلاق المتحركة في ايدي العراقيين. وفيما يتعلق في "الباتريوت" اتضح بالمناسبة ان قيمته كانت بالاساس نفسية لتهدئة السكان، ان "سكاد" العراقي البعيد المدى بشكل ساذج، والذي تفكك بالجو لعدة اجزاء، اتضح انه عدو قاسي من الصعب جدا على جهاز توجيه "الباتريوت" مواجهته. ان النقص في الوسائل الدفاعية الناجعة ساهم في ظهور جيل جديد من الاسلحة، ورغم التحذيرات منذ سنوات من الخطر الوشيك للصواريخ بعيدة المدى، فان الاجهزة الدفاعية لم تكن مستعدة وبحاجة للمزيد من الاختراعات الفنية ولنظرية الحرب. ولا شك ان تجسيد هذا الخطر، سيحفز جدا تطوير الدفاع الفعال ضد صواريخ ارض - ارض وصواريخ جوالة.

وحول الدفاع السلبي، فان وجهة النظر القديمة التي مصدرها الحرب العالمية الثانية قد تطرقت الى خطر القصف من الطائرات الذي يعطي فرصة انذار طويلة ونزول الى الملاجيء. ان وجهة النظر هذه تزعزعت حيث ان الزمن القصير للانذار وضرورة الحماية من الرؤوس المتفجرة والرؤوس الكيماوية قد ادى الى معضلة كبيرة قادت الى اختراع الغرفة مغلقة الاحكام.

في الختام ثمة سؤال، ماذا سيكون تأثير خطر صواريخ ارض - ارض في المستقبل؟ هل سيكون خطرا ثانويا فقط او سيحدث تغيير جوهري في ميزان القوى في الحرب؟ ان الصواريخ الدقيقة، SS-21وصواريخ بعيدة المدى اخرى وايضا الصواريخ البحرية ستشكل خطرا جديا على مراكز القوى العسكرية والصناعية اضافة الى تاثير الصواريخ غير الدقيقة على العمق المدني بمجمله. ان هذا الخطر الشامل ليس خطرا ثانويا ويلزم التفكير مجددا بشكل شامل في جماية الجبهة الداخلية.

وسنتطرق الى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الثامن.

- مساهمة التكنولوجيا في الحرب

من الممكن تلخيص دور التكنولوجيا بتقسيمها الى المقاييس التالية:

أ- مقياس العمق: القدرة على تدمير اهداف معينة في كل ارض العدو.

ب- مقياس الارتفاع: بالنسبة للاستخبارات والتطويق العمودي.

ج- مقياس الليل: قتال ٢٤ ساعة في اليوم.

د- المقياس الالكتروني: السيطرة والرقابة والقتال الالكتروني.

احرزت هذه المقاييس، باستثناء الاستخبارات الميدانية، نجاحا كبيرا جدا، فقد اشترك في الحرب الكثير من الادوات والوسائل في مجالات واسعة للمرة الاولى. لقد كان الامر بمثابة حقل تجارب واسع اختبرت فيه ونجحت، بشكل مرضي، النظرية الغربية التي تستند على التفوق النوعي للتكنولوجيا. ومن بين الادوات التي اشتركت لاول مرة في الحرب البرية نذكر المروحية "اباتشي" ودبابة ال "ابرمس" ونصف المجنزرة ال "بردلي" وصاروخ MLRS، كل ذلك اشتركت باجهزتها وذخيرتها الجديدة. وجوا نذكر المتفجر المتملص صاروخ ال "تومهوك" والمتفجرات الموجهة بالليزر، وصواريخ جو - ارض بانواعها المختلفة واجهزة قتالية الكترونية متعددة. وهذه القائمة، كما هو واضح جزئية وحسب، ونذكر ايضا اجهزة لم يكتمل تطويرها بعد، دخلت في العمل بشكل محدود وناجح. وشملت هذه الاجهزة صاروخ ال ATACMS الذي استغل لمهاجمة اهداف نوعية في العمق وجهاز الاستخبارات J.STARS الذي سجل عدد من النجاحات في تشخيص القوات العراقية المتحركة وارسال طائرات لتدميرها.

ان الحرب في الخليج ستحفز في اطار القيود في الميزانية الى التسابق في التسلح التكنولوجي. ثمة الكثير من الادوات والوسائل الجديدة ومقابلها وسائل مضادة، موجودة الان قيد التطوير. وقوة النيران المركزة ستحفز بشكل خاص تطوير وسائل مضادة ووسائل استخبارية في الزمن الحقيقي.

اجمال الدروس والعبر العامة

بداية نذكر مرة اخرى هذه الدروس التي تعتمد على معلومات جزئية توفرت لنا اليوم، تتنازل الظروف الخاصة لحرب الخليج. ومن شأن تطبيقها على ساحة اخرى وظروف اخرى ان يلزم اعادة اختبارها بشكل حذر، وسنلخص الدروس الاساسية كما يلي:

× كان للسلاح الدقيق دور حاسم في الحرب ليلا ونهارا. وهذا السلاح تحول الى السلاح الاساسي ايضا ضد اهداف ارضية.

× انتشار اجهزة الرؤية الليلية المتطورة في الاليات والاسلحة ادى الى زيادة نوعية جدا في حجم القتال الليلي.

× دائرة استخبارات الاهداف وتقدير الخسائر، التي اعتمدت اساسا على الصور الجوية كانت بشكل عام بطيئة (وتحتاج لساعات طوال). حيث ان استغلال جودة السلاح الدقيق لتحقيق وتيرة تدمير سريعة تلزم وجود دائرة استخبارية قصيرة الامد.

× في شروط التفوق الجوي يلعب الذراع الجوي دورا حاسما في التفوق في الحرب، من جهة اخرى وبهدف انهاء الحرب هناك ضرورة لعملية برية.

× في الصراع المتواصل بين الطائرة والمضاد الجوي عدنا في ظروف حرب الخليج الى تفوق الطائرة مثلما كان الامر في حرب الايام الستة. ويجب التطلع الى بذل جهود من اجل تطوير وتحسين الدفاع ضد الصواريخ والطائرات.

× الاصابات الخطيرة التي احدثها القصف الجوي للقاعدة المدنية لم تؤثر كما يبدو على مسار الحرب، وكان من الممكن ان يستغل بشكل افضل الجهد الجوي الذي بذل في هذه المهمة.

× القصف الشامل والمتواصل جوا ضد القوات البرية العراقية والذي شمل تدمير الاف الدبابات والمدفعيات، ادى الى انهيارها السريع في الحرب البرية. يجب النظر في عملية اطلاق نيران مكثفة ومتواصلة كعملية فتح للحرب في شروط ملائمة.

× المروحيات الهجومية لعبت دورا هاما وربما حاسما في المعارك البرية.
× التاثير الشامل والكبير لصواريخ ارض - ارض على الداخل تلزم اعادة التقييم الخاص لمواجهة مثل هذا الخطر.

الدروس والعبر بالنسبة لاسرائيل

ان مزايا منطقتنا تشبه الى حد كبير منطقة الخليج - حيث ان معظم المناطق مفتوحة ومكشوفة. ومن جهة اخرى في منطقتنا لن يكون العدو سلبي، لذلك يجب ان يستعد لهجوم مفاجىء ضدنا على غرار حرب يوم الغفران - هجوم يستغل في عملية الفتح سلاح دقيق لاصابة مراكز قوتنا وتشويش تجنيد الاحتياط من هنا يجب التمييز بين الدروس العامة بشان الادوات والوسائل الملائمة والمطلوبة لمنطقتنا وبين الدروس بشان الاستراتيجية العامة. ان الدروس الاخيرة تؤثر كما هو واضح على بناء القوة وعلى زيادة الاهتمام بشان ادوات ووسائل مختلفة.

دروس عامة

يجب التركيز اكثر على المروحيات الهجومية وتسليحها على حساب اليات قتالية اخرى. ان نظرية الامن القائلة بضرورة زيادة الاهتمام والتركيز على الذخيرة الموجهة بدقة بغية تحقيق نسبة سحق عالية، ثبت صحتها. في اطار هذه النظرية يجب التركيز على التسليح نفسه او الاستخبارات الميدانية في دائرة قصيرة، والرؤية الليلية، وباجهزة الكترونية متطورة اخرى. ومن جهة اخرى، يجب تكثيف الجهود في وسائل التشويش والتضليل ضد مختلف انواع الاسلحة الدقيقة في المستقبل كما ان موضوع "تشخيص العدو والصديق" اصبح موضوعا شديد الحساسية خاصة وان اي خطأ سيكون قاتلا.

ان مقاومة صواريخ ارض - ارض في المستقبل يجب ان ياخذ بالحسبان وقت الردع القصير جدا، وخطر الصواريخ الدقيقة على مراكز قوتنا وضرورة اقامة حياة منتظمة في الداخل في وقت الحرب الذي قد يطول. لا يمكن احتجاز شعب اسرائيل في غرفة محكمة الاغلاق لاسابيع طويلة. هناك ضرورة لدفاع ايجابي جيد.

ولكن حتى في هذه الحالة يجب توقع التشويش والبطء في تجنيد الاحتياط، يجب تركيز التطوير والتجهيزات المحلية على اجهزة التسليح المحكمة: لا يوجد هناك مجال لزيادة التركيز على تطوير الاليات، كيف كان سيبدو ال "لافي" لو اكملت اسرائيل تطويره امام المتفجر المتملص او الطائرة الحربية المتملصة YF22 الموجودة الان قيد التطوير، في هذه الساحة نحن غير قادرين على التنافس. وثمة مثال اخر، لو وافقت حكومة المانيا على ان تستخدم اسرائيل المنح المعدة لانشاء الغواصات، لتطوير وسائل قتالية اخرى، لكان من الافضل استثمارها في تطوير مروحيات هجومية وتسليح متطور في مجال المعارك البرية.

المعضلة بشان الاستراتيجية العامة

ولكن، وتجاوزا لكل ذلك، تبرز معضلة مبدئية فيما يتعلق باستراتيجيتنا العامة. وتستند هذه الاستراتيجية الى انه اذا حدث هجوم مفاجىء ضدنا سيكون ردنا على مرحلتين: الاولى مرحلة الصد في ظروف المفاجئة، وبعد ذلك هجوم مضاد ونقل المعركة الى ارض العدو فورا مع انتهاء تجنيد وتجهيز الاحتياط. في المقابل يعمل سلاح الجو الاسرائيلي على تحقيق تفوق جوي وحرية عمل لمساعدة في الحرب البرية. على ان لا يكون توقيت الهجوم المضاد مشروطا بالتقدم في العمليات الجو.

ان النجاح الامريكي في قصف وتدمير القوات البرية العراقية من الجو، والذي ادى الى حدوث معركة برية سهلة جدا مع عدد قليل جدا من الاصابات يثير السؤال هل لا يوجد امكانية لادخال مرحلة مشابهة في نظريتنا الحربية؟ اي مرحلة صد طويلة بمساعدة مروحيات وطائرات. بالمقابل يعمل سلاح الجو على تحقيق تفوق جوي وحرية عمل فوق ساحة المعركة، وفي السياق تاتي مرحلة اخرى، مرحلة تدمير القوات البرية للعدو في قصف مركز من الجو ومن البر. وفي اعقاب ذلك،

تضعف قوات العدو وقدراته. في هذه المرحلة يتم مهاجمة القوات المتحركة المهاجمة وبعد ذلك القوات المحصنة. فقط بعد تنفيذ هذه المرحلة تجري عملية هجوم مضاد ونقل المعركة الى ارض العدو. وهذه المرحلة ستكون الان سهلة اكثر منها في معركة مزدوجة المراحل التي تم رسم معالمها حتى الان. وبهذه الطريقة ستكون الحرب طويلة اكثر، وربما ايضا باهظة اكثر. ولكن كما يبدو ستكلف القليل جدا من الاصابات. وبقية تجسيد هذه النظرية يجب الاستعداد لصد طويل اكثر والبطء في تجنيد الاحتياط والدفاع عن الداخل خلال مرحلة طويلة ومنع وصول القوات المهاجمة والقيام بنشاط سياسي يحول دون وقف اطلاق النار في مرحلة القصف الجوي.

لسنا بصدد عرض نظرية استراتيجية جديدة بالتفصيل، ومواجهة المشاكل التي تثيرها ومقارنتها مع النظرية الحالية. حيث ان هذه الحقيقة تتجاوز اطار هذه المقالة، وهدفنا هنا الاشارة الى اهمية التفكير الجديد. هل نحن ما زلنا متمسكين بشدة بالنظرية القديمة القائلة بانه يجب الانتقال الى هجوم مضاد باسرع وقت ممكن - النظرية التي عملنا بها في الهجوم المضاد الفاشل في ٨ اكتوبر ١٩٧٣؟ حتى في حرب الخليج تجلت هذه النظرية عندنا بالضغط من اجل الرد الفوري على هجمات الصواريخ - الرد الذي كان يامله صدام حسين.

ان التغييرات الكبيرة التي احدثتها التكنولوجيا في ساحة الحرب وخاصة ارتفاع اهمية تكثيف النيران مع سيطرة السلاح الدقيق حتى على ساحة القتال البري يلزمنا النظر في نظريتنا الحربية مجددا.

ملاحظات ومراجع:

١- واشنطن بوست ١٩٩١/٣/١٦.

٢- دفينس نيوز ٩١/٣/١١ صفحة ١٠.

٣- المصدر السابق ص ٤١.

٤- المصدر السابق ص ٤٠.

٥- ايفايشيون ويك ٩٩١/٥/١٣ ص ٨٥.

٦- تايمز ٩١/٣/١١ ص ٣٨.

٧- ايفايشيون ويك ٩٩١/٥/١٣ ص ٨٥.

٨- تايمز ٩١/٣/١١ ص ٢٩.

٩- ايفايشيون ويك ٩١/٣/١١ صل ١٨.

١٠- المصدر السابق ٩١/٤/٢٢ ص ١٠.

١١- المصدر السابق ٩١/٥/١٣ ص ٨٥.

١٢- المصدر السابق.

١٣- تايمز ٩١/٣/١١ ص ٤٠.

الردع الاسرائيلي في اختبار حرب الخليج

بقلم: شاي فلدمان

في يوم ٢٠ نيسان ١٩٩١ وفي اطار التزاماتها بقرار مجلس الامن رقم ٩٨٧، قدم العراق كتابا الى سكرتير هيئة الامم المتحدة كشف فيه النقاب عن مواقع الاسلحة غير التقليدية التي بقيت بحوزته بعد حرب الخليج، وقائمة بمواقع انتاج الصواريخ والاسلحة الكيماوية والبيولوجية وتضمن هذا الكتاب اول اقرار عراقي رسمي بانه بعد نهاية الحرب بقي بحوزة صدام حسين ٣٠ راس حربي كيماوي لصواريخ ارض - ارض من نوع الحسين. (١).

اثناء حرب الخليج اطلق العراق ما بين ٣٨ - ٤٢ صاروخ الحسين تحمل رؤوس تقليدية باتجاه اسرائيل. ويجدر الاشارة الى ان الاعتراف العراقي توافق مع تقدير سلاح الاستخبارات مثلما عرضه رئيسها السابق الجنرال امنون شاحاك، في المقابلة التي اجريت معه عشية انتهاء الحرب. (٢). وهذا الاعتراف اكد ايضا تقدير رئيس دائرة البحث في سلاح الاستخبارات العقيد داني روتشيلد مثلما عرض في وثيقة خاصة ارسلت الى وزراء الدولة قبل اكثر من ثلاثة شهور قبل الحرب. (٣).

ان اقرار العراق في حقيقة انه يمتلك رؤوس حربية كيماوية لصواريخ الحسين يساعد في تسوية معضلة ما انا كان صحيحا النظر الى امتناع العراق عن اطلاق صواريخ ارض - ارض برؤوس كيماوية باتجاه اسرائيل كدليل على نجاح الردع الإسرائيلي. ولغاية البيان العراقي كان ممكن الادعاء بان العراق امتنع عن مهاجمة اسرائيل بهذه الوسيلة، ببساطة لانه لا يمتلك رؤوس كيماوية لصواريخه، ولانه اعتقد بان ليس بوسع قاذفات الساخوي ٢٤ الموجودة بحوزته ان تحمل قنابل كيماوية وتتسلل مخترقة سلاح الجو الاسرائيلي. وقد ادعى الكثيرون في اطار الجدل الذي اثير حول هذا الموضوع انه لو كان يتوفر للعراق رؤوس كيماوية لصواريخ ارض - ارض اثناء الحرب لما امتنع صدام عن استخدامها ضد اسرائيل. كما ادعوا ايضا ان هجمات العراق على اسرائيل بصواريخ تقليدية ورفضه الانسحبا من الكويت رغم القوة الهائلة التي حشدها التحالف في السعودية في نهاية ١٩٩٠ تشكل دليلا على انه لا يمكن ردع حاكم العراق وان زعيما على شاكلته غير قابل للردع.

ان المعلومات المتوفرة لدينا اليوم والتي تشير الى انه كان بحوزة العراق رؤوس تقليدية ورؤوس كيماوية لصواريخ ارض - ارض التي يمتلكها، تحتاج الى تفسير لحقيقة ان العراق قرر استخدام صواريخ برؤوس تقليدية. غير انه امتنع خلال الحرب عن اطلاق صواريخ برؤوس كيماوية تجاه اسرائيل. لذلك سنكرس هذا الفصل لمناقشة المسالة التالية: الى اي مدى يجب ان نرى سبب هجوم العراق على اسرائيل بصواريخ تقليدية اثناء حرب الخليج هو فشل الردع الاسرائيلي، وما هي اسباب هذا الفشل؟ وايضا الى اي مدى يجب ان نرى سبب امتناع العراق عن مهاجمة اسرائيل بصواريخ تحمل رؤوسا كيماوية خلال الحرب هو نجاح الردع الاسرائيلي وما هي جذور هذا النجاح؟.

ان معالجة هذه المسائل مرتبط بصعوبات جمة. ليس فقط لان جزء من الاحداث المذكورة معرضة لتفسيرات مختلفة. بل لان معالجة مسالة امتناع العراق عن استخدام صواريخ تحمل رؤوسا كيماوية يستوجب التطرق الى احداث لم تقع اصلا. وليس هناك وسيلة لمعرفة سبب عدم حدوث تطورات معينة. وفي احسن الاحوال يمكننا ايجاد تفسيرات مقنعة لذلك ولكن هذه التفسيرات ستبقى في اطار التكهنات وحسب.

من الصعب ايضا ابداء الرأي بشان الذكاء في سياسة الردع الاسرائيلية في مرحلة الحرب طالما انه ليس واضحا ما اذا

كان تصرف اسرائيل قد استنبط من سياسة الردع العامة. والعكس هو الصحيح، فان التناقضات التي ظهرت في تصريحات القادة الاسرائيليين اثناء الهجوم تشير الى امكانية ان لا تكون هذه التصريحات وليدة سياسة انتهجها المسؤولين الكبار في اسرائيل بعد مداولات مناسبة. لذلك، لا يمكن التطرق الى التصريحات المختلفة للزعماء الاسرائيليين خلال الحرب الا بالمجمل الذي يشكل سياسة على وجه التقريب. وايضا يجب التطرق بالتفصيل الى التناقضات التي ذكرت وتحليل اثارها المستقبلية.

مفهوم الردع الاسرائيلي

بداية يجب الاشارة الى انه ليس كل مجالات سياسة الردع الاسرائيلية التي انتهجت منذ امد طويل اتضح انها ملائمة في الحالة الخاصة التي ظهرت خلال حرب الخليج. تقليديا جاءت سياسة الردع الاسرائيلية لمنع الدول العربية من مهاجمة اسرائيل بقوات تقليدية مؤثرة. وذلك بواسطة التهديد بانه اذا هوجمت اسرائيل فانها ستنقل الحرب الى ارض العدو وستعمل على تدمير قواته. ويبدو الامر جليا في التصريحات المتعاقبة لاسحق رابين، في البداية كرئيس لهيئة اركان جيش الدفاع الاسرائيلي في سنوات الستينات ومن ثم كرئيس الحكومة ووزير الدفاع والتي ورد فيها بان "جيش الدفاع الاسرائيلي جاء ليردع، واذا فشل الردع جاء ليحسم".

وتطرق الى هذا الموضوع بالتفصيل الجنرال احتياط يسرائيل طال الذي اعتبر ان وجهة النظر الامنية الاسرائيلية قالت دائما بان على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يظهر التفوق في الردع وانه اذا فشل الردع واندلعت الحرب فعلى الجيش الاسرائيلي ان يتفوق بها، وحسب رايه فان قدرة الردع وقدرة الحرب لا تتعارضان ابدا، انما تشكلان وجهين لعملة واحدة. من هنا لم ينظر الى الردع الاسرائيلي الا باعتباره قوة محتملة للانتصار في الحرب. واكد طال ان اسرائيل "طورت نظرية الردع في اطار المنع وليس في اطار العقاب، ومصطلح العقاب الذي لا يدخل في اطار مصطلح الحسم العسكري يمكن ادراكه من نظرية الامن الاسرائيلية".

من هنا لم يستند الردع الاسرائيلي ابدا على التهديد بجعل العدو يدفع الثمن الذي يتجاوز تدمير القوات المهاجمة، لذلك لم تعبر وجهة النظر هذه عن اصطلاح "الردع بواسطة العقوبة" مثلما وصفتها قبل سنوات عديدة "غيلان سنايدر"، انما عن تفسير اسرائيلي لمصطلح اخر "الردع الوقائي" وعمليا وعلى ضوء التوجه الاسرائيلي للموضوع الذي يدعو الى الردع بواسطة حسم هجومي، من الممكن ان يكون تعريف مفهوم الردع الاكثر دقة هو "الردع بواسطة الهجوم" والتوقع هو ان تخوف جارات اسرائيل من تدمير قواتها المهاجمة واحتلال جزء من اراضيها سيردعها من مهاجمة اسرائيل.

وقدرة اسرائيل في مجال "الردع العام" شملت في بعض الاحيان اعمال وتصريحات هدفت الى ردع اعدائها عن تهديد امنها في مجالات معينة، ومحاولة تعزيز "الردع في مجال معين" استندت اكثر من مرة الى تعريف "الخطوط الحمراء" التي، اذا اجتازها العدو، ستضطر اسرائيل الى استخدام القوة. (٥).

واحيانا تم تعريف "الخطوط الحمراء" بمصطلحات عملية. مثلما حدث عندما اعتبرت حرية الملاحة في ميناء ايلات كأحد الاسباب التي ادت الى ان تقوم اسرائيل بعملية سيناء وحرب الايام الستة، واحيانا تعرف هذه الخطوط ايضا بمصطلحات جغرافية مثلما حدث عندما حددت اسرائيل في اتصالاتها مع الرئيس السوري في منتصف التسعينات الحد الاقصى الذي يستطيع التواجد العسكري السوري في جنوب لبنان الوصول اليه دون ان يؤدي الامر الى رد عسكري اسرائيلي. وفي نفس الوقت تطرق قادة اسرائيل اكثر من مرة الى ان احتمال ارسال قوات عراقية الى الاردن "كسبب للحرب". (٦).

يجدر الاشارة الى انه رغم ان اسرائيل غلفت ردها على محاولة اجتياز هذه "الخطوط الحمراء" بغطاء كثيف من عدم الوضوح الا انه كان هناك على الدوام تفاهم يتم بموجبه تقييد هذا الرد بالابعاد المستقاة من نظرية "الردع الوقائي" التي تبنتها.

وبكلمات اخرى، من الواضح ان رد اسرائيل لن يتجاوز تدمير القوات التي اجتازت الخطوط الحمراء، مثلا في حالة تغلغل القوات العراقية الاردن، او اقتراب القوات السورية اكثر من الحدود الاسرائيلية - اللبنانية او خرق القوات المصرية اتفاق تجريد صحراء سيناء، هكذا تمكنت اسرائيل من استخدام نظرية "الردع بواسطة العقاب" ولم تهدد بمعاقبة السكان والقاعدة الاقتصادية للدول التي ستتجاوز الخطوط.

ومع ذلك، عمليا، فقد تجاوزت ذلك اكثر من مرة، وعاقبت السكان والقاعدة الاقتصادية لاعدائها، وجاء ذلك في اطار محاولات احياء نظرية "الردع الجزئي" بعد ان فشلت هذه النظرية. هكذا حدث مثلا في بداية الخمسينات عندما، وعلى خلفية التسلل عبر حدودها، قامت اسرائيل بعملية انتقامية استهدفت في البداية القرى العربية خلف الحدود في محاولة لمنع سكانها من القيام باعمال تخريبية وتقديم مساعدة ومأوى للمتسللين الى اسرائيل. (٧).

وبصورة مشابهة قام سلاح الجو الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ بعمليات قصف داخل العمق المصري، وهدفت هذه العمليات للانتقام من القاعدة العسكرية والصناعية في مصر، ليس فقط بهدف المس المباشر بالقدرة على مواصلة حرب الاستنزاف التي فرضتها مصر على اسرائيل انما ايضا للتاثير على استعدادها للقيام بذلك.

ولاسباب مماثلة قصف سلاح الجو الاسرائيلي العمق السوري خلال حرب الغفران، ولكن، وفي كل الاحوال، لم يتم دمج التهديدات الصريحة بقصف العمق في اطار التصريحات العلنية لزعماء اسرائيل حول سياستهم. لذلك، لا تعني هذه التجاوزات خرق الادعاء الاساسي الذي يقول عموما، بان سياسة الردع الاسرائيلية لم تتجاوز مفهوم "الردع الوقائي".

وبدءا من مطلع السبعينات انضم الى الردع التقليدي الاسرائيلي العام والجزئي، الفكرة التي سادت لدى العرب بشان الخطر الكامن في القدرات النووية في اسرائيل. ومغزى الامر انه بالاضافة الى قوة الردع بواسطة الهجوم التي اكتسبها الجيش الاسرائيلي، تتمتع اسرائيل ايضا بدرجة معينة من "الردع بواسطة العقاب" في مجال الاسلحة غير التقليدية، وهناك زاوية اخرى من هذا الردع تكمن في ان عليه ان يعمل باسلوب "عدم التأكد". اي كان المتوقع ان تمتنع الدول العربية من تهديد اسرائيل بسبب عدم قدرتها على نفي امكانية ان يكون بحوزة اسرائيل سلاح ذري قابل للتنفيذ، وبناء على ذلك ليس لديها القدرة ايضا على نفي امكانية ان تقوم اسرائيل "بالانتقام الذري" اذا تعرضت لاي هجوم.(٨)

من هنا فان التاثير الردعي للقوة النووية لاسرائيل كان من المفروض ان ينبع فقط من فكرة الدول العربية عن هذه القوة وما ينتج عنها من ناحيتها. حيث ان اسرائيل نفسها لم تعلن ابدا ان بحوزتها قوة نووية عسكرية. وبموجب ذلك، لم يرد الاحتمال النووي الذي بحوزتها في التصريحات العلنية الرسمية بشان سياسة الردع الاسرائيلية، ومع ذلك، يجب ان لا نتجاهل انه في السنوات الاخيرة، ارتفع جانب الردع النووي الاسرائيلي وانسجاما مع ذلك ارتفع دوره في الردع الاسرائيلي العام. وهذا جاء في اعقاب سلسلة من الاحداث بدء من قصف المفاعل النووي العراقي في ١٩٨١ الذي اعتبرته الدول العربية كوسيلة لضمان استفراد اسرائيل في المجال النووي وانتهاء بقضية "فانونو" التي وحسب اعتقاد الكثير من المراقبين العرب ازالت الستار نهائيا عن القدرة النووية الاسرائيلية.

في النهاية يجدر الاشارة الى انه كان للبعدين التقليدي والنووي دورا في ايجاد "الردع المتراكم" الاسرائيلي، هذا، وفق روحية نظرية مؤسس دولة اسرائيل ورئيس حكومتها الاول ديفيد بن غوريون والتي تقول بان القوة الاسرائيلية الشاملة والمتراكمة، وكنتيجة لذلك - قدرتها على الصمود امام التهديدات العربية لفترة طويلة - من شانها ان تعزز احساس الدول العربية بانه لا يمكن هزم اسرائيل عسكريا، لذلك لا جدوى من مواصلة النزاع معها ومن الافضل التوصل معها الى تسويات تكون مفيدة لكلا الجانبين. من هنا، فقط بوساطة الردع الذي تراكم بيد اسرائيل، ستتمكن في نهاية الامر، من التوصل الى السلام مع الدول العربية.

- الردع الاسرائيلي في حرب الخليج

مثلما اشرنا في السابق ليس كل جوانب نظرية الردع الاسرائيلية كانت مناسبة لمواجهة التهديدات التي فرضها العراق

امام اسرائيل خلال حرب الخليج. في بداية الازمة اتضح انه خلالها ستضطر اسرائيل الى مواجهة ثلاثة اشكال من التهديدات العراقية: في المجال التقليدي: اولا امكانية ادخال قوات عراقية الى الاردن بعدد كبير يصل الى عدة فرق من الدرجة الثانية من حيث قدرتها: وثانيا امكانية ان يطلق العراق قذائف صواريخ تحمل رؤوس تقليدية باتجاه مراكز سكانية ومصانع استراتيجية في اسرائيل. (٩).

وفي المجال غير التقليدي: امكانية ان يقوم العراق بهجوم كيماوي ضد اسرائيل بواسطة طائرات او صواريخ ارض - ارض تحمل رؤوس كيناوية. (١٠).

نبع الخطر الاول من المحاولات المتوقعة التي سيبذلها صدام حسين في سبيل تفكيك التحالف العربي الذي وقف ضده من خلال تحويل ازمة الخليج الى تعبير اخر عن الصراع الاسرائيلي - العربي ومن البداية بدا وكأن صدام يستطيع تحقيق هذا الهدف، فقط، بواسطة جر اسرائيل الى التدخل العسكري في الازمة، غير ان امله الوحيد في تحقيق ذلك كان يكمن في قدرته ان يضع اسرائيل امام تحد يجبرها على الرد بالقوة. ومن خلال ذلك، كان من الواضح ان العراق يستطيع الامل بان تتخذ اسرائيل ردا كهذا فقط في حالة تغلغل قوات عراقية ذات مغزى الى الاردن او ان تهاجم المراكز السكنية الاسرائيلية بصواريخ ارض - ارض. وبعبارة اخرى، كان من الواضح ان صدام حسين سيقدر انه على ضوء الخطوط الحمراء التي وضعتها اسرائيل في مسالة تغلغل قوات اجنبية الى الاردن، ومن خلال حساسيتها المطلقة من حياة الانسان، فانها، اي اسرائيل، ستنظر الى الاعمال العراقية بانها غير محتملة وسترد على ذلك بتدخل عسكري عنيف.

والخطر الثاني الذي وقفت امامه اسرائيل كان احتمال ان يقوم صدام باستخدام الاسلحة الكيماوية ضدها - بواسطة طائرات او صواريخ ارض - ارض، وذلك بهدف جرها عن طريق التصعيد الى التدخل في الحرب، بعد ان تفشل محاولاته بهذا الصدد بالوسائل التقليدية، وبالعكس، ان الاستخدام العراقي للسلاح الكيماوي كان يمكن ان ينفذ في اطار تطلعات صدام الواسعة جدا لان يحظى بزعامة العالم العربي. وفي هجومه على اسرائيل بالسلاح الكيماوي، خاصة اذا كان الامر ينفذ بواسطة صواريخ ارض - ارض، كان بمقدور صدام ان يدعم هذا الامر بادعائه انه بمقدور العراق فقط تحقيق التوازن مع اسرائيل في المجال غير التقليدي. هذا في اطار محاولاته تقويض شرعية الانظمة العربية التي انضمت الى التحالف ضده بعد احتلاله للكويت.

في النهاية، كان من الممكن التخوف من انه اذا وجد العراق نفسه في ضائقة تهدد وجوده، فهو سينظر في امكانية القيام بهجوم كيماوي ضد اسرائيل، هذا في حالة اليأس وكمحاولة اخيرة لمنع وقوع هزيمة نكراء من شانها ان تزعزع نظام صدام حسين. (١١). وفي حالة كهذه كان بامكان صدام ان يضع كل ثقله في امكانية انه اذا تعرضت اسرائيل الى خسائر جسيمة واضرار كبيرة فان الامر سيؤدي الى ممارسة ضغط كبير على واشنطن لوقف اطلاق النار.

من الواضح تماما انه لم يكن للتهديد الكامن في نظرية الردع الاسرائيلية التقليدية ما يكفي لردع صدام حسين من مغبة مهاجمة اسرائيل بصواريخ ارض - ارض تحمل رؤوسا تقليدية. ولكن ليس ذلك الا نموذجا لمحدودية نظرية الردع الاسرائيلية: فهي لا تجيب الا على خطر مهاجمة اسرائيل من قبل قوات تقليدية مؤثرة من الدول المحاذية لحدودها. لان تجسيد التهديد الكامن في "الردع بواسطة الهجوم" في حالة حرب الخليج - الذي ستكون ترجمته التهديد بتدمير مواقع اطلاق الصواريخ ارض - راض، لم يكن كافيا لردع صدام حسين. ذلك لانه كما اشرنا في السابق، لم يقرر صدام حسين مهاجمة اسرائيل من خلال تجاهل تهديد اسرائيل بالرد بالقوة على هذا الهجوم بل بالضبط لانه نظر الى هذا التهديد بثقة عالية جدا، لان تدخل اسرائيل كان سيخدم مصالحه، حيث تكمن فيه فرصته الاساسية في زعزعة التحالف الذي يقف في مواجهته، وبناء على ذلك، فان الزعيم العراقي لم يهاجم اسرائيل رغم تهديدها بالرد، بل بالضبط لانه اعتقد ان بامكانه الاعتماد على احتمال ان اسرائيل لن تستطيع الامتناع عن الرد.

من هنا، وفق مصطلحات القوى المحركة التي يعمل بموجبها الردع، فان قرارات صدام حسين بغزو الكويت ومهاجمة اسرائيل قد تاثرت بتقديرات مختلفة تماما: في اساس قراره غزو الكويت يكمن خطأ كبير في تقييمه لاصرار الولايات

المتحدة على الايفاء بالتزاماتها في منطقة الخليج الفارسي. وكنتيجة لذلك قلل الحاكم العراقي من احتمال ان تقوم واشنطن بأيّ رد بشكل يحبط مشاريعه. بهذا المفهوم بدا صدام وكأنه ضحية كلاسيكية مكررة لـ "فيتنام": لقد كان مقتنعا بان الولايات المتحدة غير قادرة على اتخاذ قرار لذلك ستمتنع عن اتخاذ موقف حاسم من غزو الكويت ومن قراره بدفع قوات عسكرية كبيرة نحو الحدود السعودية - العراقية بعد عدة ايام.

ان تقدير صدام حسين لرد الولايات المتحدة المرتقب، استند بالتأكيد على موقف واشنطن من بغداد خلال السنة التي سبقت احتلال الكويت. ويبدو ان صدام ورجاله فسروا عدد من التصريحات والاقوال التي نشرت من قبل كبار المسؤولين في الادارة الامريكية وبما فيها الاقوال التي سمعها كما يبدو، الرئيس العراقي من سفير الولايات المتحدة لدى بغداد في حديثهما في ٢٥ يونيو ١٩٩٠ - كدليل على ان الادارة الامريكية ستمتنع عن الرد العسكري في حالة ان يقرر العراق احتلال الكويت. (١٢).

هذا وايضا، من الجائز الافتراض بان حكومة العراق فسرت النشاط المكثف للادارة الامريكية وسط اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي خلال ١٩٨٩ - ١٩٩٠ بهدف الحيلولة دون فرض عقوبات ضد العراق بسبب نشاطه في تطوير وانتاج السلاح الكيماوي - كدليل بان الرئيس بوش معني بالامتناع عن الصدام العسكري مع العراق. (١٣).

ومن الجائز الافتراض ايضا ان تقدير صدام حسين لردود فعل اسرائيل كان مختلفا تماما. في هذه الحالة يبدو ان قراره في الهجوم نبع ليس من تقدير خاطىء بشأن قاعدتي الردع الاسرائيلي - اصرارها وقدرتها على الرد - بل بالضبط من تقديره ان اسرائيل تىمتلك القدرة والقرار اللازمين للرد على الهجوم العراقي. وعلى اساس هذا التقدير توصل صدام الى استنتاج مفاده انه اذا هاجم اسرائيل فمن المفروض ان تقوم بالرد عليه بشكل عنيف - ردا يخدم مصالحه بتدخل اسرائيل الفعلي في الازمة، من هنا، وبشكل ينطوي على المفارقة. استند هجوم حاكم العراق على اسرائيل خلال حرب الخليج بالضبط على نجاح اسرائيل في تجسيد قاعدتي القدرة الردعية.

ان قرار اسرائيل، من جهتها، بالامتناع عن الرد العسكري على هجمات الصواريخ العراقية، نبع من عدة عوامل مختلفة، الاول واهمها نبع من تقدير حكومة شمير - الامر الذي يماثل التقديرات التي حركت ادارة بوش وصدام من ان تدخل اسرائيل العسكري من شأنه ان يعرقل اشتراك دول عربية في التحالف ضد العراق الامر الذي يهدد بتفكيك التحالف كله. وبالنظر الى مدى الخطر العراقي على اسرائيل، كانت للحكومة الاسرائيلية مصلحة استراتيجية عليا بخلق الظروف التي تساعد في مواصلة فعاليات التحالف لتقليص القوة العسكرية الكبيرة، لذلك امتنعت عن القيام بأي عمل من شانه ان يعرقل هذه الفعاليات. من هنا كان لاسرائيل اسبابها للامتناع عن المس بوحدة التحالف الذي وقف امام العراق. وهذا ما حدده، خلال الحرب، رئيس هيئة الاركان الجنرال دان شومرون: "ثمة اهداف لدولة اسرائيل، اعتقد ان تدمير كل مخاطر الجبهة الشرقية، التي تتبدمر كل يوم، بل كل ساعة هو هدف. وقرارنا بان لا نقوم باي عمل في هذه المرحلة جاء لاعتبار ليس سياسي وحسب بل اعتبار سياسي - عسكري. اعتبار الامن القومي. علينا ان نفكر بصورة اوسع، هل حقا من الافضل لنا المخاطرة باعطاء الفرصة لصدام ان يخرج الان من الكويت وان توقف الحرب فورا، وهو ما زال على السلطة وجزء كبير من جيشه ما يزال موجودا، وكل ذلك تحت حجة ان المشكلة الحقيقية للامة العرب، التي يرى نفسه ممثلها، هي دولة اسرائيل". (١٤).

والاعتبار الاستراتيجي الثاني الذي هو اساس سياسة "الكبح" الاسرائيلية يكمن في الاعتراف بحقيقة انه على ضوء مطالبة الولايات المتحدة بان تمتنع اسرائيل عن الرد على هجمات الصواريخ العراقية، سيتعزز الاحساس بان تولي الولايات المتحدة افضلية قصوى للتحالف بين الدولتين وحتى ان هناك بجانب ذلك مزايا بعيدة المدى. وكلما توفر في هذه المزايا ما يعزز قوة اسرائيل العامة، كلما تم النظر اليها باعتبارها مساهمة "للردع المتراكم" لاسرائيل.

واضافة لذلك، عملت الادارة الامريكية على ان توضح لحكومة اسرائيل بانها تنوي تزويدها بعدد من المكافآت الفورية بقدر ما تمتنع عن الرد العسكري على هجوم الصواريخ العراقية. وهذه المكافآت، كما اوضحت الادارة الامريكية، ستتضمن

زيادة المساعدة الامريكية الاقتصادية والعسكرية المباشرة وغير المباشرة - على شكل السماح بتزويدها بمعدات عسكرية من مستودعات القوات المسلحة الامريكية في اوروبا بقيمة ٧٠٠ مليون دولار. ومساعدة اقتصادية خاصة بقيمة (حددت فيما بعد) ٦٥٠ مليون دولار كتعويض للاضرار التي تكبدتها اسرائيل اثناء ازمة الخليج. (٥)، واستعداد الادارة الامريكية لتنفيذ الاتفاق بشأن منح ضمانات امريكية لقروض بناء اسكان لمهاجري الاتحاد السوفييتي بقيمة ٤٠٠ مليون دولار. (١٦). وايضا نصب بطاريات صواريخ "باتريوت" المضادة لصواريخ ارض - ارض في اسرائيل. ان استعداد الادارة الامريكية لنصب هذه البطاريات في اسرائيل كان سابقة لا مثيل لها في علاقات التعاون الاستراتيجي المشترك بين الدولتين: حيث لاول مرة ارسلت قوات عسكرية امريكية لاخذ دور في الدفاع عن دولة اسرائيل. وكان ذلك بمثابة استعراض لالتزام الولايات المتحدة تجاه امن الدولة، وكنتيجة لذلك - مساهمة ذات مغزى في تعزيز الردع الاسرائيلي العام والمتراكم.

من هنا، فان قرار عدم الرد على هجوم الصواريخ العراقية التقليدية، عزز فرص تحقيق هدفين يتمتعان بتاثير كبير على الموقف الاستراتيجي الاسرائيلي العام: خلق ظروف تساعد قوات التحالف في ان تقلص الى حد كبير، القوة العسكرية العراقية، وتعزيز التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل. وفي هذا الصدد يمكن القول انه حتى اذا كان في امتناع اسرائيل عن الرد على الصواريخ العراقية اي ضرر للقدرة الردعية - الضرر الذي الحق في صورتها وصيتها الشائع بانها لا تسمح باي هجوم عليها وها هي الان تتنازل دون رد - بان المكافآت التي حصلت عليها مقابل الامتناع عن الرد كان مساهمة بارزة للردع المتراكم الاسرائيلي.

والاعتبار الثالث الذي ادى الى امتناع اسرائيل عن الرد على الهجمات العراقية بالصواريخ كان يكمن في ان اي رد عسكري من جانبها كان مرتبطا بتعقيدات صعبة وجمة. هذا، وخصوصا على ضوء حقيقة ان المنطقة التي كان على جيش الدفاع ان يعمل بها اصبحت منطقة عمليات لقوات التحالف لذلك لم يكن بالامكان العمل بها دون موافقة ادارة بوش وبدون التنسيق مع قيادة التحالف. ولكن اعطاء مثل هذه الموافقة كان غير ممكن منذ البداية، لان الامر كان يحتاج الى ان تعطى الدول العربية الاعضاء في التحالف - ومن ضمنها السعودية وسوريا - موافقتها. ولو بالصمت، على اشتراك اسرائيل في العمليات ضد العراق.

كما ان اسرائيل لم تكن قادرة على القيام بهجوم مفاجيء ضد مواقع الصواريخ العراقية - وهذا خلافا للشروط التي سادت اثناء تدمير المفاعل النووي "اوسيراك" في ربيع ١٩٨١ - حيث ان اجهزة الاستخبارات، والسيطرة والرقابة الجوية، وايضا اجهزة الدفاع للعراق وسوريا والاردن والسعودية وضعت الان في اقصى درجات استعداداتها، وتبدو فرص المفاجئة قليلة جدا. كما ان قرار الامتناع عن الهجوم المفاجيء تأثر من ضرورة الامتناع عن الاشتباك مع قوات جوية امريكية الذي قد تكون نتائجه وخيمة جدا، مثلما حدث في حادثة اغراق سفينة "بيبرتي" عن طريق الخطأ خلال حرب الايام الستة. وبدون التنسيق مع الامريكيين - التنسيق الذي في اطاره يستطيع سلاح الجو الحصول على الوسائل التي تمكنه من التمييز بين طائرات التحالف وطائرات عراقية (اجهزة طائرات دون طيار - تشخيص العدو من الصديق)، وبالعكس تمكين طائرات التحالف من تشخيص طائرات سلاح الجو الاسرائيلي كطائرات صديقة، بدون ذلك لم يكن بالامكان القيام بعملية كهذه من غير حدوث مخاطر سياسية وعملية كبيرة جدا. وهذا الاعتبار كان بمثابة المرشد لقادة اسرائيل خلال الحرب حتى انهم صرحوا عن ذلك مرارا. (١٧).

اضافة لذلك، ليس من الواضح ما اذا كان بمقدور اسرائيل خلال الحرب ان تدمر مواقع اطلاق الصواريخ التي نصبت غربي العراق. ففي حين ليس هناك ادنى شك في قدرة سلاح الجو على تدمير اهداف مواقعها معروفة بوضوح، فان ثمة شك كبير ما اذا كانت مواقع الصواريخ العراقية قد شخصت بشكل دقيق وواضح. وكانت وسائل الاعلام قد نشرت في انحاء العالم ان مشاكل تشخيص المنصات المتحركة للصواريخ العراقية دفعت قيادة الجيش الاسرائيلي، ان يفضل بديلا عمليا وهو "التطويق العمودي": انزال قوات برية غرب العراق لتشخيص وتدمير الصواريخ. (١٨). غير ان عملية من هذا النوع

كانت غير ممكنة ايضا دون موافقة واشنطن ودون التنسيق مع قيادة التحالف: حيث دون هكذا تنسيق كانت ستتعرض القوات الاسرائيلية الى خطر قصفها من قبل قوات التحالف الجوية التي عملت في المنطقة تقريبا دون توقف. هذا بالاضافة الى ان اي عملية عسكرية اسرائيلية لم تثمر جيدا بسبب القيود المفروضة عليها كان من شانها ان تلحق الضرر بصورة اسرائيل العامة و"بالردع المتراكم" الذي اكتسبته بجهود مضنية طوال سنوات.

كما انه لم يكن واضحا ما اذا كان المستوى السياسي في حكومة اسرائيل سيقر انزال قوات كبيرة في منطقة يكون فيها انقاذ هذه القوات، في حالة ان تواجه مقاومة صعبة وغير مرتقبة، مهمة معقدة وخطيرة جدا. وذلك على ضوء حقيقة انه لا يمكن القيام بعمليات مساندة وانقاذ كهذه دون استخدام المجال الجوي لدول معادية كالاردن والسعودية.

لذلك يبدو ان اسرائيل لم تكن قادرة على ان تجسد بشكل ناجح "الردع الوقائي" ضد التهديد العراقي باطلاق صواريخ تحمل رؤوسا حربية تقليدية تجاه اسرائيل خلال حرب الخليج. ان قدرتها على منع العراق من اطلاق مثل هذه الصواريخ من غرب الدولة كانت محدودة، وحتى لو توفر لاسرائيل بدائل لمثل هذا العمل، فان هذه البدائل غير كفيلة بردع صدام حسين الذي هو معني جدا بتدخل اسرائيل العكسري.

ان قدرة اسرائيل على تجسيد "الردع بواسطة العقوبة" ضد الهجمات الصاروخية التقليدية معرضة لذات المصير. حيث ان الهجوم العقابي ضد المواقع الهامة في العراق كان يلزم سلاح الجو الاسرائيلي التغلغل عميقا داخل الاراضي العراقية، الامر الذي يلزم ايضا التنسيق المسبق مع قيادة التحالف - حيث ان على سلاح الجو ان يتغلغل في المنطقة التي تشكل الساحة الحربية الاساسية لقوات التحالف الجوية حيث تخرج الطائرات بمعدل اكثر من ٢٠٠٠ طلعة يوميا. ولكن وعلى ضوء مغزاه السياسي لم يكن هناك اي بصيص من الامل في تجسيد مثل هذا التنسيق.

هنا، وعلى خلفية مستوى المعركة الجوية التي شنها التحالف ضد العراق في تلك الايام ومدى الاضرار التي تعرض لها العراق جراء القصف المتواصل، وعلى ضوء حقيقة ان قدرة سلاح الجو الاسرائيلي في مجال القصف على مدى طويل محدودة نسبيا، من الصعب الافتراض ان القصف الجوي التقليدي الاسرائيلي في الظروف التي سادت في تلك الايام كان سيؤثر على الرئيس العراقي. وبهذا الصدد وردا على سؤال علني وجه اليه خلال الحرب اجاب قائد سلاح الجو السابق الجنرال احتياط بني بيلد "مانا بوسعنا ان نفعل اكثر من القصف الامريكي المكثف". (١٩). لذلك، ثمة شك في ان يكون التاثير الهامشي لعملية عقاب اسرائيلية كفيلا بردع العراق عن مواصلة اطلاق الصواريخ تجاه اسرائيل.

في النهاية لا شك في ان قدرة حكومة اسرائيل على الاستمرار في انتهاج سياسة ضبط النفس تاثرت جدا من حقيقة ان القذائف الصاروخية العراقية ادت نسبيا الى وقوع عدد محدود جدا من الاصابات وسط السكان الاسرائيليين، هذا رغم الاضرار الكبيرة التي وقعت للكثير من المباني جراء اصابتها بالصواريخ. ولو كانت اسرائيل قد تكبدت خسائر فادحة نتيجة اطلاق الصواريخ تجاهنا لكان هناك شك في ان تستطيع اسرائيل الامتناع عن الرد لمدة طويلة. ففي الشروط التي سادت حينها، ايدت اغلبية السكان سياسة عدم الرد التي انتهجتها الحكومة. وافادت ثلاثة استطلاعات للرأي العام في المرحلة الواقعة بين منتصف كانون ثاني ومطلع شباط ١٩٩١ بان اكثر من ٨٠٪ من الذين شملتهم الاستطلاعات اعربوا عن رايهم بان على اسرائيل الاستمرار في الامتناع عن الرد العسكري على الهجمات الصاروخية العراقية. (٢٠).

ومع ذلك، لا شك في ان حقيقة ان اسرائيل تكبدت القليل جدا من الخسائر نسبيا، صعب من مهمة ردع العراق، اذ لم يكن بالامكان اقناع العراق بان اسرائيل قد ترد بصورة غير متناسبة على اطلاق الصواريخ طالما استمر معظم السكان الاسرائيليين بدعم سياسة ضبط النفس، وهكذا، طالما ان الاضرار الناجمة عن قصف الصواريخ كانت محدودة، فان اسرائيل لم تكن قادرة على ان تحظى بالشرعية الدولية والدعم الداخلي المطلوبين للقيام بعملية انتقامية غير متناسبة. في هذه الحالة كان المطلوب من اسرائيل ان تدفع ثمنا سياسيا غير معقول لو انها هددت مثلا بالانتقام الشامل ضد تجمع محدود الى هذه الدرجة.

هذا ليس فقط لان ميزان القوى في هذه الحالة يميل لصالح العراق - الذي يستطيع بسهولة اطلاق صواريخ تجاه

اسرائيل بينما لا يتوفر لاسرائيل بدائل للرد الوقائي او العقابي - اننا ايضا لان الميزان في الحسم والاضرار يميل لصالح صدام حسين. حيث ان صدام كان معنيا بالتدخل العسكري الاسرائيلي في حين اوركت حكومة اسرائيل ان ردا كهذا سيخدم مصالح صدام فقط وهي غير مستعدة ان تجد نفسها مضطرة لاتخاذ موقف انتقامي شامل. ولذلك تمتع العراق من ميزة ثانية من مركبات الردع: قدرة الاستعداد، في حالة كهذه لم يكن لاسرائيل اي فرصة لردع الحاكم العراقي عن اطلاق صواريخ ارض - ارض يحمل رؤوسا حربية تقليدية باتجاه مراكز سكنية في اسرائيل.

- مسألة الاضرار في صورة الردع

ربما لو ادركت اسرائيل قبا حرب الخليج ان جهودها في ردع صدام حسين عن مهاجمة مدنها ستبوء بالفشل، لكانت فرص نجاحها في منعه من القيام بهذه الهجمات اكثر بكثير لو انها امتنعت عن التصريح بالالتزام القاطع بالرد على مثل هذه الهجمات. يبدو ايضا ان سياسة بديلة اقترحت في مرحلة معينة من قبل رئيس هيئة الاركان الذي اعلن في ١٦ ايلول ١٩٩٠ بانه "ليس هناك حالة تلقائية، اي بمجرد ان يجتاز الجندي العراقي الخط تبدأ الاشياء تطير في السماء. اننا الان في خضم ازمة تدخلت فيها الولايات المتحدة لذلك كل خطوة تحتاج الى تفكير عميق. ان دخول قوات عراقية الى الاردن لن تؤدي، تلقائيا، الى عملية عسكرية اسرائيلية، سنفحص في البداية اي قوات عراقية ارسلت الى الاردن ولماذا وكيف سيؤثر تدخل الجيش الاسرائيلي على التحالف الغربي - العربي في الخليج الفارسي". (٢١).

وفي كانون اول ١٩٩٠ عرض وزير الدفاع السابق عضو الكنيست اسحق رابين وجهة نظر مشابهة "في حالة اطلاق صواريخ عراقية باتجاه اسرائيل يجب علينا ان لا نرد بشكل فوري، انما علينا التفكير جيدا بخطواتنا كي لا نقع في الفخ الذي نصبه لنا صدام". (٢٢). وبعد ذلك بوقت طويل اقترح رئيس مركز الابحاث الاستراتيجية على اسم يافي في جامعة تل ابيب الجنرال احتياط اهارون ياريف، في مؤتمر صحفي في ٦ كانون ثاني ١٩٩١ بانه "اذا هاجم العراق اسرائيل بالصواريخ او بالطائرات فمن الافضل ان لا ترد اسرائيل على ذلك كي لا تنجر الى الحرب". (٢٣). واضاف ياريف بانه "انا كانت الاضرار الناجمة عن الهجوم العراقي محدودة. فعلى اسرائيل التفكير جيدا ما اذا كانت سترد، حيث ان الرد الاسرائيلي سيفيد صدام حسين الذي سيسعى الى تحويل الحرب في الخليج الفارسي الى حرب اسرائيلية - عربية". (٢٤).

وللأسف الشديد، هدد معظم قادة اسرائيل، خلال ازمة الخليج وقبل نشوب الحرب نفسها بان رد اسرائيل على دخول قوات عراقية الى الاردن واي هجوم على اسرائيل سيكون فوريا وصعبا وتلقائيا. وفي لقائه مع خريجي كلية الامن الوطني في ٩ آب ١٩٩٠ قال رئيس الحكومة اسحق شمير بان "كل من يحاول مهاجمة اسرائيل فانه سيضع نفسه في كارثة كبيرة". (٢٥).

وبعد ذلك باقل من اسبوع حذر وزير الدفاع موشيه آرنس صدام حسين من مغبة مهاجمة اسرائيل والا فان العراق "سيواجه ردا جويا قاسيا". وحول امكانية دخول الجيش العراقي الى الاردن حذر آرنس من "اننا سنواجه ذلك بالقوة، ويبدو لي ان بغداد تعرف ذلك جيدا". (٢٦).

وفي هذا الصدد من المثير للدهشة ان رئيس الحكومة شمير لم يلاحظ التناقض الداخلي في اقواله التي صدرت عنه في البرنامج التلفزيوني "موكيد" مساء ٢٢ آب، من جهة قال شمير انه "لا يوجد لاسرائيل اي مصلحة في مساعدة صدام بجرنا الى دوامة ازمة الخليج الفارسي". ومن جهة ثانية اكد رئيس الحكومة بان "الاوساط التي تخطط للهجوم على اسرائيل تعرف جيدا بانهم اذا قاموا بذلك فسيدفعون الثمن الغالي". ليس هناك اي دليل بان شمير كان يعي بان وعده بالرد على كل هجوم على اسرائيل، من شانه ان يشجع صدام حسين على القيام بمثل هذا الهجوم بهدف جر اسرائيل الى "دوامة الازمة في الخليج الفارسي". (٢٧). وهذا ايضا ما تضمنته اقوال رئيس هيئة الاركان الجنرال دان شومرون في ٢٥ آب. من جهة اعترف رئيس هيئة الاركان بان لصدام مصلحة في "ادخال اسرائيل الى الصورة كعدو مشترك للدول العربية". ومن جهة ثانية قال بانه على ضوء قدرة اسرائيل الردعية ليس من المعقول ان يفتح زعيم العراق جبهة ثانية عن طريق الهجوم

على اسرائيل. (٢٨).

في ٣٠ آب، وردا على التهديدات العراقية، عاد رئيس الحكومة شمير وكرر تحذيره: بان "اسرائيل اثبتت في الماضي انها تعرف كيف تدافع عن نفسها جيدا، واذا هوجمنا من قبل العراق، فلا شك اننا سنرد الهجوم وسيندم المهاجم كثيرا على عمله". (٢٩). واصدر كل من رئيس الحكومة ونائب وزير الخارجية بنيامين نتنياهو تصريحات مماثلة في ٢٤ ايلول (٣٠). واكثر وزير الخارجية ديفيد ليفي من الحديث في هذا المجال حيث حذر في ٢٦ ايلول بان "كل من سيهاجم اسرائيل لن يعيش لكي يتذكر ذلك". (٣١). وفي خطابة امام هيئة الامم المتحدة في الاول من تشرين اول عاد وحذر ديفيد ليفي من ان "اسرائيل تعرف كيف تدافع عن نفسها اذا هوجمت وضربتها ستكون قاسية ومؤلمة". (٣٢). واضاف رئيس الوزراء اسحق شمير بعد عدة ايام بانه "اذا حاول صدام مهاجمة اسرائيل او المس بها فهو سيرتكب خطأ كبيرا وسيدفع مقابل ذلك ثمنا باهظا". (٣٣).

وبعد شهر من ذلك حذر وزير الدفاع موشيه آرنس بانه "اذا هوجمت اسرائيل فلن يكون مستوى ردها قليلا". (٣٤). وفي نهاية شهر كانون اول ذكر رئيس الوزراء شمير "باننا نعود ونؤكد انه اذا تجسدت التهديدات فسنضربهم بصورة قاسية جدا". وفي وقت مماثل اعلن آرنس "يدرك صدام حسين انه اذا هوجمت اسرائيل، فهي سترد ويعرف ايضا كيف سترد". (٣٥). وقبل اسبوع من نشوب الحرب، في ٩/ كانون ثاني اكد وزير الخارجية هذه التهديدات امام وفد ضم ٢٥ عضوا من الكونغرس الامريكي "اذا هوجمت اسرائيل - فهي ستتخذ موقفا انتقاميا كي تدافع عن امنها وعن امن مواطنيها" (٣٦). وغداة نفس اليوم قال وزير الدفاع "ان قدرة العراق على التسبب بخسائر في البلاد محدودة جدا ولكن اذا هوجمنا فسنرد دون تردد". (٣٧). وبعد يومين من ذلك عاد رئيس هيئة الاركان الجنرال دان شومرون وحذر بان من الافضل لصدام ان يأخذ بالحسبان "الرد القاسي جدا لاسرائيل اذا ضربها او حاول ان يضربها". واكد الوزير آرنس اثناء زيارته لقاعدة سلاح الجو شمال البلاد انه "اذا هوجمت اسرائيل - فهي ستستخدم حقها الشرعي في الرد". (٣٨).

اذا كانت اسرائيل قد تبنت نصيحة ياريف فانه كان باستطاعة المتحدثين باسمها ان يفسروا التجاوز الذي حصل في سياسة الردع التقليدية لاسرائيل في الظروف الخاصة التي نجمت، والتي مكنت اسرائيل من تحقيق اهدافها الاستراتيجية المركزية بواسطة الامتناع عن الرد العنيف على الهجمات العراقية. وبهذا كان بالامكان زرع بذور الشك في قلب صدام حسين بشان قدرته على ان يحظى بتدخل اسرائيل العسكري عن طريق مهاجمة مدنها. وكان من شان هذه السياسة المعلنة ان تقلص دوافع صدام حسين بالهجوم على اسرائيل ومن شانها ايضا ان تقيد امكانية الحاق الضرر بسياسة الردع كنتيجة لسياسة ضبط النفس التي انتهجت خلال الحرب.

عمليا، كما ذكر في السياق، امتنعت اسرائيل عن انتهاج سياسة معلنة مرنة، وفي تبنيهم لسياسة متصلبة بشان الموضوع منح متحدثيها صدام حسين الامل بانه سينجح في اقحام اسرائيل بالحرب بواسطة مهاجمتها، ولكن، بعد ان بدأت عمليات اطلاق الصواريخ، وعلى الرغم من الاعتبارات الحاسمة التي بفضلها تبنت حكومة اسرائيل سياسة ضبط النفس، واصل متحدثيها بتزويد صدام حسين بالامل بانه فقط اذا واصل هذه الهجمات سيحظى بتدخل اسرائيل. كما اعلن رئيس هيئة الاركان الجنرال دان شومرون بعد عدة ايام من بدء الهجمات الصاروخية ضد اسرائيل بان الولايات المتحدة "تعرف اننا غير مستعدين لتلقي ضربات اخرى دون ان نرد". (٣٩). هذا وعلى ضوء حزم التصريحات الردعية التي ادلى بها زعماء اسرائيل قبل بدء الحرب من الصعب القول بان امتناع اسرائيل عن الرد على اطلاق الصواريخ باتجاه مدنها لم يضر بالمصداقية التي سينظر زعماء المنطقة خلالها الى تصريحات زعماء اسرائيل في المستقبل.

ومن ناحية اخرى من المهم ان لا نبالغ بتقدير التأثير الذي سيكون لتصرفات قادة اسرائيل خلال الحرب على مصداقية سياسة الردع في المستقبل، ومقارنة مع فشلها في ردع صدام حسين عن اطلاق صواريخ برؤوس تقليدية فان نجاح اسرائيل في ردع الزعيم العراقي عن محاولة استخدام السلاح الكيماوي ضدها كان ذو مغزى اكبر بكثير. فلولا هذا النجاح لكانت اسرائيل قد تعرضت الى ضربة كيماوية عراقية سواء عن طريق قاذفات ساخوي ٢٤ او صواريخ ارض - ارض من

نوع الحسين ذات مدى ٦٠٠كم. لقد منعت اسرائيل العراق من انتهاج هذين الاسلوبين قبل كل شيء بواسطة تجسيد "الردع بواسطة العقاب" من خلال استكمال الى حد معين "الردع الوقائي".

لقد عززت اسرائيل قدرتها في مجال "الردع الوقائي" من خلال الاستخدام المختلط لوسائل الدفاع المحتملة والفاعلة. ففي مجال الوسائل المحتملة قررت اسرائيل في مطلع تشرين اول ان تنتهج سلسلة من الوسائل في مجال الدفاع المدني، حين زودت السكان بالكمامات الواقية من الغاز ووسائل اخرى لتقليص الاصابات من المواد السامة، ومن بين هذه الوسائل التعليمات بشان اغلاق غرفة باحكام في كل بيت وشقة ضد اي هجوم كيماوي هذا على الرغم من انه في بداية الازمة قال المسؤولون في جهاز الامن انه لا مجال لاتخاذ مثل هذه الاساليب واعترضوا على توزيع كمامات الغاز. (٤٠).

وبخصوص الوسائل الفعالة، فقد وقف سلاح الجو الاسرائيلي على ادبة الاستعداد القصوى مع تكثيف طلعاته الجوية كي يستطيع قصف اية طائرة عراقية قد تحمل سلاحا كيماويا. (٤١). ومنحت اسرائيل بعدا ردعيا لنشاطها في التصريحات التي اعلنها قائد سلاح الجو الجنرال ابيامو بن نون بان سلاح الجو قد وضع تحت ادبة الاستعداد القصوى تحسبا لاية مواجهة عسكرية مع العراق" وان الطيارين يجلسون مستعدين في طائراتهم هذا بالاضافة الى ان الولايات المتحدة، وبطلب من اسرائيل، فقد قررت ان تنصب في الاراضي الاسرائيلية بطاريات صواريخ مضادة للصواريخ والطائرات من نوع باتريوت، وقبل انتهاء الحرب كان قد نصب في اسرائيل ثماني بطاريات: اثنتان اشتراهما الجيش الاسرائيلي من الولايات المتحدة قبل الحرب واربع بطاريات للجيش الامريكي نصبت في اسرائيل بطواقم امريكية. وبطارية واحدة تبرعت بها المانيا وتم تشغيلها من قبل طاقم امريكي اسرائيلي مشترك. وبطارية اخرى وضعت في اسرائيل من قبل الجيش الهولندي. (٤٣).

ومن الواضح ان نصب بطاريات الباتريوت في اسرائيل جاء للتاثير على تفكير صدام حسين بشان قدرته على التغلغل في المجال الجوي الاسرائيلي.

وفي حين قد يكون لوسائل المنع التي انتهجتها اسرائيل تاثير ما على امتناع صدام حسين من استخدام السلاح الكيماوي ضد اسرائيل، فقد كان يبدو ان تصرفاته في هذا المجال قد تاثرت اكثر من "الردع بواسطة العقاب"، التي بحوزة اسرائيل اي انه تخوف من امكانية ان ترد اسرائيل على هجوم كهذا باستخدام السلاح النووي الذي يعتقد انه موجود لديها. وهذا التخوف تعزز قبل الازمة وخلالها بسبب التصريحات الكثيرة - المقصودة والعفوية - من قبل قادة اسرائيليين وفي حالة واحدة فقط من قبل، احد كبار موظفي الادارة الامريكية.

على ضوء انتشار الصواريخ والاسلحة الكيماوية في دول عربية في السنوات الاخيرة، طلب من كبار المسؤولين الاسرائيليين في الكثير من الاحيان الاجابة على امكانية ان يتم مهاجمة اسرائيل بهذا السلاح. هذا، وخاصة عندما قام احد الزعماء العرب مهددا بصراحة باستخدام الصواريخ والاسلحة الكيماوية ضد اسرائيل مثلما حدث الامر عندما اعلن صدام في خطاب القاه في ٢ نيسان ١٩٩٠ بانه سيستخدم ضد اسرائيل سلاحا فتاكا. وان النار التي سيشعلها "ستحرق نصف اسرائيل" اذا هاجمت ارضه. وردت اسرائيل على هذه التصريحات بالتهديدات المضادة التي شكلت مزيجا من "الردع الوقائي" و "الردع بواسطة العقاب". وفي حين اكتفى رئيس الوزراء اسحق شمير بالقول بان "اسرائيل تعرف كيف تدافع عن نفسها" فقد ذكر وزير الدفاع اسحق رابين "ان بمقدورنا اعطاء رد حاسم اصعب باضعاف من تهديدات صدام". (٤٤).

وعلى خلفية البلبلة التي قد تنشأ نتيجة الروحية المختلفة لتصريحات شمير ورابين من الجدير الاشارة الى انه خلال حرب الخليج اوضح الوزير السابق رابين بانه كلما تعلق الامر بردع العرب عن استخدام الصواريخ ضد اسرائيل خولت الحكومة باتباع سياسة "الردع بواسطة العقاب" - اي التهديد بتدمير المدن العربية - وليس "الردع الوقائي". وقال رابين ايضا في كلمة امام اعضاء كتلة المعراخ في الكنيست: "كيف تعتقدون اننا ردعنا سوريا؟ ماذا قلنا لهم؟ قلنا، استخدموا صواريخ ارض - ارض باتجاه تل ابيب - ودمشق ستتدمر. اطلقوا الصواريخ نحو حيفا، لن تبقى دمشق ولن تبقى حلب بل سيتدمرن. لن نعالج منصات الصواريخ بل ستدمر دمشق". (٤٥).

هذه التصريحات حول سياسة "الردع بواسطة العقاب" ضد هجمات الصواريخ والاسلحة الكيماوية تعززت بعد ازمة الخليج الفارسي بمساعدة عدة تصريحات اعتبرت تجاوزا للسياسة التقليدية الاسرائيلية المعلنة بشان القدرة النووية التي بحوزتها. حتى ذلك الحين ادعى زعماء اسرائيل مرارا وتكرارا "بان اسرائيل لن تكون الدولة الاولى التي تدخل السلاح النووي في الشرق الاوسط" واحيانا، اضاف بعضهم بان "اسرائيل ايضا لن تكون الثانية في القيام بذلك". وهذه التصريحات تعني ان اسرائيل تمتلك قدرة نووية وانها لن تتلكأ في تطبيقها في اللحظة التي يدخل بها السلاح النووي الى المنطقة عن طريق احدى الدول العربية. (٤٦).

ولكن، في ٢٩ كانون اول ١٩٩٠، وفي ظهوره امام النادي التجاري والصناعي في تل ابيب تجاوز رئيس هيئة الاركان الجنرال دان شومرون هذه السياسة حين قال "لقد قلنا باننا لن نكون الاوائل في استخدام السلاح النووي". وهذه الاقوال تعني فورا كاشارة على ان اسرائيل تمتلك الان سلاحا كهذا. (٤٧).

وكما اتضح ان تصريحات شومرون لم تكن الا "زلة لسان" ولم يكن يقصد ان يتجاوز السياسة التقليدية الفعلنة لاسرائيل حول هذا الموضوع. ولكن هذه التصريحات جرت وراءها سلسلة من التصريحات التي ايدت وصادقت على تجاوزه. ويبدو ان سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة "زلمان شوفال" قد فسر تصريحات شومرون كاشارة الى ان السياسة المعلنة لاسرائيل حول هذا الموضوع قد تغيرت. وعاد وكررها امام وسائل الاعلام في واشنطن. (٤٨). وبعد ثلاثة اسابيع من ذلك صدرت تصريحات مماثلة من قبل سفير اسرائيل في بروكسل. (٤٩).

من الممكن التكهن انه في اوساط مختلفة من العالم العربي فسرت هذه التصريحات باعتبارها اشارة الى نوايا اسرائيل "باخراج القنبلة من القبو". هذا، رغم انه من الممكن تفسير اقوال شومرون كدليل على ان اسرائيل لا تنوي انتهاج موقف انتقامي ذري على هجوم كيماوي ضدها، وبناء على ذلك كضعف الردع بواسطة العقاب ضد هجوم كهذا، ولكن يبدو ان الكثيرين في العالم فسروا اقوال رئيس هيئة الاركان، كتعزيز للردع الاسرائيلي بواسطة التلميح بان اسرائيل قد ادخلت هذا السلاح الى المنطقة.

وثمة مساهمة اخرى لتعزيز الردع الذري الاسرائيلي ضد الهجوم العراقي بسلاح كيماوي، قدمها مصدر غير متوقع: وزير دفاع الولايات المتحدة ريتشارد تشيني. في مقابلة مع شبكة سي.ان.ان في ٢ شباط ١٩٩١ وجه سؤال الى تشيني لماذا حسب اعتقاده امتنع صدام عن استخدام سلاح كيماوي ضد اسرائيل فاجاب انه قد يكون احد اسباب ذلك هو خوف الزعيم العراقي من انتقام بالسلاح غير التقليدي الموجود لدى اسرائيل. وفي رد على سؤال اخر امتنع تشيني عن اعطاء اي توضيح اخر حول هذا الموضوع ولكنه حين وجه اليه السؤال هل يعتقد بان الهجوم الكيماوي على اسرائيل سيؤدي الى استخدام السلاح الذري التكتيكي اجاب الوزير: "لا اعرف، هذا الامر خاضع لقرار الاسرائيليين، ولكن حسب رايي على صدام ان يكون حذرا بالصورة التي يهاجم بها اسرائيل" بهذا امتنع تشيني عن الشك في مضمون الافتراض الذي كان اساس سؤال الصحفي (٥٠). - اي ان بحوزة اسرائيل سلاح نووي من الممكن ان تستخدمه في اطار الانتقام - وامتنع ايضا عن نفي امكانية ان تقوم اسرائيل فعلابانتهاج اسلوب انتقامي ذري على الهجوم العراقي بالسلاح الكيماوي. ولا عجب في ان تكون تصريحات تشيني قد فسرت بانها تعطي الشرعية للقدرة النووية الاسرائيلية بناء على ذلك كمساهمة ذات مغزى لقدرتها الردعية.

وتعززت تصريحات تشيني في اليوم التالي باقوال وزير الدفاع مشويه آرنس الذي حاول ان يضع شيئا من الغموض حول جوهر التهديد الاسرائيلي: "اعتقد انه قال لصدام بان هناك سببا للقلق - نعم، هناك ما يقلقه". وفي رده على سؤال - اذا كان هذا الخوف مرتبط بالانتقام النووي قال الوزير: "تشيني لم يقل بوضوح، مثلما كنت اتوقع منه في مثل هذه الظروف، ولكن، اذا قيل لصدام بان هناك سببا للقلق فهذا صحيح". (٥١).

وفي المقابل، حدث خلال الحرب تطوران مدا بالمس في مصداقية الردع الاسرائيلي، ولكن، بالمناسبة، يبدو انه كان للتطورين تاثير قليل فقط على خصومها في المنطقة. الاول، كانت هناك امكانية ان يقوم صدام بتفسير قرار اسرائيل انتهاج سلسلة من الوسائل الدفاعية السلبية - بدء من اغلاق الغرف ومرورا بتوزيع الكمامات الواقية لكل سكان اسرائيل -

كدليل على استعداد اسرائيل لامتصاص امكانية استخدام سلاح كيماوي ضدها. وهذا التخوف نبع من حقيقة ان حكومة اسرائيل لم ترفق الوسائل التي انتهجتها في مجال الدفاع السلبي بالسياسة المعلنة التي توضح بانها قررت انتهاج هذه الوسائل فقط للتخفيف من الاضرار التي قد تنتج جراء الهجوم الكيماوي الاول. وانها تنوي انتهاج موقف انتقامي مؤلم جدا قبل شن هجوم اخر عليها.

ولكن، يبدو انه لم يكن لهذا الفشل في السياسة المعلنة لحكومة اسرائيل في مرحلة الحرب اي تاثير حقيقي على فكرة العرب بشان حزم اسرائيل. ويبدو ان الخطوات التي انتهجت في مجال الدفاع السلبي فسرت من قبل العرب كاضافة فقط - في مجال "الردع الوقائي" - لقدرة ابرائيل المدمشة في مجال "الردع بواسطة العقاب" ضد الخطر الكيماوي الذي يهددها. من هنا نرى ان الخطوات التي انتهجتها اسرائيل في مجال الدفاع المدني لم تضر بالقدرة الردعية العامة.

والتطور الثاني، الذي بدا لوقت قصير انه خطير جدا، يتعلق بالتصريحات التي اقتبست من وزير الدفاع موشيه آرنس خلال الحرب. ففي جلسة الحكومة في يوم ٢٧ كانون ثاني قال آرنس انه بهجومه على اسرائيل اجتاز صدام حسين الخط الاحمر بالنسبة لاسرائيل و "لذلك من المتوقع ان يرد الجيش الاسرائيلي في المجال والموعد والاهداف التي يقررها". (٥٢).

كان من الممكن تفسير تصريحات آرنس هذه كما لو انه بعد ان شرع العراق بهجماته لم يبق هناك خطوط حمراء، وان اسرائيل لا ترى في استخدام عراقي لسلاح كيماوي ضد المراكز السكنية اي تهديد خطير جدا بحيث يؤدي الى رد اسرائيلي في مجال مختلف تماما.

لذلك، ولادراكهم للخطر الذي قد يهدد الردع الاسرائيلي ضد استخدام العراق للسلاح الكيماوي من تصريحات آرنس حاولت بعض الشخصيات ومن ضمنها نائب رئيس هيئة الاركان الجنرال اهود براك، تصليح خطأ وزير الدفاع. ففي اللقاء مع المراسلين العسكريين في ٣ شباط ١٩٩١ اجاب براك على سؤال ما هو بالضبط "الخط الاحمر" بالنسبة لاسرائيل، الذي سيقرر بعد اجتيازه عملية مضادة فقال "استخدام عراقي لسلاح غير تقليدي تجاه اسرائيل". (٥٣). وكما هو معلوم، في نفس اليوم حاول وزير الدفاع آرنس نفسه التخفيف من حدة الضرر الذي من الممكن ان يكون قد نجم عن تصريحاته السابقة، وذلك بتأييد تصريحات وزير الدفاع الاسرائيلي تشيني بصدد الرد المرتقب لاسرائيل في حالة قيام العراق باستخدام السلاح الكيماوي ضدها.

على اية حالة، يبدو انه كان لهذان التطوران تاثير محدود فقط على نجاعة الردع الاسرائيلي ضد استخدام العراق للسلاح الكيماوي ضد مدنها، خاصة بالمقارنة مع المصداقية العامة التي نسبها العالم للردع الذري الاسرائيلي خلال الحرب. وهذه المصداقية التي تم تغذيتها بتصريحات اسرائيلية - وفي حالة واحدة، بتصريحات امريكية ذات مغزى - عززت تقدير العراق بان اسرائيل تمتلك سلاحا نوويا وانه في حالات الخطر على وجودها قد تحاول استخدامه.

يبدو انه خلافا لتفكيرها بشان اطلاق صواريخ ارض - ارض برؤوس حربية تقليدية اعتقد صدام حسين انه كلما تعلق الامر بامكانية الهجوم على اسرائيل بصواريخ تحمل رؤوسا كيماوية، فان اسرائيل ستتزود بالقدرة والاستعداد لاستخدام وسائل الردع النووية التي بحوزتها، ومن المعقول الافتراض ان صدام اعتقد ان حكومة اسرائيل كانت ستتمتع بتاييد داخلي يكفي لاتخاذ قرار استخدام القدرة النووية بهدف وقف الهجوم الكيماوي ضدها وانه اذا فعلت ذلك بظروف متطرفة الى هذا الحد - فمن المؤكد انها ستحس بشرعية دولية، مثلما فهم الامر من اجوبة وزير الدفاع الامريكي. لا عجب اذن ان يكون الردع الذري المتزايد لاسرائيل قد نجح في منع صدام حسين من الهجوم على مدنها بسلاح كيماوي خلال حرب الخليج.

ملاحظات ومراجع:

١- هآرتس ١٩٩١/٤/٢١.

٢- هآرتس، يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/١٥.

٣- حداشوت ١٩٩١/٣/١.

٤- Israel Tal,"Israel Security In The Eighties," Jerusalem Quarterly, Fall 1980 pp.

٥- ميخا بار: خطوط حمراء في استراتيجية الردع الاسرائيلية اصدار معرخوت ١٩٩٠.

٦- المصدر السابق صفحة ٩٧ - ٩٩.

٧- Johnathan Shimshoni, "Israel and Conventional Deterrence" (Ithaca:Cornell University Press,1988)

٨- سي فلدمان "الردع الذري لاسرائيل، اصدار الكيبوتس الموحد ١٩٨٣.

٩- معاريف ١٩٩٠/٨/٩.

١٠- المصدر السابق ١٩٩٠/٨/١٠.

١١- معاريف ١٩٩١/١/٢٩، يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٢١.

١٢- Jim Hoagland, "Transcript Shows Muted U.S.Response To Threat By Saddam In Late July," Washington Post, September 13,1990

١٣- "Bush Accused Of Sending Confusing Signals To Iraq Before Invasion," Chicago Tribune, March 22,1991.

١٤- دافار ١٩٩١/٣/٨.

١٥- Thomas L. Friedman, "U.S. Agrees To Give Israel $650 Million For War Expenses," International Herald Tribune,March 7,1991

١٦- Joel Brinkley, "U.S. Loan Too Little For Israel" IHT,February 22,1991.

١٧- هآرتس ١٩٩١/١/١٢ المصدر السابق ١٩٩١/١/٢٨، معاريف ١٩٩١/١/٢٨، Ronald J. Ostrow and Robin Wright, "To Strike Israel Needs 'Friend I.D.'," IHT,January 28,1991

١٨- معاريف ١٩٩١/٢/٣، هآرتس ١٩٩١/٣/٨.

١٩- حداشوت ١٩٩١/٣/٨.

٢٠- معاريف ٩١/٣/٨، يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٢١.

٢١- معاريف ١٩٩٠/٩/١٧، Joshua Brilliant, "No Automatic Response If Iraqi Troops Enter Jordan, "Jerusalem Post, September 17,1990.

٢٢- معاريف ١٩٩١/١٢/٣٠.

٢٣- هآرتس ١٩٩١/١/٧.

٢٤- المصدر السابق ١٩٩١/١/٨.

٢٥- دافار ١٩٩٠/٨/١٠.

٢٦- معاريف ١٩٩٠/٨/١٦.

٢٧- هآرتس ١٩٩٠/٨/٢٣.

٢٨- معاريف ١٩٩٠/٨/٢٦.

Joshua Brilliant, "Arens and Shonron Say Attack Not Likely Because Of Israel's Strength," JP, August 26,1990.

٢٩- معاريف ١٩٩٠/٨/٣١.

٣٠- معاريف ١٩٩٠/٩/٢٥.

Dan Izenberg, "Shamir:We Are Preparing Ourselves," JP, September 25,1990

David Makovsky, "Levy: Those Who Attack Israel Won't Live To Remember," -٣١

JP, September 27,1990

٣٢- هآرتس ١٩٩٠/١٠/٢.

٣٣- معاريف ١٩٩٠/١٠/٥.

٣٤- هآرتس ١٩٩٠/١١/٧.

٣٥- هآرتس ومعاريف ١٩٩٠/١٢/٢٥.

Michal Yudelman, "Israel Will Certainly Retaliatefif Saddam Attacks, Levy -٣٦

Says," JP, January 9,1991

٣٧- يديعوت احرونوت ١٩٩١/١/١٣.

٣٨- معاريف ١٩٩١/١/١٣.

David Rudge, "Arens:If Attacked, Israel Will Respond," JP, January 14,1991

Bradley Burston, "More Iraqi Missiles May Bring Retaliation," January 21,1991-٣٩

٤٠- معاريف ١٩٩٠/٨/١٠ و ١٩٩٠/٨/١٧، هآرتس ١٩٩٠/٨/٢٠ و ١٩٩٠/٨/٢٦.

٤١- معاريف ١٩٩٠/٨/١٢.

٤٢- هآرتس ١٩٩٠/٩/٢ و ١٩٩١/١/١١.

٤٣- هآرتس ١٩٩١/٣/٣.

٤٤- معاريف وهآرتس ١٩٩٠/٤/٣

٤٥- هآرتس ١٩٩١/٣/١٩ و١٩٩١/٤/٣.

٤٦- يائير عيرون: المعضلة النووية لاسرائيل اصدار الكيبوتس الموحد ١٩٨٧ صفحة ٢٠.

٤٧- معاريف ١٩٩٠/١٢/٣٠.

٤٨- المصدر السابق.

٤٩- هآرتس ١٩٩١/١/٢١.

٥٠- حديث مع الكاتب اجراه المراسل فولف بليتس مراسل شؤون وزارة الدفاع الامريكية في شبكة س.ان.ان نيسان ١٩٩١.

٥١- هآرتس ومعاريف ١٩٩١/٣/٤.

٥٢- هآرتس - يديعوت احرونوت ١٩٩١/١/٢٨.

٥٣- يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٤.

ازمة الخليج، الإرهاب الدولي والكفاح الفلسطيني المسلح

بقلم: عنان كوريتس

المخاوف من موجات الارهاب الدولي رافقت ازمة الخليج منذ بدايتها. وتوقعات الحملات لتنفيذ عمليات ادت الى تعزيز الجهود لمكافحة الارهاب في العالم، وقد حظي الموضوع بالافضلية على جدول الاعمال السياسي والاعلامي في دول كثيرة.

يشمل هذا الفصل تقريرا عن نشاط الارهاب الدولي الذي حدث على خلفية الازمة. ويذكر في مستهل الحديث ان ثمة فجوة كبيرة بين تهديدات الارهاب والتوقعات الناجمة عن هذه التهديدات من جهة وبين حجم العمليات التي نفذت من جهة اخرى.

في هذا الفصل تبحث العوامل التي، حسب التقدير، ساهمت في ايجاد هذه الفجوة. ويتركز اساس هذا الفصل في ايجاد هذه الفجوة. ويتركز اساس هذا الفصل في انعكاسات ازمة الخليج على الارهاب، الدولي الذي وجه ضد اسرائيل، وفي معاني الاحداث والعبر منها تجاه الكفاح الفلسطيني المسلح.

الارهاب والازمة: التهديدات والمميزات الاساسية

لقد اعتبرت مصالح الدول الغربية والعربية المشاركة في الائتلاف الدولي ضد العراق ومصالح اسرائيل هدفا مفضلا للعمليات الارهابية التي ستحدث على خلفية ازمة الخليج. التقارير، المصادر الرسمية ووسائل الإعلام حذرت من وقوع عمليات متوقعة بدافع الرغبة في تعزيز - خاصة في الدول الغربية - الاحتجاج الشعبي ضد السياسة المؤيدة للكويت والمعارضة للعراق. وحسب التقدير السائد كان من المفروض ان يشكل الارهاب في الدول العربية تعبيرا عن التأييد الشعبي للعراق ومسار عمل للجهات الراديكالية ضمن اطار المحاولات لزعزعة الانظمة.

استندت توقعات موجات من العمليات الارهابية في المقام الاول الى الدعوة لضرب مصالح القوات الاجنبية المتورطة في النزاع والى التهديدات العلنية، وشكل العراق والمنظمات التي تحظى بتأييده، وجهات اقليمية اخرى، وفي الاساس منظمات فلسطينية ومنظمات موالية لايران، عارضت التواجد الاجنبي في الخليج. (١). مصادر هذا التحريض. وفي قسم من الحالات كانت التصريحات القتالية قد صيغت بمصطلحات عامة لا يمكن ان يستخلص منها نوايا فورية للعمل. وفي المقابل، وفي حالات اخرى تم الاعلان عن نوايا صريحة لتنفيذ عمليات، وقد اسمعت هذه التصريحات في الاساس من جهة منظمات فلسطينية راديكالية. (٢). ومن مصادر عراقية رسمية. (٣).

التخوف من موجات العمليات عززت المعلومات حول العلاقات الممتدة على مدار سنوات وعمليات التقارب المتجددة بين بغداد والمنظمات التي اشتهرت بسبب تورطها في الارهاب وبفضل الرسالة الراديكالية التي توجه نشاطها. وقد عجلت عمليا ازمة الخليج عمليات تجديد العلاقة بين هذه المنظمات والعراق بعد فترة من التباعد. (٤). واكدت التقارير حول تعزيز العلاقات بين العراق و "فتح" مثلا، على تركيز نشاطات الاجهزة التنفيذية لهذه المنظمة - القوة الـ ١٧، جهاز القطاع الغربي، و١٥ ايار - في بغداد. كما حظي بالاهتمام التقارب بين ابو نضال وبغداد بعد سنوات من العداء بينه وبين النظام العراقي واعتبر ذلك علامة مبشرة بالمصائب. وشملت المعلومات التي نشرت، في الاساس، بعد اندلاع المعارك، توجيهات مصدرها بغداد تقضي باخراج خطط لعمليات الى حيز التنفيذ. وتضمنت الاكتشافات اوصافا مفصلة لشبكة الارهاب الدولي العراقية. (٥).

ادى توقع اندفاع موجات الارهاب الى تعزيز الجهود لمكافحة الارهاب في العالم، مثل تعزيز مدى التعاون الدولي ضمن اطار هذه الجهود، واتخذت تدابير خاصة من اجل الدفاع عن منشآت عسكرية تابعة لدول التحالف وعن الممثليات الدبلوماسية والعاملين فيها. كما تم تطبيق اجراءات وقائية، في الاساس في دول اوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة ضد عمليات ارهابية استعراضية جماعية. وشكلت امكانية وقوع محاولات لتنفيذ عمليات ضد الملاحة الجوية المدنية احد العوامل التي ادت الى وقف رحلات شركات كثيرة الى المنطقة خلال الازمة وذلك اضافة الى التخوف من اشتعال واسع في الشرق الاوسط. الممثليات الدبلوماسية العراقية التي اعتبرت ارضية لوجستية لشبكة الارهاب الدولية وضعت تحت المراقبة، وشملت الاجراءات الوقائية ابعاد حوالي مائة دبلوماسي عراقي من عدة دول في اوروبا وآسيا وابعاد اخرين ذوي قومية عربية، وبينهم فلسطينيون. وقبل اسبوع من اندلاع المعارك ذكر المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية انه تم تسجيل "امثلة متعددة للتخطيط لعمليات ارهابية، بما في ذلك مراقبة ومتابعة اهداف امريكية محتملة". (٦).

وخلال الفترة بين ١٦ كانون الثاني و١٦ آذار ١٩٩١ تم تسجيل ٢١٨ عملية ارهاب دولي في العالم يمكن ربطها باحداث الخليج، استعراض هذه الموجة يشير الى عدة مميزات بارزة: كما هو متوقع شكلت المصالح الامريكية هدفا مفضلا للعمليات وكانت هدفا في ٨٩ بالمائة من الحالات. وسجلت نسبة حددت عمليات عالية للبلد المستهدف في عدد من الدول حسب التوزيع التالي: نفذت ٧٢ عملية ضد اهداف فرنسية، و١٩ عملية ضد اهداف بريطانية، و١٥ عملية ضد اهداف يهودية في اماكن مختلفة، و١٠ عمليات ضد اهداف ايطالية، و٩ عمليات ضد اهداف تركية، و٨ عمليات ضد اهداف سعودية، و٨ عمليات ضد اهداف مصرية، ثمة دول قليلة شكلت مسرحا لاكثر من خمس عمليات: تركيا، بيرو، اليونان، المانيا، الاردن، ايطاليا، تشيلي، اليمن والباكستان، وكانت حصيلة العمليات ١٥ قتيلا و١٢٩ جريحا.

صورة اكثر وضوحا لموجة الارهاب الدولي تظهر من دراسة مميزات اخرى، توزيع العمليات على المدى الزمني، اساليب العمل السائدة وهوية المنفذين، اما بالنسبة للمحور الزمني، فقد انخفض مستوى النشاط في العالم باستمرار بعد الرقم القياسي الذي تم تسجيله خلال الاسابيع الثلاثة الاولى التي مرت على اندلاع المعارك في الخليج، والتي نفذت خلالها ١٥٠ عملية. وتميزت العمليات بكونها تضم تشكيلة محدودة من التكتيكات: الغالبية انفجارات واضرام النيران. اضافة لذلك في معظم الحالات كان المنفذون محليين وغير معروفين وعمليات قليلة نُسبت الى منفذين عراقيين او منحازين مع العراق.

تشير المميزات البارزة للنشاط الارهابي الذي نفذ على خلفية الحرب بشكل واضح الى الفجوة الكبيرة بين مستوى التوقعات العالي لموجات العمليات التي تنفذ من قبل جهاز ارهابي متطور وبموجب اوامر من بغداد وبين قلة العمليات التي نفذت فعلا. اضافة لذلك فان التهديدات والعمليات التي نفذت لم تكن ذات تاثير يذكر على مسار تطور وانتهاء الازمة.

بالامكان ذكر عدة اسباب اجتمعت معا وادت الى مستوى منخفض اكثر مما هو متوقع للنشاط الارهابي يوحي من الازمة، وبشكل خاص، الى الغياب النسبي للاعمال التخريبية التي نفذتها جهات متماثلة مع العراق، وبرز من بينها تاثير الاجراءات الوقائية لمكافحة الارهاب التي اتخذت في الوقت المناسب، صحيح انه لا يمكن عزل التاثير المباشر لوسائل الردع والاحباط عن بقية العوامل التي اثرت على النشاط الشامل ولكن، يمكن مع كل ذلك الافتراض بان هذا التاثير كان كبيرا.

ومن شبه المؤكد ان الاعتبارات السياسية العراقية والتقديرات بصدد جدوى التوجه للارهاب الدولي شكلت مصدر تاثير اخر بالنسبة لتوجهات نشاط الجهات المرتبطة ببغداد، فقد حذر الرئيس الامريكي جورج بوش العراق بشكل حازم بانه سيكون مسؤولا بشكل مباشر عن كل عملية ارهابية تنفذ على خلفية الازمة. (٧). ويجوز الافتراض بان العراق امتنع عن اتخاذ خطوات من شانها ان تصعد الازمة او تجعلها اكثر تعقيدا مما هي عليه، قبل استنفاد كل السبل الدبلوماسية لحلها، وهكذا يجوز الافتراض بانه قبل اندلاع المعارك، تلقت التنظيمات المرتبطة ببغداد توجيهات بتجميد خطط العمل.

وعندما اندلعت الحرب، زالت، على ما يبدو، الاعتبارات السياسية التي املت تأجيل تفعيل الخطط لتنفيذ العمليات وتعززت الدوافع للعمل. ومع ذلك يجوز الافتراض بانه في هذه المرحلة لم يكن بالامكان اصلاح قاعدة الارهاب الدولي

العراقي التي تعطلت في اعقاب التدابير المضادة الصارمة، وذلك بسبب قوة الضرب ومدتها القصيرة ونتائجها. وحسب التقارير فان الاحداث القليلة المرتبطة مباشرة بالعراق جرت في الشرق الاقصى حيث تعتبر التدابير الامنية بشكل عام اكثر ضعفا مما هي عليه في الغرب. (٨). كما يمكن القول ان النشاط في الشرق الاوسط يعتبر اقل خطرا، ونظريا اقل ارتباطا بالابعاد السياسية الخطيرة بالمقارنة مع الارهاب الدولي في ساحة الغرب. ومثل هذه الاعتبارات كانت ماثلة في خلفية التخطيط لعمليات في مصر. ومن بين فئات الاشخاص الذين اعتقلوا في مصر، وغالبيتهم من المسلمين الاصوليين، في اعقاب قتل رئيس البرلمان المصري، رفعت المحجوب في ١٢ أكتوبر، كان هناك اعضاء من منظمة ابو نضال.

كانت جهات ارهابية اخرى المنفذة الاساسية لموجة الارهاب الدولي بوحي من الازمة. كان المنفذون افرادا او مجموعات غير مرتبطين بالعراق وحصروا نشاطهم داخل حدود بلادهم، ولم يشذوا في معظم الحالات عن القيام بعمليات رمزية فقط. كانت بينهم منظمات يسارية من دول مختلفة، معروفة بميلها المتواصل لضرب اهداف غربية، وامريكية بشكل خاص. ولذلك فقد عبر نشاطها قبل كل شيء عن احتجاجها ضد سياسة الغرب. وبدرجة اقل كانت العمليات شاهدا على التضامن مع العراق. كما ان العمليات كانت ثمرة مبادرة محلية. التحالفات الجديدة التي ولدت بين هذه المنظمات والعراق (١٠)، لم تتوفر لديها الامكانيات للتبلور وهي في جميع الاحوال لم تخرج الى حيز التنفيذ. ويذكر ان موجة الارهاب بوحي الحرب في الخليج كانت شبيهة من نواحي كثيرة بتلك التي حدثت ضد اهداف امريكية في اعقاب الهجوم الجوي الامريكي في نيسان ١٩٨٦ ضد اهداف استراتيجية وقواعد ارهابية في بنغازي وطرابلس في ليبيا. في حينه وكما هو الحال في حرب الخليج كانت العمليات الارهابية في غالبيتها، صغيرة وناجمة عن مبادرة محلية. وكانت الموجة بمجملها متفرقة وغابت خلال وقت قصير.

الانعكاسات على اسرائيل

نجمت المخاوف من موجة ارهاب ضد اهداف اسرائيلية من الربط الذي اصر عليه العراق بين الاحداث في الخليج والصراع الاسرائيلي - الفلسطيني. وشكل الكفاح المسلح ضد اسرائيل العمود الفقري في استراتيجية التنظيمات الفلسطينية التي اعتبرت مرشحا اكيدا لتنفيذ عمليات على خلفية الازمة، ولذلك طبقت تدابير امنية صارمة بهدف حماية الممثليات الاسرائيلية والمؤسسات اليهودية في ارجاء العالم. وحذرت المصادر الاسرائيلية من وجود جهات فلسطينية في اوروبا مستعدة للعمل بموجب توجيهات من بغداد وادت المخاوف الملموسة الى تحذير الاسرائيليين من اجل الغاء سفرهم الى مصر في وقت الحرب.

عمليا، لم تشكل اسرائيل هدفا مفضلا للهجمات الارهابية التي نفذت على خلفية الحرب. فقد سجلت في المجموع ١٠ محاولات لعمليات ضد اهداف اسرائيلية، بما في ذلك اطلاق صواريخ كاتيوشا باتجاه منطقة الحزام الامني الواقعة شمال الحدود الاسرائيلية - اللبنانية. اضافة لذلك فقد شكلت مؤسسات يهودية في اماكن مختلفة في العالم اهدافا لـ ١٥ عملية.

نسبت عمليات الارهاب الدولي ضد اهداف يهودية، في غالبيتها، الى منفذين محليين، وحملت هذه العمليات نفس الطابع وجاءت على نفس الخلفية، مثل موجة الارهاب الدولي التي حدثت بوحي ازمة الخليج ضد الاهداف الغربية. كما ان هذا النشاط كان شبيها بموجة العمليات الدولية ضد اهداف يهودية التي نفذت في اعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان واخلاء قوات م.ت.ف من بيروت في حيفا عام ١٩٨٢. ودل مستوى النشاط وطابعه على الاستعداد والاهتمام المحدودين من جانب جهات الارهابية لاتخاذ خطوات تتجاوز المدى القليل لاظهار التضامن مع القضية الفلسطينية. وغياب النشاط العملي للمنظمات الفلسطينية ضد اسرائيل يفسر باسباب متنوعة. اولها ان التأثير الحاسم للتدابير الامنية اسهم بالتأكيد في انخفاض مستوى عمليات الارهاب الفلسطيني على خلفية الازمة، ولكن الى جانب ذلك شكل النشاط ضد اسرائيل تعبيرا عن الربط الخاص ما بين اسرائيل والازمة وابرزت مميزات رئيسية للنضال الفلسطيني ضدها.

وتجدر الاشارة الى حقيقة ان التنظيمات الفلسطينية التي اطلقت تهديدات صريحة باللجوء الى الارهاب قبل اندلاع

المعارك. وكذلك الجهات الرسمية العراقية لم تركز على اسرائيل كهدف للعمليات. لقد وجهت التهديدات بالارهاب في الاساس الى دول التحالف وبشكل خاص الى الولايات المتحدة. وحين ذكرت اسرائيل فقد تم ذلك من باب الربط بين "الامبرياالية. الصهيونية وحلفائهما في المنطقة". واخراج اسرائيل من اطار الاهداف المهددة يمكن تفسيره بواسطة تحليل الدور الذي خصص للتهديدات ذاتها خلال الازمة. ويمكن الادعاء بان الانشغال السياسي والتغطية الاعلامية الواسعة لنوايا وقدرات المنظمات الارهابية قد خدم الحملات الدعائية والتوجه للراي العام الدولي من جانب العراق وكذلك من جانب دول التحالف. لذلك فقد تم التركيز على تورط العراق المباشر في الارهاب كجزء من الجهود لتعزيز التأييد الشعبي للسياسة الحازمة المعادية للعراق التي اتجهتها الحكومات. وهذه الصورة المخيفة تم تعزيزها عندما لم يتم نفس الاتهامات بوجود نوايا ارهابية وحين ايسندت جهات سياسية عراقية بتهديداتها التحذيرات التي اطلقتها المنظمات. على صعيد الجانب العراقي رمت هذه السياسة الى تعزيز الاحساس الشعبي العالمي بالنتائج المحتملة للحرب بشكل عام والارهاب بشكل خاص وشكلت مظهرا من مظاهر الجهد العراقي لاضعاف التحالف والمس باصرار اعضاء هذا التحالف على العمل ضد العراق.

إوضمن هذا السياق لم يكن لاسرائيل صلة بهذا الشأن. فهي لم تكن عضوا في التحالف المعادي للعراق. ومن جانب العراق بذلت جهود لتوريطها في النزاع وليس لابعادها عنه. كم هو الحال بالنسبة للدول الاعضاء الاخرى. وحسب الاعتقاد السائد اتبع العراق سياسة التهديدات بشن هجمات عسكرية ضد اسرائيل واطلاق الصواريخ عليها خلال الحرب وذلك بهدف ارغابها على التدخل بشكل مباشر في هذه الحرب.

من شبه المؤكد ان اعتبارات الربح والخسارة المرتبطة بهذه السياسة كان لها الشأن في توجيه السياسة العراقية في مجال الارهاب ضد اسرائيل. والمخاطر ذاتها التي نسبت الى التورط العام في الارهاب هي التي ادت على ما يبدو الى اتخاذ موقف منضبط رغم انه تناقض مع خط موجه اخر وهو محاولة جر اسرائيل للعمل. ويمكن الافتراض بان هذه السياسة كان لها دور في اقناع جهات فلسطينية عن القيام بنشاطات ضد اسرائيل. وعلى كل حال فان احتمال احداث رد فعل اسرائيلي ضعف بعد اندلاع الحرب. وبعد ان فشلت محاولة جر اسرائيل الى الحرب بواسطة اطلاق الصواريخ. ضعفت بدرجة كبيرة احتمالات جرها للقيام بعمل رد على هجوم ارهابي.

ثمة عامل اخر اعاق لجوء المنظمات الفلسطينية الى الارهاب الدولي للتعبير عن التضامن مع العراق يرتبط بموقف سوريا. فعضوية سوريا في التحالف اخرجت من الحسبان مخاطرتها باتخاذ خطوات من شأنها ان تؤدي الى تدخل اسرائيل او ان تمس باعضاء اخرين في التحالف، وبالتاي اضعاف الجبهة الاقليمية ضد العراق. اضافة لذلك فانه بالرغم من التقارب الذي بدأ منذ نشوب الازمة بين المنظمات الفلسطينية وبغداد لم تقطع علاقات هذه المنظمات مع سوريا. فقد حافظت كل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة وفتح - المجلس الثوري (منظمة ابو نضال) على مستويات مختلفة من العلاقة مع سوريا والارتباط اللوجستي بها.

وبالنسبة للجبهة الشعبة والجبهة الديمقراطية فان التوجه المعلن نحو الارهاب الدولي كان من شأنه ان يشكل انحرافا كبيرا عن سياستهما المتبعة منذ فترة طويلة. ومن الناحية العملية شكلت المواقف التي اتخذتها هاتان المنظمتان خلال الازمة تجاه الكفاح المسلح استمرارا مباشرا للخط الذي وجههما خلال السنوات الاخيرة. وهذا الخط مشابه للخط الذي وجه فتح، المنظمة الرئيسية في م.ت.ف. وبقيت استراتيجيات العمل مثلما كانت عليه في الساحات المختلفة للنضال ضد اسرائيل: الساحة الدولية، اسرائيل والمناطق وكذلك حدود اسرائيل.

منذ عدة سنوات امتنعت غالبية المنظمات المنضوية في م.ت.ف عن القيام بعمليات من شأنها ان تربطها بشكل مباشر بالارهاب الدولي. واعتبر مسار العمل هذا غير مجدي في خدمة القضية الفلسطينية ومضرا للصورة السياسية التي طمحت م.ت.ف الى بثها. لهذه الاسباب وغيرها دعت المجموعات الرئيسية داخل م.ت.ف الى تركيز النضال ضد اسرائيل - في اراضيها وعلى حدودها. وقد حظيت هذه الاستراتيجية قوة مضاعفة منذ اندلاع الانتفاضة. واعترفت قيادة م.ت.ف بالضرر الذي من شأنه ان ينجم عن عملية ارهابية فظة وان يلحق بجهود المنظمة من اجل خدمة الاهداف السياسية للانتفاضة في

المناطق وبطموحها في الاستفادة منها في الساحة الدولية. والتورط في الارهاب الدولي من شأنه ان يحبط طموح المنظمة في الانخراط في مسيرة سياسية مستقبلية تربط - حسب الخطاب العراقي الذي اعلن في المراحل الاولى للازمة والذي باركته قيادة م.ت.ف - ما بين تسوية القضية الفلسطينية وتسوية المسألة الكويتية. وهكذا تركزت جهود م.ت.ف خلال الازمة في الساحة السياسية وفي محاولة استخلاص الفائدة من الامكانيات التي بدت لاول وهلة متوفرة امامها. وعملت م.ت.ف من اجل اصلاح صورتها التي لحقت بها اضرارا بليغة في اعقاب تأييدها للعراق. وعليه فالدعوة العلنية او التوجه نحو الارهاب، وبشكل خاص ضد اهداف غربية او في ساحة الغرب من شأنها ان تتناقض بشكل مطلق مع هذا الطموح.

حسب الخط الاستراتيجي الذي وجه الانتفاضة منذ بدايتها، لم يكن الارهاب عنصر عمل معلن خلال الازمة بشكل عام، ولم يشكل اسلوبا للاعراب عن دعم العراق بشكل خاص، من قبل سكان المناطق. لقد دعي سكان الضفة الغربية وقطاع غزة من قبل قياداتهم للتعبير عن تضامنهم مع العراق بطرق مختلفة، من ضمنها المظاهرات، ولم تكن هناك دعوة واضحة لممارسة الارهاب. يمكن الافتراض ان دوافع التصعيد قد تضاعفت مع نشوب القتال، الا ان هذه الدوافع قد احبطت باغلاق المناطق، وفرض منع التجول عليها. كما لم يسجل تصعيد بالعنف على خلفية الحرب لدى عرب اسرائيل، الذين لم تتخذ اجراءات امنية خاصة ضدهم. كان سكان المناطق خلال ازمة الخليج يصغون للاحداث المحلية اكثر، والدليل الواضح على ذلك هو التاثير الحاسم لاحداث تتعلق بالانتفاضة على اثارة موجات الاضطرابات واعمال الارهاب خلال ازمة الخليج. ولقد جاءت الدعوة من قبل قيادة الانتفاضة ومن قبل المنظمة الاصولية حماس لتصعيد النضال، وكان السبب الاساسي لهذه الدعوة احداث محلية. (١٢) على ما يبدو ان التضامن مع العراق لم يكن قويا الى درجة المخاطرة باعمال ستؤدي الى خطوات اسرائيلية شديدة، ينتظر ان تتخذها اسرائيل في حالة تصعيد العنف والصدامات بين سكان الامن، وخاصة وقت الحرب.

لقد اقتصر تصعيد النضال المسلح الفلسطيني خلال الحرب على حلبة الجنوب اللبناني. يعتبر النضال الدائر في هذه الحلبة اقل ضررا لسمعة القضية الفلسطينية من ممارسته في الحلبة الدولية. كما ان المنظمات الفلسطينية تحظى بحرية عمل اكثر نسبيا في الجنوب اللبناني. وتضافرت هذه العوامل لجعل الجنوب اللبناني خلية للاعمال الاستعراضية التي يعربون بها عن تضامنهم مع العراق، ومحاولة خلق جبهة اخرى للقتال تتورط فيها اسرائيل حسب تقديراتهم. في الجنوب اللبناني حاولت فتح ان تنفذ تعهد عرفات بان رجاله سيحاربون الى جانب جيش صدام حسين. (١٣). في ٢٩ كانون ثاني قامت قوات فتح بقصف صواريخ الكاتيوشا من الجنوب اللبناني الى منطقة الحزام الامني شمال اسرائيل. وخلال اسبوعين اطلقت عشرات القذائف من اقليم التفاح وسقطت في القطاع الشرقي من الحزام الامني. ولم تصل اي قذيفة الى منطقة اسرائيل.

كان الرد الاسرائيلي على اطلاق الصواريخ فوريا وشديدا. ردت قوات الجيش الاسرائيلي بقصف مكثف وهجوم جوي وعمليات برية ضد مواقع الفلسطينيين في اقليم التفاح وصور. واثارت عمليات الرد الاسرائيلي مخاوف سوريا والميليشيا الشيعية أمل من تصعيد ومضاعفة التدخل الاسرائيلي في المنطقة. ازداد التوتر وهدد باعاقة عملية انتشار الجيش اللبناني التي بدأت آنذاك في تلك المنطقة، في اطار الخطوات التي اتخذتها حكومة لبنان بدعم من سوريا، لفرض سيطرتها على كل اراضي الدولة، وعلى هذا الاساس مورست ضغوط على فتح. جرت نقاشات حول الموضوع في بيروت، شارك فيها سفيرا الجزائر والاتحاد السوفييتي في لبنان، واسفرت عن وعد الى زعيم حركة امل نبيه بري بوقف القصف.(١٤). لقد نفى عرفات انه اعطى تعليمات من جانبه بالتوقف عن قصف الكاتيوشا. (١٥). الا ان القصف توقف

الخلاصة والتقديرات:

ان مغزى طابع موجة الارهاب الدولي التي حصلت على خلفية حرب الخليج قد خرجت عن السياق المباشر للاحداث:

* تجدر الاشارة الى تاثير وسائل مكافحة الارهاب، خاصة ما رافقها من توثيق التعاون الدولي حول الموضوع لاحباط

× تبين، كما هو الحال في كثير من الاحداث في الماضي،ان التوجه الى الارهاب ليس طريق عمل مفروغ منه بالنسبة للمنظمات المتورطة بالارهاب، والانظمة التي قد تدعمها. هناك اعتبارات كثيرة تدفع المنظمات الى تأجيل تنفيذ مخططات العمليات الارهابية ولو مؤقتا. ان الاكتفاء بالتهديد ينطوي على خطورة اقل، طالما لم ينفذ التهديد، وتكون الاعتبارات السياسية اقل تاثيرا عليها. وتصدر التهديدات لخلق المخاوف بدون مخاطرة.

× ثبت ان الارهاب اسلوب ثانوي، يعبر عن عدم توفر القدرة على العمل، اوعدم الرغبة بالمخاطرة في صدام مباشر، يبدو انه عندما تكون الحرب هي افق العمل المفضل، لا يكون للارهاب صلة هامة.

× هناك تقدير اخر نابع من الاحداث - وهو تقدير دلت عليه التجارب المتكررة - تميل المنظمات الارهابية الى اعمال محدودة لمجرد التعبير عن احتجاجها الرمزي، طالما ان الموضوع المطروح على جدول الاعمال لا يتعلق بقضيتها مباشرة.

× بالنسبة للنضال الفلسطيني المسلح ضد اسرائيل، والارهاب الفلسطيني الدولي بشكل خاص، جاءت ازمة الخليج لتشكل خلفية لاستمرار وبلورة خطوط سياسة وطابع النضال المركزي، كما كانت متوقعة خلال السنوات السابقة، وهو الطابع الذي ركز عليه النضال الفلسطيني منذ نشوب الانتفاضة، وبأبعاده السياسية. ومن المتوقع للتطورات المرتبطة بالانتفاضة الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة والنابع منها، ان تواصل توجيهها للنضال الفلسطيني، بما في ذلك تعبيراتها العنيفة بشكل عام. لذلك ستواصل حرب الخليج تاثيرها على استمرار طريق النضال، بواسطة الصلة بين نتائج حرب الخليج وبين سكان المناطق ومستقبلهم السياسي.

يمكن الافتراض ان المصاعب الاقتصادية الناجمة عن تردي العلاقات بين م.ت.ف ودول الخليج على اثر دعم المنظمة للعراق، بالاضافة الى القيود المفروضة على عمل سكان المناطق في أسرائيل ردا على العنف داخل الخط الاخضر، ستؤدي الى توسيع دائرة العنف. ولا بد ان التصعيد في المناطق سيؤدي الى تقوية الاتجاهات العسكرتارية في اوساط اسرائيل.

واخيرا، يجدر التطرق لمستقبل حلبة الارهاب الدولي ضد اسرائيل. من الممكن ان تشكل اسرائيل هدفا لاعتداءات من جانب الاطراف الفلسطينية الجذرية، على خلفية المسيرة السلمية التي ستنطوي على تنازلات من جانب الحركة الوطنية الفلسطينية. ومع ذلك، ان المنظمات التي من الممكن حاليا ان تقوم باعتداءات ارهابية على هذه الخلفية، مرتبطة بسوريا وليبيا، وهاتان الدولتان تمتنعان خلال السنوات الاخيرة عن المخاطرة بالتورط في الارهاب الدولي، من اجل تحسين علاقاتهما مع الغرب. ويبدو ان هذا الخط سيستمر لاسباب اقتصادية وسياسية في المستقبل المنظور، ويتبع ذلك قيود على النشاطات الارهابية للمنظمات الفلسطينية. والعامل الحاسم في هذا المجال هو مدى اندماج الدول العربية وعلى راسها سوريا، في مسارات تسوية النزاع.

قد يتضح في المستقبل ان اطرافا من التيار المركزي لـ م.ت.ف تعود الى حلبة الارهاب الدولي على اثر ازمة الخليج. ويزداد احتمال هذا الانعطاف في حالة ابعاد المنظمة بشكل تام عن اطار المسيرة السلمية لتسوية النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني. اما بالنسبة للحلبة الفلسطينية الداخلية، هناك امكانية لحدوث تطورات على اثر خيبة الامل من المنظمة نتيجة الجمود السياسي او نتيجة تطور المسيرة بدون المنظمة. اذا اضفنا الى ذلك تردي شروط الحياة في المناطق، قد تتضاعف القوة السياسية للشخصيات المحلية على حساب القيادة التقليدية، ومن الممكن ان تصل حتى الى درجة الحصول على دور التمثيل دوليا. وفي هذه الحالة يمكن الافتراض ان تكون هناك ردة فعل، من قبل الجهات المرتبطة بالقيادة القديمة التي تشعر بانها اريحت جانبا، ومن ضمنها فتح، وان تتضمن ردة الفعل هذه توجها الى الارهاب الدولي.

ملاحظات ومراجع:

١- قامت الجهات الايرانية الرسمية والمنظمات المنحازة لايران بدعوة المسلمين اينما كانوا للقتال ضد التدخل الاجنبي في الخليج. كما ان احد زعماء حزب الله، حسين موسوي، دعى المسلمين في كل مكان ان يقوموا بعمليات انتحارية ضد

القوات الغربية المتواجدة في الخليج (اقتبست وكالة انباء "رويتر" اقواله بتاريخ ٩١/٨/١٢). كما حذر نائب الرئيس الايراني، حبيبي، بان سكوت حرب اللهازاء انتشار القوات الاجنبية في منطقة الخليج لن يدوم طويلا (معاريف ٩٠/٩/١٠).

كما وجهت المصادر الفلسطينية تحذيرات اخرى بصيغ عامة. ورد احد هذه التحذيرات في البيان الذي صدر في نهاية قمة "القوى الشعبية العربية" التي عقدت في اواسط ايلول ١٩٩٠ في العاصمة الاردنية عمان. وشارك فيها مندوبو المنظمات الفلسطينية الجذرية ومنظمات التيار المركزي لـ م ت ف. الى جانب وفود من الدول العربية الموالية للعراق. ومن ضمن قرارات هذه القمة "ضرب المصالح الامريكية في كل مكان وبكل وسيلة، عندما تقوم الولايات المتحدة بمهاجمة العراق" (IHT ٩٠/٩/١٨، تغطية الصحف الاردنية والفلسطينية للمؤتمر في ايلول ١٩٩٠ كما نشرته حيتسف في ٩٠/١٠/٢٣). ودعى زعيم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، نايف حواتمه الى تشكيل "جبهة شعبية عربية لضرب المصالح الامريكية اذا تعرض العراق للهجوم (ME/٠٨٨٠ ٨/١٦، SWB ٩٠/٧/٢٧). كما ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة - التي يتزعمها احمد جبريل دعت سكان المنطقة "لضرب الاهداف الامريكية لوضع حد للعدوان الامريكي - الصهيوني على الامة العربية (جيروزاليم بوست ٩١/١/٢٤). هذه المنظمة تدعمها سوريا وتحافظ على علاقات مع ايران. وجاء تصريحه هذا متأخرا عن تصريحات بهذه الروحية صدرت عن مصادر اخرى، مثل المنظمات المرتبطة بايران، والتي ركزت على المواضيع الاقليمية وليس على المصالح العراقية بشكل خاص.

٢- كررت جبهة تحرير فلسطين تصريحات تعبر بوضوح عن نية القيام باعمال ارهابية. اعلن زعيم هذه المنظمة، ابو العباس منذ بداية ازمة الخليج "ان تعليمات قد صدرت لاعضاء جبهة تحرير فلسطين وانصارها، لضرب مصالح الولايات المتحدة والخونة من العرب والعدو الصهيوني وحلفائهم في الجزيرة العربية (ME/٠٨٤٢،A/S، SWB ٩٠/٨/١٤ اقتبستها عن وكالة الانباء العراقية (INA) ٩٠/٨/١١). وصدرت تهديدات معتدلة عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. اعلن زعيم هذه المنظمة جورج حبش ان منظمته ستضرب وتتخذ كل الاجراءات في حالة قيام الولايات المتحدة بغزو الاراضي العراقية (هآرتس ٩٠/٩/٢٨). وبعد نشوب الحرب هدد حبش بضرب الاهداف الغربية حول العالم. واضاف ان رجاله سيمتنعوا عن ضرب اهداف مدنية حيث قال "نحن لسنا ارهابيين واملنا ان نتمكن من مهاجمة اهداف عسكرية لمساعدة العراق في حربه" (هآرتس ٩١/٢/٢).

كما ان الجهاد الاسلامي - بيت المقدس، الذي مقره في عمان وجه التهديدات هو الاخر. وزعيم هذا التنظيم الاصولي، الشيخ اسعد بيوض تميمي اصدر حكما بالاعدام على الرئيس المصري حسني مبارك (جيروزاليم بوست ٩١/٢/٢)، واعلن الشيخ التميمي قبل نشوب الحرب،ان انصاره "مستعدون لضرب مصالح القوى الاجنبية، وهم تحت تصرف العراق لمحاربة الظلم والعدوان، هيا بهم فليعتدوا.." (وكالة الانباء العراقية ٩٠/١١/١٤).

٣- وجه العراق تهديدات رسمية واكد انه سيرد بالارهاب على اي هجوم ضده. اقتبست وكالة الانباء الفرنسية في ٩٠/٨/٣١ قول وزير الخارجية العراقي طارق عزيز قوله "سنمتنع عن اعمال الارهاب اذا تصرفت كل الدول بشكل حضاري. اما اذا استخدمت فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا الاساليب الامبريالية. ستعفي بغداد نفسها من اي التزامات اخلاقية في هذا المجال". واعلنت Baghdad International of Service في ٩٠/٩/١٨، ان العراق سينقل الحرب الى عواصم الدول المعتدية اذا تعرضت بغداد للعدوان.

٤- متحدثو المنظمات الفلسطينية اصدروا تصريحات رسمية تدعم العراق. انظر "حيتسف" ٩٠/٩/٢٣، تغطية الصحف الاردنية والفلسطينية لمؤتمر "القوى الشعبية العربية" للتضامن مع العراق.

ركزت كثير من الصحف على الابعاد المتعلقة بالارهاب نتيجة التقارب بين العراق والمنظمات الفلسطينية. انظر:

M. Colvine, "Saddam Aims for Supremacy in Arab World with Terrorist Takeover", The Sunday Times, July 22, 1990, p.3; Defense and Foreign Affairs Weekly, August 27- Sep. 2, 1990, p.3; IHT, 18.9.1990, "In Baghdad, a Welcome Mat for Terrorists" Newsweek, 3.9.1990, US Department of State Dispatch, 5.11.1990

هآرتس ٩٠/٨/٢٧. ومقال "عودة الى دائرة الارهاب" كتبه و. موسبرغ، ب سئيف، في Wall Street Journal.

٥- هآرتس ٩١/١/٢٠، جيروزاليم بوست ٩١/٢/٦، حداشوت ٩١/٢/١٠.

٦- IHT ٩١/١/٩.

٧- المصدر السابق.

٨- هآرتس ٩١/١/١٥، هآرتس ٩١/٢/٢. كتبت تقارير عن التدخل المباشر للوكلاء العراقيين في احداث الارهاب، نشرت في الاسبوع الثالث من القتال، وقعت حتى ذلك الحين ٧٠ عملية على خلفية ازمة الخليج.

٩- تجدر الاشارة انه في اطار العمليات الارهابية التي وقعت على خلفية حرب الخليج شاركت فيها "الحركة الثورية توفاك امرو" من البيرو، و "اليسار الثوري" من تركيا، "منظمة ١٧ تشرين ثاني" من اليونان.

١٠- هآرتس ٩١/١/٩.

١١- معاريف ٩٠/٩/٢٣.

١٢- بيان رقم ٦٢ "للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة" المنشور في ١ تشرين اول سنة ١٩٩٠ مثلا. يؤكد على التضامن الفلسطيني مع العراق ويدعو سكان المناطق ليوم صدامات مع السلطات الاسرائيلية، وبيان فتح الصادر في ٩٠/١٠/١٤، نشر على اثر الصدامات بين الفلسطينيين وافراد حرس الحدود في المسجد الاقصى، دعى الفلسطينيين لاستخدام الاسلحة بجدية اكثر، لان المظاهرات والحجارة "غير مجدية". وكانت تصريحات حماس اكثر عسكرتارية ودعت للثأر بقتل اليهود. بيان رقم ٦٥ لقيادة الانتفاضة الذي نشر في تشرين ثاني ١٩٩٠، دعى لتطوير الانتفاضة الى مرحلة اكثر تقدما واستخدام "كل اساليب النضال" من قبل الفلسطينيين، وعلق على غياب فاعلية الامم المتحدة لصالح الفلسطينيين. وبعد ذلك دعت قيادة الانتفاضة الى مشاركة المناطق وجنوب لبنان الى حلبة الحرب في الخليج. والبيان رقم ٦٧ الصادر في ١٦ شباط ١٩٩١ تحدث عن رفض دول الائتلاف الاقتراح العراقي المعتدل الذي اعلنه العراق في ١٥ شباط والقاضي بانسحاب القوات العراقية من الكويت. وكانت روحية بيان قيادة الانتفاضة هذا بروحية البيان المذكور اعلاه، ثم صدر ملحقا للبيان كان اكثر اعتدالا في ٢٢ شباط ١٩٩١.

١٣- في ٩١/١/١٤ اصدر ياسر عرفات امرا لقوات فتح في الجنوب اللبناني "ان تقاتل الى جانب العراق في حالة نشوب حرب في الخليج" (هآرتس ٩١/١/١٥، عن وكالة انباء رويتر). ثم تعرضت المنظمة لاتهام من جانب العراق بعدم الوفاء بالتعهدات (هآرتس ٩١/٢/١٢) انظر ما كتبه عوديد زراي في هآرتس ٩١/٢/٨.

١٤- جيروزاليم بوست ٩١/٢/٤.

١٥- المصدر السابق.

الفصل الثاني عشر

آثار الحرب على المسيرة السلمية بين اسرائيل والعرب

بقلم: يوسف اليفر

لقد ادت حرب الخليج وفترة التوتر التي سبقتها على ما يبدو الى تغييرات في المنظومة وفي المفهوم في الشرق الاوسط. وقد اثرت هذه بدورها على الامال في احلال مسيرة سلمية بين اسرائيل والعرب. ومع ذلك، فاننا عندما نأتي لتقدير حجم نفوذ ومدى تأثير هذه التغييرات. فمن الصعب تحديد حجم التغيير وعمقه بالنسبة لغالبية اللاعبين.

وسنستعرض في هذا الفصل هذه التغييرات، وسنقدر تأثيرها على امال تحقيق مسيرة سلمية في الشرق الاوسط. (١). وكما سيتبين لنا. فقد طرأت بعض التغييرات في المناهج الاساسية، وبذلت جهود امريكية مثيرة للانطباع في محاولة لتحريك المسيرة - جهود اثمرت، في تموز ١٩٩١، تغييرا هاما في موقف سوريا مما جر وراءه عددا من التحريكات الاخرى في مناهج الاطراف. وذلك، وكما سنرى في لاحق السياق، على الرغم من التصلب المتواصل لغالبية اللاعبين المحليين وعقب اخطاء جسيمة في المعالجة الامريكية للمسيرة.

ومن الدارج، لا سيما لدى واضعي السياسة الامريكية، الادعاء بان الحرب وفرت "فرصة" لتحقيق التسوية في الساحة. اذ خففت من حدة العداء التاريخي بين اسرائيل وقسم من العرب. ومع ان هذا المفهوم يستند إلى تقدير غامض، يصعب تعليله بالحقائق الملموسة، وكذلك الى تصريحات عربية، افرغت في غالبيتها من مضمونها مع نهاية الحرب وزوال التهديد العراقي. والاكثر اقناعا هو التقدير بان الحرب قد شلت جزئيا (مثلما حصل في الحرب الايرانية - العراقية) امكانية اقامة جبهة شرقية ناجعة ضد اسرائيل، ومع اضعاف التهديد العسكري من الشرق بسبب الضربة التي تلقتها آلة الحرب العراقية، بقيت اسرائيل اكثر تفرغا بشكل آني على الاقل، لدراسة امكانيات التسوية التي تنطوي هي الاخرى على المخاطر. بيد ان استتباب هذا الوضع الامني المتحسن لفترة طويلة لهو الى حد كبير تحصيل حاصل للتطورات في الخليج. ولا سيما لقدرة الحلفاء على فرض حظر ناجع على السلاح، مما سيستمر في الحد من القوة العسكرية للعراق. ومن هنا فقد نشأت صلة Linkage جديدة بين الوضع الامني في الخليج وبين المسيرة السلمية الاسرائيلية - العربية.

وتسود الضبابية موضوع مدى استمرار التأثير الايجابي للهزيمة العراقية على المسيرة السياسية. وهذه الضبابية هي من نصيب سلسلة أخرى من آثار الحرب، والتي تبدو للوهلة الاولى ايجابية بالتأكيد: لقد خلق الاداء السياسي والعسكري الامريكي في الخليج صورة جديدة للولايات لمتحدة من المصداقية والتمسك بالهدف، وهي ميزات تعد ذخرا لمن يعتزم التاثير على المسيرة. ووضعت حقيقة كون اسرائيل وسوريا والسعودية في نفس الجانب من المتراس في الحرب، الامر الذي وجد تعبيره الاساسي في مشهد صواريخ السكاد تهبط في آن معا على تل ابيب وعلى الرياض، الاساس المريح الاول لجهود الوساطة من الولايات المتحدة. وربما يكون ضبط النفس الاسرائيلي قد خفف من حدة صورة "اسرائيل العدوانية" التي كانت سائدة في اوساط العديد من العرب، في الوقت الذي اضعف الانطباع بالخيانة الفلسطينية (بسبب تأييدهم لصدام) للوهلة الاولى التزام مصر وحكام الخليج بقضية م.ت.ف . وعلى العكس، فان مجرد الغزو العراقي للكويت - وهو العمل العدواني الاكثر فظاظة بين العرب منذ قيام المنظومة العربية الحديثة - قد شكل بالنسبة للعالم العربي درسا في الخيانة والعداء الذي يعشعش في داخله.

وللوهلة الاولى يبدو ان هذا الاحساس وحده قد يكون كفيلا بتخفيف بعض الحدة في الموقف العربي تجاه اسرائيل.

بيد انه لم تظهر في الاشهر الاولى بعد الحرب مؤشرات تدل على ان العرب يستوعبون الدرس حقا.

كما وحسن اختيار الحرب من مكانة بعض الزعماء الذين يفترض ان يشاركوا في المسيرة السلمية فقد اكمل الرئيس مبارك عملية اعادة مصر الى المكانة الاولى في العالم العربي، واستعان الرئيس الاسد بالتحالف المناهض للعراق للتخلص من عزلته السياسية وتحقيق موافقة صامتة على مستوى واسع على عملية السيطرة على لبنان وتوسيع نفوذه على الاردن وعلى م.ت.ف. واحدث الرئيس بوش انقلابا جارفا في صورته، وظهر مع نهاية الحرب كاستراتيجي معلم قادر على احداث تغييرات عالمية بحجوم واساليب لم تكن معهودة منذ الحرب العالمية الثانية، وقدمت مؤهلاته الاستراتيجية انهاما حاسما (بالطبع في اعقاب احداث شرقي اوروبا وافول نجم الاتحاد السوفييتي) لاحياء الامم المتحدة - وفيها تأثير حاسم للولايات المتحدة - كأداة ناجعة لمعالجة النزاعات الدولية.

ولعل التأثير الاكثر اهمية للحرب قد تمثل باضافة ابعاد للمسيرة السلمية الاسرائيلية - العربية. مثلما رأها كل اللاعبين. ذلك انه حتى لحظة الحرب، ومنذ اتفاقيات كامب ديفيد عمليا، اتخذت المسيرة السلمية بعدا وحيد الجانب، اي التركيز على الموضوع الفلسطيني وحده. هذا ولمجرد بروز التهديد العراقي على اسرائيل وعلى بعض الدول العربية، بات مقبولا على حين غرة في نظر الاسرة الدولية، ذاك الادعاء العنيد لحكومة اسرائيل - والذي ابرزه الليكود اساسا في السنوات الاخيرة بشأن الحاجة لمعالجة موضوع السلام بين اسرائيل والدول العربية على الاقل بنفس المستوى من الاهمية والالحاحية الذي يولى للقضية الفلسطينية. واضافة الى ذلك وعلى ضوء خطر السلاح العراقي، من الناحية الكمية والنوعية على حد سواء، فقد اعترف الجميع بالحاجة معالجة موضوع الاشراف والرقابة على السلاح في الشرق الاوسط. كما ويمكن التقدير ان مجرد تعرض الجماهير في اسرائيل وفي الدول العربية لخطر حرب الصواريخ وللخوف من الحرب غير التقليدية، قد ضاعف في اوساطها الرغبة في السلام الاسرائيلي - العربي والجهود للرقابة لالسلاح. وفي اسرائيل على الاقل، يبدو واضحا مثل هذا الميل في استطلاعات الراي العام، بيد انه في غالبية الدول العربية ليس ثمة امل كبير في ان يؤثر مثل هذا الراي العام حتى لو كان موجودا. وفضلا عن ذلك، فان هناك احتمالا في ان يكون كشف الجبهة الداخلية الاسرائيلية في الحرب قد زاد من الرغبة العربية في العودة الى مهاجمتها بالصواريخ.

ولهذه السياقات جانب سلبي ايضا فيما يتعلق بالسلام. فوقوف الفلسطينيين بجماعية وعلى نحو تظاهري الى جانب صدام حسين قد وسع الفجوة بينهم وبين تلك الشرائح الجماهيرية الاسرائيلية التي كانت تتبنى في السابق نهج التقارب معهم. وحتى الحكومات التي تطلعت الى ادخال م.ت.ف بشكل من الاشكال في المسيرة، كالقاهرة وواشنطن، قد تراجعت عن ذلك بعد الحرب. وهناك من يعتقد ان هذا التطور، من حيث انه يضعف م.ت.ف، سيدفع التسوية الاسرائيلية - الفلسطينية الى الامام في نهاية المطاف. ومع ذلك فلا شك في ان م.ت.ف قد مثلت اثناء الحرب تمثيلا صادقا الراي العام الفلسطيني، وان هذا الراي العام هوالذي وجه سياسة الاردن في صالح العراق. وعلى نحو معاكس، فقد نظر الجمهور الاسرائيلي في وعيه الباطني، بغض النظر عن ميوله بشأن المسألة الفلسطينية، الى تأييد الفلسطينيين للقضاء على الكويت كمس غير مباشر بالسلام. وبالتالي فان السلوك الفلسطيني في الحرب سيظهر كسلوك سلبي من حيث احتمالات تقدم التسوية في المستقبل القريب.

كما وتدل هذه الظاهرة على التناقضات او التعارضات البنيوية، بشأن تأثير الحرب على التسوية الاسرائيلية - العربية المحتملة. ذلك انه مقابل الانطباع الذي اثاره السلوك الفلسطيني، يمكن الاشارة الى الالتزام الذي اظهرته الولايات المتحدة، على طول الازمة بكاملها، تجاه حلفائها العرب، في العودة الى معالجة المسألة الفلسطينية في نهاية الازمة بنشاط اكبر. وقد شكل هذا الالتزام احيانا نوعا من المحفز لرص صفوف التحالف ولتجنيد الدول العربية، والدول الاوروبية والسوفييت والصين لتأييد الجهود (او الامتناع عن عرقلتها). وفضلا عن ذلك، فقد رأى واضعو السياسة الامريكية في كون م.ت.ف في معسكر العدو امرا ايجابيا، على اعتبار ان عدم وجود حوار بين م.ت.ف والولايات المتحدة سيسهم في القدرة الامريكية لتجنيد اسرائيل في مسيرة سلمية مع الفلسطينيين.

ومثال اخر للتضارب القائم في المسيرة الحالية للحرب هو حث عملية تزود السعودية بالسلاح - بتشجيع امريكي - وسوريا من خلال استخدام اموال الدعم "التحالفية" السعودية، الالمانية واليابانية، في الوقت الذي يتحدث فيه الجميع عن الحاجة لتقليص سباق التسلح في الشرق الاوسط. وكقاعدة، تشكل سوريا مثالا لدولة متطرفة قد نجحت في استغلال حاجات التحالف لتحقيق فائدة ضيقة من خلال توسيع سيطرتها في لبنان وزيادة نفوذها في الاردن وفي م.ت.ف. ومع ان سوريا قد استوعبت تأثيرات جديدة في سياق الازمة، مما دفع بها الى الاستعداد لتليين موقفها على نحو كبير والموافقة على الدخول بدون شروط مسبقة في مفاوضات مع اسرائيل.

ولا يمكن بالطبع عدم ذكر الاخطاء في الاعتبارات السياسية الامريكية والتي غذت الازمة في بدايتها - ولا سيما السياسة التصالحية تجاه العراق منذ العام ١٩٨٥، وبنشاط اكبر، في سياق النصف الاول من العام ١٩٩٠ - وكذلك تلك الاعتبارات التي جاءت في اعقاب النصر، وعلى رأسها التشجيع الذي قدم للاكراد والشيعة للتمرد، في الوقت الذي لم تعتزم فيه واشنطن ابدا ان التصدي للنتيجة البائسة. لقد كلف هذا السلوك السياسي بعض الشعوب في المنطقة ثمنا باهظا (مهما تكن الاخطاء التي ارتكبتها هذه الشعوب)، وهي لا تشكل ضمانة صادقة للشعب الاسرائيلي اذا ما وعندما يطالب "بالاعتماد على واشنطن" وتحمل المخاطر في سبيل السلام.

ولكن وبالمقابل، فقد بعثت الازمة كلها برسالة قوية للغاية لزعماء المنطقة بشأن التغيير الذي طرأ على اصطفاف الدول العظمى على الصعيد العالمي فقد جسدت الازمة بالملموس للزعماء المؤيدين للسوفييت كالرئيس الاسد، ان القوة العظمى الراعية لهم، الاتحاد السوفييتي، قد كفت عن اداء دور رئيسي في الشرق الاوسط، وان طموحاتهم الاستراتيجية لا يمكن لها ان تتحقق الا بقدر ما يتعاونون مع الولايات المتحدة - التي تمد لهم، وللعالم العربي باسره، يدها، وفقا لشروطها هي بالطبع. (ومن المشوق هنا ان نذكر بان صدام حسين بعظمته هو الذي شرح لحكام مصر والاردن واليمن لدى لقائهم في عمان في شباط ١٩٩٠، معنى التغيير في التشكيلة العالمية بالنسبة للعرب: في الشرق الاوسط الذي لا يمكن المناورة فيه بين الدول العظمى واستغلال منازعاتها، سيصعب على العرب تحقيق انجازات استراتيجية مستقلة).

وبشكل عام كان يبدو ان بالامكان، مع نهاية الحرب، اجدال اثارها على احتمالات السلام بانها ايجابية، بنيما القت علامات الاستفهام بظلها اساسا على اشكالية الموضوع الفلسطيني، الذي بقي، رغم ذلك، قلب النزاع، وعلى سياسة سوريا. وفوق ذلك، لم يكن ممكنا تجاهل التغيير الاساسي الذي طرأ، ولو مؤقتا، على صورة اسرائيل في الساحة. وكما قال البروفسور شمعون شمير: تظهر اسرائيل الى جانب تركيا وايران، واحيانا مع الباكستان في دائرة الدول غير العربية التي تحتل مكانا في التشكيلة الاستراتيجية الجديدة. وحول ادراج اسرائيل في هذه التشكيلة ثمة اراء مختلفة، غير ان البحث يجري من خلال انفتاحية كان يصعب تصورها في الماضي غير البعيد (٢).

وهكذا، مثلا، فعلى خلفية الاعتراف الجديد بالتهديد الوجودي الموجه نحو اسرائيل من بلدان كالعراق، طرح الناطقون المصريون بعد الحرب افكارا جديدة وبعيدة الاثر بشأن مكانة اسرائيل، في نظرهم، كقوة نووية - افكارا فيها ما يسمح بالشروع بعملية مراقبة على السلاح في ساحة يمكن فيها ان يعترف لاسرائيل بمكانة نووية متفردة في المنطقة - ذلك بالطبع في اطار مسيرة سلمية شاملة (٣).

التغيرات في مواقف الاطراف.

ان كل محاولة لتقدير تأثير الحرب على احتمالات السلام يجب ان تستند الى فحص التغيرات في مواقف اللاعبين، في حالة وجود مثل هذه التغيرات، والتي تكونت وتطورت في سياق ازمة الخليج. ولنبدأ باللاعب الاساسي في الازمة، والذي سعى فور نهاية الحرب الى العودة لاداء دور المحفز والقائد للمسيرة السلمية: الولايات المتحدة.

وحتى في اثناء الحرب المح الرئيس بوش ووزير الخارجية بيكر الى ان النجاح الامريكي المرتقب في الخليج هو الذي سيعطي زخما واملا للجهود التي ستأتي بعد ذلك، لاحلال السلام في الشرق الاوسط. وعليه فقد رسما على الملأ مشروعا

للمعالجة السياسية للشرق الاوسط بعد الحرب، ولن تتضمن اربع نقاط: الامن والاستقرار في الخليج، فرض قيود على سباق التسلح، المشاكل الاقتصادية للمنطقة، والنزاعات بين اسرائيل والعرب وبين اسرائيل والفلسطينيين.

ويتركز اهتمامنا هنا في النقطة الرابعة، وان كان موضوع الرقابة على السلاح يتعلق في جزء منه بالنزاع. لقد سعى الامريكيون للتأكيد على رؤيتهم الجديدة التي تقول ان لمعالجة النزاع مسلكين (tracks): "الاول على الصعيد بين اسرائيل وجيرانها العرب، والثاني بين اسرائيل والفلسطينيين"، واضافوا مؤكدين: "ان مبادئنا، مثلما كانت في السابق، هي هدف الحل الشامل الذي يتم التوصل اليه عبر المفاوضات المباشرة القائمة على اساس قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، بما في ذلك مبادىء الارض مقابل السلام، والامن لاسرائيل، والحقوق السياسية المشروعة للفلسطينيين (٤).

وفي المسألة الاساسية المتعلقة بالتنازلات الاقليمية التي ستكون اسرائيل مطالبه بها (بوش: ليس بمقدور الجغرافيا ضمان الامن)، فقد ابدى موظفين كبار ملاحظة تقول ان الولايات المتحدة لن تملي حجوم الارض التي ستعاد، بل ولن تحدد جوهر الخطوات المرحلية التي ستأتي على نحو طبيعي قبل اعادة المناطق، وانه في كل الاحوال ستكون اسرائيل مطالبة بالانسحاب من مناطق بعد ان يتحقق السلام الحقيقي فقط. بيد انهم اكدوا تدريجيا على الطابع الشامل بنظر الولايات المتحدة لمبدأ الارض مقابل السلام: "ان قرار مجلس الامن" ٢٤٢ يتعلق بكل الجبهات، بما في ذلك الجولان. والولايات المتحدة لا توافق على قرار اسرائيل في العام ١٩٨١ لاحلال القانون الاسرائيلي... على الجولان (٥). كما اكد الامريكيون على معارضتهم المتواصلة لانشاء المستوطنات في المناطق ("هذا الحائل بحكم الامر الواقع (دي فاكتو). هذا تغيير للوقائع والملابسات" (٦).

وبينما تمتنع الولايات المتحدة عن ان تطلب في هذه المرحلة من حكومة شمير ان تتماثل صراحة ومبدأ الارض مقابل السلام في يهودا والسامرة وقطاع غزة والجولان، فقد تكبد وزير الخارجية بيكر منذ البداية عناء التشديد في اذان محادثيه الفلسطينيين والسوريين، بانه تتوفر امامهم لحظة مناسبة نادرة للتفاوض مع ادارة امريكية ذات امل كبير في ان تستمر في السلطة خمس سنوات ونصف اخرى - اي، فترة تكفي الادارة لان تعرض موقفها هذا على اسرائيل في مرحلة اكثر تقدما من المسيرة. ومن هنا فلعل بيكر قد سعى لتوفير التزام امريكي، كما يفهم منه ذلك، بالانسحاب الاسرائيلي من المناطق، كبديل للالتزام الاسرائيلي الذي كان الحصول عليه من حكومة اسرائيل متعذرا.

ويتعلق موقف اساسي اخر في المفهوم الامريكي بعد الحرب بدور الاتحاد السوفييتي: "ففي اعقاب الازمة... ستتزايد الجهود الامريكية - السوفييتية المشتركة في سبيل السلام الاسرائيلي - العربي والاستقرار الاقليمي"(٧). كما ان من المعقول ان يكون الناطقون الامريكيون قد شددوا، ولا سيما في اذان الرئيس الاسد، على ان انضمامه الى المسيرة وفقا للقواعد الامريكية (المفاوضات المباشرة بدون شروط مسبقة)، لهو، من الناحية العملية، توافق ايضا مع موقف امريكي يعتقد بضرورة الانسحاب الاسرائيلي من غالبية المناطق في الجولان ويهودا والسامرة وغزة. وان النتيجة ستكون العزلة السياسية لاسرائيل.

لقد اظهرت الادارة في مسألتين اساسيتين اخريين موقفا اوليا غير قاطع. ففي مسألة الرقابة على السلاح التقليدي، جرى الحديث منذ البداية حول "ضرورة وقف نقل تشكيلات السلاح التي لا تلبي اي حاجة "دفاعية مشروعة" (٨) وهو موقف ورد في وقت لاحق في مشروع الرقابة على السلاح والذي عرضه الرئيس بوش في ايار ١٩٩١. وتبقي هذه الصيغة مجالا واسعا للتحليل حول طابع الحاجات لمختلف اللاعبين. ويبدو انه يرمي بالاساس لاتاحة المجال امام الولايات المتحدة للمساهمة في توسيع جيوش السعودية وامارات الخليج لدرجة اكسابها قدرة متزايدة للدفاع عن نفسها امام العراق او ايران، كما عكس ضغوط منتجي السلاح في كل الدول الصناعية في عدم اغلاق دفعة واحدة "صنبور" الطلبات على السلاح من سوق الشرق الاوسط الثري. والى جانب هذا الموقف الغامض، سعت الولايات المتحدة الى التركيز على الرقابة على السلاح الصاروخي وغير التقليدي، واولا وقبل كل شيء في فرض القيود على العراق المهزوم.

اما في مسألة اخرى - مسألة مع اي من اللاعبين العرب سيجري التفاوض حول الموضوع الفلسطيني - فقد بعثت

الادارة حتى في المرحلة الاولى اشارات غامضة. وهكذا، ومع بداية المسيرة، اظهر بيكر وغيره من رجال الادارة موقف الرفض المطلق لمؤسسة م.ت.ف وطالبوا مصر والسعودية بالبحث عن ناطقين فلسطينيين جدد كبديل لعرفات. وبالفعل فقد المحت هاتان الدولتان، وسوريا، بتطلعها نحو تتويج زعماء جدد داخل م.ت.ف، او لرفع ممثلين فلسطينيين من المناطق الى الصفوف الاولى. وحتى تجاه الاردن الهاشمي فقد اظهرت الادارة في البداية الكثير من الانفعال العصبي، في تلميحها بان اردن الملك حسين، الذي نظرت اليه الولايات المتحدة وحليفتها السعودية كمتعاون مع العراق، يعاني من انعدام الاستقرار مما يستبعده عن ان يكون شريكا مركزيا في المسيرة.

ويبدو ان المجاولة الاولية التي قام بها بيكر، في اذار ١٩٩١، لاستيضاح استعداد لاعبي الساحة للمشاركة الفاعلة والمباشرة في مسيرة سلمية متجددة، قد اظهرت نتائج مشجعة بما فيه الكفاية حتى يبشر بيكر وزير العدل دان مريدور - الذي بعث به رئيس الوزراء شمير في نهاية الحرب الى واشنطن - بانه ستعرض على اسرائيل مسيرة تتميز باربع نقاط ايجابية من ناحيتها: لن يكون لـ م.ت.ف اي ضلع ابدا؛ لن يطرح على اسرائيل في هذه المرحلة طلب تحديد مبادىء واضحة لحل النزاع (كالانسحاب من المناطق مثلا) في نهاية المسيرة؛ ستكون المفاوضات مباشرة، وسيقتصر بعدها الدولي على مرحلة الافتتاح وحسب؛ وستكون المسيرة ثنائية المسلك، وستستند الى الاستعداد العربي الشامل للسلام. وعلى ما يبدو فقد اعرب الوزير مريدور عن موافقة حكومة اسرائيل للدخول في المسيرة كما وصفت له (٩).

من هنا فقد توجهت الادارة الامريكية لاعداد مشروع متعدد الأبعاد للشروع في مسيرة جديدة. وقد اتخذت تعابيرها الاساسية شكل الدعوة الى التئمام (convention) او الى حدث (event) - وهي كلمات غامضة سرعان ما وضعت جانبا لصالح "مؤتمر اقليمي" او حتى مؤتمر دولي محدود او "مؤتمر تسلام" - في القاهرة او في واشنطن، بمشاركة القوتين العظميين اسرائيل والدول العربية والفلسطينيين، وكذلك المبادرة بسلسلة وسائل لبناء الثقة (Confidence building Measures) -من جانب اسرائيل تجاه الفلسطينيين، ومن جانب الدول العربية تجاه اسرائيل. كما واقترح على ان ينقسم المؤتمر فورا الى لجنتين فرعيتين: لجنة اسرائيلية - فلسطينية، تجدد البحث في مشروع الحكم الذاتي الاسرائيلي لايار ١٩٨٩، ولجنة اسرائيلية عربية للبحث في تسويات سلمية ثنائية، وربما الى لجنة ثالثة تبحث في الرقابة على السلاح (وكبديل لذلك يبحث الاجتماع الكامل في مسائل الرقابة على السلاح والترتيبات حول المياه واللاجئين، لاعطائه مكانة دائمة كما يطلب بعض العرب). وفي ختام كل هذه السياقات، سيصار الى عقد مؤتمر دولي كامل للمصادقة على الاتفاقات التي يتم التوصل اليها. وسنعرض لمسألة التسوية الاسرائيلية - السورية والرقابة على السلاح هنا باختصار، فهما تشكلان موضوعي الفصلين ١٣ و ١٤).

واذ عرضت الادارة الامريكية هذه المسيرة، فقد املت في ان تلبي الحاجات الاكثر الحاحا لكل اللاعبين: السوفييت والفلسطينيين والسوريين - الحاجة للتغطية الدولية؛ ولاسرائيل - مطلب المسيرة الاسرائيلية - العربية المنفصلة عن المسيرة الاسرائيلية - الفلسطينية، وكذلك التوق، عبر رسائل بناء الثقة، لمؤشر من جانب العالم العربي يدل على القبول بها كمرشح كامل للسلام، اضافة الى التمسك الدائم بمشروع السلام لحكومة شمير؛ ولكل العرب - الوعد بان تحظى المسألة الفلسطينية بمعالجة كاملة وشاملة.

بيد ان الاقتراحات الامريكية شكلت قبل اي شيء اخر محاولة للتركيز - في المرحلة الاولى، كمحفز حيوي لمسيرة باسرها - على الامور الاجرائية او المنهج، على حساب الجوهر او المحتوى. وقد تجسد الامر من خلال ذكر المقصد الامريكي الاصلي، والذي سحبه الرئيس بوش في اللحظة الاخيرة: لدعوة كل الاطراف لافتتاحية دولية فور نهاية الحرب في الخليج، ودون الاضطرار ابدا لمرحلة من الاتصالات المسبقة والتنسيقات من جانب وزير الخارجية بيكر. غير ان بوش قد تراجع عن هذه الفكرة، وذلك على ما يبدو خشية ان يواجه بالرفض من المدعوين للمشاركة دون الاعداد المسبق الملائم وربما بسبب انعدام الوضوح الذي ساد مسألة هوية المدعوين الفلسطينيين. وعلى اية حال، فقد تملص بيكر في جولاته المسبقة الى المنطقة في اشهر الربيع من العام ١٩٩١، قصدا من البحث مع حكومة شمير في تفاصيل المسائل موضع

الخلاف، كالمستوطنات وتطبيق مبدأ "الارض مقابل السلام" على يهودا والسامرة، وتشكيل الوفد الفلسطيني. واتخذ تكتيكا مشابه في لقاءاته مع الزعماء العرب، على امل ان يقنعهم جميعا بالانخراط اولا في المسيرة المقترحة، ولا سيما في حدث افتتاحها.

لقد نظر الامريكيون في الواقع الى انعقاد مؤتمر موسع بمشاركة اسرائيل والعرب، انجازا "سيحطم الجليد" بين الاطراف ويسمح في لاحق السياق بمفاوضات مثمرة حول المسائل الصعبة. وقد قدروا انة بهذه الطريقة فقط سينجحون في سد الفجوات الواسعة بين المواقف الاولية للاطراف. وعلى حد تعبير مساعد رفيع المستوى لبيكر، عندما يجلس شمير وفهد والاسد الواحد مقابل الاخر، فلن يطرح شمير ملاحظات تافهة حول هوية الممثل الفلسطيني الجالس على طرف الطاولة، وستنهار في الجانب العربي التحفظات التقليدية تجاه مجرد وجود اسرائيل في الساحة... ان هذا يجب ان يكون حدثا جارفا (Compelling event). وقد وصف موظف امريكي رفيع المستوى ذلك بتعابير مشابهة: "ان مسألة المؤتمر الاقليمي تتناول موضوع كيف يتم جمع الاطراف، ذلك ان من المهم جدا من ناحيتنا ان نحاول تحطيم المحظورات (taboos) - في ان الدول العربية لا تتفاوض مع اسرائيل، فيما لا تتفاوض اسرائيل، او ليس بوسعها ان تتفاوض مع الفلسطينيين (١٠). ويبدو ان النهج قد عكس امنيات الرئيس الذي المح مرارا بانه يبحث عن اطلاقة دراماتيكية على الدرب، اكثر مما عكست راي بيكر المعروف كمن يتبنى النهج التدريجي. كما ويصف المقربون من بيكر نهجه تجاه فكرة المؤتمر باللاادري (Agnostic)، فيما يصفون بوش كمؤيد كبير لهذا النهج.

وحسب هذا المفهوم، فقد اولى الامريكيون اهمية والحاحية للتفاصيل المرتبطة بفكرة المؤتمر ذاتها فقط. وهكذا، فقد كد بيكر كثيرا حتى احرز الموافقة على المؤتمر وهوية الوفود. واستند لدى توجهة الى اسرائيل الى موافقة رئيس الوزراء شمير في العام ١٩٨٧ على "افتتاح" برعاية القوتين العظميين للبدء بالمفاوضات. واعترف بالحاجة لحث القرار السوفييتي لاستئناف العلاقات مع اسرائيل بشكل كامل استجابة لشرط اخر. وبما ان التمثيل المباشر لـ م.ت.ف لم يحظ بتأييد متحمس من جانب اي من اللاعبين، وان كان العرب جميعهم قد اكدوا في موقف واحد على انه ليس بوسعهم التقدم امام اسرائيل بدون تسوية فلسطينية ما، فقد درس الامريكيون عددا من الامكانيات البديلة. وقد اخذت احدى الافكار بظهور الزعامة "المحلية" لـ م.ت.ف من المناطق على طاولة المباحثات. غير انها لم تكن بكل رجالاتها مقبولة من شمير، ناهيك عن انه كان من الضروري الحصول، بشكل مباشر، على مصادقة م.ت.ف/تونس حتى لخطوة كهذه. كما ودرست ايضا فكرة بديلة هي وفد اردني - فلسطيني مشترك.

ومقابل معالجة هذه الصعوبات، ابدى النهج الامريكي اهتماما اقل بالمسائل التي كان يمكن، كما املوا، ارجاء معالجتها الى ما بعد انعقاد المؤتمر، كالحاجة الى الانتخابات في المناطق (لقد مال الجميع الى ارجائها، على ضوء التقدير السائد بان الاجواء التي تلت الحرب ستفرز في الانتخابات العامة في المناطق قيادة متطرفة من اوساط حماس والمحافل المتطرفة الاخرى، والتي ستخرب على كل مسيرة تصالحية. والمسألة الاخرى التي حشرت بسرعة في الزاوية هي وسائل بناء الثقة. فبينما صادق اللاعبون مبدئيا على مفهوم التوازن بين المبادرات الاسرائيلية الطيبة تجاه الفلسطينيين والمبادرات العربية الطيبة تجاه اسرائيل، فقد اصطدمت الافكار الملموسة التي طرحت بالتردد. فالسعودية، التي ابدت في نهاية الحرب، على حد قول الامريكيين، انفتاحا "جذريا" تجاه الحاجة الى ادخال اسرائيل في تسويات سلمية كاملة، قد ارتدعت من الفكرة على ضوء الاقتراح الامريكي في ان تلمح لاسرائيل بنواياها من خلال الغاء المقاطعة العربية و/او حالة الحرب مع اسرائيل، المبدرة الى الغاء قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة في العام ١٩٧٦ والذي قرر بان "الصهيونية عنصرية". ويبدو انها قد وافقت بالفعل على الغاء دعمها المالي لـ م.ت.ف، ونقل مصادر التمويل هذه بشكل مباشر الى زعماء المناطق المقبولين من اسرائيل. كما ان سوريا قد ردت على ما يبدو بعدم التحمس لغالبية الافكار الامريكية، كمد "خط احمر" او مركز مراقبة أزمات يلتقط البلاغات المسبقة حول المناورات واطلاق الصواريخ، وان كان لا يزال الامل واضحا حتى الصيف في ان تستجيب لطلب العمل في سبيل اعادة اسرائيل الاسرى وجثث الضحايا الذين سقطوا في حدود سيطرتهاالى اسرائيل.

وقد طولبت اسرائيل من جانبها، كما اسلفنا بتقديم مبادرة طيبة تجاه الفلسطينيين: فتح الجامعات في المناطق، وقف الابعادات واطلاق سراح السجناء، السماح بالاستثمار في المناطق والحركة الاكثر حرية للفلسطينيين، وفوق كل شيء - تجميد اعمال الاستيطان. وقد اصطدمت بعض هذه الطلبات بشكل مباشر بتوجهات معاكسة من الابعاد وتقييد الحركة، على ضوء موجة "ضرب السكاكين" التي اجتاحت البلاد في اعقاب الحرب. وقد استجيب للبعض الاخر جزئيا على الاقل، كالاستعداد لتمرير استثمارات سعودية الى المناطق، واطلاق سراح سجناء سياسيين، وفتح الجامعات. لقد عكس الرفض الاسرائيلي لتجميد اعمال الاستيطان، كما سنرى لاحقا، موقفا مبدئيا صلبا من حكومة شمير.

بيد ان الامريكيين كما اسلفنا قد قرروا الاستمرار في السعي قدما حتى في ظل انعدام النجاح في مجال المبادرات الطيبة، بل والتخلي عن خط العمل هذا كي لا يؤدي الى ان تطرح على جدول الاعمال مسائل جوهرية من شأنها ان تعيق انعقاد المؤتمر. وهكذا، وقد تمت الموضوعات الجوهرية الاساسية التي سمح الامريكيون بادراجها في المفاوضات في اشهر الربيع من العام ١٩٩١ في مطالب الاطراف المتعلقة بهوية ومكانة المشاركين في الافتتاح - كالامم المتحدة، والاسرة الاوروبية والسعودية - ومسألة استمرار المؤتمر. وحتى المشكلة المعقدة المتعلقة بتشكيل الوفد الفلسطيني الى المؤتمر فقد بقيت بدون اجمال - وذلك على نحو مقصود من الادارة الامريكية كما يبدو - في الوقت الذي طلب فيه بوش، في نهاية ايار، مصادقة شمير على عقد المؤتمر (١١).

وننتقل من هنا الى عرض وتحليل المواقف في اسرائيل تجاه المسيرة السلمية في اعقاب الحرب. فعلى الصعيد الشعبي تبرز المواقف التي سجلت (انظر نتائج استطلاع الراي العام، الفصل ١٥) حول الميول التي كانت قائمة قبل الحرب: انعدام الثقة والعداء تجاه الفلسطينيين بل وتجاه الدول العربية، الى جانب الثقة المتعاظمة بضرورة السلام وبكون السلام امرا لا مفر منه. وحتى الاستعداد الاسرائيلي للتسليم باقامة دولة فلسطينية قد ازداد، وذلك على الرغم من سلوك الفلسطينيين في الحرب. كما ازداد، وكنتيجة للحرب، التخوف من حرب اخرى. ومن الاهمية بمكان التأكيد على ان الترجمة الفورية لهذه الميول الى اللغة السياسية قد اتخذ تعبيره بالذات في الميل الجماهيري المتواصل لتفضيل الليكود على حزب العمل. ولذلك وبما ان الحديث يدور على اي حال حول مسيرة آخذة بالتطور، حتى الانتخابات القادمة للكنيست في نهاية العام ١٩٩٢ على ابعد احتمال، فاننا سنركز هنا على فحص المواقف وردود فعل حكومة شمير. ودعونا هنا نذكر ان كلا من زعيمي حزب العمل، شمعون بيرس واسحق رابين قد تبنيا في ردود فعلهما الاولية "مواقفه التقليدية" (الخيار الاردني المتجدد ومشروع السلام لايار ١٩٨٩، بتفسيرات مخففة بشأن التمثيل الفلسطيني، على التوالي)، وان رابين قد اكثر من تحذير شمير وواضعي السياسة الامريكية بان الانشغال في مسيرة شاملة وبدون مراحل، ومحاولة ادخال عدد كبير من اللاعبين العرب وليس لاعب واحد فقط في المسيرة، محكوم عليها بالفشل مسبقا. وفضلا عن ذلك، فقد كان التغيير الاساسي الذي سجل في اليسار الصهيوني هو تخلي العديد من النشطاء، ولو مؤقتا، عن الاستعداد لاجرا حوار مع م.ت.ف - الميل الذي عزز من مواقف اليمين.

وكان من المتوقع ان يشعر مقررو السياسة في اسرائيل - زعماء الليكود - بالرضى الظاهر على ضوء الاستعداد الجديد للولايات المتحدة وبعض الدول العربية لتبني الحجة بشأن ضرورة تحقيق سلام بين اسرائيل والدول العربية بالتوازي وكشرط لتحقيق حل فلسطيني. ولكن رويدا رويدا، بدا ان رئيس الوزراء يبدي عدم ارتياح ظاهر حتى في ذروة الحرب، على ضوء الميل الامريكي للتشديد على التنازل عن المناطق كعنصر حيوي في المسيرة. وقد انعكست احدى النتائج في رؤية المعركة في سبيل التسوية السلمية الآخذة بالتحقق، وكأنها نوع من الحرب الاخرى: "سيظهر من يحاول ان ينتزع منا بالسبل السياسية ما لم يفلح في اخذه بالقوة... لن نرعوي ولن نفر وسيتعين علينا تجنيد كل الحكمة والذكاء... يجب التغلب على الوحش العراقي، والتغلب على تلك المفاوضات التي سنواجهها... وعندها يكون بوسعنا تنفس الصعداء" (١٢). وكأشارة للولايات المتحدة بشأن حدود التنازلات المقبولة بالنسبة له، عمل شمير حتى في ذروة الازمة على ان يزج الى الاعتقال الاداري بالنشيطين الفلسطينيين رضوان ابو عياش وسري نسيبة، وهي خطوة، دون اي صلة بمبرراتها القانونية،

فسرها الامريكيون (الذين يرون في ابو عياش.ونسيبة مشاركان هامان في محادثات الحكم الذاتي مع اسرائيل) كمؤشر لموقف الحد الادنى عند شمير بشأن الاستعداد للتوصل الى حل وسط في المفاوضات مع الفلسطينيين.

ومقابل التحفظات الكثيرة لشمير حول هوية الفلسطينيين المقترحين للمحادثات مع اسرائيل، فقد ابدت اسرائيل استعدادا ظاهرا لادخال السعودية في المسيرة، والرغبة في ادخال الملك حسين مجددا في المسيرة، وكذلك الرئيس الاسد.

لقد شكل النهج الاسرائيلي تجاه الاردن ومليكه تجديدا بارزا. فقد كان هذا النهج من حيث الإساس منعطفا هاما في رؤية الليكود لمهمة الاردن في المنطقة، والتي نبعت مباشرة من الحرب ومن التهديد العراقي لاسرائيل. وحتى قبل الحرب، في حزيران ١٩٩٠، ومع تشكيل حكومة الليكود، تبنى قادتها (باستثناء اريئيل شارون) خطا جديدا تجاه الاردن، خطا يشدد على كون المملكة الهاشمية هي الحل الاقل شرا بالنسبة لاسرائيل كدرع واقي ضد التهديد الاتي من الشرق - افضل بكثير من حاكم فلسطيني من شأنه ان يتسلم السلطة في عمان وفقا للسياسة السابقة (غير الرسمية) لليكود، والتي اعتقدت بان "الاردن هو فلسطين"(١٣) ومن هذه الناحية فقد نجح الملك، رغم تصريحاته المثيره للغضب، وتعاونه العسكري المحدود مع صدام حسين، في ان يؤدي دور الحاجز الاستراتيجي بين اسرائيل والعراق في الحرب. اما الان، وهكذا اعتقد قادة الليكود، فانه جدير بجهود التعزيز في وجه المحافل الفلسطينية التآمرية والمتطرفة، كما وجدير بدخول التسوية الفلسطينية في منصب قائد.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى ان التحفظات الامريكية من الاردن قد اعاقت في بداية المسيرة محاولة بلورة وفد من غير م.ت.ف للاجتماع وذلك بشكل خاص على ضوء استعداد اسرائيل - مما فجأ الامريكيين - منح الملك دورا في المسيرة. ويرجع مصدر تحفظ واشنطن على ما يبدو الى النفور من سلوك الملك في الحرب، متداخلا مع العداء السعودي تجاهه. ونحن سنرى انه على مدى فترة ما كانت العلاقات الاردنية - الامريكية ضحية "دبلوماسية الهاتف" لبوش، وفي اللحظة التي وقعت فيها في نهاية شهر اب ١٩٩٠، قطيعة شخصية بين الزعيمين، لدى لقائهما في استراحة الرئيس الصيفية، اخذين بالاعتبار الاهمية العظمى التي يوليها بوش لعقد اتصال شخصي مع الزعماء الاجانب، فقد وجد الدبلوماسيون الامريكيون من الصف الثاني انفسهم ممتنعين عن الاقتراح بعقد اي إتصال كان مع الاردن).

لقد ادرك شمير منذ بداية المسيرة انه حتى في المجال السوري، اضافة الى المجال الفلسطيني، فسيعاد طرح المسألة الاقليمية. وشدد بوش وبيكر، كما اسلفنا، في تصريحاتهما بعد الحرب على تمسكهما بتفسير قرار ٢٤٢ والذي ينطبق فيه مبدأ الانسحاب من المناطق مقابل السلام على كل الجبهات. وقد تطرق شمير الى هذا الموضوع بحذر شديد، مع الحرص على تقديم موقف يرفض التنازلات، ولكن دون قول هذا رسميا ونهائيا: "لم اقل في اي يوم من الايام بانه يمكن الحديث مع السوريين عن الارض. اني حذر في الحديث عن الارض. فالارض جزء من روح الشعب. واني غير قادر حتى على الحديث عن ذلك. انه جزء من حقيقتي، من ذاتي". بيد "انني لم اقل ولا يسعنا ان نقول (بان المناطق ليست موضوعا للمفاوضات)... بسبب الاتفاقات التي وقعنا عليها: اتفاقيات كامب ديفد التي تستند الى قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨. وعندما سنصل الى المفاوضات، واذا كان لا يزال لي تأثير، فاني ساجتهد حتى نخرج منها سليمين معافيين دون ان يقتطع شيء من قوتنا" (١٤).

ويمكن لنا بالتالي ان نجمل الامر فنقول انه حتى بعد حرب الخليج واصل شمير الاعتقاد، الى جانب المرونة المحتملة في الموضوعات الاخرى، بعدم التنازل عن المناطق، وعدم دخول اسرائيل في مسيرة تنطوي على التزام مسبق بتقديم تنازل كهذا. واذا ما بدا في بداية المسيرة، في اذار ١٩٩١، وكان بعض الوزراء والنواب من الليكود (مثل "هود اولمرت ويهوشع سجي ورؤوبين ريفلين) يفحصون امكانية التلميح بالاستعداد للتنازل لسوريا في الجولان مقابل سلام حقيقي وترتيبات امنية، فقد جاءت ردود فعل شديدة من صفوف الليكود، ولا سيما الرد النادر على لسان مناحيم بيغن، لتحبط، مؤقتا على الاقل، مثل هذه الامكانية. لقد تبين لنا مسبقا ان وزير الخارجية بيكر قد سعى في بداية المسيرة الى تجاوز هذه الصعوبة المركزية المتمثلة برفض التنازل عن المناطق. ولكن ولاجل فعل ذلك، فقد اضطر الى التمسك بتكتيك الخطوة

الكبيرة، الشاملة، والدراماتيكية، في ظل تجاهل التفاصيل المزعجة - وهو تكتيك يتعارض في جوهره مع طبيعة شمير، الذي يفضل ضبط النفس، او على ابعد حد، خطوات صغيرة وحذره على الفعل الدراماتيكي.

كما ان شمير لم يستبعد الفكرة الامريكية للبدء بوسائل بناء الثقة في مرحلة مبكرة من المسيرة، كانشاء مركز رقابة للازمات العسكرية. وقد عكس هذا الموقف فيما عكس استعداد لحكومة للبحث في موضوعات الاشراف والرقابة على السلاح والتي كانت "خارج النطاق" في اي مفاوضات اجرتها حكومات اليسار، ولا سيما وزير الدفاع السابق رابين. وهكذا، فقد اقترح وزير الدفاع ارنس ان تفرض الاسرة الدولية حظرا تاما على تزويد السلاح من اي نوع لدول المنطقة، وابدى انفتاحا نحو نقاط اخرى تتعلق بنزع السلاح في اطار محادثات السلام.

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه المبادرات ايضا، والتي هي من قبيل الثورة في الموقف التقليدي الاسرائيلي، لم تحظ في المراحل المبكرة بتشجيع كبير من الامريكيين، وذلك كما ذكرنا بسبب تركيزهم على ذات "المسيرة" بشكل عام، وعلى مسألة الارض مقابل السلام بشكل خاص. وكذلك عقب رفض الادارة تبني الفكرة بعيدة الاثر في الحظر الشامل على تزويد الساحة بالسلاح.

ولا يمكننا انهاء البحث في الموقف الاسرائيلي ما بعد الحرب دون ان نذكر مجالين تكتيكيين اساسيين. اولا، اوصد شمير الباب بعد ان حصل على التعهدات الامريكي بشأن طبيعة المسيرة والذي يبدو ان الامريكيين قد قطعوها للوزير مريدور في نهاية الحرب في واشنطن، ونظر الى كل محاولة امريكية للخروج عنها (كطرح مطلب تواصل المؤتمر الافتتاحي، حتى وان كان ذلك خاضعا للفيتو الاسرائيلي) امرا يستحق منه تصليب موقفه. ثانيا، اتبع شمير ومنذ بداية المسيرة تكتيك المماطلة - وهو تكتيك لا سابق له في المحادثات حول اي مسيرة سلمية بين اسرائيل والولايات المتحدة - اذ حرص على ان يلتقي بيكر على نحو منفرد مع كل الوزراء القادة (شمير، ارنس وليفي). وقد منحت هذه الوسيلة لشمير حرية مبادرة متزايدة في المفاوضات، وشوشت على وتيرة النشاط الامريكي. ومن المنطقي في هذا السياق ان نعزو لشمير وليس لوزير الاسكان، اريئيل شارون، المسؤولية في انه كلما وطأت اقدام بيكر ارض اسرائيل، اقيمت مستوطنة جديدة في المناطق - وهي بمثابة التلميح والتذكير بالموقف الحازم لرئيس الوزراء ضد التسوية الاقليمية. وعليه فقد استغل شمير كل افضلية تكتيكية ممكنة لمنع بيكر من "جزه" الى حافة "المنحدر المزحلق" (Slippery slope) المتمثل في افتتاح مؤتمر يبحث فيه الموضوع الاقليمي في المجال الفلسطيني.

واذا كان ثمة في المواقف الاسرائيلية اساسات مثيرة للمشاكل من ناحية اصحاب المبادرة الامريكية، فان المعسكر الفلسطيني شكل مشكلة بكامله، ذلك ان الحرب قد ادت الى ازاحة م.ت.ف كممثل للفلسطينيين من قبل كل اللاعبين الاخرين، باستثناء الاتحاد السوفييتي. اما م.ت.ف وزعيمها عرفات، فقد حافظ بنجاح على مكانتهما كقائدين للمعسكر المعتدل نسبيا (مقابل المعسكر السلفي الذي يعززه المعسكر المتطرف)، كمرشح للانخراط في المسيرة. وفي سياق شهري اذار ونيسان ١٩٩١ اتضح لمصر والسعودية، وعبرهما للولايات المتحدة، بانه لا يسعهم تقديم قيادة بديلة لعرفات، بصفته الجهة التي ترسم سياسة التيار المركزي في الحركة الفلسطينية. ويبدو، مع ذلك، انه تبقت مساحة ما من المناورة، بروح الاقتراحات انفة الذكر لتشكيل الوفد الفلسطيني، ولكن شريطة ان يحظى بمصادقة عرفات، صراحة او تلميحا. وفضلا عن ذلك، فان عزلة عرفات السياسية في العالم العربي، ولا سيما بعد ان قررت سوريا المشاركة في المفاوضات مباشرة مع اسرائيل في اطار المؤتمر، كانت كفيلة بالتخفيف من حدة معارضته لتمثيل الفلسطينيين في المؤتمر من خلال الاردن ومحافل من المناطق دون تمثيل م.ت.ف - مثلما اضعفت ايضا مكانة عرفات داخل المنظمة.

لقد تغيرت المواقف الاساسية الفلسطينية ذاتها ولكن قليلا. فالى جانب المحاولة العنيدة، وفي ظروف من العزلة السياسية، لتبرير وتعليل موقف م.ت.ف في الحرب دون الاعتذار، فقد طرحت من جديد مواقف المنظمة كما تبلورت في سياق المسيرة السلمية السابقة والتي انتهت في اذار ١٩٩٠. وسنشدد هنا على ان هذه كانت المواقف التي سمحت للمنظمة، في حينه، بالموافقة على "اسئلة بيكر" في نهاية العام ١٩٨٩، وابداء الاستعداد للسماح لوفد من المناطق للمشاركة في

محادثات القاهرة، في الوقت الذي ابت فيه هذه المسألة الى حل الحكومة في اسرائيل.

اما بالنسبة للتغييرات المتماثلة في تشكيل التمثيل الفلسطيني، فقد برز في المناطق نفسها اضطراب ما في اوساط القيادات التماثلية مع م.ت.ف. من أجل كسب تأثير اوسع في تشكيل الوفود الى المفاوضات، وكذلك من اجل السعي الى الحصول على تمثيل اوسع في مؤسسات م.ت.ف. لقد اظهرت القيادة المحلية، التي حافظت قبل وابان الحرب، على موقف اقل من التضامن مع العراق من عرفات، استقلالية ما في مسألة كتشكيل الوفود الى المفاوضات مع بيكر. كما ان الضائقة الاقتصادية المتزايدة في المناطق، والتي كانت الى حد غير قليل نتيجة النهج المعادي لبلدان الخليج اصحاب التمويل، الى جانب الارتفاع المستمر للعنف الداخلي (قتل "العملاء")، قد ابرزت اصوات جديدة لمثقفين محليين سعوا الى قيادة، وتلطيف حدة، الانتفاضة دون القبول بأملاءات سياسية من تونس. غير انه بدا في الواقع انه على الرغم من الرغبة المتزايدة، فقد كان للمحللين قدرة قليلة لاتخاذ خطوة مستقلة حقيقة، دون تنسيق مع القيادة الخارجية. وذلك، رغم امنية الكثيرين في اسرائيل وامريكا والعالم العربي، ممن املوا بانقلاب في القيادة الفلسطينية عقب الحرب. وينبغي ان نضيف الى هذا الادلة المتراكمة حول الاستقطاب المتنامي بين القيادة المحلية المعتدلة وبين "الشارع" الفلسطيني في المناطق، عقب المحاولات - مهما كانت ضعيفة - التي قام بها المعتدلون للتخفيف سواء من التأييد الحماسي لصدام حسين والذي، اظهره الناس في المناطق اثناء الحرب في الخليج وقبلها، او من مستوى العنف الداخلي للانتفاضة.

لقد شكل ضعف المعسكر الفلسطيني ما قبل الحرب لازمة متكررة على لسان وزير الخارجية بيكر في لقاءاته مع القيادات الفلسطينية المحلية في شرقي القدس في سياق اشهر الربيع والصيف من العام ١٩٩١، عندما ضغط عليهم للكف عن طرح شروط لمشاركتهم في المسيرة والتسليم بالقيود النابعة من ضعفهم السياسي.

اما بالنسبة للاردن، فقد ذكرنا الاستعداد الذي ابداه الملك للعودة الى المسيرة بعد غياب استمر ثلاث - اربع سنوات. ويبدو ان هذا الموقف قد عكس احساس الملك بان "مناورة البقاء" التي قام بها، واتخذت شكل تبني مواقف مؤيدة للعراق تسير على نفس الخط مع مواقف الفلسطينيين والسلفيين الذين يسيطرون على الحياة السياسية في بلاده، تتيح له ان يظهر في الساحة "كزعيم للفلسطينيين" يقدم خدمات حيوية الى المعسكر الفلسطيني، في الوقت الذي تكبدت فيه م.ت.ف اضرارا سياسية اكثر مما تكبد هو وليس بوسعها اداء مهمتها بمفردها في الساحة. وحسب المفهوم الذي تبلور في الاردن في اعقاب الحرب، فان التعاون بين الاردن و م.ت.ف سيقوم على اساس اتفاق شباط ١٩٨٥ (والذي خرقه عرفات في حينه على حد زعم الملك)، ويمكن للمحادثات مع اسرائيل ان تجري وفق اتفاق لندن للعام ١٩٨٧، والذي طالب كما ذكر بمؤتمر دولي كأطار للمحادثات. غير ان الملك طرح تحفظات واضحة على مشاركته المحتملة في المحادثات حول المسألة الفلسطينية: ان م.ت.ف ملزمة بالتوجه اليه لطلب مساعدته، وفي اطار الوفد المشترك الاردني - الفلسطيني الذي سيتشكل، سيكون الفلسطينيون وليس الاردنيين هم الذين سيجرون المفاوضات حول موضوع المناطق؛ ويمتنع الاردن عن كل مفاوضات مع اسرائيل حول المواضيع الثنائية الى ان تتم معالجة مسائل المناطق (١٥). وبالاجمال، فان الملك مستعد لتوفير مسلك للمفاوضات يحتفظ فيه للفلسطينيين "بمكانة الصدارة"، و "م.ت.ف هو الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني" (١٦).

وكما اسلفنا، فقد ايدت حكومة شمير ادخال الاردن، سواء لاعترافها الجديد بالدور الاستراتيجي الحيوي الذي لعبه، ام بسبب امكانية ان يتمكن من ابداء مرونة اكثر تجاه ضم ممثلين فلسطينيين من القدس ومن الشتات الفلسطيني، ام اولئك المتماثلين جدا مع م.ت.ف، بقدر ما ينخرطوا في الوفد القادم عن الاردن. ولكن وكلما تقدمت رحلات الوساطة لبيكر، كلما اتضح بان الملك لا يحتاج فقط لمصادقة م.ت.ف على مشاركته، بل ولمصادقة من دمشق ايضا، تلك المصادقة التي حصل عليها في تموز ١٩٩١ لدى انضمام الاسد الى المسيرة.

ويقبع في اساس المواقف التي اتخذتها السعودية قبل واثناء الحرب غضبها من م.ت.ف . واضافة الى ذلك، يبدو ان القيادة السعودية، كدرس من البعد الفلسطيني لحرب الخليج، قد فحصت بجدية فرضية ان من الضروري لامن السعودية،

الحصول على الاستقرار في النزاع الاسرائيلي - الفلسطيني، ولو بثمن تقديم التنازلات من جانب المعسكر العربي. وقد اضيف لهذا الميل الرغبة في الدخول في دائرة الاتصالات مع اسرائيل بغية ضمان تفهم امريكي واسع قدر الامكان (اي، تأييد المحافل المؤيدة لاسرائيل في الولايات المتحدة) للحاجة الملحة، براي السعودية، لتخليد التواجد الامني الامريكي في منطقة الخليج، كدرع للسعودية، ولبيع السلاح للرياض على نطاق واسع. وقد ابلغ السعوديون محافل امريكية رفيعة المستوى في شباط واذار ١٩٩١ استعدادهم للوصول على إقامة علاقات كاملة مع اسرائيل على ان تتحقق تسوية "مقبولة من الفلسطينيين".

وعلى الرغم من ذلك، ففي الاتصالات الاولية مع بيكر ومساعديه تردد القادة السعوديون، كما ذكر انفا، في ترجمة هذه السياسة الجديدة الى تعابير تتخذ شكل المبادرات الجوهرية الطيبة. ولم يظهر من هذا حتى بداية صيف ١٩٩١ سوى فقط عن استعداد اولي لنقل اموال الى المناطق لاغراض التطوير دون ان يكون ذلك عبر م.ت.ف، كما صدرت تلميحات سعودية وكويتية اولية الى اليابان تفيد بان توسيع علاقاتها التجارية مع اسرائيل لن يجر وراءه رد فعل عربي سلبي. كما ان الاستعداد السعودي الذي ابدي للمشاركة في "مؤتمر السلام" ببرعان ما تراجع لتحل محله الموافقة على ارسال امين عام مجلس التعاون الخليجي كمراقب في المؤتمر، والمشاركة على نحو نشط في مرحلة اكثر تقدما حيث ستبحث قضايا المياه والبيئة.

ان الفجوة الواسعة التي لاحت بين المواقف السعودية اللفظية الايجابية تجاه اسرائيل، كما نقلها الامريكيون، وبين غياب التحرك على الارض، كانت احدى الغاز المراحل المبكرة للمسيرة. ولعله كان فيها اكثر من تلميح بانه بدون الحصول على اشارة من لاعب اساسي كسوريا، فستفضل السعودية ابقاء الشباك الاستراتيجي مغلقا، بينما تكون غارقة في مشاكل امن الخليج وملزمة بان تأخذ بالاعتبار اساسا ايران التي تتعزز قوتها والعراق الباقي على قيد الحياة.

اما سوريا، فان دمشق لم تكلف نفسها في الاشهر الاولى بعد الحرب، حتى عناء طرح مواقف معتدلة جديدة تجاه اسرائيل اوالمشكلة الفلسطينية. واكتفت بابداء مرونة ظاهرية، في موقفها من اطار المؤتمر الاقليمي الذي اقترحته الولايات المتحدة. غير انه طرأ عمليا في هذه الفترة تغيير بعيد المدى في رؤية الاسد لسبل معالجة النزاع: من رفض الحديث المباشر مع اسرائيل، وطرح سلسلة من الشروط المسبقة، حتى للحوار غير المباشر (كالتعهد الاسرائيلي المسبق باعادة كل المناطق)، انتقل الزعيم السوري الى التبني العملي للمفهوم الامريكي (والاسرائيلي)، المدعوم من قبل مصر ايضا، والقاضي بالمفاوضات المباشرة، بعد افتتاح دولي، بدون شروط مسبقة، وبالتوازي مع المفاوضات الاسرائيلية - الفلسطينية (مفهوم المسلكين).

ومن السابق لاوانه الان اجمال الاسباب والاعتبارات التي وقفت خلف هذا المنعطف الذي مر به الاسد. ونذكر هنا انه حتى يومنا هذا تجري دراسة دوافع الرئيس السادات عندما توجه في العام ١٩٧٧ للسلام مع اسرائيل. ومن الواضح ايضا بان الاسد ليس مجبولا من طينة السادات: فهو لا يقوم بمبادرات دراماتيكية طيبة ولا يتبنى نهج "سوريا اولا" مع ادارة الظهر للاماني العربية. ولكن، ومثل السادات قبله، يبدو ان خطوة الاسد في منتصف شهر تموز ١٩٩١ قد عكست ايضا الرغبة في التقرب الى الولايات المتحدة. غير ان خلفية خطوة الاسد كانت قاطعة اكثر من المبادرة في العام ١٩٧٧: التفوق الامريكي السياسي والعسكري الواضح في ساحة الشرق الاوسط وفي العالم اجمع، بالمقارنة مع الاتحاد السوفييتي؛ ابراز القوة الامريكية في الخليج مما جسد هذه الحقيقة حتى لاكثر المتشككين في دمشق؛ موجات الهجرة الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي وبموافقته؛ وعرض امريكي يصعب رفضه - الاستعداد لتأييد كبير للمطالب الاقليمية العربية في الجولان ويهودا والسامرة وغزة على طول المسيرة الطويلة، والتسليم بالهيمنة السورية في لبنان وسيطرة دمشق حتى على الاردن، وكل ذلك فقط اذا ما سار الاسد على الخط السياسي الامريكي.

ويبدو ان الاسد قد اقتنع في اعقاب الهزيمة العراقية في الخليج بان اماله في تحقيق انجازات عسكرية ضد اسرائيل قد ضعفت للغاية، وبان الالتزام الامريكي بامن اسرائيل، الى جانب تفوق هذه الاخيرة العسكري يشلان خياره العسكري.

ولعله قد انتبه، في اعقاب الحرب، بان الفجوة قد اتسعت بين الدعم الادريكي لاسرائيل التي بقيت عتية، وبين دعمها السياسي المهزوز. وكل ذلك، وعلى خلفية العزلة السياسية والضعف الاقتصادي لسوريا، وعلى ضوء جهود الاقناع المتواصلة لبيكر ومبارك والزعماء الاوروبيين، قد ادى على ما يبدو الى انضاج استعداد الاسد لتنفيذ انعطافة سياسية. على امل ان يعزل اسرائيل ويتمتع بتعويضات غربية زخمة وربما يحظى ايضا باستعادة الجولان في شروط معقولة من ناحيته.

واخيرا، من المهم الاشارة الى مصر، والتي واظبت على استعدادها للتوسط بين اسرائيل والعرب بشكل عام، ومع الفلسطينيين بشكل خاص، في ظل طرح مواقف مرنة وتوجيه توبيخات لاسرائيل والفلسطينيين، على التوالي. وكذلك من خلال محاولات الاقناع لسوريا.

تطور المسيرة نحو صدور الـ "نعم" السورية.

في منتصف شهر نيسان ١٩٩١ ادعى احد راسمي السياسة الامريكية بان آمال السلام قد تحسنت نتيجة حرب الخليج على صعيدين: هبوط مكانة م.ت.ف، والاستعداد العربي "للموافقة" على اسرائيل. وقد املت الادارة في ان يكون في هذا التطور ما يوازن وربما يحيد حقيقة ان حكومة اسرائيلية يمينية - ستمتنع عن الدخول في مسيرة تلزمها في نهاية المطاف بالتنازل عن مناطق. والترجمة العملية لهذا المفهوم هي نهج المسلكين، والتشديد على المسيرة نفسها وعلى اجراء "حدث جارف"، في ظل تجاوز المسائل الجوهرية الصعبة.

ومن الجهة المقابلة، طالبت حكومة اسرائيل ابداء مرونة قصوى في كل مجال الرقابة على السلاح، واشتراك الاردن، ووجود نظام للحكم الذاتي في المناطق - ليس له صلة مباشرة بمسألة المناطق، ومسألة القدس، او مسألة تمثيل م.ت.ف (والذي نظر اليه كأمر يستدعي في نهاية المطاف تنازلا عن مناطق لصالح دولة فلسطينية). وفي نفس الوقت، وعلى ما يبدو حتى لا يخطيء احد من الامريكيين، اظهرت اسرائيل تمسكا بالمناطق من خلال تواصل الجهود الاستيطانية - الامر الذي يعتبر شوكة بنظر الادارة ويرمز الى الموضوع الجوهري الاكثر حساسية.

وفي نهاية شهر ايار - وبداية شهر حزيران ١٩٩١ تعرقلت المسيرة حول قضايا ترمز ظاهريا الى مسائل مركزية اخرى: مسألة مشاركة مندوب عن الامم المتحدة كمراقب في المؤتمر، والمسألة الاجرائية حول العودة الى عقد المؤتمر بعد مرحلة الافتتاح. وقد توجه الرئيس بوش الى زعماء سوريا والاردن واسرائيل في رسائل زعم فيها ان هذه المسائل تشكل اخر عقبة في وجه دعوتهم الى افتتاح المؤتمر الاقليمي. ومن ناحية هؤلاء العرب فان هذه المسائل قد اعتبرت مسائل مركزية كونها تضمن الطابع الدولي المرغوب فيه للاطار. اما بوش من جهته فقد شرح لرئيس الوزراء شمير بانه بحاجة الى تنازلات اسرائيلية هامشية لصالح الموقف السوري في هذه المسائل، وانه سيحفظ من الناحية العملية للاسرائيليين حق الفيتو بشأن الانعقاد المتجدد للمؤتمر. وقد رفض شمير كل حل وسط في هذه المسائل، بدعوى انه رأى في فكرة ان يكون المؤتمر لمرة واحدة وفي ابعاد الامم المتحدة عن المشاركة موضوعا جوهريا للغاية: كمعيار لاستعداد العرب لخوض مفاوضات مباشرة مع اسرائيل. بيد ان شمير المح في رده على رسالة بوش بان الاطراف لم تصل بعد رغم نقاط الخلاف تلك الى معالجة المشكلة الاساسية بنظرة - مسألة تشكيل وصلاحيات الوفد الفلسطيني، وما ينطوي عليه ذلك من مسالة اقليمية (١٧).

لقد عكست هذه التناقضات، ظاهريا، فروقا جوهرية في مناهج الاطراف تجاه المسيرة. ومقابل الروح المحافظة الطبيعية من جانب القيادات المحنكة المجربة كشمير والاسد وفهد، عرض بوش وبيكر ضرورة اجراء تغييرات راديكالية وجارفة. واصطدم النهج الاسرائيلي التدريجي، الذي تلاءم اكثر واسلوب كيسنجر بمحاولة خوض مسيرة شاملة اعادت الى الذهن جيمي كارتر. واصطدم التشديد على القضايا الجوهرية كما وصفها شمير صداما جبهويا بالتفسير الاجرائي الذي اولاه بيكر لتلك الموضوعات نفسها. ومن ناحية اخرى، لم يحظ التجديد الجذري في نهج الليكود - الرغبة في ادخال الاردن الهاشمي في الحل الفلسطيني - وكذلك الانفتاحية في موضوع نزع السلاح، بالاهتمام التكتيكي - الاجرائي من جانب بيكر. وبشكل

موازٍ. امر بوش وبيكر على ان يعرضا كمسألة تكتيكية - اجرائية مسألة التواصل المحتمل للمؤتمر، ومسألة مشاركة الامم المتحدة، اللتين اعتبرهما شمير قضيتين جوهريتين

وحتى في القضايا التكتيكية المحضة، برزت فجوة كبيرة بين اللاعبين المحليين وبين القوة العظمى التي تدير المسيرة. وقد استغل شمير كل سبيل ممكن حتى يظهر لبيكر رفضه الانجرار عبر ذاك المنحدر المزحلق اياه - افتتاح المؤتمر - الذي من شأنه ان يدفع حكومته نحو تنازلات اقليمية، فيما رفض بيكر ان يرى في هذه الاشارات ضوء احمر يستوجب منه ان يتوقف، ويوبخ المجرم، و/او يغير الاتجاه. وبالعكس، اظهرت الادارة وفرة من الرغبة الطيبة تجاه اللاعبين القويين - تقديم المساعدة لاسرائيل في تهجير يهود الاتحاد السوفييتي واثيوبيا والتسليم بخطوات السيطرة من سوريا في لبنان والتعاظم السياسي والعسكري لسوريا والذي جاء في اعقاب المساعدة المالية التي نظمت في صالحها. ومقابل ذلك، حظيت الولايات المتحدة بصفعات اتخذت شكل اعمال الاستيطان في اسرائيل، والرعب الذي فرضته سوريا على اللاعبين العرب الاضعف، الاردن و م.ت.ف، حتى لا يشاركوا في المسيرة بدون مصادقتها. وقد مرت الولايات المتحدة مرور الكرام عن هذه التحديات - وكل ذلك على امل توجيه الاطراف، رغم كل شيء نحو الافتتاح المنشود للمؤتمر.

وبالنسبة للمؤتمر نفسه، فقد بدا منذ الشهر الثاني لجولات بيكر في المنطقة، في نيسان ١٩٩١، بانه كف عن ان يشكل اطارا لمسيرة ذات مسلكين حقيقيين. فقد الغى الانسحاب السعودي، والمناورات السورية والتعلق الاردني بدمشق وبتونس، ظاهريا، وجود مسلك المحادثات بين اسرائيل والدول العربية كمسيرة موازية للمحادثات الاسرائيلية - الفلسطينية. وعلى مدى زمن ما تحدث الامريكيون بالتالي عن التسليم عديم الحماسة بالمسالك المتتابعة (Sequential tracks)، اي عن استعداد العرب للحديث مع اسرائيل، بعد ان يسجل تقدم في المحادثات بين اسرائيل والفلسطينيين فقط وللوهلة الاولى، وجدت اسرائيل نفسها في حالة لم يتّبق لها فيها، قبل الافتتاح المحتمل للمؤتمر، الا العودة الى شكل محادثات الحكم الذاتي مع وفد فلسطيني - شكل يشبه الى هذا الحد او ذلك، الشكل الذي بحثته الاطراف في النصف الثاني من العام ١٩٨٩. وستنشغل الاطراف مرة اخرى في مسائل تشكيل الوفد الفلسطيني، وتمثيل عرب شرقي القدس، ودور م.ت.ف، مع الاختلاف في انها ستجلس هذه المرة حول طاولة وفيرة بالعرابين والمراقبين، في صورة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ومندوب الاسرة الاوروبية وربما مندوب من قبل الامين العام للامم المتحدة، ومندوبين من مصر وربما من بلدان عربية اخرى.

وعلى الرغم من الاخطاء الامريكية، فقد كانت واشنطن جديرة بكل مديح لقاء مجرد استعدادها لخوض المحاولة في تحريك المسيرة، ذلك انه لم يكن ممكنا تصور وجود لاعب رئيسي غيرها. وحينها، في منتصف تموز، جاءت الانعطافة: بتأخير ست اسابيع رد الرئيس الاسد على رسالة بوش، وخلافا للرد السلبي من شمير، استجاب الاسد للشروط التي طرحها بوش: مكانة افتتاح للمؤتمر الاقليمي، بحضور الدولتين العظميين، مراقب اوروبي ومراقب من الامم المتحدة عديم الصلاحيات؛ الانفصال الى محادثات ثنائية مباشرة ومتوازية بين اسرائيل وبين كل مشارك عربي؛ وامكانية مرهونة بالموافقة الاسرائيلية لعقد المؤتمر مجددا بعد ست اشهر.

وكبادرة موازية من النوايا الطيبة، وافقت مصر والسعودية وامارات الخليج على احياء اقتراحين امريكيين حول وسائل بناء الثقة كانا قد سحبا في مرحلة مسبقة حتى لا يعرقلا جهود تقدم المسيرة: الغاء المقاطعة العربية مقابل تجميد الاستيطان. واضافة الى ذلك، غدت مشاركة الاردن بل ولبنان في المؤتمر، في اعقاب الرد الايجابي السوري، مؤكدة، وكذلك امكانية عقد مؤتمر بمسلكين بكل معنى الكلمة. وقد اقترح الامريكيون عقد المؤتمر في اب ١٩٩١.

وما ان وقف شمير على حجم التغير في المفهوم السوري حتى سارع الى مباركته. فقبل كل شيء، كان بوسع شمير ان يسجل في صالح موقفه ان سوريا قد سلمت، وفي اعقابها دول عربية اخرى، على ما يبدو بمواقفه الداعية الى المفاوضات المباشرة وبدون شروط مسبقة. غير انه وبينما تركزت كل الاضواء عليه، اوضح بانه، حتى لو تنازل في مسألتي الخلاف المعروفتين - تمثيل الامم المتحدة وتواصل المؤتمر - فانه لا يزال يصر على ضرورة البحث في تشكيل الوفد الفلسطيني

او الاردني - الفلسطيني.

كما انه رفض كل امكانية لتجميد اعمال الاستيطان، ذلك على الرغم من المعنى بعيد المدى للعرض العربي في الغاء المقاطعة العربية مقابل ذلك. وقد كرر التزامه بالا يتنازل عن مناطق في الجولان ويهودا والسامرة وغزة في اطار المسيرة.

مستقبل المسيرة.

ومع نهاية تموز اتضحت اذا صورة عدد من السيناريوهات المحتملة لمواصلة المسيرة. وبطبيعة الحال، يتسع مجال اهتمامنا بها الى ما وراء امال السلام، كما ويتصل بالاثار المتوقعة لوجود المسيرة السلمية ذاته، او غيابها او فشلها، في اعقاب حرب الخليج، على العلاقات الاسرائيلي - الامريكية.

وتتطرق مجموعة من السيناريوهات الى معالجة مسألة تشكيل الوفد الفلسطيني - القضية الاساسية المتبقية عند نهاية حزيران في وجه انعقاد المؤتمر. وتتعلق جملة اخرى من السيناريوهات بمعصير المؤتمر، اذا ما انعقد بالفعل وشق الطريق امام المحادثات الثنائية بين اسرائيل والعرب، حيث سيطرح فيها مسألة تنازل اسرائيل عن مناطق. اما بالنسبة للمجموعة الاولى، فبينما يسعى الجميع - الولايات المتحدة وسوريا والاردن و م.ت.ف ومصر واسرائيل - الى التأثير على تشكيل الوفد الفلسطيني، اصرت اسرائيل على مطلبها الاولي في الا يكون في الوفد رجال م.ت.ف او ممثلين من شرقي القدس. وبالفعل فقد لاحت بسبب ضعف المعسكر الفلسطيني امكانية ان تصل الاطراف الى المؤتمر المنشود، فيما افلح بيكر في ايجاد الصيغة للتمثيل الفلسطيني - مثلا، في اطار وفد مشترك مع الاردن - الامر الذي يحيد كل معارضة اسرائيلية.

واذا ما حصل هذا بالفعل، او ابتدأت المحادثات الثنائية مع سوريا، ومع الاردن والفلسطينيين وربما مع لبنان ودول عربية اخرى، عندها فقد نجد امامنا مسيرة ستستمر زمنا طويلا، وستتميز بالمصالحة التدريجية، وجها الى وجه، بين اسرائيل والعرب. وهنا يكمن الامل في ان يشكل المؤتمر بالفعل "حدثا جارفا" لتغيير المفاهيم وسلم الاولويات، فيلطف مواقف كل الاطراف، حتى اكثر من التلطيف الكبير الذي جاء بها الى المؤتمر. وفي مثل هذه الحالة، وحتى لو استمرت المحادثات لسنوات فمن المعقول ان تتمتع اسرائيل باستناد امريكي، على الصعيد السياسي والمالي، بمستوى معقول.

وامكانية اخرى هي ان تغدو مسألة الرفض الاسرائيلي للتنازل عن مناطق موضوعا مركزيا على جدول الأعمال، ربما الى جانب رفض سوري لاجراء بحث ثنائي موضوعي مع اسرائيل، و/او تملص سوري من اقتراح سلام حقيقي مقابل التنازلات الاسرائيلية. واذا لم يطرأ تغيير متطرف على موقف احد الاطراف، فمن المحتمل ان يؤدي الامر الى ازمة في المؤتمر. وكبديل، وفي افضل الاحوال، سيركز المؤتمر في المرحلة الاولى على مسألة التسوية المرحلية في المناطق.

وامكانية اضافية، والتي قد تقبل بها محافل معينة في الليكود، هي التقدم في المحادثات التي تستند الى تنازل اقليمي في الجولان، مقابل استعداد سوري، وبالتوافق مع ذلك استعداد عربي شامل، للتسليم باستمرار سلطة اسرائيل بشكل ما في يهودا والسامرة وقطاع غزة.

ويمكن ببساطة ان يستمر الافتتاح الاقليمي والمحادثات التالية له نحو ستة اشهر على الاقل، الى ان تتجميد مؤقتا قبل الانتخابات في اسرائيل، المزمع اجراؤها في نهاية تشرين الاول ٢٩٩٢. بيد ان هذا السيناريو يلمح بامكانية اضافية، يبادر بموجبها رئيس حكومة اسرائيل الى تقديم موعد الانتخابات للكنيست وذلك على خلفية الجمود في المسيرة والمرتبط برفض اسرائيل التنازل في المسألة الاقليمية المركزية، او ربما في اعقاب انسحاب المحافل الصقرية في الائتلاف من الحكومة. وهذه الخطوة كفيلة بتجميد كل تقدم في المسيرة على مدى نصف سنة على الاقل. وسيدعي الليكود في الانتخابات ذاتها بانه يطالب دعم الشعب في اعقاب الانجاز الذي سجله في جلب العرب على التفاوض المباشر مع اسرائيل، وذلك دون اي صلة مباشرة بالخلافات التي ثارت في محادثات السلام نفسها.

وامكانية اخرى هي الا تصل الاطراف الى المؤتمر، عقب خلافات حول مسألة التمثيل الفلسطيني. وفي مثل هذه الحالة، وحتى لو القى الامريكيون التهمة على الطرفين، اسرائيل والعرب، على نحو متساو، فمن المتوقع ممارسة ضغط امريكي

على اسرائيل اساسا. وبالتأكيد فان الاساءة الواضحة في العلاقات الاسرائيلية - الامريكية محتملة اذا ما اعتبرت حكومة شمير مسؤولة وحيدة او اساسية في وقف المسيرة.

ان هذا التحليل الاولي لسيناريوهات التطورات المحتملة في المسيرة كما لاحت في اعقاب قول الـ "نعم" السورية يشير، كما ذكر، الى وضع اساسي واحد - افتتاح المؤتمر واجراء مفاوضات اسرائيلية - عربية مباشرة لفترة طويلة - تتمتع خلالها اسرائيل باسناد امريكي واسع، وكذلك الى وضعين اساسيين تتعقد فيهما العلاقات الاسرائيلية - الامريكية: محاولة اسرائيلية لمنع انعقاد المؤتمر حول قضايا كتشكيل الوفد الفلسطيني. تراها واشنطن غير جوهرية بما فيه الكفاية لتبرير الرفض من جانب القدس، وتفجير المؤتمر حول مسألة التنازلات الاقليمية الاسرائيلية - فيما تقف بالمقابل الولايات المتحدة الى يمين الدول العربية في مطالبتها تطبيق مبدأ "الارض مقابل السلام" حسب التفسير الامريكي - العربي لـ ٢٤٢ على المناطق.

وعلى خلفية سيناريوهات التعقيد كتلك المذكورة، فمن المحتمل حسب موظفين امريكيين رفيعي المستوى، "جملة" من وسائل الضغط على اسرائيل: اعلان "اعادة تقييم" تجمد اثناءها المساعدة القائمة؛ عدم الاستجابة او التسويف في دراسة اي طلبات اسرائيلية اخرى للحصول على ضمانات حكومية من الولايات المتحدة، تلك الضمانات الضرورية لتجنيد مليارات الدولارات لتمويل استيعاب المهاجرين؛ اي خلق "صلة" بين حاجات الهجرة الهائلة الى اسرائيل، وبين الاستيطان في المناطق والمسيرة السلمية (وعلى اي حال فان اسرائيل هشة وحساسة للضغط الاقتصادي الامريكي اكثر من الفلسطينيين او سوريا)؛ محاولة تجنيد يهود الولايات المتحدة لممارسة ضغط على اسرائيل (يسود في الادارة احساس بالرضى من الطريقة التي استخدمت فيها مجموعة الضغط اليهودية لممارسة ضغط على شمير لحمله على ايجاد مشروع سلام ايار ١٩٨٩)؛ واخيرا، "تدويل" المشكلة، اي، تسليمها الى مجلس الامن، في ظل ممارسة دور قيادي امريكي في المجلس.

ان خيار "التدويل" جدير بوقفه قصيرة، ذلك ان هناك بضعة ادلة تشير الى ميل الرئيس بوش الشخصي لاتخاذ خطوة كهذه. وقد سبق ان اشرنا الى ان السعي الامريكي الدراماتيكي نحو "مؤتمر اقليمي" او "مؤتمر سلام" يحمل طابع بوش اكثر مما يحمل طابع بيكر، الذي يفضل بطبيعته المسيرة التدريجية. ويقدر عدد من كبار الموظفين في الادارة، وكذلك زعماء يهود، بان بوش مؤهل لان يتجه نحو خيار كهذا، اذا ما توصل الى استنتاج بان المسيرة تتفسخ وان الزمن ينفد، قبل تحقيق "شباك الفرصة" التاريخية الذي فتحه بخطواته الناجعة في الخليج. وقد وصف هذا الميل لدى بوش في بداية اذار ١٩٩١، رئيس طاقم البيت الابيض، جون سنونو على النحو التالي: "اعتقد ان الرئيس يريد حلا شاملا. ولا اعتقد انه معني بخطوات مرحلية بقدر ما يسعى الى حل شامل (١٨). وفي نفس الوقت ابدى بوش هو الاخر استعداده للنظر في "مؤتمر سلام" او فكرة جديدة واكثر جرأة... وتساهم في ذلك الحيوية الجديدة للامم المتحدة؟ (١٩) وللوهلة الاولى، فان سيناريو متطرف ينقل بوش بموجبه امر معالجة النزاع الى مجلس الامن، حيث تملك الولايات المتحدة مكانة سائدة، يبدو كامكانية ذات معقولية منخفضة، رغم انه يتلاءم بقدر ما ومميزات طبيعة بوش ومضمون ملاحظاته، وعلى الرغم من ان التلميحات - التهديدات في هذا الاتجاه قد فندتها حاشية بيكر لدى زياراتها الى المنطقة. ومثلما عبر موظف كبير يشارك في رسم السياسة الامريكية، فانه فقط اذا ما ناور شمير على طريقة صدام حسين، فسيتوجه بوش الى هذا الخيار". واضافة الى ذلك، فانه حتى العناصر الاكثر اعتدالا من "جملة العقوبات" الامريكية - تلك التي من شأنها ان تستخدم ضد الرفض الاسرائيلي في موضوع المناطق - بوسعها ان تلحق باسرائيل ضررا كبيرا، لا سيما على ضوء المصاعب الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية المتوقعة نتيجة مصاعب استيعاب المهاجرين. وهذا، فضلا عن النتائج السلبية الاقليمية لغياب مسيرة سلمية: التحول التدريجي لاسرائيل الى دولة ثنائية القومية، وتشجيع العرب للتوجه الى التسلح المتجدد، واخيرا الحل الحربي.

وفي ظل غياب مسيرة سلمية، هذا ما سيكون من نصيبنا حتى ولو امتنعت الولايات المتحدة على الاطلاق من ممارسة

الضغط على اسرائيل. وبالمقابل، فان وجود المسيرة، مثلما بدأت تتبلور في الاشهر التي تلت حرب الخليج، يبشر بالامل المعقول بتحقيق اهداف السلام بين اسرائيل والعرب، وكذلك بالحفاظ على علاقات سليمة بين اسرائيل والولايات المتحدة.

ملاحظات ومراجع.

١- هذا الفصل يستند في غالبيته الى جملة واسعة من المحادثات والمقابلات مع شخصيات على صلة بالمسيرة، بمن فيهم موظفون كبار في الادارة الامريكية، واعضاء كونغرس امريكيون، وباحثين ودبلوماسيون مصريون وسوفييت وغرب اوروبيين، وفلسطينيون ذوي مكانة مرموقة، وبالطبع قوس واسع من الاسرائيليين في الحكومة وخارجها. وبسبب الطموح لخلق "تكامل للاراء والمواقف التي استمعنا اليها، وكذلك لحساسية جزء من المصادر، فلن نذكر في الغالب هذه المصادر باسمائها.

٢- هآرتس ١٩٩١/٤/٣.

٣- محادثات خاصة مع مراقبين مصريين، اذار ١٩٩١.

٤- شهادة في اللجنة الفرعية لمجلس النواب لشؤون اوروبا والشرق الاوسط ادلى بها جون كيلي، مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الادنى وجنوب اسيا، USIS Official Text ٧٩٩١/٣/٢٠.

٥- الناطق بلسان وزارة الخارجية ريتشارد باوتشر، تقرير للصحفيين، USIS Official Text ١٩٩١/٣/١٩

٦- بيكر في "اسبوع مع ديفيد برنكلي"، USIS Official Text ١٩٩١/٣/١٧.

٧- بيان مشترك بيكر - بسمارتنخ، USIS Official Text، ١٩٩١/١/٢٩.

٨- نائب وزير الدفاع Hughes للجنة الفرعية في مجلس النواب لشؤون اوروبا والشرق الاوسط، USIS Official Text، ١٩٩١/٣/٢٠.

٩- الوزير دان مريدور، محاضرة في "يوم ددو"، جامعة تل ابيب، ١٩٩١/٥/٧.

١٠- تقرير خلفية للصحفيين، القدس، ١٩٩١/٤/٩.

١١- تبادل رسائل بين بوش وشمير، معاريف ١٩٩١/٦/١٠.

١٢- اقوال امام كتلة الليكود في الكنيست، ١٩٩١/٢/٢٥، مثلما نشرت في الاخبار وفي الجيروزاليم بوست، ١٩٩١/٢/٢٦.

١٣- انظر مقال المؤل The Gulf Crisis : "Iraq Escalates", Middle, East Military Balance 1989 - 90, ed. Joseph Alpher (Boulder, Co: Westview, 1990).

١٤- مقابلة مع دان مريدور، يديعوت احرونوت ٩١/٣/٢٩.

١٥- موظف اردني كبير، محادثة شخصية، منتصف اذار ٩٩١، انظر تصريحات الملك في مقابلات ومؤتمرات صحفية في اذار - نيسان ١٩٩١.

١٦- مقابلة مع New York Times, Judith Miller، ١٩٩١/٣/١٢.

١٧- رسائل شمير وبوش، معاريف ١٩٩١/٦/١٠.

١٨- برنامج افانس ونوفيك، CNN, USIS Official Text, 2.3.91.

١٩- مؤتمر صحفي، USIS Official Text،٩١/٣/١.

الفصل الثالث عشر

امكانية بدء مفاوضات هادفة بين سوريا واسرائيل

بقلم: ارييه شليف

ان بحث امكانية اجراء مفاوضات هادفة بين سوريا واسرائيل حاليا، بعد حرب الخليج، يتطلب فحص مجموعتين من العوامل: المجموعة الاولى تشمل الاعتبارات الاساسية لكلا الطرفين، اي - الاعتبارات التي تدفع باتجاه الامتناع عن اجراء مفاوضات لعقد تسويات سياسية بينهما، وفي المقابل، الاعتبارات المؤدية لاستنتاج عدم وجود طريق سوى اجراء هذه المفاوضات. والمجموعة الثانية هي تقديرات تأثيرات حرب الخليج. ثم فحص كلا مجموعتي الاعتبارات وعرض التقدير الاجمالي.

مجموعة الاعتبارات الاساسية.

يصعب تقدير امكانيات بدء واجراء مفاوضات هادفة بين اسرائيل وسوريا من اجل عقد تسوية سياسية بينهما. توجد مصلحة اساسية مشتركة لازالة مخاطر الحرب وعدم التعرض للاتهام بتخريب التسوية السياسية، وبالمقابل يوجد لكل من الدولتين اعتبارات ثقيلة الوزن تدعوها للامتناع عن تغيير الوضع القائم. احد هذه الاعتبارات هو الثمن الذي يطلب من كل دولة ان تدفعه: اسرائيل - يطلب منها اعادة مناطق وازالة مستوطنات. وسوريا يطلب منها الغاء النزاع مع اسرائيل، اي التسليم بوجودها.

قبل فحص اعتبارات كل من سوريا واسرائيل، يجدر التأكيد، انه على الرغم من موافقة سوريا في اواسط تموز ١٩٩١ على اجراء مفاوضات مع اسرائيل في مؤتمر اقليمي، الا ان هضبة الجولان والعلاقات الثنائية بين الدولتين ليست، على ما يبدو، ذات افضلية عالية على جدول الاعمال الوطني لكلا الدولتين. من خلال المحادثات التي اجراها المؤلف مع خبراء للشؤون السورية في غربي اوروبا والولايات المتحدة واسرائيل، وكذلك مع عدد من السوريين، يستدل ان الافضلية الوطنية الاولى لدى النظام السوري (بعد طموحه في النجاة) هو الرغبة بتحويل سوريا الى دولة عظمى على مستوى اقليمي والهيمنة على شرق البحر المتوسط.

رأي باتريك سيل، الذي الف كتابا اساسيا عن الرئيس الاسد وهو خبير للشؤون السورية، ان الافضلية الوطنية الاولى لدى سوريا ليست هضبة الجولان (١). حسب كلامه ان لبنان اكثر اهمية بالنسبة للاسد. وحسب رأي البروفسور اتمر ربينوفيتش، الخبير القديم للشؤون السورية، ان مشكلة العراق تزعج الاسد اكثر كثيرا من هضبة الجولان (وان كان ذلك اقل حاليا بعد حرب الخليج). وحسب كلامه، ان الطموح المركزي للنظام السوري هو تحويل سوريا الى دولة عظمى على مستوى اقليمي، عضو في الصف الاول للدول العربية (٢).

مع ان استمرار سلطة اسرائيل في هضبة الجولان، هو امر سلبي جدا بالنسبة لسوريا، لكن هذا الموضوع لم يتحول الى هدف وطني يتطلب تغييرا على المدى القريب.

كذلك بالنسبة لاسرائيل، لا يعتبر عقد تسوية سياسية مع سوريا في مكان عال على جدول اعمالها الوطنية. ان استيعاب الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي وتحقيق القدرة على الصمود والردع هما الموضوعان الموجودان على رأس سلم الافضليات (وان كانت التسوية مع سوريا قد تؤثر ايجابيا على هذين العنصرين).

تواصل السلطة الاسرائيلية تعميق سيطرتها في هضبة الجولان، ولا تتعرض لاي شكل من اشكال الضغط للبحث عن

تسوية متقدمة عن التسوية القائمة ("اتفاقية فصل القوات") مع سوريا. ان السلطة الاسرائيلية تعتبر الوضع القائم مع سوريا امرا مرغوبا به. وتسمع اراء تقول، انه وان كانت سوريا هي مفتاح توسيع السلام مع دول عربية، لا داعي للسعي حاليا الى سلام معها، ولا يقتصر السبب على الثمن الذي ينطوي عليه هذا السلام. انما يوجد اساس من عدم الثقة بسوريا بشكل خاص، وبامكانية بقاء اتفاقيات السلام مع دول عربية غير ديمقراطية بشكل عام.

وحسب هذا الراي، ان الفجوة بيننا وبين العالم العربي لا يقتصر سببها على العداء، وانما بسبب طابع الانظمة العربية ايضا. وبالتالي، عندما يتطور نظام حكم ديمقراطي في سوريا والدول العربية الاخرى، ينشأ مجال لتحقيق سلام معها، لان هذه الدول لا يمكن ان تميل الى حل النزاعات بالطرق السلمية الا اذا كان نظامها ديمقراطي، وحينذاك تكون الفرصة اقوى للمحافظة على السلام، وان كان الغاء التسوية السلمية يعتبر مخاطرة حقيقية قائمة من قبل نظام دكتاتوري(٣). وهناك عدد غير قليل في اسرائيل يرون ان الهدف الوطني لاسرائيل على المدى القريب يجب ان لا يكون سلاما مع الدول العربية، بل استمرار حالة اللاحرب، بردع سوريا والدول العربية الاخرى عن مهاجمة اسرائيل (٤).

حتى اصحاب الافكار الاكثر اعتدالا، يعترفون بوجود مخاطر بالنسبة لاسرائيل في حالة انتقالها من تسوية "فصل القوات" المستقرة نسبيا والمستمرة (منذ ١٧ سنة) الى تسوية سلمية، ويعتقدون ان سوريا اقل جودة للسلام من مصر. وحسب هذا الخط الفكري، هناك عنصران في مصر يساعدان في المحافظة على السلام مع اسرائيل: اولا، ان دولة مصر اكثر مدنية من الدول العربية الاخرى. والسبب الثاني تعلق مصر بالولايات المتحدة. هذان الشرطان ليسا قائمين بالنسبة لسوريا. وبالتالي ان اي تسوية مع سوريا تنطوي على مغامرة اكبر مما تنطوي عليها التسوية مع مصر. (٥).

في البداية نفحص تشكيلة الاعتبارات الاساسية السورية ثم الاسرائيلية. ولا تقتصر المسالة على ما تقبله القيادة السورية الحالية، وانما ما يقبله الشعب السوري ايضا بشكل عام (بموجب ما تتاح معرفته).

الاعتبارات السورية الاساسية للمعارضة

الايديولوجية. ترفع سوريا منذ سنوات طويلة راية الوطنية والقومية العربية، وفي مركزها رفض اسرائيل والصهيونية. وينبع ذلك قبل كل شيء من ايديولوجية صرفة تقريبا، كما يشكل وسيلة لأخذ دور الأخ البكر في العالم العربي، وتقوية مكانة طائفة الاقلية العلوية المسيطرة على الدولة. ان الحل الوسط مع اسرائيل (ومن الواضح لسوريا انها اذا فاوضت ستضطر لقبول الحل الوسط) يتناقض مع الخط الايديولوجي لسوريا. لكن شخصية الاسد تعدل من هذا الاعتبار، لانه حسب تقدير الاشخاص الذين يعرفونه ليس عقائديا، واعتباره الاساسي هو مصلحة سوريا، فاذا وصل الى استنتاج بان المفاوضات مع اسرائيل تشكل مصلحة لسوريا، فانه سيقوم بذلك رغم الناحية العقائدية. الا ان الناحية العقائدية قد تؤثر عليه ليعدل على تحقيق انجازات بالمفاوضات تبرر التغيير على المستوى الداخلي.

ينبع من الناحية العقائدية، اولا: الفرضية الاساسية الدائمة لحكام سوريا، بان النزاع مع اسرائيل هو اساسي وثابت، "ولما كان النزاع على الوجود... فانه نزاع بين ارادتين، مصيرين". (٧). وكما قال الرئيس الاسد: "غالبيتنا نعتقد ان النزاع بيننا وبين الصهيونية هو صراع مصيري". (٨) حتى ان الاسد قد حدد بان النزاع ليس على الحدود، بل هو قومي شامل، اي ضد وجود اسرائيل. ويقول "ان الصراع قومي عربي... وليس لنا (للسوريين) مشاكل وطنية اقليمية في اطار الصراع ضد العدو". (٩).

ثانيا: ان العداء لاسرائيل هو [illegible] اسرائيل اكثر من سوريا، وتكره الاسرائيليين اكثر من بلادنا. (١٠). وفعلا يمكن القول ان سوريا تعادي اسرائيل اكثر من اي دولة عربية تحدها. ولكن تجربة الماضي البعيد تبين ان ذلك لا يعني عدم اجراء تسويات مع اسرائيل.

اسرائيل - خطر على وجود الدول العربية. ان الاسد والكثيرين في سوريا يعتبرون اسرائيل دولة وكيانا عنصريا توسعيا، وتشكل اسرائيل خطرا كامنا بشكل دائم للعالم العربي. وبالتالي فان مواجهة اسرائيل امر ضروري لاضعافها وتحجيمها الى درجة لا تشكل خطرا. يكرر الاسد التعبير عن ضرورة المواجهة بقوله: "ان المواجهة مع اسرائيل ليست حسب اختيارنا. نحن نواجه كيانا عنصريا عدوانيا يعمل على تشكيل اسرايل الكبرى من النيل الى الفرات. انها خطر شديد قائم امامنا كل يوم... يجب علينا ان نواجهها ونمنعها من تحقيق اهدافها". (١١). ويمكننا ان نربط بذلك خشية سوريا بان اسرائيل تريد تصفيتها (١٢). وايمان سوريا بان اسرائيل لا تريد السلام. (١٣). وان "السلام العادل" يتناقض مع مصلحة اسرائيل. (١٤).

حتى ان الرئيس السوري اضاف: "ان غاية اسرائيل التوسعية تجاه العالم العربي تشكل خطرا على الوجود والارض والحقوق والارادة العربية..." (١٥). وانها لديها رغبة قوية "بالتوسع من النيل الى الفرات، ويجب ان لا ينسينا ذلك، ادعاؤها الفارغ برغبة السلام". (١٦). ويستنتج من ذلك انه لا المفاوضات ولا قبول اسرائيل كدولة في الشرق الاوسط يقلل من هذه المخاوف الشديدة. بل على العكس، انها ستضعف العرب وتساعد اسرائيل على التوسع، وبالتالي فان الطريق الوحيد هو مواجهتها.

اسرائيل - عقبة في طريق الطموحات الاقليمية لسوريا. غاية السلطة السورية ليست مجرد المحافظة على النظام والدولة ضمن حدود سوريا، لسوريا مصلحة هامة بان تكون في مقدمة القوى في "سوريا الكبرى"، وهي تشمل لبنان والاردن وفلسطين. لو وافقت اسرائيل ان تمنح سوريا هذه المكانة، كأن تستعد للتفاوض معها على اعتبار انها تمثل دول المشرق (شرق البحر المتوسط)، حول تسوية سياسية، لتوفرت امكانية موافقة سوريا على التفاوض. ولكن حسب وجهة نظر سوريا، غاية اسرائيل منع سوريا القيام بدور رئيسي في المنطقة، لانها تعتبر سوريا دولة عسكرتارية وقومية. وبالتالي فان مجرد وجود اسرائيل، التي تحد سوريا ولبنان والاردن، قلل في الماضي فرصة سوريا ان تقوم بدور مركزي في المشرق (مثلما حصل سنة ١٩٧٠ عندما قامت قوات سورية بغزو شمالي الاردن)، ولا بد ان يكون الامر كذلك في المستقبل ايضا.

ولذلك، ان التفاوض لتحقيق تسوية سياسية بين اسرائيل وسوريا يقوي اسرائيل ويعمق جذورها ويمس بالتطلعات الاقليمية السورية.

الاعتبار السوري الداخلي. ما مدى تاثير هذا الاعتبار على اهتمام سوريا بتصفية النزاع مع اسرائيل - او المحافظة عليه؟ حسب راي سمعه المؤلف من شخص اكاديمي سوري (مسلم سني). (١٨)، طالما ان الاقلية العلوية تحكم الغالبية المسلمة في سوريا، فان حالة الحرب تحافظ على حكم هذه الاقلية، وتبرر القيود الكثيرة التي يضطر السكان ان يقبلوها على انفسهم. لذلك ان السلطة السورية ليست معنية بالسلام مع اسرائيل، لانه يؤدي الى تغيرات داخلية في سوريا (او يكون شرطا لهذه التغيرات)، ومن هذه التغيرات اضعاف العلويين وتقوية مكانة السنيين وانفتاح الدولة امام الدمقرطة. (١٩). وحسب وجهة النظر هذه ان وجود النزاع مع اسرائيل امر ايجابي بالنسبة للنظام السوري.

وحسب رأي اخر سمعه المؤلف من شخص اكاديمي سوري آخر (هو ايضا سني). (٢٠)، لم تعد السلطة السورية تنجح بالمحافظة على النزاع مع اسرائيل، لانم يعد هذا النزاع ورقة قوية بيد السلطة تجاه السكان. وبالتالي، لا تستفيد السلطة السورية من استمرار النزاع مع اسرائيل لسيطرتها الداخلية. وعبر باتريك سيل عن رأي مماثل بقوله: انه لاسباب داخلية، ليس للسلطة حاجة بالمحافظة على النزاع، المؤدي لتوترات ومصاعب (اقتصادية وغيرها) لسوريا. (٢١).

وحسب رأي كاتب هذه السطور، ان سوريا لم تصل بعد (لاسباب عقائدية وغيرها) الى مرحلة الاستعداد لتصفية النزاع العربي - الاسرائيلي. احد التعبيرات لذلك، ان الزعماء السوريين يكررون الاعراب عن استعدادهم للتوصل الى تسوية ذات

طابع عسكري مع اسرائيل، انهاء حالة الحرب (اذا إستجابت اسرائيل لكل طلباتهم)، ولكنهم غير مستعدين لانشاء علاقات سلام (تبادل سفراء، تجارة، حدود مفتوحة، وما شابه ذلك). يبدو ان النزاع العربي - الاسرائيلي يعتبر احد الوسائل، وان كان اضعف من السابق، بيد الاقلية العلوية للسيطرة على الاغلبية السنية والحيلولة دون خطوات احلال الديمقراطية.

السلطة السورية لا تشعر بالحاجة العاجلة لاستعادة هضبة الجولان. لديها نفس طويل في هذا المجال. وذلك على عكس الخط الذي اتبعه ناصر والسادات تجاه سيناء. لم يعط الاسد لهضبة الجولان افضلية عليا بالنسبة للدولة، ولم يعتبرها مشكلة ملحة وتحتاج لحل عاجل. وهذا الموضوع ليس من المواضيع ذات الافضلية الوطنية من الدرجة الاولى. تسبقه مواضيع لبنان والعلاقة مع العراق ومكانة سوريا في المشرق والوضع الاقتصادي والاجتماعي داخل سوريا، وان كانت هذه المواضيع لها صلة بموضوع هضبة الجولان، لذلك ان سوريا مضطرة حاليا، لاتخاذ قرار للعمل بالطريق العسكري او السياسي (او كلاهما معا)، مع ما يرافق ذلك من مخاطر كبيرة، لاستعادة هضبة الجولان، وحسب تقدير السوريين انهم بنوا لانفسهم قدرة عسكرية دفاعية، ولا يوجد خطر كبير في حالة مبادرة اسرائيل لشن هجوم على سوريا.

السوريون على علم بالعزلة السياسية لدولتهم في العالم. مع ان موقف سوريا خلال ازمة الخليج ساعدها على تحسين علاقاتها مع مصر والسعودية وحتى مع الولايات المتحدة. كما ان التغيرات التي طرأت على الاتحاد السوفييتي، على الصعيد الداخلي وعلى صعيد السياسة الخارجية، تعني ان دمشق ليس بامكانها ان تحصل على دعم سوفييتي كاف، حتى في حالة الدخول في مفاوضات حسب النموذج السوفييتي الذي سوريا مستعدة له (مؤتمر دولي)، وبنفس الوقت لم يطرأ تحسن اساسي على علاقات الولايات المتحدة مع سوريا، بحيث تأمل سوريا بدعم الولايات المتحدة خلال المفاوضات. معنى ذلك ان سوريا لن تتمكن من تحقيق اهدافها: انسحاب اسرائيلي من كل هضبة الجولان ومن المناطق المدارة، وحل المشكلة الفلسطينية (لان سوريا لها موقف مركزي تجاهها)، مقابل اتفاقية انهاء حالة الحرب فقط.

الطريق السياسي غير كاف. ظلت القيادة السورية تعتقد ان اسرائيل غير مستعدة للانسحاب من الضفة الغربية وهضبة الجولان. (٢٢). اوضح وزير الدفاع السوري ان الاسرائيليين "لن يقدموا لنا المناطق على طبق من فضة".(٢٣) في مفاوضات سياسية، ولا يمكن تحقيق الهدف السوري الا باستخدام القوة العسكرية. وبالتالي لا داعي للدخول في مفاوضات لا تسفر عن نتائج ايجابية، طالما ان المفاوضات بحد ذاتها يعتبرها السوريون تنازلا سياسيا من جانبهم. تعرف سوريا انها اذا دخلت في مفاوضات مع اسرائيل لا يمكنها ان تحقق كل اهدافها المرحلية (انسحاب اسرائيلي من هضبة الجولان، ويهودا والسامرة وغزة مقابل انهاء حالة الحرب)، ويكون عليها ان تقدم تنازلات لايجاد حل وسط.

الاعتبارات السورية الاساسية التي لصالح المفاوضات

غياب او على الاقل الابتعاد عن قدرة الوصول الى الامكانية الهجومية (بواسطة "التوازن الاستراتيجي").

طرح الرئيس الاسد عبارة "التوازن الاستراتيجي" [illegible] سنة ١٩٧٤، عندما تحدث عن ضرورة تكافؤ القوة العسكرية للدول العربية مع قوة اسرائيل. وفي نهاية السبعينات، بعد توقيع اتفاقية السلام الاسرائيلية المصرية (آذار ١٩٧٩)، طور الاسد وجهة نظر جديدة، تحرز بموجبها سوريا هذا الهدف لوحدها، وتصل الى تكافؤ قوتها العسكرية مع اسرائيل.

ان التوازن الاستراتيجي مطلوب لسوريا حتى تتمكن لوحدها ان تواجه اسرائيل، وتنجح في تغيير الوضع القائم.

والتوازن الاستراتيجي حسب رأي الاسد ثلاثة اهداف:

الهدف الاول: توفير الامكانية لسوريا ان تقف لوحدها وبنجاح ضد اي هجوم اسرائيلي. وحسب تقديرات السوريين ان هذا الهدف قد تحقق قبل سنوات. فلقد قال الاسد سنة ١٩٨٦: "اذا هوجمنا لدينا الامكانية للدفاع عن انفسنا" (٢٤). وبعد ذلك بثلاث سنوات اضاف نائب الرئيس عبد الحليم خدام: "لقد وصلنا الى النقطة التي تفهم عندها اسرائيل انها لا تستطيع القيام بمغامرة بدون ان تاخذ بالحسبان القدرة الدفاعية السورية". (٢٥).

الهدف الثاني: من المفروض ان يوفر التوازن الاستراتيجي لسوريا مركز قوة يمكنها من تحقيق التسوية السياسية التي ترغب بها. عبر الرئيس الاسد عن ذلك بقوله: "بدون تحقيق هذا التوازن بيننا وبين اسرائيل سيصعب علينا تحقيق السلام". (٢٦) كما قال "كل من يريد ان يرى سلاما عادلا (اي حسب شروط سوريا) في المنطقة، فليقتنع بضرورة سيادة التوازن الاستراتيجي في المنطقة". (٢٧). حسب هذا النهج، ان مرحلة التوازن الاستراتيجي يجب ان تسبق مرحلة المفاوضات، حتى يتوفر لسوريا مركز قوة ومساواة خلال اجراء المفاوضات. كذلك يعتبر التوازن الاستراتيجي شرطا مسبقا لتتمكن سوريا ان تدخل في المسيرة السايسية وتحقق اهدافها بالمفاوضات.

الهدف الثالث للتوازن الاستراتيجي: هو التوفير لسوريا امكانية هجومية حتى تحرر هضبة الجولان والمناطق المدارة بالقوة، اذا لم يكن مجرد توفر التوازن الاستراتيجي غير كاف لاجبار اسرائيل على قبول الشروط السياسية لسوريا، وكان وزير الدفاع السوري قد عبر عن مفهوم تركيز القوة الهجومية بقوله: "لا يمكن تحرير الاراضي المحتلة الا بالعنف". (٢٨) واضاف وزير الاعلام السوري: "نريد ان تكون سوريا قادرة على تحقيق النصر وتحرير الاراضي العربية المحتلة". (٢٩).

تعرف سوريا منذ سنوات ان تحقيق التوازن الاستراتيجي مشروط قبل كل شيء بقيام الاتحاد السوفييتي بتزويد سوريا بالكمية المطلوبة من الاسلحة النوعية. وكان الاسد قد ذكر ذلك سنة ١٩٤٥: "ان التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل يمكن تحقيقه بتسليح سوريا". (٣٠) واضاف وزير الدفاع: "طالما ان... الاتحاد السوفييتي يزودنا بالسلاح لن نتوانى عن محاربة اسرائيل". (٣١).

ان الجهود المتواصلة التي بذلتها سوريا لتحقيق التوازن الاستراتيجي قد ادت الى زيادة حدة المصاعب الاقتصادية في الدولة، حتى انها ادت الى تقليص مؤقت لحجم القوات سنة ١٩٨٧. ورغم ذلك واصلت سوريا جهودها في هذا الاتجاه بسبب اهميته الوطنية لسوريا. وهناك من يقول انه قبل التغيرات الاساسية التي طرأت على السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، وقبل غروب مكانته كدولة عظمى، كان واضحا للرئيس الاسد، انه غير قادر على تحقيق هدف التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل، لانه كل ما يقترب لتحقيقه، تحصل اسرائيل من الولايات المتحدة على وسيلة قتالية نوعيتها اعلى مما لدى سوريا، مما يحبط الجهود السورية. وعلى هذا الاساس، اكتفى الرئيس الاسد حاليا بقدرة الردع ازاء اسرائيل. (٣٢).

على اية حال، ان التغير الذي طرأ على موقف الاتحاد السوفييتي، بما في ذلك موقفه العلني تجاه فكرة التوازن الاستراتيجي، قد ابعد بلا شك امكانية تحقيق سوريا لقدرة هجومية تمكنها من شن حرب لوحدها ضد اسرائيل. ولقد اعلن سفير الاتحاد السوفييتي في دمشق سنة ١٩٨٩ عن معارضة بلاده للعنصر الهجومي الذي تتضمنه فكرة التوازن الاستراتيجي، لانه لا يتناسب مع السياسة الخارجية السوفييتية الجديدة. (٣٣). واقترح الاتحاد السوفييتي آنذاك على سوريا العمل لتحقيق "توازن المصالح" (اي تسوية سياسية) مع اسرائيل، بدلا من "التوازن الاستراتيجي".

ومن ناحية القيادة السورية - ان فقدان الخيار العسكري يعني عدم القدرة على تغيير الوضع القائم ويعني استمرار السيطرة الاسرائيلية وتعميق جذورها في هضبة الجولان. لذلك يطرح خيار اخر، رغم قيوده الكثيرة، وهو خيار السير على طريق السادات، اي طريق المفاوضات من اجل استعادة هضبة الجولان.

الزمن السياسي لا يعمل لصالح سوريا. وان كانت سوريا غير مضغوطة لاستعادة هضبة الجولان خلال فترة زمنية قصيرة، الا انه مع مرور الزمن تزداد صعوبة تحقيق تنازل من اسرائيل عن الهضبة، وتعمل اسرائيل

حاليا على اسرائيلها - تخلق وقائع على الارض وتعمق جذور سلطتها (مع ان الجهود الاسرائيلية الاساسية موجهة الى يهودا والسامرة). وطالما انه ستمر فترة زمنية اخرى بدون قيام سوريا بهجوم لتحتل هضبة الجولان او اجزاء منها، توجد امكانية لان تفكر سوريا ان لا تؤجل كثيرا دخولها في المفاوضات، لانه مع مرور الزمن بدون تغير اساسي على الوضع، ستضطر سوريا ان تقدم تنازلات اكثر في المفاوضات للتصول الى حل وسط.

مصاعب اقتصادية جدية. ساء وضع الاقتصاد السوري في اواسط الثمانينات، فواجهت سوريا مصاعب كبيرة، والاسباب الاساسية لذلك هي:

السبب الاول: التخفيض الكبير الذي طرأ على المساعدات العربية الى سوريا. كان التعهد في قمة بغداد سنة ١٩٧٩ ان تكون المساعدة العربية لسوريا ١,٨٥ مليار دولار سنويا. الا ان ما حصلت عليه في العقد الماضي هو نصف التعهدات، وينخفض المبلغ سنويا..

السبب الثاني: اصيبت سوريا بالقحط، وتشكل الزراعة خمس انتاجها الوطني.

السبب الثالث: وجود نسبة عالية من التكاثر الطبيعي (٣٪ سنويا)، اي زيادة ٤٠٠ الف مولود سنويا. ويحتاج الصمود امام تكاليف هذا النمو السكاني الى مساعدة مالية. وفي نفس الوقت زادت تطلعات السكان وزادت الخشية من انخفاض مستوى المعيشة، وتخشى البلطة السورية من ان تقوم قوى المعارضة باستغلال المصاعب التي يواجهها السكان استغلالا سياسيا، او ان تنظم احتجاجات جماعية.

السبب الرابع: ميزانية الامن. ان الجهود المستمرة لتحقيق توازن استراتيجي مع اسرائيل يشكل عبئا كبيرا جدا. شكلت ميزانية الامن سنة ١٩٧٥ نسبة ٥٥٪ من الميزانية الجارية عدا المشتريات، اي حوالي ثلث الميزانية (بما في ذلك التطويرات) من ناحية حقيقية. وفي السنتين ٨٦ - ١٩٨٧ اضطرت سوريا ان تجري تخفيضا حقيقيا بنسبة ٢٠٪ من ميزانية الامن. بالاضافة الى ان الاتحاد السوفييتي يطلب حاليا (لاسباب اقتصادية) دفع ثمن كل ما تشتريه سوريا، وهذا ما يصعب على سوريا. ومع الزمن، سيكون من المشكوك به ان تتمكن سوريا من مواصلة جهودها، وتتحمل المصاعب الاقتصادية، الا اذا حصلت على تمويل لهذا الغرض. لو ان سوريا تخفض ميزانية الامن والجيش يتحسن وضعها الاقتصادي. وبامكان هذا العنصر ان يكون عاملا مؤثرا (خاصة في حالة التردي المتواصل للوضع الاقتصادي) باتجاه التسوية السياسية مع اسرائيل.

احتمال استنتاج تقليد جهود سابقة لتحسين الوضع الداخلي. في الماضي البعيد (في سنتي ١٩٥١ - ١٩٥٣) في عهد سلطة الشيشكلي في سوريا، جرت مفاوضات سرية بين سوريا والولايات المتحدة من اجل تحسين العلاقات بينهما، وابدت القيادة السورية استعدادا ما بلغ حد "عمل سلام مع اسرائيل".(٣٤). مع التوضيح بان القصد هو انهاء حالة الحرب. وهناك نقطة اخرى لها صلة بالموضوع قد تتكرر في المستقبل، وهي تفسير الشيشكلي لاهتمام سوريا بالتسوية مع اسرائيل، من اجل "ازالة المسالة الاسرائيلية عن جدول الاعمال السياسي السوري". (٣٥). اي ازالة خطر وقوع مواجهة عسكرية مع اسرائيل، ونقل التركيز من الامن الى تحسين الوضع في سوريا وتحسين شروط حياة السكان. وان كان من المشكوك به ان يحصل هذا التغير في عهد الرئيس الاسد، الذي يركز نظامه على السياسة الخارجية وليس على السياسة الداخلية. الا ان هذا التغيير لا يستبعد امرا ممكنا بعد فترة زمنية اطول، فيؤثر ايجابيا على اهتمام سوريا بالاعتدال، وحتى بتسوية نزاعها مع اسرائيل.

توسيع حرية العمل في لبنان. لا بد ان القيادة السورية تدرس فيما اذا كان اجراءها لمفاوضات مع اسرائيل حول تسوية سياسية لهضبة الجولان، يمكنها من توسيع حرية عملها في لبنان ولكن من المشكوك به جدا، من

معرفة عدم امكانية التوصل الى تسوية سياسية منفردة مع سوريا. طالما ان مناطق يهودا والسامرة وغزة تحت سيطرة اسرائيل، عبر وزير الخارجية السوري عن ذلك في ٨ شباط ١٩٩١، وقال ان تسوية المشكلة الفلسطينية مرتبط بانسحاب اسرائيل من المناطق العربية المحتلة وتوفير الحقوق الوطنية الشرعية الفلسطينية بموجب قرارات الامم المتحدة. (٣٨).

الاعتبارات الاساسية التي لصالح دخول اسرائيل في المفاوضات

لابعاد امكانية الحرب وتعميق اساس مكانتها في الشرق الاوسط، والعالم، يتطلب الامر من اسرائيل ان تسعى لتوقيع سلام مع دولة عربية اخرى بالاضافة لمصر.

لسوريا دور مركزي بتوسيع المسيرة السلمية. يمكن الاعتقاد ان الفلسطينيين لا يمكنهم عمل سلام مع اسرائيل بدون موافقة سورية. وبدون سلام بين سوريا واسرائيل لا يعقل ان يكون سلام بين اسرائيل والاردن او بين اسرائيل واي دولة عربية بعيدة (مثل السعودية والكويت). فاذا كان الهدف هو توسيع المسيرة السلمية، فان الامكانية الوحيدة المعقولة هي محاولة عمل ذلك مع سوريا على الرغم من المخاطر التي ينطوي عليها ذلك. فاذا تطورت علاقات سلمية مع سوريا سيكون لها تاثير ايجابي على علاقات اسرائيل مع باقي الدول العربية.

التجربة التاريخية تدل ان سوريا، وان كانت عنيدة جدا في المفاوضات، ولكن عندما تتعهد تلتزم بالاتفاق (مثل اتفاق فصل القوات منذ ايار ١٩٧٤ حتى الان).

ان المفاوضات مع سوريا قد تعزل م.ت.ف وتوفر لاسرائيل امكانية التفاوض لحل المشكلة الفلسطينية من مركز مساواة اكثر راحة. ولا يوجد ضمان بان تجري الامور هكذا، لان سوريا تصر على اجراء مفاوضات حول الموضوع الفلسطيني وان يمثل الفلسطينيين من يريدونه.

مشاكل المفاوضات مع سوريا اقل. امام اسرائيل من ناحية نظرية امكانية عمل، لبدء المفاوضات السياسية: اما مع سوريا واما مع الفلسطينيين (او معهما كلاهما بشكل متوازي). مشاكل التفاوض مع سوريا اقل لعدة اسباب. السبب الاول ان المفاوضات مع سوريا هي مفاوضات مع دولة عربية، وليس مع سكان يعارض الكثيرون في اسرائيل ان يحصل هؤلاء السكان على دولة (حتى لا تطمح مع الزمن بقضم اسرائيل).

السبب الثاني، صحيح ان مشكلة الحدود مع سوريا معقدة، الا ان مركباتها اقل من مركبات النزاع مع الفلسطينيين. سيكون النقاش حول الحدود مع سوريا، على ما يبدو، بين الحدود الدولية التي كانت بين سوريا وارض اسرائيل وبين خط الفصل الحالي شرقي هضبة الجولان، وما يحدد الموقف الاسرائيلي هو الاعتبار الامني والاعتبار الداخلي. ان تنازلا عن هضبة الجولان او جزء منها سيؤدي الى صراع داخلي شديد في اسرائيل، وسيشمل هذا الصراع موضوع الغاء القانون الاسرائيلي المفروض على هضبة الجولان منذ سنة ١٩٨١. بينما الصراع مع الفلسطينيين تتدخل فيه من كلا الجانبين اعتبارات وطنية ودينية وغيرها، وسيكون الاتفاق حولها اصعب كثيرا. السبب الثالث هو "مشكلة حق العودة"، التي ستكون مصيرية خلال المفاوضات حول الحل الكامل للمشكلة الفلسطينية، بالاضافة الى ذلك هناك مشكلة القدس، التي توجد تناقضات مطلقة حولها بين اسرائيل والفلسطينيين ولا توجد بين اسرائيل وسوريا مسائل مماثلة في صعوبتها.

على ضوء ما قيل اعلاه، من الافضل لاسرائيل ان تخوض مفاوضات لاجراء تسوية مع سوريا بدلا من المفاوضات لايجاد تسوية تامة مع الفلسطينيين، اذا كان الخيار بيد اسرائيل.

تأثير حرب الخليج: الاعتبارات السورية

حسب اعتقاد شخصيات في الادارة الامريكية، تتوفر الان الفرصة لجذب سوريا باتجاه المفاوضات مع اسرائيل وذلك للاسباب التالية:

اولا: منذ تموز ١٩٩٠ تغير نظام العلاقات في المنطقة، ويدرك الاسد انه من الافضل ان يكون داخل الاطار العربي وليس خارجه. ويرى الاسد في الادارة الامريكية الحالية ادارة تبدي اهتمام اكبر بمشاكله واحتياجاته، لذلك من الافضل له ان يدخل في مفاوضات تعد لها الادارة الامريكية الحالية، وهناك دلائل على اعتدال مواقف الاسد مثل اجراء مفاوضات تحت رعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي فقط وليس مؤتمر دولي.

وسوريا ليس فقط كانت ضمن التحالف مع الولايات المتحدة والدول الغربية في الحرب ضد صدام حسين بل هي التي مكنت، الى حد معين، من انضمام دول عربية الى هذا التحالف. ولولا الشرعية القومية التي منحتها لعملية التعاون العسكري والسياسي بين العرب والولايات المتحدة ضد دولة شقيقة (العراق) لكان من المشكوك فيه ان تنضم مصر والسعودية الى التحالف والسماح للولايات المتحدة ودول غربية بشن حرب وادارتها.

لذلك تستطيع سوريا ان تعتقد بانها تستحق رد الجميل من الولايات المتحدة وانها ربما تمتلك الفرصة للحصول على هذا الجميل الان، واكثر من الماضي، في مجال الصراع الاسرائيلي - السوري والاسرائيلي - العربي، وان الوقت الان مناسب للنظر في هذه الامكانية. ويضاف الى ذلك انه اذا بقيت قوات برية سورية في الخليج الفارسي، كتشكيلة مهمة في قوة الامن العربية فان الامر سيثير اهتمام الولايات المتحدة. والوجود السوري في الخليج سيؤدي كما يبدو الى استمرار التعاون الامريكي - السوري في هذه المنطقة.

ان سوريا، كما يبدو، تقرأ جيدا التغييرات التي طرأت على النظام العالمي وخاصة "غياب الاتحاد السوفييتي عن حلبة الشرق الاوسط". وعلى هذه الخلفية رغب الرئيس الاسد، حسب اقوال وزير خارجيته، باقامة علاقات جذرية اكثر وطبيعية اكثر" مع الغرب... وبالاساس مع الولايات المتحدة.(٣٩)، هذا شريطة توفر سياسة اكثر تفهما من جانب واشنطن تجاه دمشق (والمشكلة الفلسطينية)، اي من اجل تحقيق انجازات، بواسطة الولايات المتحدة في مسالة هضبة الجولان والمناطق المدارة.

من الجائز ان القيادة السورية تدرك ان الحرب لم تحولها الى دولة مرتبطة بالولايات المتحدة، وانه على الرغم من ان التزامات الولايات المتحدة تجاهها محدودة الا انها معنية بتحسين العلاقات مع سوريا واشراكها في المسيرة السلمية. بالاضافة الى ان انضمام سوريا الى التحالف الذي شن الحرب في الخليج الفارسي، واستمرار تعاونها مع دول عربية معتدلة، في اطار المحور المصري - السعودي ودول الامارات، ان كل ذلك يمكنها من العمل على تحسين علاقاتها وروابطها مع الولايات المتحدة. ومن الممكن ان تكون سوريا قد بدأت في خطوة مماثلة للخطوة التي قام بها السادات بعد حرب يوم الغفران، وهي الانعطاف (رغم انه بطيئا جدا وتدريجيا) عن التوجه السوفييتي باتجاه الولايات المتحدة. واذا ما تطورت مثل هذه الخطوة فمن الممكن ان يؤدي ذلك، مثلما حدث مع مصر، الى مفاوضات سورية - اسرائيلية ولو من اجل الحصول على مساعدات امريكية كبيرة قدر الامكان لتغطية الاحتياجات الاقتصادية السورية.

وفي مجال آخر، فان القضاء، لعدة سنوات قادمة على الاقل، على الخطر العراقي الذي شكل نظامه لسنوات، العدو الاساسي لسوريا، يمنح قدرا من حرية العمل السياسي للرئيس السوري في مسالة بدء المفاوضات مع اسرائيل وفي مسالة ادارة هذه المفاوضات ومضمونها.

وفي المقابل، من الجائز الافتراض ان الرئيس السوري معني الان بالعمل من اجل استعادة مكانته الهامة والمؤثرة في القيادة القومية العربية فيما يخص الصراع مع اسرائيل. وعلى الرغم من ان هذا الامر يتناقض مع التوجه لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وبالرغم من رغبته الحصول على مساعدة (اقتصادية وسياسية) الا انه من الصعب الافتراض انه سيكون مستعدا لتقديم تنازلات مبدئية بشان هذا الصراع. والوضع في لبنان يندرج تحت هذا الاتجاه، فقد نجحت سوريا في استغلال الوضع الذي نجم في الخليج الفارسي، حيث انه كان المهم بالنسبة للولايات المتحدة ومصر ان تبقى سوريا في اطار التحالف، كي تقوم بخطوة في لبنان (بالتنسيق مع حكومته الشرعية) تحوله عمليا الى دولة تابعة (بالتوقيع على اتفاقية الاخوة والتعاون المشترك في ايار ١٩٩١). وهذا انجاز واضح لسوريا وسيثبت المستقبل مدى استقراره. على اية

حال بدأ وضع جديد في لبنان امتاز بالارتباط مع سوريا والوقوع تحت التاثير السوري المتزايد، وبناء على ذلك يبدو ان هناك فرصة قليلة لان تكون سوريا معنية بعقد صفقة مع اسرائيل تحظى بموجبها من اسرائيل على مكانة في لبنان مقابل ان تمنحها مكانة في هضبة الجولان.

وثمة تحفظ اخر فيما يتعلق بالتقارب السوري - الغربي المرتقب ويستند هذا التحفظ الى اعتبارات اقتصادية: فعلى الرغم من ان الحالة الاقتصادية في سوريا صعبة الا انها ليست خطيرة مثلما كانت الحالة في مصر. كذلك يصعب جدا على القيادة السورية ان تقوم بانعطاف كامل، ايديولوجي، وعملي، في المجال الاقتصادي من الاتحاد السوفييتي الى الولايات المتحدة. ان المساعدة التي تتلقاها سوريا، وكما يبدو ستواصل الحصول عليها من السعودية، وبالاساس اذا استمر تواجد قوة عسكرية سورية في الخليج، يحررها الى درجة كبيرة من ضرورة (الامر الذي حصل مع مصر في نهاية سنوات السبعين) ان تقوم بالانعطاف الكامل باتجاه الولايات المتحدة (الانعطاف الصعب عليها لاسباب ايديولوجية ايضا)، الذي كان يلزمها بتقديم تنازلات سياسية كبيرة تشمل مسالة المفاوضات ومضمون التسوية مع اسرائيل.

يجب التأكيد ايضا على ان سوريا باستخدامها المبالغ الكبيرة التي تلقتها من السعودية في ١٩٩١ قد اعطت الاولوية للتسليح والاحتياجات العسكرية وليس لتحسين الحالة الاقتصادية في الدولة. لا شك انه بالاضافة الى تاثير التقديرات السورية بشان تعاظم القوة العسكرية الاسرائيلية ("باتريوت" و "حيتس") فان الامر يعبر عن الاهمية التي توليها سوريا للصراع مع اسرائيل، وربما ايضا تقديراتها بانه سيكون لزاما عليها خوض مواجهة سياسية مع هذا الموضوع في وقت قريب بسبب اهتمام الولايات المتحدة في بدء المسيرة السلمية. لذلك، تطلب الامر جهد سوري لتعزيز قوتها العسكرية كي تمسك بيدها ورقة قوة عشية المفاوضات اذا ما جرت. واستنادا الى النبأ الذي اوردته الديلي تلغراف من دمشق فقد تلقت سوريا من الصين ٣٠ قاذفة صواريخ وصواريخ ارض - ارض يصل مداها الى اكثر من ٦٠٠ كم وذهب وزير الدفاع السوري الى موسكو لشراء جهاز اسلحة الكترونية محكمة. (٤٠).

في المقابل، وفي المجال السياسي فان حرب الخليج لم تحول الهدف السوري باعادة هضبة الجولان الى مهمة عاجلة جدا، حيث ان طول النفس السوري في هذا المجال سيتواصل، ولا يبدو انه سيكون هناك ضرورة على المدى القريب، للقيام بتنازلات في التوجهات الاستراتيجية السورية تجاه اسرائيل والشرق الاوسط عموما. من هنا من الصعب الافتراض بان سوريا ستكون مستعدة لتقديم تنازلات لاسرائيل في مسائل جوهرية خلال المفاوضات السياسية معها. وبناء عليه، يجب ان لا نتوقع ليونة من جانبها في هذه المسالة بل ستتخذ مواقف صلبة من مبادئها.

ومع ذلك طرأ تغيير في التكتيك السوري بشان المفاوضات مع اسرائيل، وبدأ هذا التغيير قبل سنة او سنتين من حرب الخليج. حيث ان ضعف سوريا النابع من الصعوبات الاقتصادية والعزلة في العالم العربي وتعاظم قوة جارتها العراق، وضعف الاتحاد السوفييتي قد اثر على تغيير سياستها. وتجلى الامر في التحالف مع مصر والسعودية وفي بداية التقارب مع الولايات المتحدة والاعتدال التكتيكي فيما يتعلق بالمفاوضات السورية - الاسرائيلية. هكذا، مثلا، لينت سوريا، خلال السنوات الاخيرة موقفها من المطالبة بمؤتمر دولي مشروط الى اتفاق على مؤتمر غير مشروط ويبدو انها تستطيع الموافقة على انه من بين الدول العظمى الخمس تستطيع ان تشترك فقط اثنتان في المؤتمر (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي)، وبعد ان كانت ترفض قرارات مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ اصبحت تقبلهما.

ان حرب الخليج ونتائجها ليس فقط سببت في مواصلة هذه المسيرة بل في تعزيزها. فقد ادركت سوريا بعد حرب الخليج، ان هذا ليس الوقت المناسب لطرح مواقف متصلبة تكون سببا لتحميلها مسؤولية عدم بدء المفاوضات. لذلك، وجدت نفسها مضطرة الى ابداء ليونة تكتيكية معينة، غير انها حتى الان غير مستعدة لتليين مواقفها المبدئية.

وفي ذات السياق، فان انضمام سوريا الى المحور السعودي المصري، الذي تعزز منذ احتلال العراق للكويت (آب ١٩٩٠) فيه ما يشير الى اعتدال سوري معين بالنسبة للولايات المتحدة، وربما ايضا يشير الى استعدادها للنظر في السبيل السياسي (الذي اختارته مصر في ١٩٧٧) كوسيلة لاعادة هضبة الجولان.

ثمة اسباب اخرى تعزز التوجه المعتدل في السياسة السورية تجاه اسرائيل. اولا: تعاظم الخوف السوري، على خلفية اتصالات وزير الخارجية الامريكي مع شخصيات فلسطينية في المناطق ومع الاردن، بان الفلسطينيين والاردن سيشاركون في المفاوضات من اجل تسوية جزئية (الحكم الذاتي) فيما ستبقى سوريا منعزلة خارج الحلبة. ولما كان هناك شك في قدرة سوريا على افشال مثل هذه المفاوضات فقد تكون معنية بالانضمام اليها كي لا يتضرر تاثيرها على الساحة العربية وكي لا تضعف اوراقها تجاه اسرائيل.

ثانيا، رغم ان المساعدة الاقتصادية الامريكية المباشرة ليست حيوية الان بالنسبة لسوريا، الا انها بحاجة الى موقف امريكي مريح آملة كي تمتنع واشنطن عن ممارسة تاثير على السعودية بهدف ان تتوقف الاخيرة عن منح المساعدات المالية لسوريا. والموقف الامريكي المريح تحتاجه دمشق ايضا للموضوع اللبناني، مثلا، بهدف تجديد مليشيا "القوات اللبنانية" وللحصول على ضمانات اسرائيلية بعدم التدخل في حالة قيام القوات السورية بعمليات ضد "فتح" في صيدا.

وثالثا: ان تحقيق التوازن الاستراتيجي كان، منذ سنوات طويلة، بمثابة الوسيلة الاولى للقيادة السورية من اجل الوصول الى الخيار العسكري (بما في ذلك الهجومي) ضد اسرائيل، سواء اكان عربي او سوري مستقل.

ان الهزيمة الساحقة للجيش العراقي في حرب الخليج وخسارة جزء كبير من القاعدة العسكرية العراقية، تعني ليس فقط ان العراق لم يعد يشكل خطرا عسكريا على سوريا، انما ايضا لم يعد (على الاقل في السنوات القريبة القادمة) قادرا على مساندة الجيش السوري خلال الحرب مع اسرائيل بارسال قوات ذات مغزى.

وهكذا تسقط امكانية اقامة جبهة شرقية تهدد اسرائيل. ومن الجانب الاخر يجب التأكيد على مغزى التغيير الذي طرأ قبل الحرب على توجه الاتحاد السوفييتي وسياسته التي ترفض تقديم مساعدة لسوريا بهدف تحقيق الخيار الهجومي. كما يجب التاكيد على الاثبات الواضح لافضلية سلاح الولايات المتحدة المحكم (الذي يعتمد عليه جيش الدفاع) على سلاح الاتحاد السوفييتي (الذي يعتمد عليه الجيش السوري) من هنا تعتقد القيادة السورية ان الفرصة للوصول، لوحدها، الى قدرة هجومية ضد جيش الدفاع الاسرائيلي (والتي كان من الصعب جدا الوصول اليها قبل ذلك) ضعفت بشكل كبير وربما ايضا انعدمت للسنوات القريبة القادمة.

ومن المعقول ايضا ان تكون سوريا قد استنبطت العبر من تاثير القصف على مدن اسرائيلية (مناطق تل ابيب وحيفا) بواسطة صواريخ "سكاد" عراقية متطورة وتسأل نفسها هل هذه الوسيلة مرغوبة لديها، وبالذات لانها لا تمتلك خيار الهجوم التقليدي ضد اسرائيل. من جهة، يدرك السوريون ان اطلاق الصواريخ ادى الى الضغط على سكان اسرائيل، وجلعها تقف امام مشكلة صعبة، وشوش طوال شهر كامل حياة الدولة واقتصادها. ومن جهة اخرى - من الواضح لسوريا الجارة القريبة من اسرائيل (خلافا للعراق التي تبعد حوالي ٦٠٠ - ١٠٠٠ كم عنها) انه اذا اختارت العمل بهذه الوسيلة ستتعرض الى مواجهة عسكرية شاملة مع اسرائيل. وهي تخشى قبل كل شيء من هجوم شامل من سلاح الجو الاسرائيلي وربما من رد اسرائيلي باستخدام اسلحة غير التقليدية الموجودة، حسب اعتقاد سوريا، بحوزة اسرائيل، وبناء على ذلك يبدو انه طالما لم يتحول هدف استعادة هضبة الجولان الى هدف فوري وعاجل فان سوريا ستبقى مترددة جدا في المخاطرة باستخدام وسيلة اطلاق صواريخ باتجاه مدن اسرائيلية خارج اطار الحرب الشاملة بهدف احراز تنازلات من اسرائيل بخصوص هضبة الجولان.

من هنا فان وسائل الضغط المفتوحة امام سوريا على المدى القريب بشان الصراع مع اسرائيل هي بالاساس وسيلتان وربما مندمجتان:

١- الوسيلة السياسية، من خلال الاستناد بقدر الامكان الى الولايات المتحدة ودول عربية مؤيدة (مصر، السعودية، وغيرهما) ومن خلال الاستناد الى موقف القوة العسكرية، والمقصود هنا، في اصطلاح "الوسيلة السياسية" هو بدءا من "تجنيد" الولايات المتحدة والغرب لممارسة الضغط على اسرائيل كي تعدل وتلين مواقفها بحيث تقترب من المواقف السورية وانتهاءا بالمفاوضات غير المباشرة وربما المباشرة مع اسرائيل.

٢- الاستمرار في الوضع الراهن من خلال الامل بتغيير مستقبلي في العلاقات بين الدول العربية يمكنها من ايجاد قوة مشتركة ضد اسرائيل وبهذا تكون مضطرة لتقديم تنازلات.

تاثير حرب الخليج: اعتبارات اسرائيل.

يبدو من وجهة نظر اسرائيل، ان ميزان القوى العسكري في الوقت الحاضر فقط بينها وبين سورياً فقط دو جيد، ومن الصعب الافتراض ان يتحسن اكثر، حيث يمكن الافتراض ان مشاكل اجتماعية (قبل كل شيء استيعاب الهجرة) واقتصادية من شانها اضعاف اسرائيل في المستقبل القريب. وهذا الامر به ما يحفز اسرائيل على البحث عن تسوية من موقع القوة - اعني - الان.

على اسرائيل ان تاخذ بعين الاعتبار حقيقة ان الولايات المتحدة تريد وتعمل، من موقع القوة ومن خلال توجه متوازن نسبيا، للتوصل الى "نظام جديد" في الشرق الاوسط يشمل حلا للصراعات القائمة، وقبل كل شيء الصراع الاسرائيلي - العربي والاسرائيلي - الفلسطيني. ومن شان ذلك ان يؤول الى تعارضات في المواقف بين الولايات المتحدة واسرائيل بشأن المفاوضات مع سوريا، والخطورة من ناحية اسرائيل، تكمن في تفاقم الازمة في العلاقات لتصل الى درجة المواجهة مع الولايات المتحدة. من الواضح انه على اسرائيل ان تعمل ما في وسعها لتجنب مثل هذه المواجهة. ويشار في هذا الصدد ان حرب الخليج مهدت التربة الخصبة للمدعيين في الولايات المتحدة بانه في حالة نشوب حرب في الخليج بين الدول العربية لن تكون اسرائيل ذخر بل عبء الى حد معين.

هذا، برغم ان اسرائيل امتنعت عن اي نشاط عسكري ضد العراق كرد على اطلاق صواريخ "سكاد" باتجاه مدن اسرائيلية. وهذا الامتناع اكسبها تحسين صورتها امام الرأي العام، ورأي حكومات العديد من دول العالم وحتى بعض الدول العربية. ولكن، قدرة الردع الاسرائيلية، "المدهشة" و "المفاجئة" و "المحكمة" لم تتحسن وربما انها تضررت الى حد معين، كنتيجة لقرار ضبط النفس والامتناع عن الرد بنشاط عسكري ضد منصات الصواريخ العراقية.

ان حقيقة ان الولايات المتحدة "غطت" على اسرائيل بواسطة هجمات من الجو على منصات الصواريخ غربي العراق ونصبت بضع بطاريات ارض - جو في اسرائيل مع طواقمها الامريكيين بهدف الدفاع عن مدنها، هذه الحقيقة من شانها ان تفسر بطريقتين في الدول العربية. من جهة، قد تفسر بانها ضعف وارتباط بالولايات المتحدة، وغياب القدرة الذاتية على اتخاذ قرارات قومية. ومن جهة اخرى، - وبافتراض ان اسرائيل مدعومة ومحمية من قبل الجيش الامريكي. فان الامر يعني ان من يهاجم اسرائيل انما يعرض نفسه لمواجهة مع الولايات المتحدة وجيشها. والاستنتاج بالنسبة لاسرائيل، هو ان قدرتها الردعية، قد تتضرر الى حد ما في نظر دول عربية، ومن ضمنها سوريا، وبناء على ذلك لم يقل خطر الحرب.

وفي اعقاب حقيقة ان المدن الاسرائيلية تحولت لاول مرة الى "جبهة" دون ان يرد الجيش الاسرائيلي بشكل مناسب، وانه انتاب السكان، كنتيجة لذلك، القلق الكبير وعدم الثقة، فقد تولد الخوف من ان تقوم دولة عربية او دول عربية اخرى في المستقبل بتقليد العراق وتطلق صواريخ بعيدة المدى تجاه مدن اسرايلية وحتى سوريا قد تستخدم هذه الوسيلة للضغط على اسرائيل من اجل تقديم تنازلات من خلال استعداد دفاعي وليس في اطار هجوم شامل على اسرائيل. وقال اسحق رابين، وزير الدفاع السابق في هذا الصدد ان صواريخ ارض - ارض التي تمتلكها سوريا "اكثر خطورة من تلك التي يمتلكها صدام حسين" واضاف بانه "ليس بايدينا الان جواب شاف ضد الصواريخ التي بحوزة الدول العربية" (٤١) رغم ان الطرف الاخر يدرك انه في حالة الحرب يوجد بحوزتنا سلاح رادع قادر على تدمير دمشق.

من وجهة نظر اسرائيل من شان التاثير القوي لاطلاق الصواريخ العراقية باتجاه اسرائيل ان يدفع السوريين، في حالة متطرفة، الى ان تعمل باسلوب مماثل، وهذا ربما الخيار العسكري الوحيد الذي ياخذ بالحسبان من الناحية السورية، وخطورة ان تقوم سوريا حقا بفعل ذلك، وفيها ما يكفي للتاثير على اتجاه اهتمام اسرائيلي بتسوية سياسية للصراع مع سوريا.

وربما ان يكون هذا جزءا من خلفية انه،في اعقاب الحرب تردد في الليكود آراء باتجاه حل اقليمي في هضبة الجولان. مثلا قام عضو الكنيست روبين ريبلين، وهو احد المقربين لوزير الخارجية ليفي، بالتمييز بين يهودا والسامرة وقطاع غزة "التي هي ارض اسرائيل" بينما هضبة الجولان، لم تكن ابدا ارض اجدادنا انما ذخر استراتيجي". واستنتج من ذلك "بان السؤال هو هل نستطيع ان نقول لهم (للمستوطنين اليهود في هضبة الجولان) في اللحظة التي يجري الحديث فيها عن السلام، بان هضبة الجولان تخضع للمساومة، وانا اقول نعم)؛ (٤٢).

ودعا عضو الكنيست يهوشاع ساغي لتسوية مع سوريا "لرفع شبح الحرب" من خلال ترتيبات امنية في هضبة الجولان ومن ضمن ذلك تجريد المنطقة من مداخل دمشق من الشمال وحتى الاردن، تقليص القوة العسكرية" وغير ذلك. واضاف ساغي في هذه الظروف، فان هضبة الجولان، كلها وحتى المتر الاخير، غير حيوية من الناحية العسكرية. (٤٣). وحسب رايه يجب ان ندرس امكانية الموافقة على مبدأ الارض مقابل السلام. والى حد معين منح مناحيم بيغن، رئيس الحكومة الاول من الليكود، والذي يتمتع الان بعلاقة احترام كبير في اوساط كثيرة في الليكود والسكان عموما، اي انعطاف ممكن في موقف اسرائيل باتجاه الحل الاقليمي في الجولان حين قال في اول بيان سياسي منذ سنوات طويلة "انا واثق ان قانون هضبة الجولان، الذي قررت قبوله وانا رئيس وزراء لن يتغير". (٤٤). في اعقاب ذلك، ويبدو انه من خلال التقدير بان الوضع الراهن يتميز بانهماك امريكي مكثف بفحص امكانيات بدء المفاوضات بين اسرائيل وسوريا (وايضا بين اسرائيل والفلسطينيين) تجلى بشكل مشدد، موقف الحكومة في اسرائيل (والذي يعبر عن موقف معظم قادة الليكود) في مسالة معارضة اعادة المناطق. ووفق هذا الموقف صحيح ان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع حكومات عربية دون شروط مسبقة لكن ليس "على اعادة اي ارض" ومواضيع المفاوضات ستكون "السلام... والتعاون المشترك في مجالات معينة، مثل الاقتصاد والسياحة. (٤٥)، ويجدر التاكيد على ان شخصيات كبيرة في المعراخ ايضا تعتقد انه يجب عدم التنازل عن هضبة الجولان، حتى في حالة السلام مع سوريا. في هذا الموضوع قال اسحق رابين في نيسان ١٩٩١: حتى في حالة السلام مع سوريا يجب ان لا تنزل عن هضبة الجولان. (٤٦). من الواضح انه ليس في هذه المواقف ما يشجع سوريا او دولة عربية اخرى يهمها قبل كل شيء باعادة الاراضي التي احتلت من قبل اسرائيل في حرب الايام الستة، ان تدخل في مفاوضات مع اسرائيل.

خلاصـــة:

ان تقدير الكاتب في ربيع ١٩٩١، على اساس تحليل الاعتبارات الاساسية السورية والاسرائيلية وتاثير حرب الخليج على سوريا واسرائيل، كان هو ان امكانية البدء في مفاوضات جوهرية بين الدولتان ما زالت ضعيفة على المدى القريب، وبموجب هذا التقدير، فان توازن الاعتبارات الاساسية لسوريا واسرائيل يشير الى ان كلتا الدولتين تفضلان الحفاظ على الوضع الراهن على حدوث تغيير اساسي فيه. والموقف السوري ينبع الى حد معين من عدم وجود خيار: فهي ترغب في تغيير الوضع الراهن واعادة هضبة الجولان ولكن ذلك من ناحيتها غير مستعجل وهي غير مستعدة للمخاطرة الكبيرة بعملية عسكرية هجومية لاحتلال هضبة الجولان (او جزء منها) او بتنازلات سياسية مبدئية تفرض اثناء المفاوضات او قبلها. واسرائيل تريد استمرار الوضع الراهن لكي تعمق وتعزز مكانتها في الجولان وبهذا يقل خطر اضطرارها الى اعادتها في المستقبل.

ان خشية كل دولة من هجوم الدولة الاخرى هي قليلة لذلك فان خشية كهذه لا تشكل حافزا لتسوية سياسية للحيلولة دون الحرب.

وحسب هذا التقدير فان الهوة بين نقاط الانطلاق في سياسة سوريا واسرائيل كانت كبيرة جدا ولم تنجح كلتا الدولتان، ولم تتعرضا لضغط، لجسر هذه الهوة بغية البدء في مفاوضات بينهما وهذه النقاط هي:

سوريا: الحصول على التزام مسبق من اسرائيل (قبل قرار سوريا البدء في المفاوضات) باستعدادها للانسحاب

في اطار تسوية شاملة من كل منطقة هضبة الجولان ومن المناطق المحتلة، او على الاقل ان تقبل اسرائيل مبدأ "الارض مقابل السلام" وايضا ان تجري مفاوضات منفردة ومباشرة "في هذا الصدد قال الرئيس الاسد: اتصالات كهذه (مفاوضات مباشرة) لن تحدث".(٤٧). بين اسرائيل وسوريا بل مفاوضات عدة دول عربية (من ضمنها سوريا) وممثلين عن الفلسطينيين، وباشراف "مؤتمر دولي" وهدف المفاوضات - التوصل الى ترتيبات عسكرية بموجبه ينسحب كل تواجد اسرائيل (وقبل كل شيء المستوطنات اليهودية) من كل اراضي منطقة الجولان (حتى السنتمتر الاخير) وايضا حل للمشكلة الفلسطينية يكون مقبولا لدى الفلسطينيين، مقابل كل هذا تكون سوريا مستعدة "لوقف حالة الحرب" وليس للسلام والتطبيع كما ترغب اسرائيل.

اسرائيل: مستعدة للتفاوض مع سوريا بدون شروط مسبقة من قبل الطرفين حيث يستطيع طل طرف طرح اي موضوع للنقاش، واسرائيل لن تتنازل خلال المفاوضات نفسها عن المناطق التي يسري عليها (في عام ١٩٨١) القانون الاسرائيلي ومن ضمن ذلك عن المستوطنات في الهضبة وعن تواجد قوات الجيش الاسرائيلي هناك، وهي تريد مفاوضات مباشرة مع سوريا ومع كل دولة عربية اخرى، وليس مع مجموعة من الدول العربية معا، وتعارض المفاوضات في اطار مؤتمر دولي، وهي تريد مفاوضات مع سوريا تؤدي الى علاقات سلام بينهما (على الاقل مثلما تحددت هذه العلاقات في اتفاقية السلام بين اسرائيل ومصر) وهي غير مستعدة للاكتفاء "بوقف حالة الحرب".

وعلى الرغم من انه ترددت بعد الحرب حتى في الليكود اصوات تطالب باجراء مفاوضات مع سوريا من خلال الاستعداد للتنازل عن اجزاء من هضبة الجولان، الا ان حرب الخليج لم تحدث تغييرا اساسيا في مواقف اسرائيل. فمثلا، ورغم الضغط الامريكي ما زالت الحكومة تواصل رفضها لمبدأ "الارض مقابل السلام" وترفض التفاوض مع سوريا على اساس هذا المبدأ.

ومقابل هذا طرأ تغيير في المعطيات الاستراتيجية لسوريا في اعقاب الحرب: فقد ضعفت فرصة سوريا بتحقيق الخيار العسكري لاحتلال هضبة الجولان او جزء منها، ويتطور نظام جديد في الشرق الاوسط تكون فيه الولايات المتحدة محور الحركة، ووسائل العملية العسكرية قد تكون غير قابلة للتحقيق. لقد بدأ التقارب بين سوريا والولايات المتحدة وتعززت العلاقات مع مصر: وكلا الدولتان تؤيدان سبل الحل السياسي. لقد ازدادت الرغبة السورية في ان لا تكون معزولة في الحلبة العربية والعالمية وكنتيجة لذلك تعاظمت رغبتها في ان تكون مقبولة لدى الولايات المتحدة ولدى اوروبا الغربية. وبناء عليه كان من الممكن الاستنتاج في ربيع ١٩٩١ ان هناك بداية لطريق طويل سيتطور في نهايته الاستعداد السوري للمخاطرة والدخول في مفاوضات سياسية مع اسرائيل. وفرصة بداية مثل هذه المفاوضات مشروطة، ليس الى حد قليل، وباستعداد ونجاح الولايات المتحدة في التجسير - بمفاوضات منفردة، وربما سرية، مع كل واحدة من الدولتين - جزء من الهوة التي تفصل بينهما.

وحقا في منتصف تموز ١٩٩١ نضجت خطوة تحول في الموقف السوري، والجهود المتواصلة لوزير الخارجية الامريكي بيكر في اشهر الربيع والصيف والهادفة الى بدء مفاوضات بشان التسوية السلمية بين سوريا واسرائيل والمفاوضات حول تسوية انتقالية بين اسرائيل والفلسطينيين، اثمرت نتائجا ايجابية اولية تفتح، كما هو واضح، الباب امام بداية مفاوضات كهذه. ويجب التاكيد على ان الانعطاف الذي طرأ على الموقف السوري ليس تكتيكيا وحسب بل يمكن النظر اليه باعتباره جوهري. ونتيجة لذلك، اغلقت الى مدى معين، الهوة بين مواقف الانطلاق السياسي لكلا الطرفين. ويكمن هذا التحول في تقديم ثلاثة تنازلات سورية اساسية: الاستعداد لاجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل بعد اقتناع مؤتمر دولي، والاستعداد لاجراء مفاوضات دون الحصول على تعهد اسرائيلي مسبق بان التسوية الشاملة تلزمها الانسحاب من هضبة الجولان ويهودا والسامرة وقطاع غزة، وايضا الاستعداد لمفاوضات دون شروط مسبقة حيث يكون كل طرف حر في ان يعرض مواقفه ويناضل من اجلها.

وتصر سوريا بان لا تجري مفاوضات وان لا تعقد تسوية بينها وبين اسرائيل الا اذا كان في مقابل المفاوضات مع

اسرائيل تجري مفاوضات اخرى حول القضية الفلسطينية، واذا امكن ايضا مفاوضات بين دول عربية اخرى واسرائيل. من الناحية المبدئية لا يتعارض هذا الموقف مع مطالب حكومة اسرائيل التي دعت منذ البداية الى فكرة المفاوضات المتعددة.

ان الدوافع التي تقف وراء الموقف السوري عموما وموقف الاسد خصوصا ستتضح كما يبدو مع مرور الوقت. غير ان التقديرات الاولية تشير الى وجود عاملين:

- التراجع في قوة الاتحاد السوفييتي كقوة تعطي الحماية، مع الارتفاع في عظمة الولايات المتحدة كقوة اساسية في المنطقة وخاصة مثلما عرضت في حرب الخليج - وهذان العاملان اقنعا الاسد ان عليه التخلي عن اي امل بهزيمة عسكرية لاسرائيل حليفة الولايات المتحدة. لذلك عليه ان يسير مع الخط الامريكي في المنطقة على امل ان يحسن قدرته في المناورة السياسية، وربما المناورة في جر اسرائيل الى العزلة في الحلبة السياسية. وربما جهود الاقناع المتواصلة التي بذلت من الامريكيين ومصر وربما السوفييت انفسهم اثرت على اعتبارات الاسد.

ويبدو اذا ان فرص بدء المفاوضات السلمية بين سوريا واسرائيل تعاظمت. ومن المعقول ان تجري في ظل عدد من المفاوضات المبدئية بين الطرفين ستثقل جدا الى نجاحها، اولا ستصر سوريا على ان يشمل الحل النهائي والشامل الانسحاب الاسرائيلي الكامل من هضبة الجولان واعادتها الى السيادة السورية. بينما سيصعب على اسرائيل التنازل في المفاوضات عن منطقة توليها اهمية امنية كبرى، ويسري عليها بدءا من ١٩٨١ القانون الاسرائيلي، كما من الصعب جدا ان تتنازل عن المستوطنات في هضبة الجولان.

ثانيا، لم يكن في الانعطاف السوري بشان المفاوضات مع اسرائيل ما يكفي لتحسين الانطباع بان سوريا ستكون مستعدة لان توقع مقابل الانسحاب الاسرائيلي الكامل من هضبة الجولان على اتفاق وقف حالة الحرب وليس اتفاق سلام يشكل حدودا مفتوحة وعلاقات دبلوماسية وغير ذلك. ولا يبدو ان اسرائيل ستوافق على صفقة كهذه، حتى لو كانت مستعدة مبدئيا لاخلاء الجولان بشكل كامل.

وثالثا، من ناحية سوريا فان التقدم في المفاوضات مع اسرائيل سيكون مشروطا بنجاح المفاوضات بين الفلسطينيين واسرائيل.

وفي حالة البدء في المفاوضات التي ستتدخل بها الولايات المتحدة بشكل مباشر فمن المعقول الافتراض ان تتطور لدى كل واحدة من الدولتين سوريا واسرائيل الرغبة بان لا تكون هي السبب في فشلها. وهذا العامل من شانه ان يشكل حافزا للتقدم في مواضيع جوهرية في المجال التكتيكي، ولكن ومرة ثانية من الصعب الافتراض بان تستطيع الاطراف التغلب في المستقبل القريب على الخلافات الاساسية في مواقفهما.

وثمة نقطة جوهرية اخرى جديرة بالتاكيد تتعلق بالعلاقة الفلسطينية - السورية، على ضوء المصلحة المركزية السورية في احتلال موقعا كبيرا ومركزيا، فمن الممكن ان يكون اهتمام بنجاح المفاوضات مع اسرائيل اكبر لو كانت اسرائيل مستعدة لان تنظر الى سوريا كشريك في المفاوضات في المسالة الفلسطينية ايضا، ولكن ثمة شك كبير في ان تكون اسرائيل مستعدة لذلك.

ان استنتاج الكاتب هو انه على خلفية التحول في التوجه السوري ازدادت امكانية البدء في مفاوضات جوهرية بين سوريا واسرائيل، ومفاوضات كهذه، اذا بدأت، ستكون مرصوفة بعقبات كثيرة وستكون مرتبطة بالتقدم، في نفس الوقت بالمفاوضات الاسرائيلية - الفلسطينية.

ملاحظات ومراجع:

١- حديث مع Patrick Seale لندن ١٩٩٠/٩/٦.

٢- حديث مع البروفيسور اتيمار روبينوفتش ١٩٩٠/٧/١٥.

٣- حديث مع المدير العام لمكتب رئيس الوزراء يوسي بن اهارون ١٩٩٠/٧/١٨.

٤- حديث مع وزير الزراعة الجنرال احتياط رفائيل ايتان ١٩٩٠/١١/٨.

٥- حديث مع البروفيسور اتيمار روبينوبتش.

٦- اعتمد الكاتب على مواد كثيرة جمعها في السنتين الاخيرتين، تضمنت محادثات مع السوريين بهدف كتابة كتاب يهتم في مسالة فرص السلام بين سوريا واسرائيل والاهمية الامنية لهضبة الجولان والترتيبات الامنية التي يجب على اسرائيل الاصرار عليها اثناء المفاوضات مع سوريا.

٧- مبادىء استراتيجية الاسد، الثورة ٨٦/٥/١٦ حسب "حتساف" ٨٦/٧/٨ رقم ٨٤٣/٠٠٣ صفحة ٣.

٨- الرئيس الاسد، القبس الكويتية حسب "حتساف" ٨٤٢/٠٠٩ في ٨٧/٢/٣.

٩- الرئيس الاسد في اجتماع شعبي في دمشق بمناسبة الذكرى السنوية لحرب الغفران راديو دمشق ٧٥/١٠/٦ حسب "حتساف" ٨٤٣/٠٠٧ في ٧٥/١٠/٨.

١٠- مقابلة مع مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري دير شبيغل حسب هآرتس ٨٦/٩/٢٨.

١١- الرئيس الاسد، خطاب افتتاح المؤتمر ٢١ لاتحاد العمال في سوريا، صحيفة تشرين ٨٦/١١/١٧ حسب "حتساف" ٨٤٣/٠٤١ في ٨٦/١١/٢٥.

١٢- البروفيسور موشيه معوز في مقابلة ليديعوت احرونوت ٨٧/١٢/٢.

١٣- الرئيس الاسد في مقابلة لـ نيوز ويك حسب راديو دمشق ٧٧/٧/٢٤.

١٤- الرئيس الاسد في الذكرى السنوية لثورة آذار حسب FBis - Nes - 89 - 045 في ٨٩/٣/٩ صفحة ٣٦.

١٥- الرئيس الاسد في خطاب افتتاح المؤتمر الاسلامي الذي عقد في الكويت، راديو دمشق ٨٧/١/٢٧ حسب "حتساف" ٨٤٣/٠٠٨ في ٨٧/٢/٢.

١٦- الرئيس الاسد في الذكرى السنوية لثورة آذار حسب FBis-Nes-89-045 في ٨٩/٣/٩ صفحة ٣٦.

١٧- حديث مع الكاتب باتريك سيل.

١٨- حديث مع شخصية اكاديمية سورية باريس ١٩٩٠/٩/٤.

١٩- حديث مع شخصية في CIA سابقا فيلدلفيا ١٩٩٠/٩/١٢.

٢٠- حديث مع شخصية اكاديمية سورية لندن ١٩٩٠/٩/٦.

٢١- حديث مع باتريك سيل.

٢٢- Jimmy Carter, The Blood of Abraham (Boston 1985) p78.

٢٣- مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري في مقابلة لـ دير شبيغل، حسب هآرتس ٨٤/٩/٢١ و ٨٤/٩/٢٣.

٢٤- الرئيس الاسد في مقابلة ل لواشنطن بوست ٨٦/٥/١٦ حسب "حتصاب" ٨٤٣/٠٢٠ في ٨٦/٥/٢٥.

٢٥- عبد الحليم خدام، نائب الرئيس السوري راديو الكويت ٨٩/٦/٣٠ حسسب FBis-Nes-89-133 في ٨٩/٧١٣ صفحة ٤٢.

٢٦- الرئيس الاسد في مقابلة لـ واشنطن بوست ٨٦/٥/١٦.

٢٧- الرئيس الاسد في لقاء مع تلفزيون دمشق ٨٤/٤/٢٥ في ٨٤/٤/٢٨ حسب SWB,ME/7629/A/2.

٢٨- طلاس حسب هآرتس في ٨٤/٩/٢١ و ٨٤/٩/٢٣.

٢٩- مقابلة مع احمد اسكندر احمد، وزير الدفاع السوري، الكفاح العربي لبنان ٨٠/١٠/١٣ حسب "حتصاب" ٨٤٣/٠٥٧ في ٨٠/١٠/١.

٣٠- وجهة نظر الاسد للتوازن الاستراتيجي حسب غسان الامام، الوطن العربي/ لبنان ٨٥/٥/١٠ حسب "حتصاب" ٨٤٣/٠٠٨ في ٨٥/٦/١٢ صفحة ٩.

٣١- طلاس، حسب هآرتس ٨٤/٩/٢١ و ٨٤/٩/٢٣.

٣١- حديث مع الكاتب باتريك سيل.

٣٣- اتيمار روبينوبتش
"Israel - Syria and Lebanon" International Journal. VOL. XLV (Summer 1990) p.549.
٣٤- اريبه شلو، التعاون في ظل المواجهة، اصدار دمر خوت ١٩٨٩ صفحة ١٩.
٣٥- المصدر السابق.
٣٦- الوزير مردخاي تسيبوري، في محاضرة في يوم دراسي حول موضوع سوريا، دافي اليعيزر ٢٦ زموره - بيتان ١٩٨٤.
٣٧- العقيد احتياط اسحق حوفي في محاضرة في يوم دراسي حول موضوع ارض الجولان ، دافي اليعيزر ٧ ماي ١٩٨٤. صفحة ٤٣،٣٥.
٣٨- مقابلة مع وزير الخارجية السورية لـ موند ٩١/٢/٨ حسب FBis-Nes-91-028 في ٩١/٢/١١ صفحة ٨٢.
٣٩- المصدر السابق.
٤٠- ويلي تلغراف حسب مغاريف ٩١/٢/١٣.
٤١- عضو الكنيست اسحق رابين جيروزاليم بوست ١٩٩١/٢/١٩.
٤٢- عضو الكنيست روبي ريبلين، كول همير ١٩٩٠/٩/٣.
٤٣- عضو الكنيست يهوشع ساغي يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٢٢.
٤٤- يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٢٩.
٤٥- رئيس الحكومة، اسحق شمير في مقابلة لـ Le Figaro ٩١/٣/١ حسب FBis-Nes-91-043 في ٩١/٣/٥ صفحة ٣٤.
٤٦ اسحق رابين حسب SWB ME/1042/A/14 في ٩١/٤/١٠.
٤٧- الرئيس الاسد في مقابلة حول العلاقات الخارجية، تلفزيون دمشق ٨٤/٤/٢٤ حسب SWB ME/7629/A/1.

الفصل الرابع عشر

احتمالات مراقبة والحد من انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط في اعقاب حرب الخليج

بقلم: شاي فيلدمان

خلفية.

اثير قلق في السنوات الاخيرة في المنطقة وخارجها بخصوص نتائج انتشار الاسلحة التقليدية وغير التقليدية في الشرق الاوسط. وتطور في الاونة الاخيرة على وجه الخصوص اهتمام متزايد بنتائج انتشار الاسلحة الكيماوية وصواريخ ارض - ارض. وذلك في ضوء الحقيقة القائلة ان دول المنطقة اشترت في السنوات الاخيرة صواريخ ذات مضامين تشير الى دقة اصابة و/او ذات مدى بعيد وهذه المضامين في تحسن مضطرد. وعلى الاقل احدى دول المنطقة، العراق، بدأت بانتاج اسلحة كهذه بنفسها، حتى وان يكن بمساعدة خارجية غير قليلة. هذا اضافة الى انه وابان الحرب العراقية - الايرانية استخدم الطرفان وبصورة موسعة صواريخ واسلحة كيماوية. كما اتضح في السنوات الاخيرة ان عدة دول عربية تبذل مجهودات كبيرة من اجل تطوير رؤوس كيماوي وبيولوجية لصواريخ ارض - ارض التي بحوزتها.

وردت دول المنطقة على المجهودات التي تبذلها جاراتها في هذه المجالات بالتسلح باسلحة كثيرة جدا وجيدة جدا، وبهذا اضافت زيتا لعجلة سباق التسلح الكمي والنوعي، كما بدأت بتطوير الاسلحة في المنطقة نفسها، وايضا بتطوير شبكة دفاع ايجابية ضد الصواريخ، مثل شبكة فاو-١ من قبل العراق وجتس من قبل اسرائيل. ووصلت الذروة ابان حرب الخليج: اتبعت اسرائيل اساليب دفاع سلبي، مثل توزيع واقيات من الغاز على جميع السكان وعلى قوات الامن ووجهت تعليمات للاسرائيليين حول كيفية التصرف في حال التعرض لهجمات كيماوية، كما اتخذت وسائل دفاع ايجابي، مثل التسلح بصواريخ "باتريوت" ونصبت بطاريات الصواريخ المضادة للصواريخ هذه، قوات امريكية في اسرائيل والسعودية ابان حرب الخليج. وفي النهاية نقلت دول المنطقة رسائل تحذيرية، استهدفت اقناع اعدائها من خلالها بعدم استخدام هذه الوسائل (١).

وبالمقابل ظهرت مؤشرات اولية تدل على ان دول المنطقة توصلت لاعتراف يؤكد بان الوسائل المضادة من طرف واحد، ليست كافية لمواجهة الاخطار الكامنة بانتشار الاسلحة، وانه ربما وقد تتطلب الضرورة تحديد اطر متعددة الاطراف من اجل مراقبة ومنع انتشار الاسلحة، وتبني سبل مختلفة من اجل تعزيز الامن المتبادل، بهدف وقف مسيرة الانتشار وتقليص نتائجها السلبية.

وعرضت مصر في هذا الاطار عدة مبادرات في السنوات الاخيرة، بدءا من مشروع القرار قدمته للجمعية العمومية للامم المتحدة والذي دعا الى تحويل المنطقة الى منطقة منزوعة من الاسلحة النووية، وايضا دعوة الرئيس مبارك الى ازالة كافة اسلحة الدمار الجماعي من المنطقة (٢). وظهرت في السنوات الاخيرة عدة دلائل تشير الى ان سوريا بدأت بالاهتمام بامكانية تطبيق ترتيبات اي كانت لمراقبة انتشار الاسلحة ومضاعفة الامن المتبادل في المنطقة، لان مسؤولين سوريين حتى الان بنقل رسائل بهذه الروحية بصورة خاصة - في سياق مباحثات مع سياسيين امريكيين واوروبيين زاروا دمشق - وامتنعوا عن اضفاء صبغة رسمية على اهتمامهم بهذا الموضوع.

وبالمقابل، عادت اسرائيل وكررت خلال السنوات الماضية دعوتها لدول المنطقة عقد مؤتمر من اجل التوصل الى اتفاق لنزع الاسلحة النووية من المنطقة. واعرب اسحق شمير رئيس الحكومة وايضا بصورة علنية عن اهتمام متعدد وواسع

بوسائل لمراقبة انتشار الاسلحة وتعزيز الامن الاقليمي المتبادل بدءا من حظر حيازة اسلحة كيماوية في المنطقة وحتى ايجاد اتصالات هاتفية مباشرة بين القيادات العسكرية من على جانبي الحدود. وذلك من اجل الحيلولة دون تصعيد خاطئ لحوادث حدودية (٢).

لكن، حتى الان لم يطرأ اي تقدم على تطبيق نظام اي كان اولا، عدة دول في المنطقة، وعلى رأسها سوريا، ترفض قبول الوضع الحالي في علاقاتها مع اسرائيل - خصوصا في المجال الاقليمي - ورفضت حتى الان التخلي عن حقها بالتسلح بهدف استبدال الاوضاع الحالية من خلال وسائل عسكرية او سياسية.

ثانيا، باستثناء مصر رفضت حتى الان دول المنطقة اجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل واقامة علاقات اي كانت مع حكوماتها. ولكن كل نظام مراقبة انتشار الاسلحة يجب ان يكون مرتكزا على درجة معقولة من الثقة المتبادلة. هذا، اضافة الى الوسائل التي يجب اتخاذها من اجل ضمان تنفيذ الاطراف للاتفاقات التي توقع عليها. وبالامكان اخذ نموذج عن ضرورة التوصل الى الحد الادنى من الثقة المتبادلة من انه وحتى تسلم غورباتشوف للسلطة لم يطرأ اي تقدم نوعي على محاولات التوصل لاتفاقيات نزع ومراقبة انتشار الاسلحة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وذلك بسبب عدم وجود الحد الادنى من الثقة المتبادلة، على الرغم من سنوات من المفاوضات المباشرة بين الدولتين.

لكن من الصعب التصديق بان هناك امكانية لوجود ثقة متبادلة كهذه في الشرق الاوسط، اذا لم تجر دول المنطقة حوارا مباشرا او تقيم علاقات اي كانت مع اسرائيل. ولهذا توجد علاقة مباشرة مع محاولة فرض نظام مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط والمجهودات التي تبذل من اجل احراز تقدم على مسيرة السلام في المنطقة. ودون مسيرة تؤدي الى علاقات مباشرة بين الدول العربية واسرائيل، لن توجد امال كبيرة بتطوير مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة فيها.

وتكمن مشكلة جوهرية اخرى في معاناة الشرق الاوسط حتى الان من التوجهات التي يطلق عليها في اللغة الاستراتيجية: "تفكير مبلغ الصفر". لقد اعتادت دول المنطقة وفي هذا الخصوص اعتبار كل انجاز تحققه جاراتها كأمر يسيء الى مكانتها، وكل خسارة لهن، افضلية لها. واعتادت دول المنطقة ايضا على النظر الى خطواتها كخطوات دفاعية فقط وبانها لن تؤدي الى اي تفسير اخر. وفي الوقت نفسه تتطلع جميع هذه الدول الى الخطوات التي تقوم بها الدول المنافسة لها كخطوات هجومية لا يمكن تفسيرها بصورة اخرى. وهكذا امتنعت دول المنطقة حتى الان - وخصوصا في ساحة الصراع الاسرائيلي - العربي - عن اي محاولة لفهم الاحتياجات الامنية المشروعة لجاراتها، وبناء على ذلك رفضت ايضا اي امكانية لاتباع وسائل يمكن ان تؤدي الى تعزيز الامن المتبادل.

وبهذا الخصوص، تعتبر مصر هي الشاذة عن هذه الاعراف، اذ حمل جوهر مبادرة السلام التي قامت بها حيال اسرائيل في نهاية سنوات السبعينات في طياته اعترافا بان لاسرائيل احتياجات امنية مشروعة يجب ايجاد ردود عليها. وبالفعل شمل الاتفاق بين الدولتين عدة وسائل لمراقبة انتشار الاسلحة مثل وجود مناطق واسعة منزوعة السلاح ومناطق تم تخفيف حجم القوات فيها، وايضا عدة وسائل مراقبة تؤكد التزام الطرفين بالاتفاقات التي وقعا عليها.

تكمن عقبة اخرى تقف امام مجهودات تطبيق نظام مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط بعدم التناظر الجوهري لمميزات بنية القوة العسكرية لدول المنطقة. وتتمتع الجيوش العربية من جهة بتفوق كمي - خصوصا في مجال حجم القوى النظامية - بالمقارنة مع الجيش الاسرائيلي الذي يعتمد باغلبية على قوات احتياط. لكن يبدو ان اسرائيل مستمرة بالتمتع بتفوق نوعي، وبالنجاعة التامة للهيئة العسكرية التي تقف في خدمته، حتى وان لم يكن بالضرورة بكافة تفاصيل السلاح، وفي الوقت الذي تستمر فيه سوريا والعراق بالتمتع بقدرات ملحوظة في مجال الاسلحة الكيماوية وصواريخ ارض - ارض، تتمتع اسرائيل بتفوق الامكانيات النووية المتوفرة لها.

وجراء عدم التناظر هذا من الصعب فرض نظام مراقبة اسلحة في مجال واحد من الاسلحة دون معالجة مجالات اخرى في الوقت نفسه. ولهذا فان مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط في كل واحد من مجالات الاسلحة المختلفة، ستبقى رهينة لامكانية احراز تقدم في كافة المجالات الاخرى. وهذا التعقيد ذال حتى اليوم عاملا معيقا لكافة محاولات

احراز تقدم على نظام مراقبة انتشار الاسلحة في المنطقة.

واضافة لذلك من المحتمل ان تكون امكانية احراز تقدم على اساليب مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط تعاني من توجهات "كل شيء او لا شيء" التي تبنتها بعض دول المنطقة حيال هذا الموضوع حتى الاونة الاخيرة. بوزة الاهتمام بامكانية اقامة نظام مراقبة انتشار اسلحة، كما يبدو الامر من الاقتراحات المختلفة التي قدمتها العراق، مصر واسرائيل، لتحويل الشرق الاوسط الى منطقة منزوعة من الاسلحة الكيماوية والنووية، صرفت الاهتمام نحو توجهات اكثر واقعية تعبر عن توجهات تدريجية حيال هذا الموضوع. وتكمن افضليات الاقتراحات الخاصة بالتقليص التدريجي للاسلحة في ان تنفيذها سيمكن الاطراف المختلفة من تعزيز الثقة المتبادلة والثقة بانه في المستقبل سيكون بالامكان تقليص مخازن الاسلحة التي بحوزتها بصورة كبيرة جدا، دون ان يكون الامر مرتبطا باخطار غير مقبولة.

ضاعفت هذه العقبات من التعقيدات الناجمة عن سلسلة مشاكل اخرى ترتبط بها كل محاولة لوقف تدفق الاسلحة للشرق الاوسط ومنها: الصعوبات في متابعة ومراقبة تصرفات عدد كبير من المستهلكين وعدد كبير من الدول التي تمولها بالاسلحة، وايضا متابعة قائمة طويلة من المواد الحساسة، بعضها ذو استخدام مزدوج، تستخدم في الصناعات المدنية والصناعات العسكرية معا، وايضا الصعوبات بالحصول على موافقة الاطراف على سلسلة طويلة من وسائل المراقبة التي تمكن من التأكد بان الاطراف تنفذ الاتفاقات التي وقعت عليها. ستكون ترتيبات المراقبة وبالضرورة مشددة جدا، وستكون مرتبطة بتنازلات معينة عن السيادة من جانب الدول التي ستنضم للاتفاق، وذلك من اجل ان تتوفر امكانية متابعة الاستخدام النهائي للمواد.

يبدو وللوهلة الاولى انه وبعد حرب الخليج وجدت ظروف جيدة لاحراز تقدم على مسيرة نوعية في مجال مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط - مسيرة تمكن من التغلب على جزء كبير من المشاكل التي ذكرت آنفا. اولا، مع هزيمة العراق، تقلصت قوته العسكرية، التي قد تزعزع، اكثر من قوة عسكرية اخرى، الاستقرار في الشرق الاوسط، وخصوصا تم تقليص كبير لقدرة العراق على انتاج اسلحة غير تقليدية، وعلى وجه التحديد في المجال الكيماوي. وفي اعقاب الحرب بدأ تآكل في موقف العراق، كدولة ذات قوة نوعية، قادرة على افشال اي مسيرة نوعية لمراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط، وذلك جراء اهتمامه وقدرته على الحفاظ على عناصر قوته.

وبالامكان بناء على ذلك رؤية هزيمة العراق كعمل احترازي في مجال انتشار الاسلحة. وهذا يشبه (على الرغم من الفرق في الاحجام) النتائج التي ترتبت على تفجير المفاعل اوسيراق على ايدي اسرائيل في حزيران ١٩٨١. وهكذا، نأمل ان تؤدي هزيمة العراق الى تشجيع دول المنطقة - جراء اهتمامها بالامتناع عن اعمال عنف مرتبطة باتخاذ وسائل من طرف واحد لتقليص مخازن الاسلحة - لابداء استعداد كبير جدا لتطبيق وسائل ثنائية لمراقبة انتشار الاسلحة.

ثانيا، غزو العراق للكويت، والازمة الدولية التي تلتها شكلت اثباتا لنتائج قد تنجم عن تسلح غير مراقب لدول المنطقة، ومن هنا، لاعتراف متزايد بخصوص ضرورة وقف مسيرة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. ولقد ادت مسيرة اخذ العبر، وخصوصا في اوساط عدد من دول اوروبا الغربية، الى التعبير عن الندم الكبير جراء مساهمتها بتسليح العراق في العقد الاخير والى المطالبة بعمل كل شيء من اجل منع تكرار الاخطاء التي جرت في الماضي في العراق.

وتوجد اهمية كبيرة جدا لطابع مستوى التعاون الذي تم التوصل اليه ابان الازمة في الخليج بين الدول الاوروبية نفسه وبينها وبين الولايات المتحدة وكان هذا التعاون مثار اعجاب. ويشكل هذا التعاون - خصوصا في مجال تطبيق العقوبات على العراق - اثباتا على انه اذا وجد تصميم كافي، تستطيع هذه الدول وقف مسيرات انتشار الاسلحة في المنطقة.

ثالثا، يبدو ان الولايات المتحدة وبعد ان اخذت على عاتقها مسؤولية العثور على رد لنتائج تسليح العراق، ابدت تصميما اكثر من اي فترة سابقة على محاولات تطبيق مراقبة على انتشار الاسلحة وتقليص مخازن الاسلحة، وبناء الثقة المتبادل والترتيبات الامنية الاقليمية، التي ستقلص في المستقبل ضرورة تدخل عسكري مباشر في الشرق الاوسط. وقد وجد هذا الامر تعبيره وبصورة بارزة، عندما شجب جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي مجهودات تقييد سباق التسلح في المنطقة

كمبدء ثاني للمبادىء الخمسة لبلورة الشرق الاوسط بعد الحرب (٤).

وكما حدث في اوساط الاووبيين فقد وجد في الولايات المتحدة تصميم جديد حيال هذا الموضوع، على الاقل بصورة جزئية، جراء الندم على عدم قيامها بعمل كافي لمنع العراق من التسلح بهذا الشكل وبصورة غير خاضعة للرقابة ابان السنوات التي سبقت الازمة. ومن المرجح ان تكون الادارة الامريكية قد ندمت جدا على نشاطاتها المتشعبة ابان العام الذي سبق غزو العراق للكويت، والتي حثت من خلالها الكونغرس على عدم فرض عقوبات على العراق جراء تسلحها باسلحة كيماوية.

رابعا، يبدو، وفور انتهاء الحرب في الخليج ان كثيرين في الشرق الاوسط، اعتقدوا بان المنطقة انقذت في هذه المرة، وجراء حظ كبير، من كارثة، ووفقا لوجهة النظر هذه، كان من الممكن ان يؤدي استخدام العراق لاسلحة كيماوية الى انتقام اسرائيلي مكثف. ونأمل بان تؤدي هذه الاراء، التي تقول بان المنطقة انقذت في هذه المرة باعجوبة، الى المطالبة باقامة نظام مراقبة لانتشار الاسلحة في المنطقة، كي يكون مصيرها اقل ارتباطا في المرات القادمة بالحظ.

وايضا، بالامكان ان نأمل بان تكون ردود الفعل المتدنية التي تبنتها اسرائيل ابان ازمة الخليج، وابدائها استعدادا للعمل على الحفاظ على الائتلاف المناهض للعراق، قد قلصت من نظرة السعودية، وسوريا لاسرائيل فقط في اطار "لعبة مبلغ الصفر". وبكلمات اخرى بالامكان التخمين بان سياسة ضبط النفس التي اتبعتها اسرائيل وخصوصا امتناعها عن الانتقام من الهجمات الصاروخية عليها، ستؤدي الى زيادة الإحساس لدى سوريا والسعودية، بانه من المحتمل وفي ظل ظروف معينة وجود مصالح متماثلة بينها وبين اسرائيل. وايضا بالامكان الافتراض بان هذه التوجهات الجديدة ستؤدي الى زيادة استعداد دمشق والرياض لاجراء مداولات مع اسرائيل حول اقامة ترتيبات لمراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط.

وعرضت نماذج على هذه التوجهات ابان الحرب وذلك عندما عملت اوساط سعودية على الايضاح - سواء في اطار مقابلات تلفزيونية او في قنوات اخرى - بان سلاح الجو السعودي يشارك وبصورة فعالة في المجهودات التي تبذل من أجل تدمير قاذفات الصواريخ في غربي العراق والتي تطلق منها صواريخ الحسين على اسرائيل، وذلك بهدف اقناع اسرائيل بالاستمرار بسياسة ضبط النفس التي تتبعها حيال القصف الصاروخي العراقي لها. وفي ضوء "التعاون الاستراتيجي" الذي عرضت عنه نماذج ابان الحرب، بالامكان التوقع من السعودية تقليص درجة معارضتها للتعاون مع اسرائيل في اطار اقليمي متعدد الاطراف. وعلى سبيل المثال ذاك التي ستبحث فيه اقامة نظام مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط.

وايضا في ختام الحرب ظهرت مؤشرات تدل على انه على الاقل احدى دول المنطقة - مصر - تخلت عن توجهات "كل شيء او لا شيء"، التي تنص على ان نزع السلاح غير التقليدي يشكل بديلا وحيدا لاستمرار التسلح، وذلك لصالح التوجهات الواقعة والاكثر براغماتية، التي تقترح تجميد قدرات دول المنطقة في هذا المجال. وهذا كمرحلة اولى في مسيرة نزع ومراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. وقد نقل المصريون هذه التوجهات بصورة شخصية لاسرائيل ابان ربيع العام ١٩٩١. ووجدت تعبيرها في مبادرة الرئيس بوش في نهاية الربيع (٥).

واضافة لذلك، في ضوء مركزية الاتحاد السوفييتي بكل مجهودات تتطور الى البدء بمراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط، توجد اهمية، كبيرة لمدى التعاون الذي وجد بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ابان الحرب. وفي ضوء الحقيقة القائلة بان الاتحاد السوفييتي مستمر بالعمل كممول لسوريا وليبيا بالاسلحة فليس بالامكان فرض قيود على انتشار الاسلحة بدون تعاون تام من قبله. الدور الناجع الذي لعبه الاتحاد السوفييتي ابان الازمة حتى وان كان مرفقا بمحاذير معينة حيال [illegible] وايضا تصريحاته الكثيرة بخصوص ضرورة تطبيق ترتيبات لمراقبة انتشار الاسلحة في المنطقة، ادى الى امال حول لعب الاتحاد السوفييتي دورا ناجعا في هذا المجال بعد حرب الخليج. وبهذا الخصوص برز ابداع سوفييتي خاص من خلال الاقتراح الذي قدمه في شهر اذار ١٩٩١، والذي ينص على اقامة مركز مراقبة للازمات في الشرق الاوسط يتواجد فيه وبصورة دائمة ممثلون عن اسرائيل والدول العربية ومراقبون من الدولتين العظميين والذي يجب ان يساعد في الحيلولة دون سوء تفاهم وتصعيد غير مقصود للازمات (٦).

وفي نهاية المطاف بالامكان التوقع وقبيل صيف العام ١٩٩١ تأثر توجهات دول الشرق الاوسط بالتطورات الايجابية التي بدأت في مناطق اخرى، الامر الذي يعني قبولا متزايدا للترتيبات والاجراءات في مجال مراقبة انتشار الاسلحة. وقد اتضح ذلك في القرارين المنفصلين اللذان اتخذتهما فرنسا وجنوب افريقيا، بالتوقيع على ميثاق منع انتشار الاسلحة النووية. وتوجد لهذه القرارات مغزى كبير في ضوء الدور الذي قامت به فرنسا في السابق كمصدرة مركزية للتكنولوجيا النووية، وفي ضوء مكانة جنوب افريقيا كـ "دولة متقدمة" تعتبر ذات امكانيات نووية متقدمة.

وللاسف الشديد، على الرغم من انه من الممكن ان يكون لدى الاطراف التي حددناها ما يمكن من تجربة تطبيق ترتيبات لمراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط، لكن حتى نهاية صيف العام ١٩٩١ لم يتضمن ذلك ما يمكن ان يكون كافيا للتغلب على ارث المشاكل التي ترتبط بها محاولة فرض رقابة على انتشار الاسلحة في المنطقة. واولا، حتى كتابة هذه السطور لا تتوفر تأكيدات تقول ان بالامكان التغلب على مشكلة العلاقة بين شراء الاسلحة الذي تقوم به دول الشرق الاوسط وبين استمرار وجود الصراعات الحادة والعميقة في المنطقة، وايضا على مشكلة العلاقة من مسألة مراقبة انتشار الاسلحة ومسيرة الترتيبات السياسية في المنطقة وبين عمليات شراء الاسلحة الذي تقوم بها دول الشرق الاوسط واستمرار الصراعات الحادة والعميقة في المنطقة. وهكذا وحتى الاسراع بمسيرة السلام، سيكون من الصعب توقع قيام سوريا، التي ترفض التسليم بالسيطرة الاسرائيلية على هضبة الجولان، بالموافقة على تطبيق نظام مراقبة انتشار الاسلحة، اذا لم يكن هذا مرتبطا بحل الصراع الاقليمي بينها وبين اسرائيل. ودون حل كهذا ستستمر سوريا بالتطلع الى التوصل لـ "توازن استراتيجي" مع اسرائيل وتؤجل اي تسوية لمراقبة انتشار اسلحة يمكن ان يحول دون تحقيقها هذا "التوازن" الذي يعتبر في دمشق كشرط مسبق على قدرتها في المستقبل لاجبار اسرائيل على الانسحاب من هضبة الجولان.

ولا تتوفر اي احتمالات لايجاد اسس لثقة متبادلة معقولة بين الاطراف، هذه الثقة التي تشكل شرطا مسبقا لتنفيذ اي مراقبة لانتشار الاسلحة، الا بعد ان تبدأ الدول العربية باجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل. لقد شكلت ضرورة توفر الحد الادنى من الثقة اساسا لمطالب اسرائيلية متكررة - على سبيل المثال في اطار مبادرتها التي نصت على تحويل المنطقة الى منطقة منزوعة من الاسلحة النووية - تؤكد على ضرورة ان تكون مراقبة انتشار الاسلحة في المنطقة ناجمة عن مفاوضات مباشرة بين الاطراف. وابداء الدول العربية استعدادا لاجراء مفاوضات كهذه مع اسرائيل سيضاعف من الثقة بنوايا هذه الدول، وستعزز من استعدادها ابداء تنازلات مطلوبة من اجل التوصل الى اتفاق بين دول المنطقة بهذا الخصوص.

وبناء على ذلك فان رفض الدول العربية الخوض في مفاوضات مباشرة مع اسرائيل شكل حتى الان عقبة امام مسيرة ناجعة لمراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. ويجب ان لا نستغرب افتراض اسرائيل بان الدول العربية ستبذل قصارى جهدها من اجل الاخلال بالاتفاقات التي ستوقع عليها مع دولة يرفضون اقامة علاقات اي كانت معها. وفي هذا الاطار فان معارضة الدول العربية التي شاركت في الائتلاف المناهض للعراق لاي مظاهر تعاون علني بين الولايات المتحدة واسرائيل ابان الحرب يبشر بمساوء بالنسبة للمستقبل.

ويشكل عقبة اخرى رفض الدول العربية اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل وكما تم التأكيد سابقا فيجب على كل نظام مراقبة انتشار اسلحة ان يشمل وسائل مشددة جدا تتضمن التأكد من ان الاطراف تطبق فعلا كافة الالتزامات كما نصت عليها الاتفاقات التي وقعت معها. وفي ضوء المخاوف السائدة في المنطقة جراء الصراع الطويل ولانه ايضا تتطلب الضرورة التأكد من الاستخدام النهائي للمواد، وخصوصا المواد الكيماوية، التي يتم نقلها لدول الشرق الاوسط، والتي من الممكن استخدامها لاغراض مزدوجة مدنية وعسكرية معا - يجب ان تكون وسائل المراقبة التي تتبع مشددة جدا بما في ذلك مراقبة في داخل الدول نفسها(On - Site inspections) لكن من الصعب جدا مشاهدة كيف سيتم تطبيق وسائل مراقبة كهذه على وجود الاتفاقات بين دول تمتنع عن اقامة اي علاقات كانت خلال الـ ٤٠ عاما الماضية. وتستمر بالامتناع حتى يومنا هذا. وهكذا وعلى الرغم من تجربة حرب الخليج - فان انعدام تغيرات في هذا المجال يضع عقبة مستمرة امام كل محاولة لتطبيق مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في المنطقة.

وتوجد تعقيدات اخرى ناجمة عن تأثير عامل الزمن على احتمالات تطبيق مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. ومع مرور الزمن على انتهاء حرب الخليج، تتضاءل احتمالات استغلال الفرص التي نجمت عن الازمة. ومن جهة ثانية في الفترة التي تلت الحرب، وجدت ادارة بوش نفسها تغص بالمشاكل التي يجب عليها مواجهتها قبل ان يكون بالامكان تخصيص وقت ومجهودات من اجل احراز تقدم على مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. وينطبق هذا الامر على وجه الخصوص على الضرورة التي تشعر بها الادارة الامريكية حيال مواجهة النتائج التي ترتبت على استمرار وجود صدام حسين في السلطة - بما في ذلك نجاحه بقمع تمرد الشيعة في الجنوب والاكراد في الشمال - وضرورة بناء نظام امن جديد في منطقة الخليج. ومع اقتراب حلول صيف العام ١٩٩١ تجبر الادارة الامريكية على تناول النتائج النهائية المترتبة على استمرار بقاء صدام في السلطة - المجهودات التي يبذلها العراق من اجل انقاذ مشاريعه النووية، من التعليمات التي ينص عليها قرار مجلس الامن ٦٨٧، وفي ضوء هذه المشاكل، التي تنضم الى مجموعة المشاكل الخطرة الاخرى التي يجب على ادارة بوش مواجهتها في الساحة الخارجية - بما في ذلك مسيرة انحلال الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا - تبدو هناك ضرورة في احراز تقدم على مسيرة مراقبة انتشا الاسلحة المتعددة الاطراف كمهمة اقل الحاحا.

وهناك مشكلة اخرى تعتبر ذات اهمية كبير جدا، ناجمة عن المنافسة القائمة بين المصالح الامريكية، في تطبيق مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط والمصالح الامريكية الاخرى في المنطقة. وهكذا، في الوقت الذي تفترض فيه المصالح الامريكية فرض رقابة، على انتشار الاسلحة، تفترض تقييد تدفق الاسلحة على الشرق الاوسط، فان قضية استقرار منطقة الخليج الفارسي تستوجب، وبنظر واشنطن، ارساليات اسلحة اخرى وباحجام كبيرة لـ "حلفاء" الولايات المتحدة في المنطقة، مثل مصر، السعودية، ودول الخليج. وبالنسبة لبعض هذه الدول، وايضا في مجال علاقات الولايات المتحدة باسرائيل، تتطلع الادارة الامريكية، لتعويض حليفاتها عن الخسائر الكبيرة التي منيت بها في الحرب، والاعراب عن شكرها لها جراء تأييدها للولايات المتحدة ابان الازمة، وذلك من خلال تقديم مساعدات تشمل ايضا ارساليات اسلحة (٧).

ومن المرجح ان تؤدي الخطوة الامريكية التي تستهدف وضع مخازن اسلحة في الشرق الاوسط (Prepositiong) - كما تنوي البنتاغون بالنسبة للعرب وبالنسبة لاسرائيل، كما اتفق عليه ابان الزيارة التي قام بها ريتشارد تشيني وزير الدفاع الامريكي لاسرائيل في مطلع شهر حزيران ١٩٩١ - الى ترك اثار سلبية على امكانية اقناع الدول العربية نفسها بعدم تخزين اسلحة. ومن الصعب التصديق بان دول المنطقة ستكون على استعداد للموافقة على فرض قيود على امكانية تسلحها في الوقت الذي تضاعف فيه الولايات المتحدة من مخازن اسلحتها في المنطقة وذلك اكبر بكثير مما كانت عليه قبل اندلاع الازمة في الخليج.

يوجد تناقض اخر في مجال علاقات الاتحاد السوفييتي - سوريا، وفي الوقت الذي ابرزت فيه حرب الخليج النتائج السلبية المعروفة والكامنة بانتشار الاسلحة، حصلت سوريا على تعويض مالي كبير من السعودية، وهكذا قدمت لها وللمرة الاولى منذ سنوات، العملة العصبة، التي تمكنها من القيام بعمليات شراء اسلحة باحجام كبيرة من الاتحاد السوفييتي (وايضا من دول اخرى مثل كوريا الشمالية، تشيكوسلوفاكيا والصين). ويتعرض الاتحاد السوفييتي نفسه لتناقض بين المصلحتين.

لقد وجدت عدة تعبيرات ابان ازمة الخليج تشير الى ان موسكو تشعر بندم على مساهمتها بتسليح العراق في السنوات الاخيرة. وجزء من هذه التعبيرات التي تنم عن انتقاد ذاتي سوفيتي، لم تكن اقل حدة من تلك التي سمعت في اوروبا الغربية. لكن في ضوء الاوضاع الاقتصادية السيئة في الاتحاد السوفييتي، وجراء تعطشه للعملة العصبة، وفي ضوء تجدد قدرة سوريا على الدفع بالعملة الصعبة مقابل شراء اسلحة جديدة، يبدو بان موسكو ستجد صعوبة في مواجهة هذه الاغراءات. وفي ظل هذه الظروف سيكون تأييد الاتحاد السوفييتي لمجهودات تطبيق نظام مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط جزئيا فقط.

وربما توجد وبصورة موازية للنتائج الايجابية لهزيمة صدام حسين بالنسبة لاحتمالات تقليص انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط، نتائج معاكسة لتقليص قوة العراق ان تدني مستوى القوة العراقية، على الاقل مؤقتا، باعتبارها تشكل تهديدا فوريا للساحتين الاقليمية والدولية ستقلص وبالضرورة احساس دول مختلفة وعلى رأسها الولايات المتحدة بالحاجة مجهودات تقليص تدفق الاسلحة على الشرق الاوسط وذلك لحين تدمير الالية الحربية العراقية. ولهذا فمن المرجح ان تمكن نتائج الحرب دولا مختلفة من تقليص اهتمامها بمسيرة مراقبة نزع الاسلحة والعودة الى تناول قضايا اخرى ذات اولويات اكبر بنظرها.

يكمن الامل الرئيسي باحتمالات تطوير مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة بعد حرب الخليج، وعلى الرغم من كافة المشاكل التي حددت هنا، بامكانية عقد مؤتمر اقليمي لتسوية الصراع العربي - الاسرائيلي. وسيؤدي عقد مثل هذا المؤتمر الى تقليص جزء من التحفظات الاسرائيلية الناجمة عن عدم وجود مفاوضات مباشرة وعلاقات رسمية اي كانت بين اطراف الصراع. كما سيشكل المؤتمر ايضا مؤشرات لسوريا تؤكد بان مجهودات حقيقية تبذل من اجل معالجة الصراع الاقليمي بينها وبين اسرائيل. ومؤتمر كهذا اذا اعد بصورة صحيحة، يجب ان يعالج الاحتياجات الامنية المشروعة للاطراف المختلفة في الصراع، ويساعدهم في التغلب على تطلعهم التقليدي للعمل وفقا لـ "افكار مبلغ الصفر".

من اجل ان لا تتعرض المفاوضات نفسها ومسيرة التسويات التي ستليها لاخطار بسبب اخطاء في التوجهات العامة والتقديرات، يجب ان يعالج المؤتمر الاقليمي، وكجزء مركزي من جدول اعماله، امكانية بناء وسائل لتعزيز الثقة المتبادلة بين دول المنطقة. وبالتدريج ومن اجل ان تكون دول الشرق الاوسط مستعدة لابداء التنازلات المطلوبة، في اطار المفاوضات لتسوية المشاكل السياسية في المنطقة، يجب ان تكون هذه الدول متأكدة من ان الاتفاقات التي تم التوصل اليها لن تنهار جراء سوء تفاهم ان جراء محاولات مقصودة للاخلال بالاتفاقات. ومن اجل تحقيق هذا الهدف ستتطلب الضرورة دراسة وتبني اطارا واسعة من المجهودات، بما في ذلك ادخال تغيرات على بنية القوات العسكرية للدول العربية، التي ترتكز وبصورة تامة على قوات نظامية قادرة على شن حرب دون تجنيد قوات الاحتياط، وبصورة مفاجئة، ويجب على هذه القوات ان تتبنى بنية مماثلة للجيش الاسرائيلي الذي يعتمد على قوات الاحتياط من اجل القيام بدور كبير في قواته ابان الحرب. ان ضرورة تجنيد قوات الاحتياط سيوفر لكافة دول المنطقة انذارا مسبقا، وستزول مخاوفها من احتمالات القيام بهجوم مفاجيء. وهكذا ستتطلب الضرورة فرض قيود على وجود اسلحة، وذلك من خلال ايجاد مناطق منزوعة السلاح واخرى ذات قوات محدودة فيها.

كما ستتطلب الضرورة ايضا تبني وسائل اخرى لمنع حدوث هجوم مفاجيء، مثل وضع قوات او مراقبين دوليين في مناطق فاصلة يتم تحديدها، القيام بدوريات مشتركة، اقامة محطات انذار ومتابعة، وايضا استخدام مشترك للمعلومات التي يتم الحصول عليها من الاقمار الصناعية. وايضا ستتطلب الضرورة اقامة وترسيخ وسائل خاصة لمنع وقوع حرب جراء اخطاء او تصعيد غير مقصود مثل اقامة مركز لمنع وقوع ازمات او حصر هذه الازمات اذا وقعت، وتطبيق اتفاقيات لنقل بيانات مسبقة عن القيام بمناورات عسكرية وتجارب اطلاق الصواريخ.

اذا عقد فعلا مؤتمر اقليمي، سيكون بالامكان ايضا البدء بمسيرة نوعية في مجال مراقبة انتشار الاسلحة، هذا اضافة لوسائل بناء الثقة التي ذكرت انفا. وبهذا الخصوص من الجدير ذكر موافقة دول مجلس التعاون الخليجي، على اجراء مباحثات مباشر مع اسرائيل في اطار المؤتمر، حول موضوعات متعلقة بالامن المتبادل بين دول المنطقة. واذا ادى هذا المؤتمر الى تبني سلسلة وسائل من اجل تعزيز الثقة المتبادلة، فان [illegible] في مجال تنفيذ هذه الوسائل ولفترة زمنية طويلة، سيكون بالامكان عقد مؤتمر اخر لبحث وسائل اعمق من ذلك. وفي المحتمل ان تؤدي هذه التجربة المتراكمة وتعزيز الثقة الناجمة عن التجربة، الى مضاعفة استعداد دول المنطقة لتبني ترتيبات لمراقبة انتشار الاسلحة، وايضا تقليص مخازن الاسلحة الموجودة في الشرق الاوسط.

المبادرة الامريكية.

كانت الخطوة النوعية الرئيسية التي تمت في مجال مجهودات مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط منذ انتهاء حرب الخليج وحتى صيف ١٩٩١، مبادرة الولايات المتحدة بهذا الصدد والتي اعلن عنها الرئيس بوش بتاريخ ٢٩ ايار ١٩٩١ الصيغة الكاملة لهذه المبادرة مرفقة كملحق في هذا الفصل.

تتضمن مبادرة الرئيس خمسة اجزاء، لكن الاول منها فقط هو الذي يتناول لجم نقل الاسلحة التقليدية، ويصنف هذا الموضوع عمليا. اما باقي الاجزاء فتشمل دعوات لدول المنطقة من اجل العمل على لجم سباق التسلح غير التقليدي. ومن الواضح هنا بان المبادرة لا تحاول مواجهة معظم المشاكل والعقبات التي ذكرناها، والتي تغلق الطريق امام كل محاولة لتطبيق مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في المنطقة.

يشمل الجزء الاول من المبادرة دعوة لعقد اجتماع لممثلي الدول الخمس التي تمول المنطقة بالاسلحة الرئيسية، وهي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن، وذلك من اجل الاتفاق على مبادىء وتوجيهات لمنع نقل اسلحة تؤدي الى زعزعة استقرار الدول في الشرق الاوسط. لكن تم التأكيد في البيان بانه لا تتجه النية الى منع دول المنطقة من التسلح باسلحة مطلوبة لاحتياجات الردع والدفاع امام هجمات عسكرية. وبهذا الخصوص لا يوجد اي وضوح حول كيفية اتخاذ هذه الدول قرارات بصدد الاسلحة التي يتضمنها مفهوم الاحتياجات الدفاعية والرادعة لدول المنطقة. ولا يوجد ادنى شك في ان كل دولة مصدرة للاسلحة تزيد عقد صفقة اي كانت ستعمل على تعريف الصفقة بانها تستهدف احتياجات دفاعية ورادعة. وعلى سبيل المثال من المرجح جدا ان تعمل الولايات المتحدة ذلك من اجل تنفيذ نواياها المتعلقة ببيع اسلحة كثيرة للسعودية ولدول اخرى في الخليج ومن جهة ثانية من المرجح ان تدّعي الولايات المتحدة بان جزءا من الاسلحة التي تنوي دول المنطقة شراؤها من الاتحاد السوفييتي، كوريا الشمالية، والصين ليست مطلوبة من اجل الاحتياجات الدفاعية والرادعة. وبناء على ذلك من الواضح بان هذه المسائل يمكن ان تستخدمها الممولات للاسلحة كمجال مداولات تدوم سنوات طويلة ومن المشكوك فيه ان تتضمن تعليمات هذا البند ما يمكن ان يحرز تقدما نوعيا على مجهودات وقف مسيرة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط.

يتناول البند التالي في المبادرة مجهودات فرض قيود على انتشار الصواريخ في الشرق الاوسط، ويتضمن دعوة لدول المنطقة للتوقف عن المجهودات التي تبذلها من اجل التزود بالصواريخ، ودعوة للدول الممولة للسلاح والتكنولوجيا - بفرض قيود على تصدير الصواريخ والتكنولوجيا الضرورية، لانتاجها. لكن لا تقترح المبادرة اي جهاز لتنفيذ حظر التسلح بالصواريخ، ولهذا فانها تبقى مفرغة المضمون. وينطبق ذلك على باقي بنود المبادرة التي تشمل سلسلة من النداءات لدول المنطقة: من اجل امتناعها عن انتاج وشراء مواد لانتاج اسلحة نووية، من اجل التوقيع على ميثاق منع انتشار الاسلحة النووية، من اجل ان ينفذوا ترتيبات مراقبة الوكالة الدولية للطاقة في مفاعلاتهم النووية، من اجل ان يسعوا الى اقامة منطقة منزوعة من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط، من اجل الانضمام لعضوية الميثاق الدولي لمنع انتشار الاسلحة الكيماوية، وايضا من اجل تنفيذ بنود حيوية من ميثاق انتشار الاسلحة الكيماوية، وايضا من اجل تنفيذ بنود حيوية من ميثاق منع انتشار الاسلحة البيولوجية.

استهدفت مبادرة الرئيس بوش استغلال الاوضاع التي وجدت بعد حرب الخليج وذلك من اجل وقف انتشار الاسلحة النووية، الكيماوية والبيولوجية في المنطقة. وايضا من اجل لجم نقل اسلحة تؤدي الى زعزعة الاستقرار في دول الشرق الاوسط. [illegible] علاقة بين مبادرة الرئيس والمجهودات التي تبذلها الادارة الامريكية من اجل احراز تقدم على مسيرة السلام في الشرق الاوسط: وبالتدريج مع محاولات وزير الخارجية الامريكي عقد مؤتمر اقليمي من اجل تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي، ربما تتطلب الضرورة عرض رؤوس اقلام من اجل اجراء مداولات حول الابعاد الامنية لتسوية النزاع، بما في ذلك في مجال انتشار الاسلحة في المنطقة. لكن بالامكان التقدير انه اذا وجدت علاقة بين مبادرة مسيرة السلام - فان جوهرها يكون معاكسا: وعندما يبدو بان المجهودات التي تستهدف احراز تقدم على مسيرة السلام في

المنطقة لا تعطي الثمار المرجوة منها فسيوجد امتهام بنقل الانتباه لساحة اخرى.

ومع ذلك، يبدو اننا اذا توخينا الحقيقة سنجد بان مبادرة الرئيس لم تستهدف الا افشال مبادرات امريكية اخرى - اقترحها اعضاء في مجلسي الكونغرس الامريكي - لوقف مسيرة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط. وابرزها كانت مبادرة رئيس اللجنة للعلاقات الدولية في مجلس النواب دنته فاسل (ديمقراطي من فلوريدا) الذي ينص على اتخاذ قرار رسمي يفرض حظر تام على بيع اسلحة للشرق الاوسط، يتم احترامه طوال الفترة التي تمتنع فيها ممولات اخريات عن بيع اسلحة لدول المنطقة. وهذه التعديلات اذا تحولت الى قانون ستضع عقبات امام قدرة ادارة بوش على بيع اسلحة لحليفاتها في المنطقة، بما في ذلك السعودية ودول الخليج الفارسي. ولو قامت ادارة بوش بمعارضة هذه المبادرات دون عرض مبادرة اخرى من لدنها لبدت كـ "تاجرة باسلحة الموت". وبعد ان عرضت مبادرتها تستطيع الادارة الادعاء بان كل مبادرة اخرى تقترحها السلطة التشريعية، ستؤدي فقط الى الاساءة لقدرة الرئيس على الحصول على موافقة دولية، واسعة لمبادرة الادارة.

ومن الناحية النوعية، لا تتصدى مبادرة الرئيس الى العقبات التي تسد الطريق امام مسيرة مراقبة انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط: تطلع عدد من دول المنطقة الى استبدال الوضع القائم ايضا من خلال العنف، رفض دول المنطقة باستثناء مصر وحتى الان اجراء مفاوضات مباشرة واقامة علاقات مباشرة اخرى مع اسرائيل، عدم التناظر التي تمتاز به بنية قوات دول المنطقة، وفي النهاية، التناقض القائم من جهة بين مصالح الولايات المتحدة بفرض قيود على انتشار الاسلحة في الشرق الاوسط، ومصلحتها بتمويل حليفاتها بالاسلحة، بما في ذلك تخزين اسلحة وذخيرة في اراضيها.

ان قلة الاقتراحات العملية التي تشملها مبادرة الرئيس توفر لها طابع جدول اعمال للمفاوضات. وبوجهة نظر اسرائيل، من الجدير مباركة جدول الاعمال المقترح. لكن الاحتمالات الكامنة في المبادرة محدودة، وذلك لانه ستبقى بايدي اسرائيل مجالا للتحفظ من بنود مختلفة في المبادرة لا تتوافق مع رغباتها لدى بدء مفاوضات مفصلة وعملية، من اجل تنفيذها. وذلك في حال وصول المبادرة لمداولات مفصلة حول تنفيذها لكن حتى لو كان بالامكان تنفيذ المبادرة فان النتيجة ستكون - على الاقل في المرحلة الاولى والتي قد تستمر حتى التوصل لتسوية سياسية شاملة في الشرق الاوسط - استمرار الخلافات الكبيرة القائمة في المنطقة. ولا ريب في ان اسرائيل التي تتمتع اليوم بمكانة استراتيجية ايجابية بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخها، يجب ان تبارك نتائج كهذه.

ملاحظات ومراجع.

١- Shai Feldman, "Middle East Missile and CBW Proliferation: Partterns, Trends and Ramifications, "in Joseph Alpher, ed., The Balance 1989090, Middle East tel Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies (Jerusalem: The Jerusalem Post, and Boulder, Co: Westview Press, 1990),pp. 36-51.

٢- "Establishment of a Nuclear Free Zone in the Middle East, "United Nations General Assembly A/45/771, November 21,1990; "Letter dated 16 April 1990 from the Permanent Representative of Egypt to the United Nations addressed to the Secretary General, United Nations, General Assembly A141219, April 18,1990 .

٣- "Appendix I: Address of Israeli Prime Minister Yitzhak Shamir, UN General - Assembly, June 7, 1988." in Dore Gold, ed., Arms Control in the

Middle East, Tel Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies, JCSS Study no 15 (Jerusalem: The Jerusalem Post and Boulder, Co: Westview Press, 1990); "Establishment of a Nuclear-Free-Zone in the Region of the Middle East -Israel: draft resolution," United Nations General Assembly A/C.1.35/L.8, October 31,1980; Transcript of Address by Yitzhak Shamir, Prime Minister of Israel, American Enterprise Institute, Wednesdy, December 12, 1990. معاريف ٩٠/١٢/١٢.

٤- هذا في اطار شهادته امام لجنة الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي. هآرتس ٩١/٢/٧.

٥- من الاتصالات التي اجرتها اوساط مصرية غير سمية وحصلت بعد ذلك على اقرار اوساط مصرية رسمية، مع بعض اعضاء طاقم مركز الابحاث الاستراتيجية - يافه - في المؤتمر الدولي الذي عقد في ربيع ١٩٩١.

٦- هآرتس ٩١/٣/١٤.

- نموذج واضح على ذلك القرار الذي اتخذته الادارة الامريكية في شهر آذار ١٩٩١، بتزويد مصر باسلحة بمبلغ ١,٦ مليار دولار، بما في ذلك ٤٦ طائرة اف - ١٦، ٨٠ صاروخ مافريك، ٥٢٨ قذيفة و٤٨ قذيفة موجهة. انظر يديعوت احرونوت ١٩٩١/٣/٧.

بلاغ حول المبادرة لمراقبة انتشار الاسلحة

بيان من مكتب السكرتير الصحفي

في البيت الابيض، كنيونكفورت، بين ٢٩ ايار ١٩٩١

اعلن الرئيس وبناء على الالتزام الذي اخذه على نفسه في الخطاب امام الاجتماع المشترك لمجلسي الكونغرس بتاريخ ٦ آذار، اعلن اليوم عن عدة مبادرات تستهدف وقف انتشار الاسلحة النووية، الكيماوية، والبيولوجية في الشرق الاوسط، وايضا انتشار الصواريخ التي تعد لحمل هذه الاسلحة. وتستهدف المبادرات ايضا لجم تخزين الاسلحة التي تزعزع الاستقرار في المنطقة.

تنطبق هذه المبادرات على جميع الشرق الاوسط بما في ذلك العراق، ايران، ليبيا، سوريا، مصر، لبنان، اسرائيل، الاردن، السعودية ودول اخرى في المغرب ومجلس التعاون الخليجي. وتعبر هذه المبادرات عن مشاورات اجرتها الولايات المتحدة مع حليفاتها، حكومات (اخرى) في المنطقة وممولات رئيسيات للاسلحة والتكنولوجيا.

ستكون مساعدة المصدرات والمستوردات للاسلحة معا ضروري من اجل نجاح المبادرات، ولان انتشار الاسلحة يعتبر مشكلة عالمية فان حلها يجب ان يكون عالميا ايضا. ومع ذلك فان الوضع الحالي في الشرق الاوسط يشكل اخطارا خاصة وفرصا خاصة. ولهذا فان مبادرات الرئيس ستركز على الشرق الاوسط كنقطة بداية، كما انها تستكمل مبادرات اخرى مثل تلك التي عرضها رئيسي الحكومتين، جون ميجر من بريطانيا وبريان ملروني من كندا وتشمل المبادرات النقاط التالية:

لجم الممولات.

تدعو الولايات المتحدة الخمس الرئيسات للاسلحة لعقد لقاء في المستقبل القريب وعلى مستوى عالي من اجل مداولات حول توجيهات لجم نقل الاسلحة التقليدية، وايضا اسلحة الدمار الجماعي والتكنولوجيا المرافقة له - ولقد وافقت فرنسا على اضافة اللقاء الاول (للممولات). (بريطانيا، فرنسا، الاتحاد السوفييتي، الصين والولايات المتحدة زودت الشرق الاوسط بمعظم الاسلحة المتواجدة فيه في العقد الاخير). وبالتدريج ستمكن هذه التوجيهات دول المنطقة من شراء الامكانيات التقليدية المطلوبة لها، بصورة مشروعة من اجل الردع والدفاع عن نفسها من الاعتداءات العسكرية.

وسيتم توسيع هذه المداولات لتشمل ممولات اخريات للاسلحة وذلك من اجل ضمان تعاون واسع قدر الامكان. وستشكل قمة لندن الـ -G-7 (القوى العظمى الاقتصادية السبع) والذي سيستضيفها البريطانيون في شهر تموز القرصة القادمة لبدء تدخل هذه الدول (بالموضوع).

ومن اجل تطبيق هذا النظام، على الممولات، يجب الالتزام باقامة هيئة عامة لنقل اسلحة وذلك من خلال تحمل مسؤولية، الامتناع عن نقل اسلحة تزعزع الاستقرار وتحديد اسس للقيود الداخلية المشددة على الاستخدام النهائي للاسلحة والتفاصيل الاخرى التي تمولهم بها

وستشمل التوجيهات اجهزة للاستشارات بين الدول الممولة، بحيث تبلغ كل واحدة منها الاخرى قبل عملية بيع اسلحة معينة، وستتوجه بصورة منتظمة من اجل اجراء مداولات حول نقل الاسلحة، وتتشاور في كل مرة تشعر فيها احدى الممولات بان هناك تجاوزا للتوجيهات، كما تزود كل منهم الاخرى بتقرير سنوي عن نقل الاسلحة.

صواريخ:

تقترح المبادرة تجميد شراء، انتاج واجراء تجارب على صواريخ ارض - ارض من قبل دول المنطقة وذلك بهدف ان يؤدي ذلك وفي نهاية المطاف الى تصفية هذه الصواريخ من مخازن اسلحتها.

وتضاعف الممولات من مجهوداتها من اجل التنسيق في مجال تقديم تصاريح لتصدير معدات، تكنولوجيا وخدمات تتضمن ما يمكن استخدامه لانتاج صواريخ ارض - ارض. وتعطى تصاريح التصدير فقط من اجل ان يكون الاستخدام النهائي (للمواد والتكنولوجيا) من اجل الأغراض السلمية.

سلام نووي:

ترتكز المبادرة على مؤسسات قائمة ومتقدمة في النشاطات المرتبطة مباشرة بقدرات (تطوير) الاسلحة النووية. وتدعو المبادرة دول المنطقة لتطبيق الحظر، والذي بالامكان التأكد من درجة وجوده، على انتاج وشراء مواد بالامكان استخدامها من اجل انتاج الاسلحة النووية (يورانيوم مشع وبلوتونيوم منفصل)، (المبادرة) تكرر دعوتنا لجميع دول المنطقة التي لم تفعل ذلك حتى الان - من اجل التوقيع على الميثاق لمنع انتشار الاسلحة النووية، (المبادرة) تكرر دعوتنا الى تطبيق ترتيبات مراقبة الوكالة الدولية للطاقة النووية على جميع المفاعلات النووية، في المنطقة، وايضا (المبادرة) ستستمر بتأييد وجود، وفي نهاية المطاف، منطقة منزوعة من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط.

اسلحة كيماوية.

يتركز الاقتراح على مبادرة الرئيس (بوش) الاخيرة التي تدعو الى استكمال سريع لـ "ميثاق سالاسلحة الكيماوية" (Chemical weapons convention) بصورة دولية.

تدعو المبادرة جميع دول المنطقة الى العضوية الاصلية في الميثاق.

اخذة بعين الاعتبار تاريخ شراء اسلحة كيماوية واستخدامها في المنطقة، تدعو المبادرة دول المنطقة الان الى تطبيق وسائل لبناء صرح من الثقة (Confidence building measures) وذلك الى درجة وجودها قبل التوقيع على بنود ملائمة لـ "ميثاق الاسلحة الكيماوية".

اسلحة بيولوجية:

ومثلما هو الوضع بالنسبة لمراقبة الاسلحة الكيماوية ترتكز المبادرة (في المجال البيولوجي) على التوجهات القائمة (في الساحة) الدولية. المبادرة: (BWC Biological weapons convention) وذلك من خلال التطبيق الكامل

للبنود الموجودة في "الميثاق" وذلك من خلال تبني اجهزة محسنة لتبادل المعلومات. وهذه الوسائل ستبحث في المؤتمر الذي يعقد كل خمس سنوات لمتابعة تنفيذ الـ BWC والذي سيعقد في شهر ايلول من هذا العام.

(المبادرة) تدعو دول المنطقة لتبني وسائل لتعزيز الثقة المتبادلة بكل ما له علاقة بالاسلحة البيولوجية.

تستكمل هذه المبادرة تأييدنا المستمر لاستمرار الحظر الذي فرضه مجلس الامن على نقل اسلحة للعراق، وايضا من خلال وسائل اللجنة الخاصة للامم المتحدة لتصفية المواقع التي بقيت لدى العراق لاستخدام او انتاج اسلحة نووية، كيماوية بيولوجية والصواريخ التي تستهدف حملها.

ابعاد على الاجهزة الاسرائيلية الداخلية

امن ومواقف سياسية: تأثير حرب الخليج

بقلم: اشير اريان

يستلزم اتخاذ قرارات بشأن سياسة الامن القومي في دولة ديمقراطية انتباها خاصا للرأي العام، وقد بادر المركز للدراسات الاستراتيجية باسم يافي الى مشروع "الرأي العام والامن القومي" وذلك للحصول على صورة الراي العام الاسرائيلي في المواضيع المتعلقة بالامن القومي. هذا الفصل يعرض نتائج استطلاع الراي للمشروع والذي اجري في الاسبوعين الاخيرين من شهر آذار ١٩٩١، اي بعد حوالي ثلاثة اسابيع على انتهاء حرب الخليج. وفي هذا الاستطلاع تم اجراء مقابلات مع ١،١٣١ شخصا يشكلون عينة تمثيلية للسكان اليهود البالغين في اسرائيل. (١). وفي هذا الفصل تم اجراء مقارنة بين معطيات الاستطلاعات التي اجريت بعد الحرب مع معطيات استطلاعات سابقة بما في ذلك استطلاعات اجريت تماما قبل غزو العراق للكويت في آب ١٩٩٠ وبعد الغزو - ولكن قبل الحرب.

تشكل حرب الخليج تجمعا جيدا لجملة ظروف وبشكل خاص لبحث تغيّر المواقف السياسية وتوجد شهادات قاطعة للادعاء القائل ان حرب الخليج اثرت على الراي العام الاسرائيلي. وفيما يتعلق بذلك يجب الاشارة الى ثلاث مزايا:

١- استقطاب متعاظم بين المواقف بين اليسار الاسرائيلي الاكثر اعتدالا واليمين المتصلب.

٢- مسار متواصل من الاعتدال في مواضيع سياسية محددة على مدار السنوات الاخيرة.

٣- تركيبة معقدة للرأي العام تتيح للزعامة السياسية حرية عمل في قولبة جدول الاعمال القومي واتخاذ القرارات.

المواقف والتغيرات التي طرأت عليها، يتم فحصها فيما يلي بطريقتين مختلفتين. اولا - تقدير تأثير الحرب على اساس ما قاله المستطلعة اراؤهم انفسهم حول التغيير الذي طرأ بشأنهم. ثانيا - وزن التغير في انقسام المواقف السياسية والامنية على مدار السنوات الاخيرة. وهذه الطريقة التي تفحص التغيير في انقسام المواقف في عينات غير مرتبطة تقوم على اساس افتراض لمذهب التمثيل الذي ينص على ان عينات متلائمة من نفس السكان تكون متساوية في القيمة في الحدود المعروفة للاحتمالات. (٢).

تغيير كنتيجة للحرب

لا يوجد شك ان حرب الخليج كان لها تأثير على الرأي العام الاسرائيلي، والذين سئلوا اعترفوا بذلك بوضوح. فعندما سئلوا في استطلاع ١٩٩١، فان ٢٩٪ منهم قالوا ان الحرب غيرت فعلا وجهة نظرهم تجاه الوضع الامني والسياسي، واشار ٧١٪ الى ان مواقفهم السياسية لم تتغير في اعقاب الحرب.

كان التأثير الخالص اقل وضوحا. فنصف اولئك الذين ابلغوا عن تغيير مواقف (١٥٪ من العينة الشاملة)، قالوا انهم كانوا اكثر استعدادا لحل وسط في موضوع المناطق مما كانوا عليه قبل الحرب. [illegible] كانوا اقل استعدادا لحل وسط مقارنة مع موقفهم قبل الحرب. والوضع اكثر تعقيدا، فكما هو معروف فان ٢٩٪ قالوا ان مواقفهم في موضوع المناطق تغيرت في اعقاب الحرب، ومن بين هؤلاء قال ١٧٪ انهم يعتقدون ان المناطق اكثر اهمية لأمن اسرائيل، وقال ١٢٪ انهم بعد الحرب مقتنعين ان المناطق اقل اهمية عما كانوا يعتقدون من قبل. وهذه الفروق ليست بارزة احصائيا، والاهمية تتمثل في ان التغيير طرأ في كلا الاتجاهين اللذين مال كل منهما الى تحييد الآخر.

ويبرز استمرار تحليل اجوبة من اجريت معهم المقابلات ممن تغيرت مواقفهم بعد الحرب الاستقطاب الذي ميز السياسة الاسرائيلية في العقد الاخير. وقد تعمق هذا الاستقطاب عقب الحرب. فعندما فحصت اتجاهات تصويت اولئك الذين طرأ تغير على مواقفهم اتضحت معالم الاستقطاب. وكلما كان الحزب المفضل اكثر تطرفا يتزايد احتمال ان يبلغ من يوجه له السؤال عن تغير باتجاه القطب المتطرف لذلك الحزب. اي ان ذوي التوجيه اليساري الذين ابلغوا عن تغير مواقف كنتيجة للحرب مالوا الى التحرك الى اتجاه اكثر حمائمية. وقد مر بتغير مشابه الذين سئلوا من اليمين ولكنهم مالوا الان باتجاه احزاب اكثر صقورية.

هناك شهادات كثيرة بان حرب الخليج زادت الاستقطاب، وفقط شهادات قليلة بان الحرب تسببت في انتقال الكثيرين من احد المعسكرات الى معسكر اخر مختلف.

المعطيات التالية ستوضح هذا الادعاء. فبالنسبة لاولئك الذين افادوا بان الحرب غيرت آراءهم وانهم سيصوتون لـ "راتس" فان النسبة بين هذا التغيير وبين التغيير الى مواقف اكثر تشددا كانت ١٢:١. ومقابل كل مصوت لـ "موليدت" ابلغ عن تغير نحو الاعتدال عقب الحرب، قال مصوتان لـ "موليدت" ان مواقفهما في مسائل الامن ومواضيع سياسية تشددت نتيجة للحرب. وقد ابلغ مصوتو المعراخ الذين تغيرت اراؤهم عن تغير باتجاه الاعتدال بنسبة ٢:١.

لقد تغيرت بصورة متوازنة مجموعتان - مصوتو الليكود واولئك الذين لم يقرروا لمن سيصوتون. اي ان عدد الذين افادوا ان مواقفهم تحولت الى حمائمية اكثر بعد الحرب كان مساويا لعدد اولئك الذين قالوا انهم تحركوا نحو موقف اكثر صقورية. ولكن هاتين المجموعتين كانتا المجموعتان الاكبر في العينة (ليكود ٣٥٪، لم يقرروا ٢٠٪). وان قرارات هاتين المجموعتين وانماطهما المعقدة ستكون ذات تأثير هام على الساحة السياسية الاسرائيلية في المستقبل. وسيتم بحث هذا الموضوع مرة اخرى في الجزء الاخير من هذا الفصل.

مواقف مرتبطة بالحرب

لقد سئل المستجوبون الى اي مدى غيرت الحرب مواقفهم، ويعبر الجدول رقم (١) بشكل مميز عن المسائل التي كشفت على انها اكثر حساسية للتغيير عقب الحرب وتلك التي كشفت على انها اقل حساسية. مواقف الاسرائيليين تجاه الولايات المتحدة تحسنت بصورة دراماتيكية بعد الحرب. فقد عبر واحد من كل اثنين من المستجوبين عن تقدير افضل، كما تحسنت صورة جيش الدفاع الاسرائيلي واجهزة الاستخبارات ايضا في نظر الجمهور كنتيجة للحرب. كما تعزز ايضا الايمان بالله والرغبة في العيش في اسرائيل. وقد تغير نحو الاسوأ الوضع النفسي الشخصي والخوف من الحرب، كما ان تقييم العرب (مواطني اسرائيل وسكان المناطق والعرب عموما) تغير نحو الاسوأ بصورة ملحوظة. واعرب المستجوبون عن اعتقادهم ان الوضع النفسي القومي تغير للاسوأ. وقال ٢٩٪ انهم يرون ان الوضع النفسي ساء، و٢١٪ اعتقدوا انه تحسن، و٥١٪ ادعوا انه لم يطرأ عليه اي تغير، وقد تأثرت المشاركة السياسية من الحرب ولكن بصورة ضئيلة، فيما قال ٩٢٪ انه لم يطرأ اي تغير على نشاطاتهم.

وفي مواضيع اخرى فان غالبية المستجوبين (٧٣٪) اعتقدوا ان قدرة اسرائيل على الردع لم تتضرر بعد الحرب. ٦٤٪ رأوا جيش الدفاع الاسرائيلي كمصدر الردع الاسرائيلي، واشار ١٨٪ الى الردع النووي، وذكر ١١٪ الولايات المتحدة، واشار ٦٪ الى الله كمصدر الردع، و١٪ ذكروا الامم المتحدة.

وكانت الغالبية الساحقة من الاسرائيليين - ٨٥٪ - راضية او راضية جدا عن أداء الحكومة طوال الازمة. وقد سئل الذين اجريت معهم المقابلات اذا ما كانت الدولة مستعدة للاوضاع التي تطورت في حرب الخليج من وجهة نظرهم وكانت نسب الرد الايجابية:

٧٦٪ - دفاع عن الجبهة.

٦٧٪ - تغيير في روتين الحياة اليومية.

٦٦٪ - حرب غير تقليدية.

٥٥٪ - هجمات صواريخ.

وللمقارنة، فان ٣٦٪ فقط ادعوا ان الدولة كانت مستعدة لاستيعاب الهجرة. وقال ٩٢٪ من المستجوبين ان السكان في العمق اظهروا قوة صمود ما بين جيدة وجيدة جدا خلال الازمة. وقال ثلثا الذين سئلوا انهم في اوقات سماع صفارات الانذار اعتادوا على وضع كمامات الغاز والدخول الى غرفة محكمة الاغلاق او ملجأ، وقد تصرف على هذا النحو احيانا ٣٠٪، ولم يتصرف كذلك قطعا ٥٪.

جدول (١)

השפעות מלחמת המפרץ

הערכה של / אמונה ב...

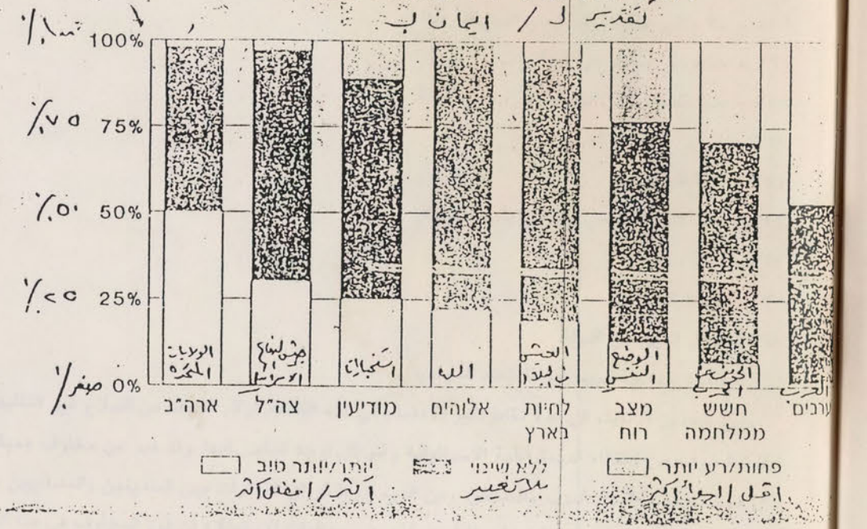

وعندما بدأت الصواريخ تتساقط على مناطق تل ابيب وحيفا هجر جزء من الناس بيوتهم. وكان من الممكن حدوث ذلك في اعقاب قرار الحكومة اغلاق المدارس ووقف العمل في غالبية المرافق الاقتصادية. وقد تباينت التقديرات بشأن عدد الذين هجروا بيوتهم، وحسب هذا الاستطلاع فان ١٢٪ من اولئك الذين كانوا في المناطق الخطيرة ابلغوا بانهم هجروها بسبب هجمات الصواريخ، على الاقل من حين لاخر.

وقد اثيرت عاصفة اعلامية عندما اعلنت شخصيات عامة وخاصة رئيس بلدية تل ابيب - يافا شلومو لاهط، ان اولئك الذين تركوا المدينة اثر الهجمات الصاروخية هم "فارين". وفيما بعد لطف لاهط اقواله بانه استثنى من مجموع الفارين العائلات التي لديها اطفال صغار. ولكن بقيت مسألة ما هو رد الجمهور على محاولة تطبيق مقياس قيمي - قضائي على تجمع سكاني مدني لم يكن باستطاعته فعل شيء باستثناء الانتظار للهجوم الصاروخي القادم. فقد عارضت الغالبية العظمى ممن سئلوا في الاستطلاع الموقف الذي عبر عنه لاهط. وقد عارض بشدة سبعة من كل عشرة اسرائيليين استخدام وصف "فارين" على السكان الذين تركوا المناطق الخطيرة، و١٢٪ اخرين عارضوا الى مدى معين. وفقط واحد من كل خمسة وافقوا او وافق بصورة كبيرة على التحديد القاسي.

خلال الحرب في الخليج شعر سكان اسرائيل بالتهديد جراء ما يحدث، وفيما يلي نسبة المستجوبين الذين ابلغوا بانهم شعروا بالتهديد بصورة كبيرة ازاء جملة مواضيع سواء امنية او مواضيع اخرى.

٧٦٪ - سلاح غير تقليدي في ايدي الدول العربية.

٦٦٪ - حكم غير ديمقراطي في اسرائيل.

٥٨٪ - عدد متساوي من اليهود والعرب في الدولة.

٥٥٪ - حرب اخرى مع العرب.

٥١٪ - دولة فلسطينية.

٤٩٪ - وقف المساعدة من قبل الولايات المتحدة.

٤٣٪ - دولة دينية.

٣٦٪ - اعادة المناطق.

١٢٪ - فصل الدين عن الدولة.

٨٪ - هجرة جماعية لليهود من الاتحاد السوفييتي.

ومن الجدير الانتباه الى عدة نقاط تثير الاهتمام في هذه القائمة. اولا، الخوف من السلاح غير التقليدي ملحوظ، وكذلك ايضا الخوف من اختفاء الديمقراطية الاسرائيلية رغم كل اوجه النقص فيها. وقد عبر عن مخاوف عميقة وان كان بصورة اقل قوة تجاه موضوع العرب والمناطق. ومن المهم ان نذكر ان التوترات بين المتدينين والعلمانيين هي ميزة دائمة في صراع الساحة السياسية الداخلية في اسرائيل. ويتضح من معطيات الاستطلاع ان قوة المخاوف في هذا الموضوع اقل مقارنة مع قوة التهديد الملموس في مسائل الامن والديمقراطية. وقد تم التعامل مع موضوع الهجرة من الاتحاد السوفييتي واستيعابها على انه اقل تهديدا من المواضيع الاخرى.

ورغم المخاوف والتهديدات فقد كان الاسرائيليون واثقين من قدرتهم على النصر في حرب مع سوريا (انظر جدول ٢) والتغلب على الارهاب، وعلى تمرد العرب مواطني اسرائيل، والصمود في حرب امام دول الجبهة الشرقية (سوريا، الاردن والعراق). ويعتقد معظم [illegible] المستجوبين ان اسرائيل تستطيع الانتصار في وضع تقوم فيه الولايات المتحدة بتقليص المساعدات لاسرائيل، ويزيد الاتحاد السوفييتي مساعداته لاعداء اسرائيل، وفي حالة الحرب مع جميع الدول العربية. واعرب نصف المستجوبين عن اعتقادهم ان اسرائيل تستطيع التغلب على عقوبات اقتصادية تفرض عليها من قبل الامم المتحدة حتى اذا ايدتها الولايات المتحدة، وقال ثلثهم ان اسرائيل تستطيع التغلب على وقف كامل المساعدات الامريكية.

ويشير الخوف من حرب شاملة مع جميع الدول العربية الى انخفاض في الشعور بالامن على مدار السنوات الماضية. وفي ١٩٨٦ و١٩٨٧ كان ثلاثة اسرائيليين من كل اربعة متأكدين ان اسرائيل تستطيع الانتصار في حرب كهذه، وفي ١٩٨٨ وبعد عام على الانتفاضة هبطت النسبة الى ٦٨٪ تقريبا، وفي ١٩٩٠ و١٩٩١ هبطت هذه النسبة الى ٦١٪.

تغير طوال الوقت

يشير الواقع السياسي في اسرائيل خلال العقدين الاخيرين الى انقسام حاد في اوساط الجمهور الاسرائيلي بين مواقف صقورية واخرى حمائمية في المواضيع السياسية والامنية.(٣). وبنفس المقدار يمكن القول ان التأييد للمواقف الحمائمية يتجه نحو الارتفاع في السنوات الاخيرة، وقد عززت حرب الخليج هذا الاتجاه الزاحف. ولم تستطع حرب الخليج التسبب في احداث شرخ فوري للمواقف في اسرائيل، ولكن مع هذا فانها لم توقف التغير الكمي الآخذ بالتشكل، وفي الواقع من الممكن ان هذه المسارات سرعت في اعقاب الحرب.

لقد بقي نمط الزيادة الكمية في ردود الفعل التي يمكن وصفها بانها معتدلة محددا اكثر في عدد من المواضيع الهامة. وكانت المواضيع التي تم فحصها في الاستطلاع هي: (أ) مستقبل المناطق، (ب) مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، (ج) اقامة دولة فلسطينية، (د) احتمالات السلام والحرب، (هـ) تطوير سلاح نووي واستخدامه.

المناطق

كان هناك ارتفاع متواصل في نسبة المستجوبين الذين اعربوا عن استعدادهم للتنازل عن مناطق مقابل اتفاقية سلام يتم فيها تحديد ترتيبات امنية ملائمة (انظر جدول ٢). (٤). ومع ذلك بقي السكان منقسمين، والمعركة السياسية لم تكن قادرة على حل المشكلة بشكل قاطع بهذه الطريقة او تلك. وكان التغيير في الرأي العام هاما، ومن المعقول الافتراض ان هذا التغير التدريجي سيؤثر على السياسات وعلى صانعي القرار على المدى البعيد.

جدول (٢)

טבלה 2 ישראל יכולה להתגבר על

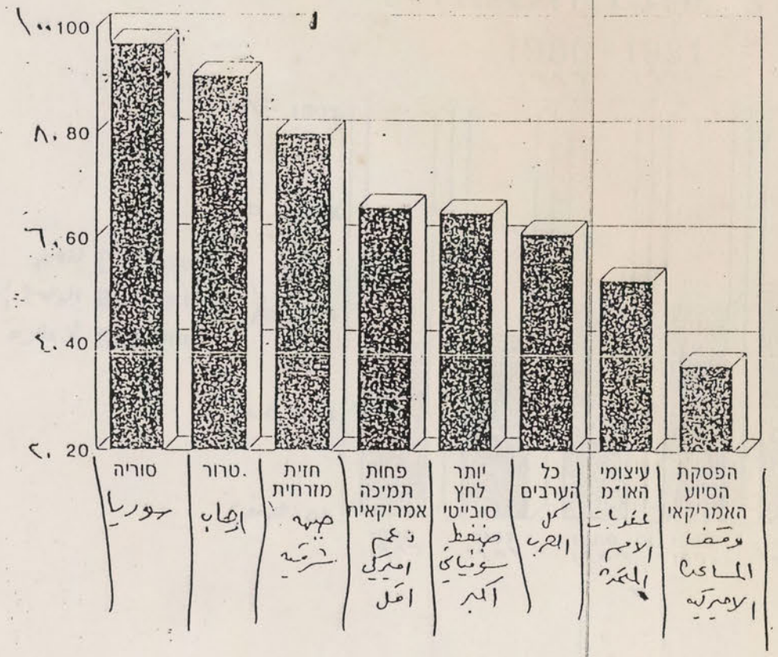

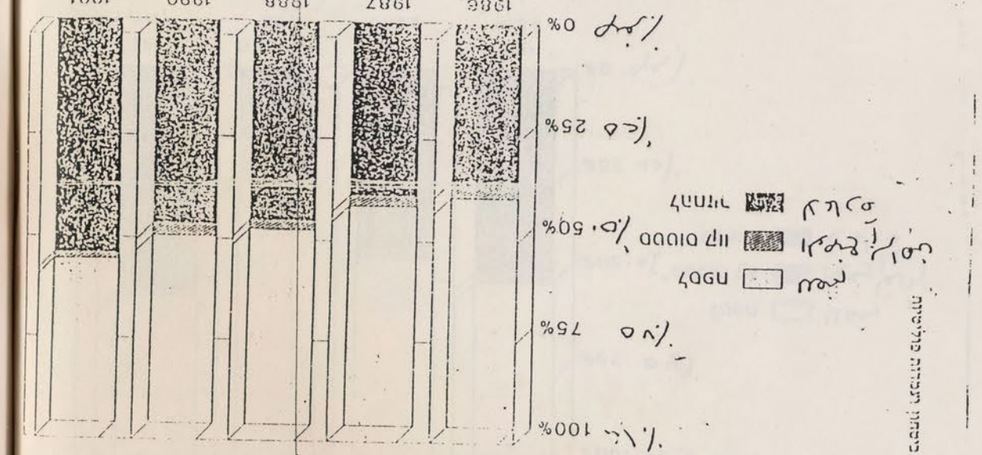

1986-1991

(٢) شكل

טבלה 4 עתיד השטחים
לפני ואחרי

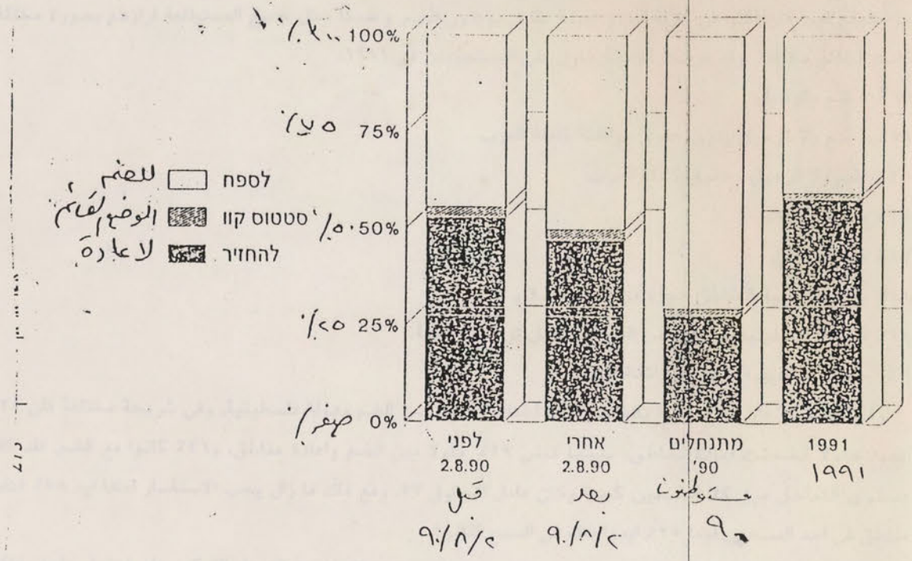

وقد وافق ٤٦٪ من السكان في ١٩٨٦ على اعادة مناطق. ومع انتهاء حرب الخليج ارتفعت هذه النسبة الى ما يقارب الـ ٥٨٪.

لقد تم قياس الموقف بشأن مستقبل المناطق بواسطة سؤالين عرضا على المستجوبين. وفي البداية عرض على المستجوبين ثلاثة بدائل طلب منهم ان يختاروا منها: مناطق مقابل سلام، ضم المناطق او "ابقاء الوضع كما هو اليوم" (الوضع القائم). وفي السؤال الثاني الذي عرض على اولئك الذين ايدوا "ابقاء الوضع كما هو" طلب من المستجوبين الاختيار بين اعادة المناطق وبين الضم. وتجدي طريقة الاختيار المفروض في ابراز مواقف قاطعة ازاء مواضيع ذات تعقيد كبير. وكما يبدو لا يجب علينا الافتراض ان المستطلعة اراؤهم سيكونون متسقين في ردودهم عندما تعرض الاسئلة عليهم مصاغة بصورة مختلفة، او اذا ما سئلت الاسئلة في وضع سياسي مختلف تماما. ومع ذلك فان تواصل الاتجاه في الرد على نفس السؤال طوال سنوات يشير بوضوح الى مسار اعتدال في اوساط الرأي العام في اسرائيل في سنوات البحث.

وتخفي الزيادة الواضحة في نسبة الرد في جدول "٣" التحولات التي طرأت خلال فترة الازمة قبل حرب الخليج (انظر جدول ٤). فقبل الثاني من آب ١٩٩٠ يوم غزو العراق للكويت فاق تأييد اعادة المناطق الـ ٥٠٪، وبعد الاجتياح هبط التأييد لاعادة المناطق الى ٥٠٪. وبالنسبة لعينة الاسرائيليين سكان المناطق كان التأييد لاعادة المناطق اقل بكثير كما هو متوقع فيما كان اكثر من ثلاثة ارباع العينة بقليل يؤيدون الضم. وعندما سئل جميع المستطلعة اراؤهم بصورة مختلفة كانت النتائج مختلفة. وقد عرضت ثمانية حلول على المستجوبين في ١٩٩١:

١٥٪ - ضم وترحيل.

١٦٪ - ضم بلا ترحيل ودون حقوق مواطنة كاملة للعرب.

٥٪ - ضم بلا ترحيل وحقوق كاملة للعرب.

١٢٪ - الوضع القائم.

١٧٪ - حكم ذاتي.

١٩٪ - اعادة غالبية المناطق كجزء من اتفاقية سلام.

١١٪ - دولة فلسطينية في جزء من المناطق مقابل ترتيبات امنية.

٥٪ - دولة فلسطينية كجزء من اتفاقية سلام.

وفي الخلاصة فان ٣٦٪ نادوا بالضم، و٤٨٪ اختاروا حلولا بين الضم ودولة فلسطينية. وفي شريحة مختلفة فان ٣٥٪ ايدوا حلولا تضمنت اعادة مناطق، بينما تبنى ٢٩٪ حلولا بين الضم واعادة مناطق، و٣٦٪ كانوا مع الضم. لقد كان مستوى التداخل بين كلا المسحين كبيرا وكان عامل التساوق ٥٧. ومع ذلك ما زال يجب الاستفسار لماذا ايد ٥٨٪ اعادة مناطق في احد المسحين فيما ٣٥٪ ايدوا ذلك في المسح الثاني؟

يتعلق احد الاجوبة في السياق الوضعي. فاذا كان هامش البدائل ضيقا فان من الاسهل التركيز على اختيار واحد، ولكن اذا كان هناك بدائل متنوعة فان هناك ميلا لرؤية عدة احتمالات. والجواب الثاني عدم الاتساق، حيث ان ١٢٪ من المستجوبين اجابوا على كلتا مجموعتي الاسئلة بصورة غير متساوقة. وهذا المعطى جدير بالاهتمام بشكل خاص حيث ان كلتا مجموعتي هذه الاسئلة ظهرتا في مرحلة مبكرة من المقابلة، بحيث لا يمكن عزو ذلك الى التعب او النسيان. واكثر من هذا فانه ومن خلال تحليل المجيبين الغير متساوقين لا يمكن ان نفهم اذا ما عبر المستطلعة اراؤهم عن تمييز سياسي دقيق. واذا ما كذبوا ام انهم ببساطة كانوا [illegible] الاستطلاع فاننا نتلقى تذكيرا بان "الضجة" في معطيات استطلاعات الرأي العام هي ميزة للسياسيين الذين يتخذون قرارات قاسية حيث ان الرسائل من الممكن ان تكون غير واضحة.

وقد ايد انسحابا من جانب واحد من جميع المناطق ٨٪ فقط من العينة في ١٩٩١، و٢٩٪ من العينة ايدوا فكرة

الانسحاب من جانب واحد من قطاع غزة فقط، و٦٢٪ رفضوا الخطة بشكل قاطع. وتعبيرا عن رغبتهم في الابقاء على ترتيبات معروفة او ربما ايضا مع المعارضة لدولة فلسطينية فان غالبية المستطلعة اراؤهم (٧٩٪) اعربوا عن اعتقادهم ان من المفضل لاسرائيل اذا ما بقي الملك حسين في السلطة في الاردن.

منظمة التحرير الفلسطينية

احد المواضيع المشحونة بشحنة عاطفية كبيرة جدا في السياسة الاسرائيلية هو الاقتراح بالتفاوض مع المنظمة لتحرير فلسطين. فالاتصال عن سابق معرفة لمواطن اسرائيلي مع عضو منظمة ارهابية يشكل تجاوزا للقانون. ولان منظمة التحرير الفلسطينية مشخصة كذلك في اسرائيل فان المواطن الاسرائيلي الذي يجري اتصالا مع عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ينتهك القانون.

ومع ذلك توجد شهادات مسنودة بان اتجاه الاعتدال في الرأي العام الاسرائيلي يمتد ليشمل ايضا هذا الموضوع. فاستطلاعات الرأي ١٩٨٧ و١٩٨٨ اوضحت ان ثلث المستطلعة آراؤهم في العينة مستعدين للدخول في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية "بالشروط القائمة اليوم" مقارنة مع ٤٠٪ في ١٩٩٠، وتوضح سلسلة مرحلية اخرى (فحص الانقسام حسب الوقت) ان الموافقة على التفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية اذا ما اعترفت رسميا باسرائيل واوقفت الانشطة الارهابية تراوح بين ٤٣٪ في نيسان ١٩٨٧، و٥٣٪ في آب ١٩٨٨، وحوالي ٥٨٪ في آذار ١٩٨٩. (٥).

وفي العام ١٩٩١ بعد الحرب هبطت نسبة تأييد الدخول في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية الى ٢٩٪. وقد كانت هذه النسبة اكثر انخفاضا من النسبة قبل الانتفاضة والتي ذكرت اعلاه، وهي غير مفاجئة على ضوء التأييد العلني لمنظمة التحرير الفلسطينية لصدام حسين والعراق.

وعندما عرض على المستطلعة آراؤهم في ١٩٩١ امكانية ان تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بتقديم تنازلات كشرط للتفاوض مع اسرائيل، فان نصف الذين ردوا في العينة وافقوا. في نهاية الامر على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية. وواصل ٥١٪ التمسك بموقفهم السلبي بالرغم من الشروط التي تم تفصيلها. وكان ٨٪ مستعدين للتفاوض مع المنظمة اذا ما اعترفت باسرائيل، و٨٪ اخرين ايدوا اذا ما اعترفت المنظمة باسرائيل واوقفت اعمال الارهاب. وبالنسبة لـ ١٣٪ اخرين فان على منظمة التحرير الفلسطينية ان تعترف باسرائيل وتوقف اعمال الارهاب وتوقف الانتفاضة وتلغي الميثاق الفلسطيني.

دولة فلسطينية

واذا كان الاستعداد للتحادث مع المنظمة لتحرير فلسطين قد انخفض كنتيجة للحرب فان تأييد احد الاهداف الرئيسية للمنظمة - اقامة دولة فلسطينية - قد تزايد. فقد بدا بوضوح نفس الاتجاه التدريجي للتسامح المتوقع بشأن المناطق ايضا فيما يتعلق باقامة دولة فلسطينية، وكانت نسبة التأييد منخفضة اكثر ولكن الزيادة كانت دائمة ومتسقة، ولم تتأثر في اعقاب الحرب (انظر جدول ٥).

لقد ايد اقل من واحد من بين كل اربعة ممن استطلعت اراؤهم في عام ١٩٨٧ فكرة الدولة الفلسطينية، فيما كانت هذه النسبة واحدا من بين كل ثلاثة في عام ١٩٩١. ويجب الايضاح ان الغالبية العظمى للاسرائيليين رفضت هذه الفكرة، فيما نصف العينة اعلنوا انهم يعارضون بشدة اقامة دولة فلسطينية. وما زالت الزيادة في التأييد جوهرية لان كلا الحزبين الكبيرين، الليكود والعمل، يرفضان هذه الفكرة بشكل قاطع.

وفي الفترة التي اجري فيها الاستطلاعان ارتفعت نسبة التأييد لفكرة الدولة الفلسطينية تدريجيا. بينما المعارضة القوية للفكرة، ورغم انها ما زالت الاكثر اطلاقا، قد قلت مع الوقت. وفي عينة ١٩٩٠ كان تأييد اقتراح اقامة دولة فلسطينية اكثر ارتفاعا بشكل طفيف قبل اجتياح العراق للكويت عنها فيما بعد الاجتياح. وقد رفضت الغالبية العظمى للمستوطنين في المناطق (٨٣٪) فكرة اقامة الدولة الفلسطينية.

الحرب والسلام

ان انقسام الرأي العام الاسرائيلي على مدار سنوات حتى حرب الخليج يظهر تزايدا بالنسبة لاحتمالات الحرب وبالنسبة لآمال السلام او غياب الحرب على حد سواء (انظر جدول ٦). فبعد حرب الخليج تضاءل التقدير القائل ان هناك احتمالا معقولا للحرب وبموازاة ذلك استمر الارتفاع في اتجاه اعطاء امل للسلام. وقد اعتقد ٥٧٪ عام ١٩٨٧ ان الحرب بين اسرائيل والدول العربية في السنوات الثلاث القادمة محتملة او محتملة جدا وحتى عام ١٩٩٠ ارتفعت هذه النسبة الى حوالي ٦٨٪. وبعد حرب الخليج وصلت النسبة الى ٥٤٪. وبعكس ذلك فقد اعتبر السلام اكثر احتمالا مع مرور الوقت. ومن ٥٧٪ عام ١٩٨٦ إرتفعت الارقام بصورة دراماتيكية الى حد انه بعد الحرب اعتقد اكثر من ثلاثة من بين كل اربعة ممن استطلعت اراؤهم ان السلام ممكن بيننا وبين الدول العربية.(٦).

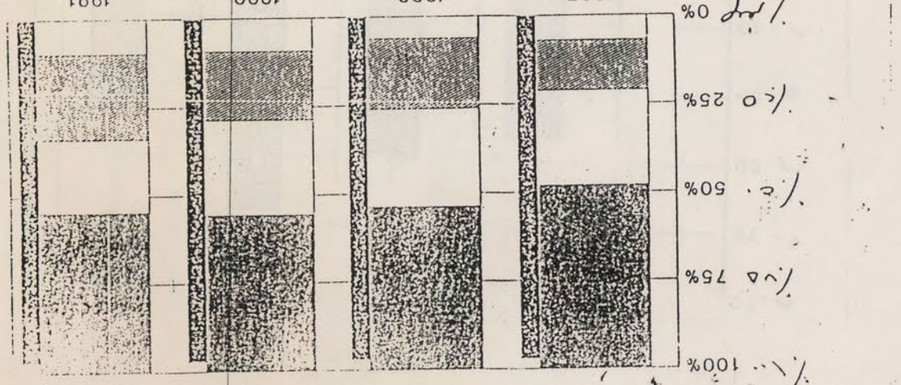
100%
75%
50%
25%
0%
1987
1988
1990
1991
1991

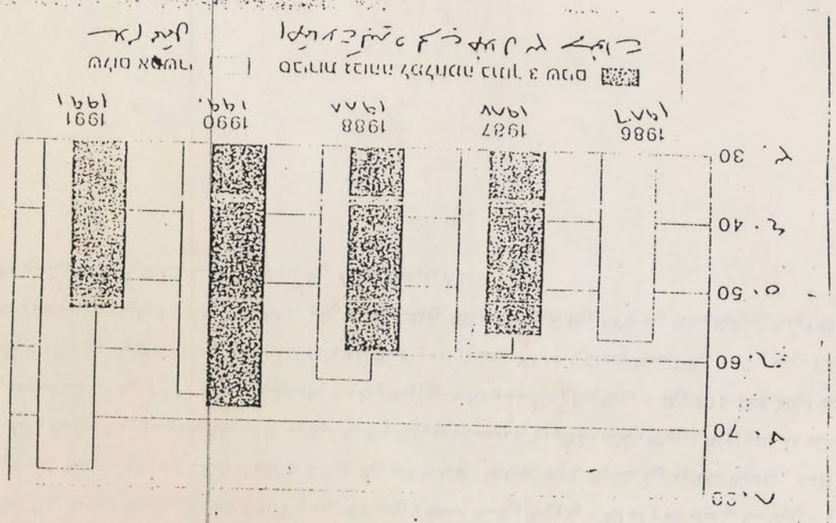

1986-1991

الجمهور الاسرائيلي حساس جدا للتطورات السياسية.(٧). كما يظهر السؤالان في جدول "٧". فبعد الثاني من آب ١٩٩٠ فان احتمال الحرب بدا معقولا جدا لحوالي ثلاثة من بين كل اربعة فيما بدا قبل هذا التاريخ معقولا لاثنين من بين كل ثلاثة. ومن ناحية فان الزيادة المتواصلة في التفاؤل بشأن احتمالات السلام توقفت ونسبة مشابهة ممن اجريت مقابلات معهم سواء قبل ٢ آب او بعد هذا التاريخ اعتقدوا ان السلام ممكن. وكما رأينا عاد وتعزز الامل بالسلام بعد الحرب. وفي اوساط المستوطنين في المناطق فان الصورة مختلفة في انهم رأوا قبل الحرب سواء احتمالات السلام او احتمالات الحرب كاحتمالات منخفضة اكثر مما هو عليه الحال بالنسبة لمجموع السكان. وحتى اذا بدا السلام ممكنا فان الاسرائيليين لم يفهموا العرب على انهم محبي سلام. وقد سئل من اجريت معهم مقابلات في الاستطلاعات بصدد الطموحات العربية تجاه اسرائيل. وقال نصف الذين ردوا في ١٩٩١ من العينة انهم يعتقدون ان العرب يهمهم احتلال البلاد وقتل اليهود. وفي الفترة بين ١٩٨٦ - ١٩٨٨ ايد هذا الموقف ٣٣٪ الى ٤٠٪ من العينة. وقد جاءت الـ ٤٩٪ الذروة بعد ٢ آب ١٩٩٠، واستقرت عند هذا المستوى المرتفع بعد الحرب. واعتقد ٢٣٪ اخرون ان العرب يهمهم "فقط" احتلال اسرائيل او ان يعيدوا لانفسهم المناطق التي خسروها في ١٩٦٧ (٢١٪)، او ان يستعيدوا جزءا من تلك المناطق (٦٪).

مع هذا، وعندما اجبروا على الاختيار بين المبادرة الى محادثات سلام وبين زيادة القدرة العسكرية، فان ٧٤٪ اختاروا محادثات السلام مقارنة بـ ٦٨٪ في ١٩٨٧، و ٦٤٪ في ١٩٨٨، ١٩٩٠، ١٩٨٦.

السلاح النووي.

لقد تأثر توجيه الجمهور لموضوع السلاح غير التقليدي وخاصة السلاح النووي - اذا ما وجد بأيدي اسرائيل - وبصورة كبيرة من الحرب. وتوجد ثلاث شهادات تشير الى هذا التغيير: التغيير طوال الوقت في مواقف الجمهور تجاه تطوير واستخدام السلاح النووي، والمواقف بشأن مراقبة السلاح النووي وتحديده، ومواقف بشأن التهديد الذي يطرحه هذا السلاح.

وعندما سئلوا في ١٩٨٦ بشأن استخدام السلاح النووي - اذا وجد لدى اسرائيل - فان ٣٦٪ فقط كانوا مستعدين للاعتراف، انه في ظروف محددة يعتبر استخدام هذا السلاح مبررا. وفي ١٩٨٧ ارتفعت النسبة الى ٥٣٪ وحتى ١٩٩١ كان هناك زيادة دراماتيكية وصلت الى ٨٨٪. وفي مسألة تطوير القدرة النووية فان ٧٨٪ من الاسرائيليين ايدوا الفكرة في ١٩٨٧ وحتى ١٩٩١ ارتفعت نسبة المؤيدين الى ٩١٪، (جدول ٨).

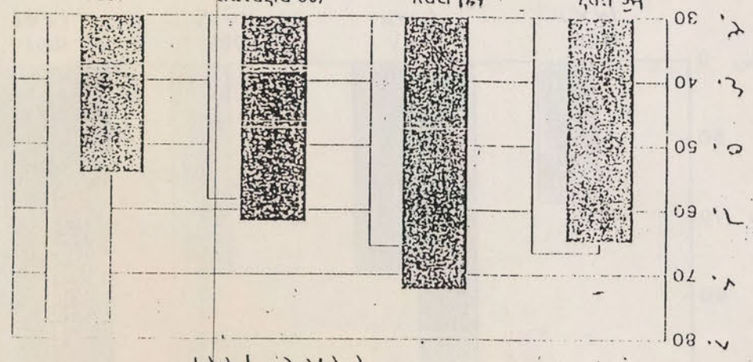

(٧) جدول

جدول ٧	١٩٨٦-١٩٩١	٧٠٨٠٩٠

جدول (٨)

جدول ٨ السلاح النووي

טבלה 8 השק גרעיני

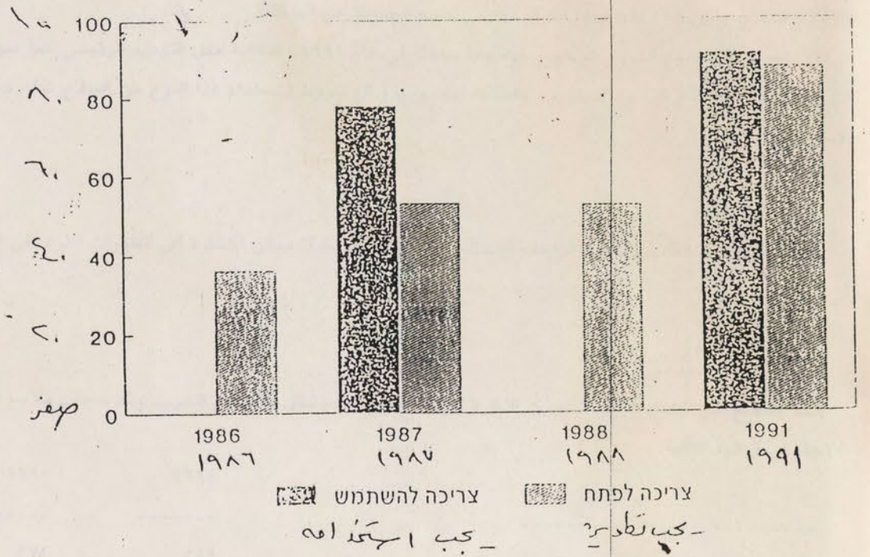

لقد فهم غالبية الاسرائيليين استخدام السلاح النووي - اذا وجد ذلك بأيدي اسرائيل - كملائم لتكتيك الملاذ الاخير يتم استخدامه بعد هجوم نووي على اسرائيل من جانب دولة اخرى او في اعقاب هجوم كيماوي او بيولوجي. وبنسبة منخفضة اكثر فان حوالي نصف الذين ردوا في العينة ايدوا استخدام السلاح النووي في اوضاع يأس او من اجل انقاذ حياة عدد كبير في اسرائيل، وبنسب منخفضة اكثر بكثير كان هناك تأييد لاستخدام السلاح النووي لانقاذ حياة عدد ضئيل من الناس او كبديل للحرب التقليدية. وهذا الترتيب بقي كما في السنوات ١٩٨٦ و١٩٨٧ باستثناء انه في ١٩٩١ فان عتبة المعارضة للسلاح النووي هبطت بشكل ملحوظ.

لقد ابدى الاسرائيليون تعاطفا مع فكرة مراقبة التسلح في الوقت الذي تعلق ذلك بالسلاح غير التقليدي، ولكن اقل من ذلك بكثير بالنسبة للسلاح التقليدي. وكان من شأنهم الاستطلاع على استعداد لترك السلاح غير التقليدي - اذا ما وجد بأيدي اسرائيل - اذا ما قامت بالمثل الدول الاخرى في المنطقة (٧٥٪). واكثر من ذلك (٧٩٪) كانوا مستعدين للتنازل عن السلاح الكيماوي والبيولوجي غير التقليدي (ولكن ليس عن السلاح النووي) اذا ما دمرت الدول الاخرى في المنطقة كل السلاح غير التقليدي الذي بحوزتها (بما في ذلك السلاح النووي). وبالنسبة لاقتراحات اخرى لمراقبة التسلح ابدى الاسرائيليون حماسا اقل، فقد ايد ٦٤٪ حظر اي تزويد بالسلاح من الخارج لدول المنطقة، وكان ٦٠٪ مع زيادة المناطق منزوعة السلاح، ولكن ٥٤٪ فقط ايدوا اقتراح تقليص حجم الجيوش في المنطقة.

لقد تحول الموضوع النووي ليصبح موضوعا ساخنا في عام ١٩٩١، كما انه مثل التهديد الرئيسي كما عبر عن ذلك الجمهور، وقد تعاظم التأييد لتطويره واستخدامه. ويبدو ان شروط استخدام هذا النوع من السلاح تبلورت في وعي الاسرائيليين.

قبل وبعد.

اضافة الى الاستقطاب والاتجاه الزاحف للتصالح والتي نوقشت سابقا يمكن الاشارة الى تطورات اخرى في الرأي العام في اسرائيل.

القوى العظمى.

كما يتضح من جدول ١ فقد تحسنت النظرة للولايات المتحدة بشكل كبير مع الحرب. وقد سجلت ملامح اخرى لهذا الاتجاه في الردود التالية:

	١٩٩١	١٩٩٠
رأي ايجابي تجاه الولايات المتحدة	٨٥٪	٧٣٪
علاقات الولايات المتحدة - اسرائيل جيدة او جيدة جدا.	٨٢٪	٦٠٪
الضمانات الامنية للولايات المتحدة موثوقة.	٦٤٪	٥٤٪

وحسب ٦٠٪ من العينة فان الولايات المتحدة ترى اسرائيل كثروة استراتيجية وهذا هو السبب الاساسي في دعمها لاسرائيل. واعتقد ربع اخر من العينة ان الدعم ينبع من قيم مشتركة من الحرية والديمقراطية، فيما ١٣٪ نسبوا الدعم على انه يأتي بفضل تأثير يهود الولايات المتحدة. وحسب ٣٢٪ من الاستطلاع [illegible] "النظام العالمي الجديد" الذي تحدث عنه الرئيس بوش سيعمل لصالح اسرائيل. وقد كانت المواقف فيما يتعلق بيهود الولايات المتحدة مختلطة اكثر:

	١٩٩١	١٩٩٠
يهود الولايات المتحدة يدعمون سياسة الحكومة الاسرائيلية بشكل كبير او كبير جدا.	٧٢٪	٥٩٪
في حالة نزاع جدي، يهود الولايات المتحدة يدعمون سياسة حكومة اسرائيل.	٥٩٪	٥٢٪
يهود الولايات المتحدة مؤهلون للتأثير على سياسة الادارة الامريكية تجاه النزاع العربي الاسرائيلي.	٥٠٪	٥٠٪

وعلى عكس ذلك فان ١٩٪ فقط كان لديهم تقدير ايجابي للاتحاد السوفييتي على الرغم من ان ٧٥٪ اعتقدوا ان تغيرا ايجابيا طرأ مؤخرا على توجهات الاتحاد السوفييتي ازاء النزاع العربي الاسرائيلي. وكان لدى ثلث المستطلعة اراؤهم رأي بان الاتحاد السوفييتي يستطيع ممارسة تأثير هام لتحقيق السلام. وحسب ٦٠٪ من العينة فان الاتحاد السوفييتي نشيط في النزاع العربي الاسرائيلي لانه يريد ان يستعيد لنفسه مكانة التأثير في الشرق الاوسط، وقال ١٥٪ اخرون ان الاتحاد السوفييتي يطمح الى تحقيق السلام، ورأى ١٢٪ بذلك كطريقة للتعاون مع الولايات المتحدة.

سوريا.

بالنسبة لسوريا فان ٦٤٪ عارضوا اعادة اي جزء من هضبة الجولان (مقارنة مع ٦٨٪ في ١٩٨٧)، وكان ٣٠٪ مستعدين لاعادة جزء من الهضبة (٢٦٪ في ١٩٨٧)، وابدى ٦٪ استعدادا لاعادة جميع الهضبة (في ١٩٨٧ وفي ١٩٩١). وعندما سئلوا بشأن نزع الهضبة من السلاح في حالة اعادتها فان الانقسام كان مشابها.

معتقدات.

واصلت اسطورة الامن لدولة اسرائيل وللمؤسسة الامنية في التمتع بدعم قوي من شبكة المعتقدات لدى الاسرائيليين، ومثالان على ذلك هما تطرق المستطلعة اراؤهم الى مفاهيم "حارس اسرائيل" و "دفاع رباني". وعندما طلب ممن اجريت مقابلات معهم التعبير عن الموافقة او عدم الموافقة على تعبير "لا يغف ولا ينم حارس اسرائيل". وافق عليه ٩٢٪ (٩٠٪ في ١٩٩٠ وفي ١٩٨٧، و ٧٩٪ في ١٩٨٦) وشخص المستطلعة اراؤهم "حارس اسرائيل" ايضا حسب التفصيل التالي:

	١٩٩١	١٩٨٧	١٩٨٦
جيش الدفاع الاسرائيلي	٥٦٪	٦١٪	٥٧٪
الله	٢٣٪	١٩٪	١٥٪
شعب اسرائيل / دولة اسرائيل	١٥٪	١٣٪	٢٣٪
الولايات المتحدة	١٪	٤٪	٢٪
كل واحد يجب ان يحمي نفسه	٥٪	٢٪	٣٪

وبالنسبة للتحديد القائل ان "الله يحمينا اذا كنا جديرين بذلك حتى اذا لم نكن مستعدين للحرب القادمة" وافق ٤٥٪ على هذا التحديد في ١٩٩١ مقارنة مع ٤٠٪ في ١٩٩٠، و٣٧٪ في ١٩٨٧ وفي ١٩٨٦.

ترانسفير - ترحيل.

لقد تحول الترانسفير في السنوات الاخيرة الى مفهوم هام في القاموس السياسي الاسرائيلي. فاذا لم يكن الشعبان قادرين على العيش سويا في نفس الدولة، واذا لم يكن مقبولا لديهم التنازل عنها، اذا فان لحل كما يعتقد هذا المنطق يجب ان يكون ترحيل الشعب الاخر من البلاد. وقد رفع الحاخام مئير كهانا من حركة كاخ لواء هذه الفكرة، وقادت هذه الايديولوجيا العنصرية الى فصل حركته من التنافس في انتخابات ١٩٨٨. وقد دعت موليدت التي يقف على رأسها رحبعام (غانديّ) زئيفي هي ايضًا الى ترحيل العرب، وقد فاز الحزب بمقعدين في انتخابات ١٩٨٨، وفي ١٩٩١ اصبح زئيفي وزيرا في الحكومة. ورفضت الحكومة والليكود على رأسها رسميا فكرة الترانسفير ولكن ليس زئيفي الذي ايد الفكرة.

يعارض السياسيون بصورة عامة الترانسفير ولكن الاسرائيليين منقسمون ازاء الفكرة اقل او اكثر بصورة مشابهة. فعندما سئلوا مباشرة ايد ٣٩٪ الترانسفير، وقد ايد اكثر من النصف (٢٣٪ من العينة الشاملة) الترانسفير ايضا لعرب المناطق وعرب اسرائيل. وايد ٤٥٪ ممن ايدوا الترانسفير (١٦٪ من عينة المستطلعة اراؤهم) بتطبيق الفكرة على عرب المناطق فقط.

وعندما عرض الترانسفير في اطار حلول سياسية بديلة كان تأييده منخفضا جدا. وكما قيل من قبل فانه عندما عرضت على المشمولين في الاستطلاع ثمانية حلول سياسية اختار ١٥٪ الضم والترانسفير، و ٣٩٪ اخرين اختاروا حلولا تضمنت الضم بدون ترانسفير.

ان اقتراح ترحيل العرب يجب ان يفهم بمفاهيم سياق سياسي. وكلما كان السؤال عاما اكثر كانت نسبة التأييد اكثر ارتفاعا. فمثلا عندما سئلوا اذا ما كان على الحكومة تشجيع هجرة العرب من البلاد فان ٦٢٪ من الذين ردوا في عينة ١٩٩١ ايدوا هذه الفكرة بما يشبه التأييد الحاصل في استطلاعات الرأي في السنوات السابقة. وهذه الصياغة تجسد ميل المستطلع رأيه تجاه العرب بدون تعقيدات الحل المقترح او المعضلات الاخلاقية للترانسفير بالاكراه. وقد تغير التأييد لهذا التشجيع على مدار السنين ولكنه لم يتغير كثيرا بعد حرب الخليج. وان اعطاء دعم لسياسة حكومة تشجّع هجرة العرب من البلاد حظي بتأييد اكبر بعد ٢ آب ١٩٩٠ مما كان عليه الحال قبل ذلك.

واتضح تغير طفيف في تأييد منح حقوق كاملة، بما في ذلك حق التصويت للكنيست لعرب المناطق في حالة الضم:

	١٩٩١	١٩٩٠	١٩٨٨	١٩٨٧	١٩٨٦
حقوق كاملة بما في ذلك التصويت	٢٤٪	٢٣٪	١٥٪	٢١٪	١٨٪
حقوق (بدون تصويت) في حالة الضم	٣١٪	٣٣٪	٣١٪	٣٣٪	٢٥٪
استمرار الوضع القائم	٢٧٪	٣١٪	٣٩٪	٢٩٪	٤٦٪
تقليص الحقوق	١٨٪	١٣٪	١٦٪	٢٦٪	١١٪

الرأي العام والسياسة

ان النموذج الديمقراطي المستخدم في الكثير من النقاشات بصدد الرأي العام في دول ديمقراطية هو نموذج سطحي. وهو يفترض ان الجمهور يبلور آرائه من خلال تفكير جدي حيث ان المصوتين يقولبون افضلياتهم استنادا الى هذه الاراء، وتسعر القيادة السياسية [illegible]. ويمكن اثبات ان كل من هذه الافتراضات لهذا النموذج يعتوره نقص.

لنبدأ من النهاية. ففي احيان متقاربة يحدث في اسرائيل (كما يحدث في ديمقراطيات اخرى) ان تأتي الاراء في اعقاب السياسات وليس قبلها. واكثر من هذا فان الناخب لا يرسل رسالة سياسية وانما يعكس ديناميكيات اخرى فاعلة في المجتمع.

مثلا، من المعروف ان الجمهور الاسرائيلي منقسم بصورة متساوية الى هذا الحد او ذاك بشأن مسألة المناطق. ومع ذلك عندما يطلب من الاسرائيليين ان يختاروا بين الليكود والعمل في مواضيع متنوعة فقد كان الميل في سنوات الثمانينات وبداية سنوات التسعين واضحا لصالح الليكود. وفي استطلاع ١٩٩١ قال ٣٦٪ انهم كانوا سيصوتون لليكود لو جرت الانتخابات في اليوم الذي اجريت فيه المقابلات معهم، وقال ١٩٪ فقط انهم كانوا سيصوتون لصالح حزب العمل. هذا الانقسام الذي يشير الى اتجاه دعم قوي لليكود لا يجب ان يضلل في التنبؤ بالتصويت. فالعرب واعضاء الكيبوتسات غير مشمولين في العينة وحوالي ٢٠٪ لم يردوا على السؤال.

وعندما سئلوا اي حزب يرونه كممثل رسمي لقيم محددة فقد كان الليكود يفهم على انه افضل من العمل وبصورة متساوقة. ورد المستطلعة اراؤهم بانهم يفهمون الليكود على انه مؤهل للصمود بحزم اكبر في المفاوضات حول المناطق والسلام وكضامن لغالبية يهودية في الدولة، وكمعيد للهدوء والنظام في المناطق، وكمن يقود لسلام حقيقي مع العرب، وكحافظ للديمقراطية في دولة اسرائيل (انظر جدول ٩).

ثانيا: من المقبول القول ان المواقف هي احد المركبات فقط - وليس بالضرورة الاهم - لتصويت الفرد. وعندما سئلوا عن رئيس الحكومة الذي يختارونه فان ٥٥٪ اختاروا مرشحي الليكود (شمير ٢٨٪، آرنس وشارون ١١٪ لكل واحد، ليفي ٥٪) مقارنة مع ٣٢٪ لصالح مرشحي العمل (رابين ١٥٪، بيرس ١٤٪، غور ٢٪، شاحل ١٪) فيما تقاسم المرشحون الاخرون ما تبقى.

ان الافتراض الملموس بضورة اكبر في الموضوع المطروح امامنا هو الافتراض الاول القائل ان لمواقف الجمهور تأثير واضح على السياسات. وعمليا فان نتائج الاستطلاع تشير الى جوانب معقدة او غير متساوقة في مواقف مستجوبين محددين، ومن السهل الادعاء ان المناهج غير المرضية هي مصدر عدم وجود تسلسل منطقي. وفعلا فان امكانية كهذه قائمة ولكن يجب فحص احتمال اخر بان الرأي العام معقد جدا وغير مستقر. وهذا التعقيد يضع البارومترات التي يعمل ضمنها السياسيون وبواسطة هذه البارومترات يمكن تفسير الاحتمالات والعقبات التي تقف امام صانعي القرارات.

وتتطرق عينة من المعطيات التي تلقي الضوء على الصعوبات المرتبطة بتحليل الرأي العام الاسرائيلي بمفاهيم النموذج الذي رسم مسبقا الى الترانسفير والضم. وكخيار سياسات فان حل الترانسفير للعرب والضم معا يجد تأييدا لدى ١٥٪ من العينة كما رأينا اعلاه. وكان حوالي ٤٠٪ مؤيدين للترانسفير عندما سئلوا بشأنه على حدة وحوالي ٤٠٪ ايدوا الترانسفير لذاته.

وقد كان العامل بين تأييد الترانسفير وبين تأييد الضم ٣٨. وهذا المعطى ينسجم مع حقيقة ان كثيرين من زعماء اليمين في اسرائيل بما في ذلك زعماء الليكود يؤيدون الضم ولكنهم يعارضون التراسفير.

الترانسفير والضم ليسا مظهرين متبادلين في الايديولوجيا اليمينية، فعندما توضع المواقف في كلا هذين الموضوعين امام بعضهما البعض نجد ان ثلاثة ارباع المستعدين لاعادة مناطق مقابل السلام يعارضون الترانسفير وثلثي المؤيدين للضم يؤيدون الترانسفير. والمعطى المفاجيء هو ان حوالي ربع المهتمين باعادة مناطق هم ايضا مع الترانسفير، وان حوالي ثلث اولئك الذين ايدوا الضم هم ضد الترانسفير.

ربما يتوجب علينا قبول هذه المعطيات على بساطتها. ففي الوقت الذي يؤيد فيه كثيرون الترانسفير والضم على حدة فان تطابق التأييد ليس كاملا. والاساس الايديولوجي او العاطفي الذي تنبع منه مواقف كهذه يمكن ان يكون مختلفا. واذا كان الامر كذلك يمكن ان نتوقع وجود التداخل في كل مجموعات الساحة الحزبية السياسية.

ولكن عندما تم فحص العلاقة بين التداخل والتفضيل الحزبي وجدنا ان العلاقة قائمة لدى احزاب متطرفة من اليسار واليمين وبصورة اقل بكثير بالنسبة لاحزاب الوسط.

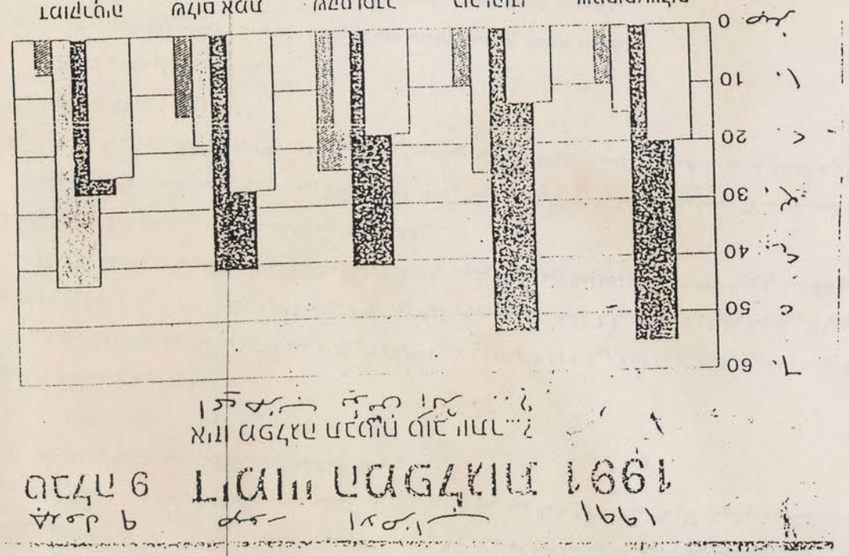

איור 9: התפלגות ענפים לפי מספר העובדים, 1991

טבלה 9: התפלגות ענפים לפי מספר העובדים, 1991

(המשך)

وقد كان انصار الاحزاب المتطرفة، موليدت وهتحيا من اليمين وراتس من اليسار ممن يمتلكون اكبر قدر من الترابط المنطقي بين مواقفهم. وان المصوتين لموليدت وهتحيا وتقريبا بلا استثناء يؤيدون الترانسفير والضم، وتقريبا فان جميع المصوتين لراتس رفضوا كلاهما.

وتتجسد العلاقة المعقدة بين الترانسفير والضم في مركز حيز تتابع الاحزاب. ولم يكن واضحا مثل هذا النمط بالنسبة لبقية الاحزاب. وكان النمط السائد لدى مصوتي العمل وشينوي معارضة الترانسفير والضم على حد سواء، بينما ايد مصوتو المفدال وتسوميت كلاهما. ونصف اولئك الذين لم يقرروا كانوا ضد الترانسفير والضم والباقي انقسموا بصورة متساوية بين مقولة الضم بلا ترانسفير او الترانسفير بلا ضم او الضم والترانسفير. لقد مثل مصوتو الليكود الانتشار الاوسع. وهذا التغاير بمفاهيم المواقف السياسية يتيح لسياسيي الليكود حرية اكبر في اتخاذ القرارات. كما ان الانتشار الواسع يعزز الاعتقاد بان المستطلعة اراؤهم اختاروا التصويت لليكود ليس بسبب وضوح مواقفه الايديولوجية وانما بسبب صورته وزعمائه الذين يجذبون اكثر ولأن رسالته يمكن تفسيرها بطرق مختلفة. لقد اكدت حرب الخليج المزايا الاساسية للساحة السياسية الحزبية الاسرائيلية في مطلع التسعينات وحتى انها عززتها: استقطاب عميق، اتجاه تصالحي زاحف فيما يتعلق بمسائل السياسات بعيدة المدى وفهم متسق بان الليكود واكثر من المعراخ سيدير الدولة بنجاح. ويكشف بحث الاراء تعقيدها ويلمح للسياسيين بالاحتمالات القائمة امامهم.

ملاحظات ومراجع:

١- حجم العينات في السنوات الاخيرة كان ١,١٧٢ في ١٩٨٦، و ١١١٦ في ١٩٨٧، و ٨٧٣ في ١٩٨٨، و ١,٢٥١ في ١٩٩٠، و ١١٣١ في ١٩٩١. في ١٩٩٠ فان ٥٤٪ من المقابلات اجريت قبل ٢ آب يوم الاجتياح العراقي للكويت و ٤٦٪ بعدها. ولم تتضمن العينات عموما اعضاء كيبوتسات او مستوطنين من المناطق. وفي ١٩٩٠ اجري استطلاع على عينة اخرى من ١١٩ شخصا في اوساط سكان يهود في المناطق.

وقد اعدت الاستطلاعات واجريت من قبل مشروع الامن القومي والرأي العام لمركز الدراسات الاستراتيجية باسم يافي في جامعة تل ابيب بادارة المؤلف. واجري العمل الميداني من قبل معهد الابحاث "داحف". نسبة الخطأ في التمثيل في الاستطلاعات كانت (+-) ٢,٥٪.

تحليلات وتفاصيل اخرى انظر؟

Asher Arian, Michal Shamir and Raphael Ventura, "Public Opinion and Political Change: Israel and the Intifada", Comparative Politics,1991; Arian and Ventura, Public Opinion in Israel and the Intifada:Changes in Security Attitudes 1987-88, JCSS Memorandum #28, August 1989; Arian and Shamir, "The Intifada and Israel Voters: Policy Preferences and Performance Evaluation" in Arian and Shamir (eds.), The Elections in Israel -1988(Boulder,Co:Westview,1990); Arian,"A People Apart: Coping with National Security Problems in Israel," The Jpurnal of Conflict Resolution,33(4,1989),605-31; Arian,Han Talmud and Tamar Hermann,National Security and Public Opinion in Israel(Boulder,Co:Westview Press,1988) Asher Arian,Israel: Public Opinion and the War in Lebanon,JCSS Memorandum #15, October,1985.

٢- تغيير مواقف على مدار فترة زمنية بالصورة الافضل بواسطة تشكيلة بانيل: سؤال نفس الاشخاص نفس الاسئلة في نقطتين زمنيتين مختلفتين. لنماذج بانيل انظر:

Arian and Ventura, Public Opinion in Israel and the Intifada; Arian,Shamir and Ventura, "Public Opinion and Political Change."

٣- Michal Shamir, "Realignment in the Isaeli Party System"in Arian and Shamir(eds.), The Elections in Israel-1984(New Brunswick,N.J: Transaction,1986),267-296; Yael Yishai,Land or Peace: Whither Israel?(Stanford:Hoover Institution,1987).

٤- قارن مع الياهو كاتس ـ

"Majority Hawkish, But Dovish Trend Seen," The Jerusalem Post International Edition,February 18,1989,5.

٥- معطيات حانوخ سميث نشرت في New York Times, April 2,1989,1-2

٦- من اجل المقارنة مع دول اوروبا انظر: Jacques-R. Rabier, H. Riffault and Ronald Inglehart, Euro-Barometer 24. Ann Arbor,Mich.: Inter-University Consortium for Political and Social Research,1986.

Louis Gutman, "The Israeli Public, Peace and Territory: The Impact of the Sadat Initiative," Jerusalem: Jerusalem Institute for Federal Studies,1978;Russell A.Stone, Social Change in Israel: Attitudes and Events 1967-1979 (New York,NY:Praeger, 1982).

الفصل السادس عشر

الساحة الاسرائيلية الداخلية في حرب الخليج

بقلم: يهودا بن مئير

ستسجل حرب الخليج كأحد معالم تاريخ دولة اسرائيل. فقد كانت هذه الحرب بالنسبة للشعب في اسرائيل فترة مشبعة بالتوترات والمعاناة والمشاعر، تركت بالتأكيد بصماتها على "الوعي الجماعي" للامة. ويمكن تناول هذا الحدث الهام في ثلاثة ابعاد: النظري، التحليلي والتقديري. ويتناول البعد الاول وصف الحقائق وطرح ما حدث بدقة داخل الدولة طوال فترة الازمة (عملية "درع الصحراء") والحرب (عملية "عاصفة الصحراء"). اما البعد الثاني فيتناول التأثير الفوري والمغزى الاكثر عمقا لمجرى هذه الاحداث على الشعب في اسرائيل - على مشاعره ووجهات نظره وارائه وثقته الذاتية وحصانته الداخلية. والبعد الثالث يتناول تقدير التأثيرات والتنبؤ بها على المدى البعيد على مواقف اسرائيل وفي المجال السياسي. ان تناول البعد الاول اكثر سهولة ونخطو بشأنه على ارضية آمنة نسبيا رغم انه من البديهي انه لا توجد تجديدات كبيرة هنا وانما فقط تركيز للامور العامة المتفق عليها خلال تأكيدات محدده. اما البعد الثاني فان تناوله اكثر صعوبة رغم انه يوجد بشأنه الان معلومات محددة ومعطيات اولية. والمقصود بشكل رئيسي استطلاعات الراي العام وخاصة الاستطلاع الذي اجري من اجل هذا الكتاب من قبل البروفيسور اشير اريان والذي طرح بالتفصيل في الفصل ١٥ (بحث اريان). والبعد الثالث هو بطابعه تأملي والمطلوب قدر كبير من الحذر بصدده.

ويجب التأكيد ان هذا التقسيم هو لاغراض منهجية وتعليمية ومن الواضح ان هناك تداخل محدد بين الابعاد الثلاثة في الواقع. وسنحاول فيما يلي تفحص هذه الابعاد الثلاثة واحدا واحدا.

وصف الاحداث.

ان احداث الاشهر السبعة لازمة وحرب الخليج معروفة سواء ما يتعلق منها بالعام او ما يتعلق باسرائيل. ولا توجد نية في هذا الفصل لاعطاء وصف تفصيلي او مرتب زمنيا للاحداث في اسرائيل على مدار الفترة مدار البحث. ومع ذلك، وبهدف تحليل تأثيرات احداث الحرب في الخليج ومن اجل تقدير انعكاساتها على المدى البعيد والتنبؤ بها فان هناك حاجة الى تركيز الانتباه على مجرى الاحداث الرئيسية.

ان الخط الاخر الذي يميز الجزء الاكبر من الاحداث التي جرت خلال ازمة الخليج هو خصوصية هذه الاحداث ووقوعها للمرة الاولى في التاريخ القصير لاسرائيل والتركيز الكبير للامور والذي لم يسبق له مثيل. ويسود شعور في اعماق الكثيرين ان هذه الحرب تشكل فعلا علامة فاصلة بالنسبة لاسرائيل وان لها انعكاسات هامة سواء على المدى القصير او المدى البعيد. وينبع هذا الشعور من ادراك ان مواطني اسرائيل وضعوا امام واقع جديد لم يعرفوا له مثيلا من قبل. واكثر من هذا فان هذا الواقع ليس فقط انه تجاوز الكثير من المقاييس التي عبرت عما كان يدركه الاسرائيليون من الايام الخالية والحروب السابقة وانما ايضا انه لم يكن [illegible] لازمة عشية الازمة. ولم يتوقع احد ولم يكن باستطاعة أحد التنبؤ قبل عام او عامين بسيناريو كهذا حتى فعلا في الواقع. لقد وضعت حرب الخليج الجمهور في اسرائيل امام مفاجآت كثيرة وتسببت في تحطيم بديهيات محدده ووضع علامات تساؤل حول بديهيات اخرى. وفيما يلي سنصف التعبيرات الاساسية لهذا الواقع الجديد والاحداث التي يمكن ان ينطبق عليها قول "هناك ما هو جديد تحت الشمس".

حرب ليست بحرب

لقد وجدت اسرائيل نفسها في حرب هي ليست حربا في مفهومها المتعارف عليه، او بكلمات اخرى فقد تورطت في حرب في الوقت الذي لم تكن بذاتها طرفا فيها. وفعلا فان السؤال الذي سيثير الاهتمام هو هل ستعتبر حرب الخليج في عداد حروب اسرائيل، ام انها ستسجل كحالة استثنائية فريدة من نوعها. فمن جهة، كانت هذه حربا لم تحارب فيها اسرائيل اطلاقا. فلم يتم تشغيل جيش الدفاع الاسرائيلي ولم يكن هناك اي تماس مع العدو ولم تنفذ فيها اسرائيل اي عملية عسكرية. ومن جهة ثانية، هوجمت مدن اسرائيل طوال ستة اسابيع بصواريخ سكاد العراقية، وكانت هناك خسائر في الارواح ومصابين واصيبت ممتلكات باضرار جسيمة. لقد شعر كل مواطن في اسرائيل ان الدولة في حرب - كان هناك صفارات انذار وطلب من المواطنين الدخول الى غرف محكمة الاغلاق او ملاجيء والبقاء ملاصقين ليل نهار للكمامات الواقية، وتشوشت الحياة في الدولة بصورة ملحوظة كما تم اخراج المواطنين بصورة مفاجئة من الحياة الروتينية وتم ادخالهم الى روتين الطوارىء طوال شهر ونصف. لقد وجدت اسرائيل نفسها للمرة الاولى في حرب مع دولة عربية واحدة فقط ليس لها اي حدود مشتركة معها. فقد كانت جميع الحروب، حتى الان، بين اسرائيل وجاراتها - احيانا مع دولة مجاورة واحدة (عملية كودش وحرب لبنان) واحيانا مع عدة دول مجاورة (حرب الإستقلال، حرب الايام الستة، وحرب يوم الغفران). وفي هذه الحروب انضمت دول عربية اخرى وفي مقدمتها العراق للحرب بواسطة ارسال جيوش ولكن هذه المشاركة جاءت دوما كمساعدة لدول عربية مجاذية لاسرائيل (او، كما حدث عام ١٩٤٨ كمساعدة لعرب ارض اسرائيل) وبالتنسيق معها. لقد رأت اسرائيل منذ القدم ودائما بالعراق دولة مواجهة ولكن في اطار جبهة شرقية تضم سوريا والاردن او على الاقل احداهما، اما التفكير بان العراق ستدير نشاطا حربيا لوحدها ضد اسرائيل في الوقت الذي تجلس فيه جميع الدول العربية جانبا وانها ستقوم بذلك دون استخدام اراض او المجال الجوي لدولة عربية اخرى، فقد كان بعيدا جدا عن ادراك الجمهور الاسرائيلي قبل اندلاع ازمة الخليج.

اصابة الجبهة الخلفية.

للمرة الاولى منذ حرب الاستقلال - التي رفع فيها شعار "كل الشعب جيش وكل البلاد جبهة" - هوجمت الجبهة الخلفية الاسرائيلية بصورة جوهرية. وهذه الظاهرة - اي تعرض التجمعات السكانية الرئيسية في اسرائيل وطوال ستة اسابيع للهجمات الصاروخية وحقيقة ان الجبهة الخلفية، والجبهة الخلفية فقط شعرت بهذه الحرب بكل قساوتها - هي دون شك الاعمق مغزى بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي في هذه الحرب. ان حساسية اسرائيل - زعامتها والراي العام فيها - للاصابات في الجبهة الخلفية ليس امرا جديدا. فقد اشترط بن غوريون عملية "كودش" بوجود مظلة حماية جوية فرنسية وذلك لضمان عدم حدوث عمليات قصف جوية على تل ابيب او مدن اخرى في اسرائيل (١). وعشية حرب الايام الستة كان هناك قلق عميق من امكانية قصف الجبهة الخلفية من الجو والمخاوف من اصابة قاسية للسكان المدنيين كانت احد الاسباب التي ردعت الحكومة - التي شككت في التنبؤات الوردية لسلاح الجو - من المبادرة الى الحرب. وكما هو معروف فان هذه المخاوف تلاشت تماما وتعود الجمهور الاسائيلي على ان الجبهة الخلفية محمية وامنة من اي هجوم.

ان اهمية الامر لا تقتصر على انه لم يكن في حروب الماضي اصابات في التجمعات السكانية خلال الحرب وانما في ان الجبهة الخلفية لم تشعر اطلاقا انها تحت التهديد. ولم تتشوش الحياة في الجبهة الخلفية بشكل جوهري، وباستثناء تشويش في المرافق الاقتصادية الناجم عن تجنيد الاحتياط فقد استمر الروتين اليومي (هذا الشكل او ذاك طالما كان - جهاز التعليم، التجارة والصناعة، اماكن اللهو والترفيه واصلت العمل. وصحيح انه طوال سنوات الدولة كانت هناك مستوطنات في خطوط المواجهة تتعرض للقذائف والازعاج ولعمليات ارهابية، وفي عدد غير قليل من هذه المستوطنات اديرت الحياة في غالبيتها العظمى في الملاجيء، ولكن الجمهور لم ينظر الى هذه المستوطنات كجبهة خلفية وانما كمواطنين طلائعيين يصمدون في خط المواجهة. ودائما تم التمييز بين كريات شمونه، بيت شان، مستوطنات اصبع

الجليل او مستوطنات الغور - وقبل حرب الإيام الستة ربما القدس ايضا - وبين تل ابيب وحيفا والتجمعات السكانية الكبرى على طول الساحل. ومن المهم التأكيد ان شعور الثقة الذاتي للجبهة الخلفية الاسرائيلية ازاء القصف الجوي شكل ركنا اساسيا من اركان مذهب الامن الاسرائيلي وارتكز على ركنين اساسيين في هذا المذهب: التفوق الجوي لسلاح الجو - الذي يمنع تسلل طائرات معادية الى سماء اسرائيل - وقدرة الردع الاسرائيلية والتي بفضلها يمتنع الزعماء العرب عن المس بالمدنيين خوفا من رد مكثف لسلاح الجو ضد اهداف مدنية واستراتيجية في بلدانهم.

تولد وضع جديد في حرب الخليج. فاستخدام صواريخ ارض - ارض ابطل فاعلية الاساس الدفاعي الكامن في التفوق الجوي لسلاح الجو واتضح ان اسرائيل ليس لديها اي دفاع امام هذه الصواريخ. كما وضعت علامة تساؤل كبيرة بشأن قدرة الردع الاسرائيلية - على الاقل في كل ما يتعلق بمنع هجمات على مدن بواسطة صواريخ ارض - ارض ذات رؤوس متفجرة تقليدية. وبسبب اهمية هذه الظاهرة واحتمال التأثير الكامن بها على المدى البعيد من الجدير فحصها بشكل اكثر عمقا. وهدف الفحص هو تحديد الى اي مدى كان المس بالجبهة الخلفية. وهل كان الشبح رهيبا الى هذا الحد. وهذا الفحص يجب ان يجري في ثلاثة مجالات: الاضرار الحقيقية، تشويش انماط الحياة، والتأثير النفسي. وفحص الحقائق يشير الى انه اذا لم يكن الضرر في المجال الاول جسيما بصورة خاصة فانه في المجال الثاني كان اكثر جدية وربما ان التأثير الاساسي يوجد بالذات في المجال الثالث.

خلال ايام الحرب الـ ٤٢ حدث ١٨ هجوما صاروخيا على اسرائيل - بمعدل هجوم واحد كل يومين ونصف. وخلال هذه الهجمات اطلق ٤٠ صاروخا على اسرائيل - غالبيتها على مركز البلاد والباقي على مناطق حيفا ومنطقة السامرة وثلاثة صواريخ على جنوب البلاد. ويدور الحديث عن اطلاق صاروخ واحد في ١٢ هجوما واطلاق عدة صواريخ في ست هجمات، وكان العدد الاكبر للصواريخ التي اطلقت دفعة واحدة على اسرائيل ثمانية صواريخ وهذا ايضا العدد الاكبر للصواريخ التي اطلقت في يوم واحد، والعدد الاكبر للصواريخ التي اطلقت في نفس الوقت على نفس المنطقة كان ستة صواريخ. وفي عشر من اصل الثمانية عشر هجوما بالصواريخ لم يكن هناك اصابات ولم تحدث اية اضرار. وكنتيجة مباشرة لهجمات الصواريخ قتل شخصان وجرح ٢٣٠ شخصا احدهم بجراح خطيرة وتسعة بجراح متوسطة كما توفي ١١ شخصا كنتيجة غير مباشرة لهجمات الصواريخ منهم اربعة اصيبوا بنوبات قلبية خلال هجمات الصواريخ وسبعة اشخاص ماتوا نتيجة لحوادث تتعلق بالكمامات الواقية (اربع نساء ورجلان وطفلة واحدة اختنقوا من الكمامات الواقية ضد الغازات). كما اصيب ٢٢٦ شخصا من حقن الاتروبين وعولجت في المستشفيات ٥٣٩ حالة من الاكتئاب والصدمة واجمالا ادخل الى المستشفيات ٦٠ شخصا وتقريبا خرجوا منها خلال يوم او يومين.

واذا كانت الاصابات البشرية خفيفة جدا نسبيا مع كل ما كان يمكن توقعه (الجيش الاسرائيلي توقع ثلاثة الى خمسة قتلى في المتوسط للصاروخ التقليدي الواحد) فان اضرار الممتلكات كانت قاسية جدا. ويجب الحذر في عرض المعطيات المتعلقة بالاضرار التي اصابت الممتلكات لانه يجب التمييز بين ضرر حقيقي للمباني والشقق السكنية وبين ضرر بسيط انعكس بصورة رئيسية في تحطم الزجاج او اقتلاع القرميد والاباجورات والابواب. فمثلا، ونتيجة لسقوط صاروخ واحد في سبيون تم الابلاغ عن اضرار اصابت ٣٥٠ منزلا في سبيون وحوالي ٥٠٠ شقة سكنية او متجر في مناطق مجاورة ولكن الضرر الجدي كان قد اصاب عشر منازل فقط (التي اخلي سكانها) وتطلب الامر هدم ستة منها (٤). الاضرار الرئيسية كانت في مدن تل ابيب ورمات غان ويوجد بشأنها معطيات حول مدى الضرر. ففي تل ابيب تضررت ٣,٩٩١ شقة سكنية (بينها ٧٠ [illegible] او تقرر هدمها و ٨٦٩ تضررت بشدة واكثر من ١٠٠ مبنى عام او متاجر، وتم اخلاء ١٦٤٧ شخصا من بيوتهم الى فنادق. وفي رمات غان تضررت ٣,٧٤٢ شقة سكنية بينها ١٠٥ هدمت او تقرر هدمها و ٦٠٠ تضررت بشدة) وحوالي ١٠٠ مبنى عام ومتجر، وتم اخلاء ١,٠٤٧ شخصا من بيوتهم الى فنادق (٥). ومن الصعب اعطاء تقدير للضرر المالي ولكن يبدو انه يصل الى مئات ملايين الدولارات. وحتى بداية ايار نقل صندوق التعويضات لضريبة الممتلكات لمتضرري الصواريخ مبلغ ١١٣ مليون شيكل جديد ويقدر مسؤولو الصندوق ان مائة مليون شيكل جديد اخرى

ستدفع للمتضررين. وقد عالج الصندوق ١٣ الف طلب (٦)

واذا كانت الصواريخ الاربعين التي اطلقت على اسرائيل لم تنجح في التسبب بضرر مادي جوهري للجبهة الخلفية، الا انها نجحت في ان تشوش وبصورة جدية تماما الحياة في الدولة طوال فترة الحرب. هذه الظاهرة التي لم يسبق لها مثيل منذ حرب الاستقلال تتطلب تفسيرا. ويبدو لنا انها نتيجة مباشرة لادخال السلاح الصاروخي للمنطقة والتهديد باستخدام سلاح غير تقليدي. اولا، وقت طيران صاروخ سكاد الذي يطلق من غربي العراق الى تل ابيب حوالي سبع دقائق (مقابل ٢٠ - ٣٠ دقيقة للطائرة) وبذلك لا يوجد تقريبا وقت انذار. وفي بداية الحرب كان هناك انذار لمدة دقيقتين وبعد فترة تم تمديده الى خمس دقائق. ولكن ذلك ما يزال وقتا قصيرا لكل من تواجد في الخارج او في الطرق وعليه البحث عن ملاذ. وثانيا، فان كل مشاحة اسرائيل تقريبا كانت في مدى صواريخ "الحسين" والانذار الذي كان يتم تلقيه من القمر الصناعي الامريكي كان عاما وتحدث عن اطلاق صاروخ باتجاه اسرائيل. ولذلك اتخذت وسائل الحيطة في كل انحاء الدولة وتم تطبيقها على مجموع السكان. وثالثا، وكلما تطورت الازمة في الخليج واقترب خطر الحرب كانت المخاوف تتزايد بأن العراقيين سيستخدمون ضد اسرائيل صواريخ ذات رؤوس كيماوية.

وعلى ضوء هذه الصورة، اتخذ قرار في الجيش والحكومة بتوزيع الكمامات الواقية على السكان. ولحسن حظ اسرائيل فان فترة الاعداد والانتظار لحرب الخليج استمرت خمسة شهور. ولهذا كان من الممكن توزيع الكمامات بصورة منظمة وباسلوب تدريجي حسب المناطق. وقد مرت العملية كلها بسهولة ويسر وهذا الامر عزز الروح المعنوية وزاد الثقة بجيش الدفاع الاسرائيلي وخلق شعورا في اوساط الجمهور بان الجبهة الخلفية مستعدة للحرب. والمشكلة هي ان المراتب القيادية العليا في الجيش الاسرائيلي كانت متشككة وتعتريها المخاوف فيما يتعلق بمدى جدوى وصمود جزء من الكمامات الواقية - كمامات قديمة، وقلنسوات وبيوت واقية للاطفال. وبعد نشر تقرير مراقبة الدولة بهذا الشأن (التقرير الذي سنعود لبحثه فيما بعد) وبعد ردود فعل الجيش الاسرائيلي على التقرير من الصعب جدا الاختلاف على هذا التحديد، ونتيجة لهذا الوقع تم اتخاذ قرار بشأن الغرف محكمة الاغلاق، على اساس الامل وتوقع ان الدفاع الجزئي للكمامات الواقية هو كاف وهذا هو التفسير لماذا ومع بدء الحرب فورا قررت القيادة العسكرية والسياسية انه يجب ضمان ان يبقى المواطنون في بيوتهم قدر الامكان. فقد كان هناك تخوف كبير في انه اذا حدث هجوم كيماوي في الوقت الذي يتواجد فيه الناس خارج بيوتهم فان الكثيرين لن يتمكنوا من ارتداء الكمامات الواقية وخاصة الاولاد والاطفال. واذا ما اضفنا لذلك القيود والنواقص فيه جزء من تجهيزات الوقاية - فان النتيجة ستكون مجزرة خطيرة جدا - مئات القتلى والاف الجرحى. واضافة لذلك فان اصابة صدفية حتى لصاروخ تقليدي في مكان يوجد به تجمع كبير من الأشخاص - مدرسة، سينما، مطعم، مكان عمل، احتفال عام وما شابه، - كان من الممكن ان تؤدي الى كارثة جسيمة. وبوقوفها امام هذا الوضع الجديد حيث ان قاعدة عدم التيقن كبيرة بصورة خاصة ومن خلال اعطاء اولوية واضحة لمنع سقوط ضحايا - وربما ايضا من خلال قلق محدد بان ليس جميع السكان المدنيين زودوا بكل وسائل الوقاية الملائمة قررت الحكومة عدم المجازفة واعلنت عن "نظام طواريء" والذي هو بمثابة حظر تجول في كل انحاء الدولة. كانت شبكة التعليم قد شلت تماما واغلقت كافة المدارس صباح الاربعاء السادس عشر من كانون الثاني مع انتهاء دبلة الامم المتحدة وقبل الحرب بيوم واحد. ومع اندلاع "عاصفة الصحراء" في الواحدة والنصف ليل ١٦، ١٧ كانون ثاني اعلن عن نظام طواريء واقعي وامر جميع المدنيين باستثناء العمال الحيويين، حسب توجيهات نظام الطواريء، بالبقاء في بيوتهم. وقد توقفت عن العمل الغالبية العظمى للمرافق الاقتصادية وطبعا كل حياة المجتمع. اللهو والثقافة. واعتكف الناس طوال ايام في بيوتهم وفي اكثر تقدير خرجوا لفترات قصيرة خاصة في ساعات الظهيرة للتزود بالغذاء. ومن ناحية نفسية يمكن القول ان المجتمع وكما لو انه انحل الى وحدات عائلية ومركباتها فيما حوفظ على الاتصال بين خلايا المجتمع بواسطة الاتصالات الهاتفية التي ازداد منسوبها مئات بالمائة - وبواسطة الراديو والتلفزيون اللذين شكلا العنصر الموجه والراص للدولة ومرساة استقرار وامن لسكانها.

ومن ناحية عملية، كانت الدولة تحت حظر تجول وكانت المرة الاخيرة التي شهدت فيها تل ابيب ظاهرة كهذه ايام

الانتداب عندما فرض البريطانيون عليها حظرا للتجول في اعقاب نشاطات حركات التمرد. وقد استمر هذا الوضع طوال خمسة ايام حتى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ كانون الثاني. لقد اتضحت في هذه الفترة حقيقتان اساسيتان: الاولى ان العراق لا تستخدم سلاحا كيماويا وانما رؤوسا حربية مزودة بمادة متفجرة، وثانيا، انها تطلق الصواريخ فقط خلال الليل. هذان الاتجاهات اللذان تعززا مع الوقت حددا معايير السلوك للجبهة الخلفية حتى نهاية الحرب. وكما هو معروف ففي يوم الثلاثاء صباحا، ٢٢ كانون الثاني استؤنف العمل في كل انحاء البلاد وتبدل "نظام الطوارىء" ب"عادة طوارىء" ولكن التشويش على مجرى الحياة الاعتيادية للدولة تواصل وان كان ذلك بصورة اخذة في التضاؤل. وقد غيرت ساعات العمل وفي غالبية اماكن العمل الغيت الورديتان الثانية والثالثة وكل ذلك بهدف تمكين العمال من الوصول الى بيوتهم قبل حلول الظلام، وبقيت اجهزة التعليم مشلولة لاسبوع اخر وعندئذ ايضا فتحت بصورة تدريجية جدا - سواء من حيث المناطق (في البداية في الشمال والجنوب وفقط في النهاية في حيفا وتل ابيب الكبرى) او من حيث عمر الطلاب (في البداية الصفوف العليا وفقط في النهاية الصفوف الدنيا ورياض الاطفال). ولم تعد الاجهزة التعليمية الى نشاط كامل حتى وقت مقارب جدا لنهاية الحرب وايضا عندئذ مع الاثقال على جمهور اولياء الامور. وقد شكلت عمليا حياة الليل - اللهو، دور السينما، المسارح، احداث ثقافية، مطاعم، احداث رياضية، زيارات لدى الاصدقاء وما شابه - حتى نهاية الحرب. لقد تم فعلا في الاسابيع الاخيرة اعطاء تصاريح محدودة من الدفاع المدني لتشغيل جزء من المنشآت في ساعات الليل ايضا ولكن الغالبية العظمى للسكان المدنيين - خاصة في غوش دان، حرصوا على العودة الى بيوتهم قبل المساء والاعتكاف في البيوت طول الليل. ومع كل الصعوبات، يمكن القول ان السكان تكيفوا بهذا الشكل او ذاك للتغييرات والتشويشات التي المت بنمط حياتهم. وفي استطلاع اجري من قبل د. مينا تسيمح يوم الاربعاء ٣٣ كانون الثاني شمل عينة تمثيله لـ ٣٠٧ اشخاص اجريت معهم مقابلات اجاب ٨٪ ان معنوياتهم عالية جدا و ١٤٪ عالية و ٥٢٪ بانها جيدة - المجموع ٧٤٪، وفقط ١٧٪ قالوا ان معنوياتهم متدنية و ١١٪ متدنية جدا (٧). ويجب التأكيد انه لم تطرأ تشويشات في تقديم الخدمات الحيوية للسكان: الكهرباء، المياه، الهاتف، وسائل اتصال الكترونية، صحافة، غذاء وتقديم خدمات اخرى. واكثر من هذا ليس فقط انه لم يكن هناك اضرار في الخدمات وانما نجحت العناصر المختلفة في الصمود امام الطلب المتزايد على الخدمات التي يقدمونها وهذا يتعلق بشكل خاص بالراديو والتلفزيون اللذين واصلا البث ونقل التقارير طول ٢٤ ساعة يوميا وقدما كمية هائلة من المعلومات، ويتعلق ببيزك التي لبت الطلب الهائل على خدمات الهواتف الذي تزايد لدى المشاركين عما هو عليه في الازمات العادية.

وهنا يوجد مجال للتوقف امام مهمة ومساهمة وسائل الاعلام. فلا يوجد شك ان الاعلام الاليكتروني - الراديو والتلفزيون - قام بمهمة حاسمة في الازمة. ففي استطلاع اجراه الدكتور رؤوبن غال رئيس معهد الابحاث العسكرية بعد ليالي الانذار الاولى وجد ان العامل المهدىء اكثر خلال فترة الانذار كان الراديو (٨). ومع بدء الحرب وحدت محطتا الراديو - صوت اسرائيل و"غالي تساهل" - راديو الجيش وكل شبكات الراديو التي تبث بالعبرية الى محطة واحدة. ومع الوقت تطور خلال عام جدل بشأن مدى الحكمة في هذه الخطوة وسمعت اصوات دعت الى فصل مجدد لشبكات البث والعودة الى جدول بث اعتيادي. ويبدو لنا انه في نهاية الامر فان فكرة توحيد البث كانت صحيحة وكان لها عدة مزايا اولا، وكما يشير البروفيسور الياهو كاتس رئيس المعهد للبحث الاجتماعي التطبيقي باسم غوتمان فان حقيقة التوحيد تنقل رسالة للجمهور بان هناك وضع خاص وانه يجب التمحور حول المسألة التي تتطلب اقصى الانتباه (٩). وثانيا، فان وجود شبكة رسمية واحدة يخلق مصدر معلومات واحدا وموثوقا وذا صلاحية تادر على تحميص الاشاعات والتهدئة. لقد تحول الراديو الواحد الى صوت السلطة، الحكومة والزعامة ومصدر الصلاحية. ويظهر استطلاع اجري من قبل المعهد للبحث الاجتماعي التطبيقي باسم غوتمان ان الجمهور فعلا يفضل صوتا واحدا (١٠). وهذا الامر يمنع الميل وربما الدافع للانتقال من محطة الى اخرى ومقارنة المعلومات الامر الذي قد يسبب البلبلة والقلق (وفعلا كان هناك حالات تم التسبب فيها خلال صفارات الانذار بارتباك اثر معلومات مختلفة بثت في الراديو والتلفزيون). وثالثا، في اوقات الازمة

يريد الجمهور ان يشعر بالانتماء والتراص (١١)، ووجود شبكة بث واحدة تستمع اليها كل الدولة تستجيب لهذه الحاجة. وفي النهاية فقد تحول الراديو الى عنصر توجيهي (١٢). فهو المصدر الذي يتم الاستماع منه للمرة الاولى لصفارات الانذار "تاحش تسيفع" - "الافعى الخبيثة" قبل الصافرات والذي يتم منه تلقي توجيهات دقيقة حول كيفية التصرف حسب المنطقة السكنية التي يتم التواجد فيها، ومنه - وفقط منه - يتم تلقي اشارة التهدئة. وقد كان التعبير عن القوة الهائلة للراديو الشعبية الكبيرة والشهرة التي حظي بها الناطق الرسمي باسم جيش الدفاع الاسرائيلي الجنرال نحمان شاي في اعقاب احاديثه في الراديو. كانت "الموجة الهادئة" تعبيرا فريدا عن المهمة الحيوية للراديو والارتباط الهائل للجمهور به. وهناك من يرى بهذه الفكرة البسيطة ولكن اللامعة تجسد التعريف بهذه الحرب. وقد برزت الفكرة في اعقاب خوف وقلق مواطنين كثيرين من عدم سماع صفارات الانذار خلال نومهم وهو التخوف الذي كان في غالبية الاحيان عادلا اثر تدني وضع جزء كبير من صافرات الانذار. لقد اتبعت عائلات معينة في الاسبوع الاول للحرب ما يشبه وردیات حراسة حيث كان يبقى احد ابناء العائلة طوال الليل يقظا للاستماع للراديو او مشاهدة التلفزيون. وفي نهاية الاسبوع الاول وحتى نهاية الحرب تم تشغيل "الموجة الهادئة" - تردد احدى محطات البث المعروفة الذي توقف من العاشرة ليلا حتى السابعة صباحا، ولكن وفور اطلاق صافرة الانذار، "الافعى السامة"، كان يعود الى البث كالمعتاد الى ما بعد صفارة الامان. وتم تشغيل "الموجة الهادئة" لصالح الجمهور المتدين ايضا طوال السبت - من ساعة واحدة قبل دخول السبت حتى ما بعد خروجه - وهكذا كان ذلك الجمهور يستطيع ابقاء جهاز الراديو مفتوحا يوم السبت والاصغاء اليه خلال صفارة الانذار دون حاجة الى سماعة طوال السبت. لقد قامت وسائل الاتصال الاليكترونية ايضا بارواء التعطش للمعلومات العامة والتحليلات - وبصورة غزيره. وهنا، طبعا كان التفوق واضحا للتلفزيون باعتباره وسيطا مسموعا ومرئيا. ولكن في هذا الاطار يوجد ايضا انتقاد وتحفظات تجاه عمل وسائل الاعلام. وقد طرح الادعاء القائل بان الراديو والتلفزيون شاركا في خلق وتضخيم الرعب لدى الجمهور. كما ان هناك من يقول انهما استخدما وسيلة للتوثرة الزائدة التي لم تساعد اجمالا في تهدئة الجمهور وانما اخراجه من الروتين خارج المطلوب.

ومع هذا، يبدو ان كثيرين تأثروا من ناحية نفسية من الانطباعات التي عاشوها خلال الحرب، وينطبق ذلك بصورة خاصة على سكان منطقة حيفا ومنطقة تل ابيب الكبرى. فبالنسبة لهذه التجمعات السكانية ليس فقط انه طلب منها اكثر من عشرين مرة الدخول الى الغرف محكمة الاغلاق والمكوث فيها وقتا طويلا متواصلا مع ارتداء الاقنعة الواقية من الغازات واولادهم يرتدون القلنسوات او ان اطفالهم داخل البيت الواقي، وانما ايضا سمعوا وشعروا في حالات كثيرة بسقوط الصواريخ. وكان هناك اشخاص غير قليلين وخاصة اباء وامهات اطفال صغار مروا بتجارب قاسية. لقد تولد التوتر الرئيسي سواء من عدم اليقين او من الشعور بالعجز. فلم يكن ممكنا معرفة متى واين سيسقط الصاروخ. ووجد الدكتور رؤوبين غال من معهد الدراسات العسكرية)، ان مصدر الخوف والقلق الاساسي كان التشكك (لدى ٤٠ - ٥٠٪) والسبب الثاني في اهميته كان الخوف من السلاح الكيماوي. ولكن وبعد الاسبوع الاول تزايد الخوف من الصواريخ التقليدية (١٣). وان التأهب المتواصل لسماع صفارات الانذار والراديو المفتوح طوال الليل في "الموجة الهادئة" والعد التنازلي في الغرف محكمة الاغلاق والتوقع المتوتر لـ "البوم" اثر انفجار الصاروخ، كل هذه لم يكن من الممكن الا تترك بصماتها. ووجد في بحث اريان ان خمس السكان شعروا بفزع اكبر خلال الحرب مقارنة بفترة عادية وشعر ثلثان بفزع اكثر او اقل بينما ثلاثة ارباع المستطلعة اراؤهم قالوا انهم شعروا بفزع خلال الهجوم الصاروخي.

لا شك انه ثمة دليل على تأثير نفسي عميق، والسؤال هو ما هي امكانيات التأثيرات هذه بالنسبة للمستقبل؟ من الصعب الاجابة على هذا السؤال ولكن من المهم التأكيد على نقطة واحدة. فمع انتهاء الحرب عادت الحياة فورا الى مجراها الطبيعي وازيل التهديد عن اسرائيل. ويميل البشر بسرعة كبيرة الى النسيان او ابعاد التجارب القاسية التي مرت عليهم، عندما يزول المصدر المسبب لذلك، ولكن لا يجب الاستنتاج من ذلك ان بصمات هذه التجارب القاسية اختفت او لم يبق منها اي شيء حتى وان كان كامنا ولا يعرف الانسان حتى بوجوده. ولكن واذا ما وقف الانسان في المستقبل - حتى البعيد - امام

وضع مشابه فان المخاوف ومظاهر الفزع ستثار مجددا بكل قساوتها. والنموذج على ذلك هم الناجون من الكارثة الذين خلال مكوثهم في الغرف المحكمة الاغلاق عاد اليهم الشعور الرهيب عن الماضي البعيد. ان التعبير الدراماتيكي والعملي اكثر لهذا المفعول النفسي في هجوم الصواريخ هو الحادث التالي الذي سنتناول الى مناقشته.

هجر المدن

للمرة الاولى في تاريخ الدولة حدثت ظاهرة هجر المدن وحركة سكانية على مستوى جوهري. ان ظاهرة ترك البلاد والهرب الى الخارج خلال الحرب ليست جديدة فقد حدث ذلك سابقا وخاصة في فترة الانتظار قبل حرب الايام الستة. ولكن ظاهرة ترك البلاد ظاهرة تميز مجموعات سياسية محددة ومعينة. وهذه المرة ايضا كان هناك الاف الاسرائيليين الذين هربوا الى خارج البلاد وحتى انهم بقوا هناك طوال فترة الحرب. فقد اتخذت وزارة المعارف خطوات ضد عشرات المعلمين الذين غابوا عن البلاد وفي اعقاب ذلك عن اماكن عملهم خلال الحرب. ولكن هذه المرة كان هناك تجديد في الظاهرة وبحيث شمل ذلك اعدادا كبيرة بعشرات الاضعاف. فمع اندلاع الحرب وخاصة بعد سقوط الصواريخ الاولى في تل ابيب ورمات غان بدأ الاف المواطنين بترك بيوتهم في هاتين المدينتين. وقد يسافر الناس الى القدس والشمال والجنوب حتى ايلات. وبعضهم سكن لدى اقارب بينما استأجر اخرون شققا سكنية لمدة اشهر او شهرين وملأ كثيرون اخرون الفنادق. وقد اعلنت فنادق في القدس وايلات عن حجوزات كاملة وفي جزء كبير من الفنادق لم يكن ممكنا العثور على غرفة خالية (وواضح انه بسبب عدم وجود سائحين فارين. في اسرائيل فان الحديث يدور عن "لاجئين" اسرائيليين). وحتى ان كيبوتسات وقرى زراعية ابلغت هي ايضا عن تدفق اعضاء سابقين او اقارب اعضاء او اصدقاء وما شابه.

من الصعب تقدير حجم هذه الظاهرة. ففي مقال نشر خلال الحرب في صحيفة "هعير" ورد انه في احياء محدده في تل ابيب غادر حوالي ٤٠٪ من السكان بيوتهم(١٤). وفي بحث اريان اجاب ١٣٪ ممن استطلعت اراؤهم انهم غادروا خلال هجمات الصواريخ المنطقة الخطيرة. وربما ان المعطى الصحيح يقع في مكان ما في الوسط، فلم يكن الحديث يدور عن هروب جماعي ولكن من الواضح ايضا ان الحديث لا يدور عن تصرفات افراد. لقد تحولت الظاهرة نفسها الى موضوع جدل عام وحاد في اعقاب تصريحات رئيس بلدية تل ابيب - يافا السيد شلومو لاهط الذي وصف اولئك الذين تركوا مدينته بانهم فارين. وقد سلطت الاقوال الحادة التي ادلى بها لاهط الاضواء على الموضوع الذي تحول في اعقاب ذلك الى بند هام على جدول الاعمال القومي.

ان تقديرا موضوعيا حول مغزى هذه الظاهرة يتطلب مقارنة مع معيار ما. وكل مقارنة كهذه تعتبر نظرية لان لكل وضع مزاياه الخاصة به. ومع هذا فان من الجدير تفحص اوضاع مشابهة للحصول على معيار محدد للمقارنة على الاقل. يبدو لنا ان وضعين في العقد الاخير يمكن ان يستخدما اطارا للمقارنة: الاول هجمات الكاتيوشا على كريات شمونة في ١٩٨١، والثاني "حرب المدن" بين العراق وايران التي جرت في شهري اذار ونيسان عام ١٩٨٨. ولا تتوفر لدينا معطيات حول اعداد الذين تركوا كريات شمونه في بداية الثمانينات ولكن لا يوجد شك انه كانت هناك حركة جدية لعائلات تركت المنطقة. وعشية عملية "سلامة الجليل" كانت هناك المئات من الشقق السكنية الفارغة وخطر هجر المدينة وايضا ترك مناطق اخرى في الشمال كانت احد الاسباب التي طرحت لاضفاء مصداقية على الحرب في لبنان. وفي حالة طهران خلال "حرب المدن" يشبه الامر بشكل اكبر الحالة لدينا. فطهران ضربت لمدة ٥٢ يوما امام هجمات الصواريخ تقريبا في ساعات النهار. ولهذا ايضا فان عدد المصابين كان اكبر بكثير [illegible] وفي المتوسط تسبب كل صاروخ في قتل سبعة الى عشرة اشخاص واكثر من عشرين جريحا (١٥). من جهة ثانية لم يكن هناك تهديد باستخدام سلاح كيماوي. وهناك تقديرات مختلفة حول مستويات الفرار ولكن ما من شك انه كان هناك عملية هروب على نطاق واسع. ويتحدث كروس عن ذلك بان ٢٥٪ الى ٦٠٪ من سكان طهران - التي تعد ١٠ ملايين نسمة - هربوا من المدينة (١٦). ويتحدث ليران عن هروب مئات الالاف من سكان طهران (اقل من ١٠٪) (١٧) بينما ليشم يقول ان حوالى

أ- اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين، لكن خارج حدود اسرائيل، ان قبول هذا البند وتنفيذه على ايدي الفلسطينيين سيشكل تنازلا عمليا عن "حق العودة". ان تصفية حدة مشكلة اللاجئين قد يمنع من اعادة عرض المشكلة الفلسطينية مجددا على جدول الاعمال العالمي.

ب- اتفاقيات سلام مع الدول العربية، تشكل شرطا ليس بالامكان تجاوزه لاثبات استعدادها للموافقة على حل المشكلة الفلسطينية، هكذا سيكون بالامكان احراز تقدم على التسوية حتى اذا تطلعت هذه الدولة العربية او تلك الى اشكال المسيرة من خلال رفضها التوصل لاتفاقية سلام مع اسرائيل.

ج- اتفاق مفصل لحل قضية تقسيم الثروات المائية في المنطقة (اسرائيل، الاردن، سوريا ولبنان).

د- حل المشاكل الاقتصادية للمنطقة، ويشمل هذا الاطار تشكيل وحدة اقتصادية مشتركة.

هـ- اتفاق حول اطار مشترك اسرائيلي - فلسطيني - اردني - سواء كونفدرالية او مجموعة مثل المجموعة الاوروبية.

و- تحديد ترتيبات امنية، ملائمة (مراقبة التسليح، نزع السلاح وما شابه ذلك).

توجد لنا مصلحة حيوية في كل واحد من هذه المواضيع، واذا رضينا عن كل واحد منها، سنستطيع فعلا الموافقة على تنازلات اقليمية كهذه او تلك، لان امننا سيكون مضمونا بشكل معقول ومرضي. واضافة لكل ذلك سنستطيع حشد انتباهنا وكذلك المصادر المطلوبة للمهمة الوطنية التي تعتبر اهم من كل شيء: استيعاب الهجرة.

وحتى اذا لم نتمكن من التوصل لاتفاق مع الاردنيين والفلسطينيين، لانهم يرفضون هذه الخطوة او لانهم يخافون سوريا او لاسباب اخرى مما زالت هناك امكانية للقيام بخطوة من طرف واحد حيال الفلسطينيين. وبالامكان تنفيذ هذه الخطوة على مراحل: اولا - في قطاع غزة، وكبديل عن ذلك بالامكان تنفيذها دفعة واحدة في الضفة الغربية وقطاع غزة معا. ان استخدام مفهوم، من طرف واحد، لا يقصد منه خطوة يجب القيام بها بصورة مفاجئة بدون اي استعداد وبدون اي حوار، لانه يجب ومسبقا الحيلولة دون وجود وضع يعلن فيه الفلسطينيون وبالفرصة الاولى عن اقامة دولة فلسطينية في المناطق. والمقصود انه وفي ضوء خيبة امل سكان المناطق من الانتفاضة لربما، وان لم يكن هذا مؤكدا، سيتكون بالامكان التوصل معهم الى تفاهم (وان لم يكن اتفاقا واضحا) لاقامة حكم ذاتي لهم في جميع الشؤون باستثناء الامن والعلاقات الخارجية، بحيث يتم وفي الموعد الذي يبدون فيه استعدادا لاجراء مفاوضات، اجراء مداولات حول الوضع الدائم، وفقا للخطوط التي وصفت اعلاه، لا يعتبر هذا حلا نموذجيا، لكنه افضل من استمرار الوضع القائم، وذلك لانه قد يؤدي الى تقليص درجة الاحتكاك مع الفلسطينيين ومن خلال ذلك اضفاء اعتدال على المواجهة مع الدول العربية، ويخفض من تهديدات حرب يقوم بها ائتلاف عسكري عربي ضد اسرائيل. واذا تحسنت الاجواء جراء هذه الخطوة فلربما تسهل على المجهودات التي تبذل من اجل احراز تقدم على مسيرة سلام اكثر شمولا.

لن تكون المفاوضات مع السوريين حول هضبة الجولان اقل صعوبة - هذه المنطقة التي اقر الكنيست ضمها لاسرائيل والتي تعتبر ذات اهمية امنية كبيرة، يصر السوريون حتى الان على استعادة جميع منطقة هضبة الجولان. ومن المرجح عدم حدوث تغيرات كبيرة على موقفهم هذا. لكن على الرغم من ذلك ربما يكون بالامكان التوصل الى حل، يرتكز على العناصر التالية: التنفيذ على مراحل مع مرور الزمن، اشتراط الجدول الزمني بطابع تصرفات السوريين، بقاء المستوطنات، تعديلات معينة على الحدود - وخصوصا بالنسبة الى مصادر مياهنا، وترتيبات امنية متنوعة، مثل نزع سلاح، مراقبة التسلح وما شابه ذلك.

وعلى كل الاحوال يجب ان نتذكر ان مسيرة السلام ليست "قصيرة، سريعة وحضارية" بل العكس هو وبالتأكيد الصحيح: ستكون طويلة، صعبة، مليئة بكتفها الصراعات والالام لكلا الطرفين، لكنها ومع ذلك ستحمل في طياتها احتمالات نهاية ناجحة.

في نهاية هذه الخلاصة يجب اجراء ميزان لافضليات وسلبيات نتائج الحرب على اسرائيل. وفي جانب السلبيات، يجب الطلب تحديد الخسائر البشرية وفي الاملاك التي احدثتها لنا سواريخ سكاد. لقد كانت الخسائر بالممتلكات كبيرة نسبيا،

لكن الدول العربية الاخرى استأنفت السباق، الذي جزء منه يتم بمساعدة الولايات المتحدة، وهكذا وافق الكونغرس الامريكي على الجزء الاول بمبلغ سبعة بليارات دولار من مجموع صفقة شاملة بمبلغ ٢٣ مليون دولار مع السعودية، هذا وقد علمتنا التجربة انه في شوط الحظر على بيع معدات عسكرية توجد بسرعة كبيرة شقوقا كثيرة. وحتى اذا اتخذت حكومة قرارا بعدم بيع اسلحة ومعدات عسكرية، فانه يعثر دائما على من لا يستطيع ولا يريد الصمود امام الاغراءات المالية، يتجاوز القرارات ويهرب معدات بهذا الاسلوب او ذاك. واضافة لذلك توجد دول مثل كوريا الشمالية، الصين ودول اخرى تنتج اسلحة في أوروبا وامريكا الجنوبية متعطشة للعملة الصعبة وقادرة على بيع اسلحة حديثة. وفي ضوء كل ذلك يجب ان نشعر بالقلق حيال سباق التسلح، سواء للاخطار التي يحملها في طياته على امننا، او بسبب الاعباء الاقتصادية المتزايدة التي يفرضها علينا سباق التسلح.

يجب علينا مواجهة تهديد سباق التسلح بعدة اساليب: اولا، من خلال استثمارات ناجعة، ثانيا، يجب علينا وجراء عدم وجود خيار اخر الحفاظ وقدر الامكان على مكاننا في هذا السباق، ثالثا، يجب علينا تشجيع مداولات جادة بكل ما له علاقة بمراقبة انتشار الاسلحة اقليميا، وفي النهاية يجب علينا المساهمة بدور فعال وايجابي في مسيرة السلام.

مسيرة السلام

يجب علينا التأكيد اولا، بخصوص مسيرة السلام، على ان الامر ليس مرتبطا فقط باسرائيل، بل ليس اقل، ان لم يكن اكثر باوساط عربية على علاقة بهذا الامر. وموقف سوريا، على سبيل المثال، لا يعتبر اقل اهمية للمسيرة من موقف اسرائيل، وردها الايجابي على طلب الرئيس بوش، يوفر وبالتأكيد احتمالات جيدة لمسيرة السلام. يجب ان تكون لنا مصلحة كبيرة في احراز تقدم على السلام، واذا لم يوجد ذلك، ستستمر المواجهة بيننا وبين جيراننا العرب في المناطق وما خلفها. ستضاعف المواجهة المستمرة وبالضرورة من التوترات، وتضفي حدة على المشاعر، وستشكل المشكلة الفلسطينية عامل تسريع لذلك. ستزداد الغربة بيننا وبين معظم دول العالم اذا لم يتم التوصل الى حل. ان حالة "لا سلام ولا حرب" المستمرة منذ سنوات، سيحل محلها ان عاجلا ام أجلا بلورة ائتلاف عسكري عربي يشن علينا حربا، وستكون هذه حرب شاملة لا بسيطة ولا سهلة، سننتصر فيها او على الاقل لن نخرج منها مهزومين لكننا سندفع ثمنا غاليا. وفي ظل وضع كهذا نكون فيه ضعفاء بعد دك قواتنا ستقدم لنا دعوة لحضور مفاوضات، وهل سنحقق آنذاك ارباحا اكثر من تلك التي يمكن ان نحققها اليوم، حين نوجد في موقف قوي، ونتمتع ايضا بتأييد الولايات المتحدة وتأييد واسع بدرجة كافية في العالم؟

يجب علينا، وبخصوص اطار المفاوضات واجراءاتها، التشديد والاصرار على المفاوضات المباشرة، ولا يعود هذا فقط الى كون ذلك قد ورد في قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨، بل لان المفاوضات المباشرة ستشكل اشارة الى النوايا الطيبة للعرب، ورفضهم المشاركة بها يشير الى رفض يثير شكوكا.

يبدو وابان كتابة هذه السطور في صيف العام ١٩٩١ بان مسيرة السلام ستنطلق، ومن ناحيتنا ما زال بالامكان بنائها على اساس مبادرة الحكومة الاسرائيلية التي صدرت في شهر ايار ١٩٨٩، وحشد مجهودات في المفاوضات مع الاردن ومع الفلسطينيين. يعتبر حل المشكلة الفلسطينية صعب علينا، ايضا بسبب المخاوف المستقبلية من اقامة دولة فلسطينية وايضا لان ذلك مرتبطا بتنازلات اقليمية قاسية ومؤلمة، ومن اجل تقليص الاخطار المرتبطة بحل المشكلة نقترح منا ربطها بحل من [illegible] الامر الذي يؤدي الى تقليص مساحة الاخطار المستقبلية. وهذا يعني بان الحل الدائم الذي سيقدم للفلسطينيين لا يكون مرتبطا بعدد معين من السنوات، بل باحراز تقدم على حل هذه المشاكل وذلك الى درجة يكون فيه الوضع غير قابل للتراجع. اما التدرج حيال كل موضوع من هذه المواضيع فبالامكان تحديده من خلال اتفاق متبادل.

ما هي المشاكل الجوهرية التي سيكون حلها مرتبطا بحل المشكلة الفلسطينية؟

العدو يتم فقط اذا كانت القوة الجوية مكثفة ودقيقة الاصابة معا. ومن اجل ان تكون القوة الجوية قادرة على ذلك، وليس فقط مرة واحدة، يجب ان تحصل على اولوية ملائمة في مجال تخصيص مصادر لها في اطار الهيئة الامنية - والمصادر ليست فقط طائرات وطائرات عمودية بل وايضا ذخيرة، وخصوصا ذخيرة متقدمة بكميات معقولة، ولجميع باقي الاجزاء الحيوية للقوة الجوية. وبالامكان القول ايضا بان القوة الجوية تستطيع العمل ايضا في اوضاع كثيرة اخرى تختلف عن الوضع الذي وصف اعلاه.

ابرزت حرب الخليج بالنسبة لاسرائيل ايضا ضرورة تطوير القدرة على القتال على مدى بعيد وباستمرارية معينة، والمقصود القدرة التي تتجاوز مجهودات مرة واحدة، مثل عملية "يهونتان" في عنتيبا، ويستوجب ذلك قوة جوية قوية، كما وصف اعلاه، واضافة لذلك، تأهيل قوات برية، ملائمة اي قوات ذات قدرات ومعدات ملائمة وخاصة للقيام بهذه المهمة، ويضاف لذلك ايضا استخبارات لتوفير المعلومات المطلوبة، في الوقت الملائم. ولا يعتبر هذا موضوعا جديدا في فكر الجيش الاسرائيلي، لكن هذه الاهمية ستأخذ دفعة جديدة ومرة اخرى في نطاق اعتبارات الميزانية المعروفة.

الساحة الداخلية

لقد وجدت بالفعل في الساحة الداخلية في اسرائيل ظواهر تشير الى ذعر، لكنها كانت محدودة ولا تشير الى ظواهر عامة. وعلى كل الاحوال لقد صمد الجمهور امام معضلة ضرب الجبهة الداخلية واثبت تفهما للوضع ونضجا في التصرفات. لقد ايد حوالي ٨٠ بالمائة من الذين جرى معهم استطلاع في ذروة الازمة "سياسة ضبط النفس" التي اتبعتها الحكومة، وارتفعت ثقة الجمهور بالجيش، بالحكومة وبنفسه ابان الحرب. ولقد تم نقل مئات من الاشخاص من المناطق التي تعرضت للقصف الصاروخي الى المستشفيات وذلك بعد تضررهم من الناحية النفسية لكن تم اعادة معظمهم الى بيوتهم بعد معالجة قصيرة نسبيا. هذا ويدور الحديث عن حرب فريدة من نوعها، لم يوجد لها مثيل حتى الان في حروب اسرائيل. الجيش لم يحارب بتاتا وفي "الجبهة" كان مدنيون تعرضوا وخلال ستة اسابيع الى هجمات بصواريخ ارض - ارض.

وامتازت هذه الحرب بمواجهة مع دولة عربية لا حدود مشتركة لها معنا، ولم تحارب الى جانبها دولة اخرى، تخوف من حرب كيماوية، الحاق اضرار كبيرة بالبيوت، حمل الكمامات بصورة دائمة والتشويش على روتين الحياة، وفي ظل هذه الظروف يجب ان لا نستغرب مشاهدتنا الالاف يهجرون مدنا، اما الهروب الى الخارج فمعروف لنا منذ ايام الحرب العالمية الثانية. ان المصير المشترك وتجربة الماضي ساعدا وبالتأكيد سكان المدن الذين بقوا في بيوتهم، ويشعر هؤلاء بالفخر لعدم مغادرتهم لها، وعلى كل الاحوال فان الهجرة من المدن والهروب للخارج اثبتا بان الجبهة الداخلية لم تكن مستعدة بتاتا من حيث التأهيل والاستعداد، ولا حتى من ناحية الحصانة النفسية. ويجب العمل على معالجة ذلك منذ اليوم.

اما بالنسبة للتوجهات السياسية فان الازمة ادت الى ما كان متوقعا، اي ان كل من يحمل رأيا وجد بتسلسل الاحداث تعزيزا لرأيه، ومع ذلك من الجدير بالذكر ان بحث أثر ايران (انظر الفصل ١٥) والذي سئل فيه الذين جرت مقابلات معهم "ما الذي يعتقدون بانه يجب على اسرائيل التأكيد عليه، وذلك من اجل منع حرب بيننا وبين الدول العربية" رد ٧٤ بالمائة: "بذل قصارى جهدنا من اجل البدء بمباحثات سلام".

وبالتدريج مع تعزيز هذا التطلع للسلام، من المحتمل جدا ان تكون الازمة والحرب قد اديا الى زيادة الكراهية والاحساس بالمرارة لدى الاسرائيليين لعرب المناطق والفلسطينيين الاخرين الذين اعربوا وبصورة فظة وبارزة عن تأييدهم لصدام حسين، ورقصوا على الاسطح" في الوقت الذي كانت فيه الصواريخ تسقط على مدن اسرائيلية، لكن هذه الترسبات قد تتلاشى مع مرور الزمن، اذا تم احراز تقدم على مسيرة السلام ولم تقع احداث تشيب اليها ترسبات جديدة.

سباق التسلح

يجب التأكيد ثانية على مسالة سباق التسلح الذي وكما يبدو بدأت تتجدد. وتفرض بالفعل على العراق مقاطعة متشددة،

العدو يتم فقط اذا كانت القوة الجوية مكثفة ودقيقة الاصابة معا. ومن اجل ان تكون القوة الجوية قادرة على ذلك، وليس فقط مرة واحدة، يجب ان تحصل على اولوية ملائمة في مجال تخصيص مصادر لها في اطار الهيئة الامنية - والمصادر ليست فقط طائرات وطائرات عمودية بل وايضا ذخيرة، وخصوصا ذخيرة متقدمة بكميات معقولة، ولجميع باقي الاجزاء الحيوية للقوة الجوية. وبالامكان القول ايضا بان القوة الجوية تستطيع العمل ايضا في اوضاع كثيرة اخرى تختلف عن الوضع الذي وصف اعلاه.

ابرزت حرب الخليج بالنسبة لاسرائيل ايضا ضرورة تطوير القدرة على القتال على مدى بعيد وباستمرارية معينة، والمقصود القدرة التي تتجاوز مجهودات مرة واحدة، مثل عملية "يهونتان" في عنتيبا، ويستوجب ذلك قوة جوية قوية، كما وصف اعلاه، واضافة لذلك، تأهيل قوات برية، ملائمة اي قوات ذات قدرات ومعدات ملائمة وخاصة للقيام بهذه المهمة، ويضاف لذلك ايضا استخبارات لتوفير المعلومات المطلوبة، في الوقت الملائم. ولا يعتبر هذا موضوعا جديدا في فكر الجيش الاسرائيلي، لكن هذه الاهمية ستأخذ دفعة جديدة ومرة اخرى في نطاق اعتبارات الميزانية المعروفة.

الساحة الداخلية

لقد وجدت بالفعل في الساحة الداخلية في اسرائيل ظواهر تشير الى ذعر، لكنها كانت محدودة ولا تشير الى ظواهر عامة. وعلى كل الاحوال لقد صمد الجمهور امام معضلة ضرب الجبهة الداخلية واثبت تفهما للوضع ونضجا في التصرفات. لقد ايد حوالي ٨٠ بالمائة من الذين جرى معهم استطلاع في ذروة الازمة "سياسة ضبط النفس" التي اتبعتها الحكومة، وارتفعت ثقة الجمهور بالجيش، بالحكومة وبنفسه ابان الحرب. ولقد تم نقل مئات من الاشخاص من المناطق التي تعرضت للقصف الصاروخي الى المستشفيات وذلك بعد تضررهم من الناحية النفسية لكن تم اعادة معظمهم الى بيوتهم بعد معالجة قصيرة نسبيا. هذا ويدور الحديث عن حرب فريدة من نوعها، لم يوجد لها مثيل حتى الان في حروب اسرائيل. الجيش لم يحارب بتاتا وفي "الجبهة" كان مدنيون تعرضوا وخلال ستة اسابيع الى هجمات بصواريخ ارض - ارض.

وامتازت هذه الحرب بمواجهة مع دولة عربية لا حدود مشتركة لها معنا، ولم تحارب الى جانبها دولة اخرى، تخوف من حرب كيماوية، الحاق اضرار كبيرة بالبيوت، حمل الكمامات بصورة دائمة والتشويش على روتين الحياة، وفي ظل هذه الظروف يجب ان لا نستغرب مشاهدتنا الالاف يهجرون مدنا، اما الهروب الى الخارج فمعروف لنا منذ ايام الحرب العالمية الثانية. ان المصير المشترك وتجربة الماضي ساعدا وبالتأكيد سكان المدن الذين بقوا في بيوتهم، ويشعر هؤلاء بالفخر لعدم مغادرتهم لها، وعلى كل الاحوال فان الهجرة من المدن والهروب للخارج اثبتا بان الجبهة الداخلية لم تكن مستعدة بتاتا من حيث التأهيل والاستعداد، ولا حتى من ناحية الحصانة النفسية، ويجب العمل على معالجة ذلك منذ اليوم.

اما بالنسبة للتوجهات السياسية فان الازمة ادت الى ما كان متوقعا، اي ان كل من يحمل رأيا وجد بتسلسل الاحداث تعزيزا لرأيه، ومع ذلك من الجدير بالذكر ان بحث آثر ايران (انظر الفصل ١٥) والذي سئل فيه الذين جرت مقابلات معهم "ما الذي يعتقدون بانه يجب على اسرائيل التأكيد عليه، وذلك من اجل منع حرب بيننا وبين الدول العربية" رد ٧٤ بالمائة: "بذل قصارى جهدنا من اجل البدء بمباحثات سلام".

وبالتدريج مع تعزيز هذا التطلع للسلام، من المحتمل جدا ان تكون الازمة والحرب قد اديا الى زيادة الكراهية والاحساس بالمرارة لدى الاسرائيليين لعرب المناطق والفلسطينيين الاخرين الذين اعربوا وبصورة فظة وبارزة عن تأييدهم لصدام حسين "ورقصوا على الاسطح" في الوقت الذي كانت فيه الصواريخ تسقط على مدن اسرائيلية. لكن هذه الترسبات قد تتلاشى مع مرور الزمن. اذا تم احراز تقدم على مسيرة السلام ولم تقع احداث تضيف اليها ترسبات جديدة.

سباق التسلح

يجب التأكيد ثانية على مسألة سباق التسلح التي وكما يبدو بدأت تتجدد. وتفرض الفعل على العراق مقاطعة مشددة،

العسكرية ملزمة بالعمل وفقا لها.

واذا توفر رد لكافة التهديدات، بما في ذلك الكيماوية والنووية، فانه بالامكان تخطيط الامور على مراحل. في المرحلة الاولى والتي لا تبدو فيها مؤشرات لاخطار وجود قدرات نووية لدى العدو، فان بالإمكان تجديد نظم جبهة ترتكز على تحمل اخطار معينة، معروفة وواضحة مسبقا (وذلك لان الحديث لا يدور عن تهديد قائم ومباشر يمكن ان توجده الاسلحة النووية) وذلك في اطار اعتبارات الميزانية. وعندما نحصل على مؤشرات تدل على ان الطرف الاخر دخل في مرحلة سباق نحو بناء اسلحة نووية، بكل ما تحمله هذه من اخطار، فانه سيكون بالامكان تخطيط الامور بحيث يتم استكمال نظام الجبهة في الوقت الملائم، وذلك كي نستطيع الرد على التهديدات قدر الامكان. واذا توفرت بايدينا مصادر كامنة للرد مسبقا على التهديدات التقليدية والنووية معا فانه ستتوفر مصداقية لاقامة نظام الجبهة الكامل ومنذ البداية. ويجب ان نتذكر انه اضافة لذلك ستوجد ابعاد قدرة الردع الاستراتيجية، كما وصفت انفا. وعلى كل الاحوال عندما يتم التوصل الى تجاعة كاملة لصاروخ حيتس سيكون لذلك تأثيرا حاسما في كل الموضوع. ولهذا يجب التأكد من ان مصير حيتس لن يكون نفس المصير الذي آلت اليه طائرة لافي، وان لا يعملوا على وقف تطويره في مرحلة متأخرة بعد ان تكون قد صرفت عليه ملايين كثيرة وعزيزة المنال.

القوة الجوية

لقد اثبتت حرب الخليج مرة ثانية اهمية ونجاعة القوة الجوية وليس المقصود بمفهوم "القوة الجوية" فقط الطائرات، وطائرات مروحية. وتشكل الطائرات والطائرات المروحية اجهزة معقدة ومحنكة. وتعني القوة الجوية ايضا استخبارات، بما في ذلك استخبارات الكترونية على وجه التحديد، معدات للقتال الالكتروني ومعدات ضد الحرب الالكترونية، اجهزة رادار على اختلاف انواعها، قذائف وصواريخ محنكة ودقيقة الاصابة، تسليح تقليدي مكثف، صواريخ على اختلاف انواعها (جو - جو، ارض - جو.. الخ) اجهزة تحكم ومراقبة على مستوى عالي. ويجب ان لا ننسى بان القوة الجوية تعني ايضا طائرات مروحية وتزداد اهمية هذه الطائرات باضطراد في الحرب.

لقد انتصرت القوة الجوية في حرب الخليج. اما المرحلة البرية فقد كانت تشبه نزهة من اجل جمع اسرى وغنائم اكثر من كونها مرحلة في حرب. لكن يجب ان نتذكر العنصر الكمي، اي اكثر من خمسة اسابيع من العمل، وايضا كمية الطائرات والتسليح وفترة الاعداد التي توفرت لقوات الائتلاف: حوالي ٢٦٠٠ طائرة ٦٢٥٠ طنا من القذائف الموجهة (حوالي ٢٠٠٠٠ وحدة تسليح) ٨٢٢٥٠ طنا من القذائف العادية، ولا ضرورة للتأكيد بانه لن تتوفر لنا بتاتا مثل هذه الكمية، كما انه لن تتوفر اي امكانية لوقت مثل الذي توفر للائتلاف في حرب الخليج (حوالي ستة اسابيع).

لقد كان القصف الجوي هو الذي انهى الحرب من الناحية العملية. هل نستطيع نحن اخذ العبر من ذلك بالنسبة لتوجهاتنا الاستراتيجية؟ ينص احد المبادىء الجوهرية في النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية على ضرورة نقل الحرب في اقرب فرصة ممكنة الى منطقة العدو، وذلك من اجل الدفع باتجاه انهاء الحرب باقصى سرعة ممكنة من خلال خطوة هجومية، وتوفير خسائر بالانفس والاملاك. لكن تطبيق هذا المبدأ على ارض الواقع يمكن ان يضع عقبات ويتطلب دفع ثمن باهظ: على سبيل المثال، اذا كانت المنطقة تغص بقوات العدو، بالخنادق والعقبات، او اذا تطلب الامر اعاقة زمنية بسبب ضرورة استكمال تجنيد قوات الاحتياط في حالة حدوث هجوم مفاجىء. حينذاك سيتوفر المجال لاستخدام القوة الجوية، استخداما مكثفا، وذلك في الوقت الذي تكون فيه [illegible] وبصورة مركزة قدر الامكان، وبالطبع يجب ان تكون عملية استخدام القوة الجوية مخططة بكافة تفاصيلها، قدر الامكان. وفي هذه المرحلة فان القوات البرية، ستكتفي بخطوة دفاعية تشمل ايضا اقتحامات و/او هجمات محدودة، وذلك من اجل الاخلال بتوازن العدو، ان عملية الشل الجوهرية للعدو تجري من خلال استخدام القوة الجوية، التي تؤدي الى تقويضه بدرجة معينة وتمكن بعد ذلك من القيام بخطوة برية هجومية بثمن منخفض دون صعوبات خاصة. لكن تقويض قوة

الجبهة وذلك قبل ان تتمكن قوات العدو من الوصول الى اماكن حيوية. هذا اضافة الى انه في وضع اللاحرب واللاسلام توجد للمناطق جدوى في مجال مجابهة الارهاب كما تقلل من اخطار المدفعية المعادية ومن صواريخ الكاتيوشا. وطالما لا يوجد سلام مستقر بيننا وبين جيراننا فاننا لا نستطيع الانسحاب من هذه المناطق - هضبة الجولان والضفة الغربية - لكن في اطار اتفاقية سلام تضمن كافة اسس الترتيبات الامنية الدائمة والضمانات المناسبة، التي تقلل وحتى الحد الادنى اخطار الحرب، سنستطيع السماح لانفسنا بالتنازل عن مناطق. هذا اضافة الى انه في اتفاقية السلام يجب ان يجد تعبيره مبدأ توسيع العمق الاستراتيجي العملي لاسرائيل حتى الحدود الشرقية للاردن، والتأكيد بانه لن يدخل اي جيش اجنبي للاردن. وهكذا سيتم تطبيق احدى العبر الهامة من المواجهة الاسرائيلية للتهديدات العراقية الاخيرة.

الدفاع عن الجبهة الداخلية

لقد ركزت صواريخ ارض - ارض الانتباه على امكانية ضرب الجبهة الداخلية الاسرائيلية وعلى اهمية تنظيمها، اعدادها والحفاظ على استعداداتها، ان التدخل الزائد من قبل الجيش في الشؤون المدنية المحضة، يثير تساؤلات حول اذا ما كان هذا التدخل مرغوبا به وضروريا. بل لم يكن بالامكان اعفاء الجيش الاسرائيلي من هذه المسؤولية ونقلها الى طرف او اطراف اخرى، وابقاء المسؤولية عن الموضوعات الامنية المركزية بايدي الجيش؟ ليس هذا هو المكان الذي بالامكان عرض تفاصيل حول هذه العبر فيه، لكن مع ذلك يجب القول، بان المطلوب هو بحث جوهري ودقيق لموضوع تنظيم الجبهة الداخلية وتوزيع المسؤوليات فيها.

كما تثار ايضا بصورة حادة مشكلة الدفاع عن الجبهة الداخلية، سواء في مجال الدفاع السلبي او الدفاع الايجابي. تكمن المشكلة الاولى في الدفاع السلبي بقضية الانذار المبكر. وقد تم في نهاية المطاف حل هذه المشكلة ابان الحرب في الخليج بصورة مرضية بمساعدة الولايات المتحدة، واذا لم تكن تستطيع بسبب نقص المصادر من التوصل الى حالة لا تكون فيها مرتبطة في مجال الانذار المبكر فيجب البحث عن سبل للتوصل لاتفاق مع الولايات المتحدة، يضمن لنا من ناحية انذارا مبكرا امينا ويعفينا من ناحية اخرى من مجهودات البحث، التطوير وانتاج وصيانة المعدات المطلوبة لهذا الهدف.

ثانيا، مشكلة الملاجىء، لقد كانت الغرفة المحكمة الاغلاق ملاذا غير سيء بالنسبة لهذه الحرب، لكنه بالتأكيد ليس حلا ملائما للحرب المستقبلية وقد نعثر على ذلك في اعادة تقييم جميع موضوع الملاجىء. اي يجب العثور على حل يحرر معظم المواطنين في اسرائيل من الارتباط بالملاجىء العامة وذلك بصورة رئيسية في اطار البيت. وبالتأكيد يجب ان لا نتوقع امنا مائة بالمائة، في كل حالة من الحالات، لكن حلا في اطار البيت يمكن ان يعطي امنا مرضيا في معظم الحالات، سواء من الرؤوس التقليدية، او من الرؤوس المتفجرة الكيماوية.

يجب ايضا ان نفحص وان نقدر مجددا اهمية المعدات الخاصة بالدفاع الشخصي من الاسلحة الكيماوية، كما يجب ايضا فحص اساليب توزيع المعدات وايضاح استخدامها. ويجب ان نضيف الى كل ذلك كافة العبر المتعلقة بعمل وحدات الدفاع المدني والشرطة في مجال الكشف والتشخيص، الانقاذ وما شابه ذلك. ومن الواضح ان الدفاع السلبي يشكل شرطا ضروريا لكنه غير كافي، ويجب ان نقدر بان صواريخ ارض - ارض التي ستتوفر للطرف الاخر في المستقبل ستكون دقيقة جدا وذات قوة اكبر بكثير، الامر الذي سيضع امامنا مشاكل قاسية، ولهذا يجب ان نستكمل الدفاع السلبي بوسائل اخرى. الدفاع الايجابي، الصمود، الهجوم (على قواعد صواريخ ارض - ارض، المطارات وما شابه) والردع (كما وصف اعلاه).

بالنسبة للدفاع الايجابي، [illegible] من الواضح انه وفي مضامينه الحالية لا يشكل ردا ملائما على تهديد صواريخ ارض - ارض التي يطلقها العدو. اما بالنسبة لصاروخ حيتس فيبدو بانه مضمون اكثر لكن تطويره لم ينته بعد. واذا افترضنا بان تطويره سينتهي بنجاح وانه سيستطيع الرد ومن الناحية المبدئية على كافة التهديدات المتوقعة، بما في ذلك التهديدات النووية المحتملة، فاننا سنواجه مشكلة الجبهة، والسؤال لا يقتصر على اي جبهة نريد، بل اي جبهة نستطيع السماح لانفسنا بتطويرها في ضوء الاعتبارات الدعمية للميزانية والتي ستكون البيئة

تعاني من تقليص كبير في مصادرها، وذلك لاسباب وطنية: انحطاط اقتصادي ومعضلة استيعاب الهجرة، وفي ضوء كل هذا يجب ان تكون الاولويات واضحة جدا بل ووحشية.

القدرة على الردع

دار جدال في البلاد ابان الحرب وفي اعقابها حول مسالة اذا ما كانت قدرة اسرائيل على الردع قد لحقت بها اضرار. وذلك بسبب ضبط النفس الذي اتبعته اسرائيل في ردها على القصف الصاروخي لها. ولم تؤد الاصابات الى الحاق اضرارا كبيرة بالانفس، لكنها الحقت اضرارا كبيرة في العقارات وشوشت مسار الحياة في الدولة. ووفرت التصريحات التي ادلى بها قياطنة الدولة اساسا للتفكير بان اسرائيل سترد بعنف على كل هجوم. ها هي اسرائيل تستجيب لطلب الولايات المتحدة، التي تخوفت من ان يؤدي الرد الاسرائيلي الى انسحاب قوات من الائتلاف وتحويل الحرب الى حرب عربية - اسرائيلية، ولم ترد. ووعدت الولايات المتحدة بتقديم مساعدات لاسرائيل وذلك من خلال هجوم مكثف على قواعد الصواريخ، قاذفاتها واماكن تخزينها، ولان الهجمات الامريكية لم تؤد الى توقف الهجمات الصاروخية على اسرائيل، فقد وجد انطباع في اوساط الجمهور يقول بان الولايات المتحدة لا تقوم بمهمتها بامانة. لكن لا ريب في ان الهجمات المستمرة التي قام بها الامريكيون ادت الى تقليص عدد الصواريخ التي اطلقت نحو اسرائيل، وعلى كل الاحوال لقد تم تصحيح الانطباع السيء عن تنفيذ الامريكيين لمهامهم بدرجة كبيرة وذلك بعد نصب بطاريات صواريخ باتريوت، على الرغم من عدم نجاعتها.

ابلغ العراق الامين العام للامم المتحدة بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٩١، ووفقا لما تفترضه قرارات الامم المتحدة، انه يوجد بحوزة قواته العسكرية، ٣٠ رأسا متفجرا كيماويا لصواريخ ارض - ارض الحسين. ولو افترضنا بان العراقيين كانوا دقيقين في اقوالهم، فان ذلك ينهي الجدال حول قدرة اسرائيل على الردع. واذا كان لدى العراق على الاقل ٣٠ صاروخ ارض - ارض كهذه واطلقت على اسرائيل ما مجموعه ٤٠ صاروخ ارض - ارض فلماذا لم يستخدم الصواريخ ذات الرؤوس الكيماوية؟ الرد على ذلك بسيط. العراق يفترض، مثل باقي الدول العربية، بانه يوجد لدى اسرائيل اسلحة كيماوية وايضا اسلحة نووية. وهذا يعني بانه اذا استخدم الاسلحة الكيماوية، ضد الجبهة الداخلية سترد اسرائيل بحدة تفوق عشرات المرات باحدى هذه الاسلحة، وربما بكلاهما معا. ولهذا لم يستخدم العراق الاسلحة الكيماوية التي بيده، لا بصواريخ ارض - ارض ولا بالقاء قنابل من طائرات S-24 وبكلمات اخرى لقد ارتدع العراق، ولم يتم اخضاع قدرة اسرائيل على الردع للاختبار ولهذا لم تلحق بها اضرار. لقد فهمت الدول العربية قدرة اسرائيل على الردع بانه اذا تعرضت اسرائيل لاخطار تهدد وجودها فانها ستستخدم الاسلحة النووية التي يقال بانها تتوفر لديها، ويبدو ان العراق ادرك بان القرارات الاسرائيلية في هذه الحالة لن يعتريها الشك.

وبالامكان التخمين بان الاقوال التي ادلى بها ريتشارد تشيني وزير الدفاع الامريكي، حول رد اسرائيل باسلحة غير تقليدية في حال تعرضها لهجوم باسلحة كيماوية اعطت نتائجها، وبالطبع يجب التأكيد بان عدم استخدام صواريخ ارض - ارض ذات رؤوس كيماوية لم يثبت فقط سلامة قدرة الردع الاسرائيلي، بل عززه.

مناطق وعمق استراتيجي

لقد ادى اطلاق صواريخ ارض - ارض الى جدال في اسرائيل حول مسالة اهمية المناطق. ومن الواضح ان هذا الجدال ليس [illegible] ("سياسي" او "سطوري"). واذا تجاهلنا ذلك للحظة سنستطيع القول بان صواريخ ارض - ارض لا تكترث بمناطق. وان المناطق تمتلك القليل فقط مما تقدمه لنا ضد تهديدات الصواريخ، لكن يجب الاعتراف ايضا بان صواريخ ارض - ارض وحدها لا تكفي للانتصار في الحرب ويجب من اجل ذلك ايضا استخدام قوات برية بصورة عامة. وبخصوص ذلك توجد للمناطق والعمق الاستراتيجي قيمة. وتعتبر المناطق مهمة خصوصا وانها تمكن قواتنا من "كسب" الوقت الذي يمكنها اثناء الهجوم المضاد من جانب العدو تجنيد قوات الاحتياط واحضارها الى

وفر لصدام حسين تجربة كبيرة يمكن ان تخدمه في اعادة بناء جيشه. ولهذا من المحظور الافتراض بان العراق "خرج من اللعبة" لفترة طويلة، ومن الصعب الان تحديد عدد سنوات بصورة دقيقة، لكن بالامكان القول بانه يجب ان لا نفترض بان العراق لم يعد بعد الان مع اعدائنا ولسنوات طويلة.

الاردن الذي خرج من الازمة متضررا، سيتخوف وبالتأكيد من الانضمام لحرب ضد اسرائيل، وستلحق اضرار بقدرته العسكرية جراء صعوباته الاقتصادية الا اذا طرأت تحولات جذرية على هذا الوضع ومع ذلك فقد اعترفت ذوي العلاقة بهذا الموضوع، بما في ذلك اسرائيل، باهمية الاردن الهاشمية كدولة تفصل بين اسرائيل والعراق، الامر الذي يوفر ولدرجة معينة عمقا استراتيجيا لاسرائيل، ويوفر للاردن اهمية كشريك في مسيرة السلام، خصوصا بكل ما له علاقة بالموضوع الفلسطيني.

لقد خرجت سوريا من الازمة قوية، سواء جراء الحقيقة القائلة بانها استغلت الازمة من اجل حل عدة مشاكل كانت صعبة بالنسبة لها في لبنان وعلى راسها فرض سيطرتها عليه او بسبب المساعدات المالية التي حصلت عليها من السعودية او جراء تحسينها لعلاقاتها مع الولايات المتحدة. لقد رسخت سوريا مواقفها في العالم بصورة عامة وفي العالم العربي على وجه التحديد وذلك عندما ردت ايجابيا على الرئيس بوش وهذه الاستجابة ستمكنها من لعب دور في الجانب العربي بكل ما له علاقة بالمسيرة السلمية.

ومع ذلك فان سوريا لا تتوقف عن المجهودات التي تبذلها من اجل الحصول على المساعدات العسكرية المطلوبة من اجل بناء قوة تتوافق ونظرية التوازن الاستراتيجي. ووفقا لتقارير كثيرة فقد وقع السوريون على صفقات شراء اسلحة من الاتحاد السوفييتي، تشيكوسلوفاكيا، كوريا الشمالية، ودول اخرى وذلك بقيمة مليارى دولار. ويجب التعامل مع ذلك كمجهودات تستهدف امرين، تعزيز مواقف سوريا ابان المفاوضات وايضا تعزيز قوتها في حال فشل المفاوضات وتدهور الاوضاع الى حالة حرب. وبقي التأكيد عما اذا كانت التغيرات التي طرأت على مواقف سوريا تكتيكية، ام استراتيجية وهذا ما يجب على حافظ الاسد اثباته.

لم يمس ضعف منظمة التحرير الفلسطينية والفلسطينيين جراء الازمة وبسبب تأييدهم المتلهف لصدام حسين، حتى الان بمكانتهم بصورة كبيرة، لكن كشف النقاب عن ازمة في قيادة منظمة التحرير. وحتى الان ما زالت يد ياسر عرفات هي العليا. سينجح "الباقي الابدي" كما يبدو في هذه المرة ايضا، لكن توجد مؤشرات تدل على وجود عدم رضى على الوضع في المناطق، ويوجد من يريدون تمثيلا اكبر ونفوذا اكبر، ومن المرجح القول انه وعلى الاقل في المستقبل القريب، سيستطيع عرفات فرض سيطرته على كل ما له علاقة بالمسيرة السلمية، ويبدي الفلسطينيون استعدادا للتعاون مع الاردن وطرأ اعتدال معين على مواقفهم السياسية.

عبر اسرائيل

كسبت اسرائيل الشريك المجهول والخفي في الائتلاف تجربة سياسية، عسكرية واجتماعية غير قليلة في هذه الحرب الفريدة من نوعها - انها فريدة من نوعها بالنسبة لاسرائيل من عدة نواحي: لقد حدثت بعد خمسة اشهر مستمرة من الازمة، "اشهر الانتظار" التي وفرت الفرص لكافة الاطراف للقيام بالاستعدادات. لم يشكل العراق اي تهديد بري على اسرائيل، ولم تتعرض حدود اسرائيل لاي تهديدات. لقد تعرضت اسرائيل لهجمات فقط على جبهتها الداخلية من خلال صواريخ ارض - ارض [illegible] تقليدية، لكن واجه العراق تهديدا مباشرة من جانب الائتلاف ذو القوة الهائلة الذي ترأسته الولايات المتحدة.

كل عملية استخلاص عبر يجب ان تأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي سادت ابان الازمة واثناء الحرب في الخليج. ويجب على الاطراف وما في ذلك الاوساط السياسية اخذ العبر. ومع ذلك يوجد عدد غير قليل من العبر التي يجب تناولها. وسيتناولون هذا الامر [illegible] جميع الاستنتاجات الخاصة بتطبيق العبر، يجب ان تنطلق الحقيقة القائلة بان البيئة الامنية

وذلك لعدة اسباب:

اولا، افترضت الولايات المتحدة وجود "نافذة فرص" بعد هزيمتها للعراق وما يبدو كتوجه عقلاني في الدول العربية، ثانيا، تريد الولايات المتحدة استغلال النجاح العسكري لصالح انجازات سياسية، ثالثا، لقد ارادت الولايات المتحدة بذل مجهودات، في الظروف التي بدت لها مواتية، لتصفية بؤر الصراع التي يمكن ان تهدد مصالحها في المنطقة، المصالح التي من اجلها خاضت حرب الخليج وعلى رأسها: النفط.

ركزت الولايات المتحدة في بداية دربها على القضايا المتعلقة بالاطر وبالاجراءات، لكنها تواجه صعوبات من الجانب العربي ومن الجانب الاسرائيلي في هذا الجزء، واجبرت على دراسة استمرار توجهاتها. وقد اتضح لها بسرعة كبيرة انه بالنسبة للصراع العربي - الاسرائيلي لا توجد "ترتيبات جديدة" ولا اختصار طرق، وان جميع المسائل الصعبة ظلت كما هي، لكن حدثت ومع ذلك تغيرات في مواقف الرئيس السوري حافظ الاسد سمحت للرئيسين بوش وغورباتشوف بالاعلان عن عقد مؤتمر السلام في شهر تشرين الاول ١٩٩١، وادت وفي نهاية المطاف الى اعطاء الحكومة الاسرائيلية ردا ايجابيا، وان يكن مرفقا بتحفظات بصدد التمثيل الفلسطيني. الموقف الامريكي كما وجد تعبيره باقوال الرئيس بوش: "لقد ايقنا في عهد الصواريخ ان الجغرافيا لا تشكل ضمانة للامن"، يعني بانه اذا استمرت مسيرة السلام، ستصطدم لا محالة بالموقف المتصلب لحكومة شمير بهذا الخصوص.

لقد ذكر الاتحاد السوفييتي ابان الازمة في الخليج كافة ذوي العلاقة بالموضوع بانه ما زال هنا وان لديه اهتماما بالمنطقة، وما زال له نفوذ فيها. يجب على اسرائيل ان تأخذ ذلك باعتباراتها السياسية والاستراتيجية في المستقبل، وتوجد لاسرائيل ايضا مصلحة باستمرار موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي على وجه التحديد وبمصير اليهود في جميع ارجاء الاتحاد السوفييتي بصورة خاصة، ويجب ان لا ننسى ان المسافة بين الحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي وبين اسرائيل غير كبيرة. وفي نهاية المطاف يبدي الاتحاد السوفييتي اهتماما بمسيرة السلام وبالتأكيد سيستمر بالتدخل فيها حتى وان كان في نطاق دور شريك صغير.

المجموعة العربية

انقسم العالم العربي ابان الازمة وبصورة واضحة الى معسكرين: مجموعة الائتلاف من جهة والمجموعة التي تحالفت مع العراق من جهة ثانية. وقد تزعزع جراء الازمة ميزان القوى في منطقة الخليج. وبالفعل من المتوقع تعزيز القدرات العسكرية لدول عربية وعلى رأسها السعودية، لكن ايضا تعززت مكانة ايران وذلك جراء تحطيم العراق. لقد ايدت الجماهير في الدول العربية وبصورة متلهفة صدام حسين، وقد نمت مشاعرهم حياله على خلفية بروز الخلفية الاسلامية التي تمتد في بلدان عربية كثيرة. لقد رأوا بصدام حسين صلاح الدين هذا العهد، الملك المنتظر الذي سينقذهم من مهانتهم ومن العجز القومي العربي والشخصي، لكن خابت آمالهم وعانى بطلهم من هزيمة نكراء مهينة.

لقد تنبأ البعض في العالم العربي حدوث انقلابات في الدول العربية في اعقاب الازمة، لكننا لا نشاهد مؤشرات لذلك حتى الان، وتشير التجربة (مثل الانقلابات التي حدثت في مصر وسوريا بعد حرب الاستقلال، في مطلع سنوات الخمسينات) الى انه توجد في العالم العربي "صحوة متأخرة" (Delayed Reaction) بعد الاحداث المركزية. وعلى كل الاحوال فانه وحتى كتابة هذه السطور ما زال صدام حسين مستمرا كزعيم لا منازع له في العراق.

الضربة القوية التي تلقاها العراق - ويتضح الان بان اضرارها اكبر بكثير مما كان يعتقد في البداية - قضت على احتمالات تشكيل "جبهة شرقية" في المستقبل القريب، ومع ذلك يجب ان لا نتجاهل التجربة التي حصل عليها العراق في مجال بناء جيشه وقواته ابان حرب العراق - ايران وبعدها ان شراء التكنولوجيا باحجام كبيرة والذي قامت به المخابرات العراقية، المشتريات الكبيرة وخصوصا مسيرة الابحاث والتطوير والانتاج، والطلب الواسع جدا على هذه الامور - كل هذا

خلاصـــــة

بقلم: اهارون ياريف

لقد اثبتت الازمة في الخليج والتي كان التدخل الاسرائيلي فيها مباشرا، لكنه معقولا:

أ - التفوق العالمي للولايات المتحدة كـ "الدولة الاعظم" سواء من الناحية السياسية او من الناحية العسكرية.

ب - ليس بالامكان وجود ترتيبات عالمية اي كانت بدون تدخل وقيادة الولايات المتحدة لهذه الترتيبات.

ج - رسوخ التفاهم القائم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بصورة عامة وبخصوص الشرق الاوسط على وجه التحديد.

د - هشاشية العلاقات المعقدة والحساسة بين الدول العربية.

هـ - قدرة صمود النظام الدكتاتوري في العراق - ويعتبر هذا الامر صحيحا حتى كتابة هذه السطور في شهر تموز ١٩٩١.

و - مدى ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة.

ز - امكانية ضرب الجبهة الداخلية الاسرائيلية.

ح - الاخير والذي لا يعتبر اخيرا من حيث اهميته، التغير الذي طرأ على مواقف سوريا بخصوص مسيرة السلام.

القوى العظمى

لقد ادت الازمة الى توطيد العلاقات السياسية والعسكرية، بين الولايات المتحدة واسرائيل، وصحيح انه تم اضفاء بساطة على جزء من توطيد العلاقات وذلك خوفا من "عين السوء" العربية، لكن ارسال طواقم صواريخ "باتريوت" مع اسلحتهم اشار وبوضوح الى طابع التعاون الاستراتيجي هذا، ان التنسيق الاستخباري والعملي الوطيد، ارسال لورنس ايجلبرغر مساعد وزير الخارجية الامريكي، زيادة حجم المساعدات العسكرية وفوق كل ذلك الاستجابة الاسرائيلية للطلب الامريكي الخاص بعدم الرد على صواريخ ارض - ارض، وموافقتها على الحفاظ على "مستوى متدني" من ردود الفعل طوال الازمة، كل هذا وبالتأكيد ترك انطباعات ايجابية عامة، وابرز بعد التعاون الاستراتيجي على وجه التحديد، وبالتأكيد سيشكل هذا رصيدا لاسرائيل في المستقبل.

ان عمل طواقم صواريخ "باتريوت" ضد صواريخ سكاد وايضا استخدام الطائرات المقاتلة الامريكية ضد قاذفات الصواريخ في غربي العراق، قد يؤدي الى تقديرات اسرائيلية تشير الى انه وفي ظروف معينة، سيكون بالامكان الاعتماد على مساعدات عملية امريكية في كافة مجالات الامن الاسرائيلي في التسوية السلمية المحتملة. ومن وجهة النظر الامريكية، من الجانب المقابل، قد يفهم هذا كاحتمال لاعطاء اسرائيل دورا كبيرا جدا في امنها للولايات المتحدة، وربما ستكون على استعداد للتخلي، على الاقل، بصورة جزئية عن مناطق مقابل ضمانات مصرفية.

التواجد العسكري المتزايد للولايات المتحدة، المتوقع في منطقة الخليج (تواجد بحري، تخزين كميات كبيرة نسبيا من الاسلحة في مخازن طوارىء، تنظيم مناورات مشتركة مع الجيوش المحلية - تؤدي تقريبا الى تواجد مستمر) يتضمن اسسا لازدياد التعاون الاستراتيجي في المستقبل - اذا مكنت العلاقات السياسية من ذلك - وذلك لان الامريكيين سيكونون بحاجة الى خدمات سكانه. تدشين [illegible] ومع ذلك فان احد لبنات البناء الاستراتيجي الاسرائيلية ستؤدي الى وجود مشكلة بالنسبة لاسرائيل، ويدور الحديث عن نية الولايات المتحدة تقديم مساعدات عسكرية واسعة لدول منطقة الخليج من خلال بيعها اسلحة كثيرة ومتنوعة. ويجب ان يجر هذا الامر في اعقابه سباق تسلح ستشارك فيه اسرائيل بكل معنى الكلمة.

ان النجاح العسكري الذي حققته الولايات المتحدة في الخليج دفعها الى بذل مجهودات من اجل تحريك مسيرة السلام

لميزانية. وفي شهر شباط ١٩٩١ تقررت زيادة اخرى بمبلغ ٢٤٣ مليون شيكل جديد. وزارة المالية، ميزانية الدولة - اقتراح للعام ١٩٩١، البنود الرئيسية للميزانية (كانون الاول ١٩٩٠) صفحة ٤٠ وجيروزاليم بوست ٩١/٢/٨.

٢٢- هآرتس ٩١/٢/١١ ومعاريف ٩١/٢/٢١. ابلغ وزير المالية الحكومة بمطالب جزء من الوزارات من اجل تغطية المصاريف الناجمة عن الازمة بمبلغ حوالي ٢,٥ مليار شيكل جديد، بما في ذلك وكما يبدو مطالب وزارة الدفاع.

٢٣- على سبيل المثال: رسوم استيعاب بنسبة ٥ بالمائة من ضريبة الدخل، رفع رسوم ضريبة القيمة المضافة من ١٦ الى ١٨ بالمائة وامور اخرى.

٢٤- انظر: معاريف ٩٠/١٠/٢٤.

٢٥- انظر: معاريف ٩٠/١٠/٢١ و ٩٠/١٠/٣١ ويجب النظر الى هذه القرارات على خلفية الاجواء الاقتصادية التي سادت في واشنطن في شهر تشرين الاول عام ١٩٩٠. والتي ادت ايضا الى شطب ديون مصر وصفقة بيع الاسلحة الكبيرة للسعودية، ومن الناحية العملية وكما يبدو لن يتم استخدام خيار استبدال اموال المساعدات المدنية لتمويل مشتريات عسكرية، ولم تسلم تفاصيل عن الترتيبات المتعلقة بالسحب من مخازن الاسلحة الامريكية (Draw - Down Arrangement) وعن وضعها مسبقا في اسرائيل(Pre - Positioning).

٢٦- انظر معاريف ٩١/٣/١٠.

٢٧- كما يعتبر نموذج واضح على ذلك طلب التعويضات على فقدان المداخيل في ايام البطالة القهرية في بداية الحرب. لقد لحقت الاضرار بجميع الاقتصاد، عمال وارباب عمل، ولا ريب في انه بمثل هذه الحالات من الافضل التوصل الى حلول محلية، دون تدخل الحكومة.

٢٨- ازمة "اشيلا لاورو" في تشرين الاول عام ١٩٨٥ والازمة في اعقاب بدء الانتفاضة في الاشهر الاولى من العام ١٩٨٨.

٢٩- في سنوات السبعينات ازداد وكمعدل سنوي عدد الغرف في الفنادق الجيدة للسياحة بحوالي ٥,١ بالمائة، وفي النصف الاول من سنوات الثمانينات بحوالي ٣,٨ بالمائة سنويا، وفي النصف الثاني من سنوات الثمانينات بحوالي ٠,٩ بالمائة فقط انظر: مكتب الاحصاءات المركزي، نشرة الاحصاء السنوية لاسرائيل ١٩٩٠، صفحة ٤٨٨، وايضا يعرف عن تحويل فنادق الى مساكن للمهاجرين.

٣٠- توجد قضية مماثلة في المجال القضائي بخصوص معالجة افلاس اعمال. وتسود في اسرائيل تاثيرات التوجهات البريطانية التي تدافع بصورة رئيسية عن المفلس، وذلك على العكس من التوجهات الامريكية، التي تحاول ايجاد ظروف تمكن من استمرار وجود العمل.

٣١- على وجه الخصوص، اخذت بعين الاعتبار اوضاع تجنيد كامل او جزئي لقوات الاحتياط، لكن لم تكن هناك مخططات لحالات عدم التجنيد وشل السكان في البيوت. انظر الى الاقوال التي عرضها رئيس لجنة حالة الطوارىء العليا بالوكالة في صحيفة جيروزاليم بوست ٩١/٢/٢٥.

٣٢- من المشاكل التي ذكرت في وسائل الاعلام: استخدام اسلوب التعويض بين البنوك، تجنيد عمال لقطف الثمار، ترتيبات لبقاء الاولاد في اماكن العمل، تركيب هواتف في رياض الاطفال، دفعات لعمال الصحية وذلك مقابل ورديات عمل طويلة جدا، تأجيل او نشر دفعات قروض للدولة والمجالس المحلية، تشويشات على البريد الجوي، وجراء ذلك عدم وجود وثائق تجارية لتحرير بضائع مستوردة، استخدام التوقيت الصيفي من اجل اطالة ساعات العمل وساعات الشراء.. الخ.

٣٣- من اقوال رئيس لجنة حالة الطوارىء العليا بالوكالة.

٣٤- شكل عمال يهودا والسامرة وقطاع غزة في العام ١٩٨٩ حوالي ٦,٥ بالمائة من مجموع العاملين في اسرائيل وحوالي ٤٣,٥ بالمائة من مجموع العاملين في فرع البناء وحوالي ١٧ بالمائة من العاملين في الزراعة، مكتب الاحصاء المركزي، النشرة السنوية للاحصاء في اسرائيل ١٩٩٠ صفحة ٣٣٤ و ٧٣٤.

٣٥- انظر: ملاحظة رقم ١٧.

٣٦- بهذا الخصوص يجب ذكر اقوال وزير الدفاع امام الكنيست بصدد قمر صناعي اسرائيلي للتجسس.

٦- قدر وزير السياحة الخسارة العامة للفرع في اعقاب الازمة بحوالي مليار دولار. "هآرتس" ١٩٩١/٣/١٧.

٧- معاريف ١٩٩١/٣/٨.

٨- جيروزاليم بوست بتاريخ ١٩٩١/١/٧ ذكر مدير شركة طيران SAS في اسرائيل، بان رسوم التامين ارتفعت من ٦٠٠٠ دولار للرحلة الى ٢٥٠ الف دولار للرحلة، اذا بقيت الطائرة على الارض في اسرائيل اكثر من خمس ساعات الى ٧٥٠ الف دولار للرحلة.

٩- انظر: ح. بركاي "سوق النفط ضجة على لا شيء" الربع سنوية الاقتصادية، (تشرين الثاني ١٩٩٠) مجلد م أ صفحات ١٤٦، ٢٤١ - ٢٦٣ وايضا:

Ekonovsky "Whu the oil Crisis World Lost", ORBIS 1991, 35 (1) 79-91

١٠- مكتب الاحصاء المركزي. ملحق مجلة الاحصاءات لاسرائيل تشرين الثاني ١٩٩٠.

١١- حول التقديرات بخصوص التطور على اسعار النفط في العالم بعد الحرب انظر للبقية.

١٢- مدير عام شركة "دلك" اقر في مقابلة ان شركات النفط ارتبطت بالمجهودات الوطنية واشترت بناء على طلب ادارة الوقود في شهر ايلول ١٩٩٠ كميات كبيرة من البنزين، واعادت بيعها في شهر كانون الاول ١٩٩٠. انظر "هآرتس" ١٩٩١/٢/٢٤.

١٣- معطيات ادارة الوقود، وزارة الطاقة.

١٤- حددت الاسعار من الناحية العملية وخصوصا البنزين بصورة تتوافق مع هذا التفكير وذلك على الرغم من عدم الاعلان عن تغيرات في السياسة ولا حدوث اعراف واضحة ولم تجر عملية توافق لاسعار البنزين بين ٩٠/٩/٤ وحتى ٩٠/١١/١٨ وفي جزء من هذه الفترة كانت نسب المكوس تختلف عن تلك التي حددت في القوانين، كما عملت لجنة حكومية على التوصية في اعقاب الاحداث بتعديل اسعار النفط بعد التكرير مرة شهريا، وتجاوز الربط الاوتوماتيكي من خلال ابداء اراء وزيري المالية والطاقة، وذلك عندما يتطلب اقرار تعديل بنسبة تزيد عن ١٠ بالمائة. انظر: "هآرتس" ١٩٩١/٢/٢٦.

١٥- يرتكز على اوراق عمل داخلية لوزارتي المالية، الصناعة، التجارة واتحاد الصناعيين وقسم الاقتصاد في بنك لئومي. وتوفر معطيات نشرت في فترة لاحقة مكانا للاعتقاد بان تقديرات الاضرار في نشاطات فرع البناء كان مبالغ فيها. انظر ايضا بنك اسرائيل، قسم الابحاث، التطورات الاقتصادية في الاشهر الاخيرة رقم ٥٤ (آذار ١٩٩١) صفحة ١ - ٢.

١٦- وزارة المالية، معطيات استيعاب كتيب رقم ٦ (آذار ١٩٩١).

١٧- على سبيل المثال، حتى مطلع شهر شباط ١٩٩١ تم التخطيط لارسال ١٦،٦ مليون صندوق حمضيات للخارج، لكن من الناحية العملية فقد تم ارسال نصف الكمية. انظر: معاريف ١٩٩١/٢/١٨.

١٨- يرتكز على اوراق عمل داخلية. وتقارير صحفية حول تقديرات اجرتها وزارة المالية، بنك اسرائيل وسلطة التخطيط الاقتصادي، في القسم الاقتصادي للبنك الوطني لاسرائيل وبنك بوعليم ورابطة الغرف التجارية.

١٩- تعبير اجمالي عن ازدياد النشاطات بالامكان العثور عليه في ازدياد جباية ضريبة القيمة المضافة في شهر كانون الثاني ١٩٩١، بنسبة حقيقية غير عادية بحوالي ٢٨ بالمائة بالمقارنة مع الشهر المماثل في العام الذي سبقه، ونجم الازدياد بجوهره عن حجم الصفقات المتزايد في شهر كانون الاول عام ١٩٩٠. ارتفاع نسبة ضريبة القيمة المضافة في بداية شهر كانون الثاني ١٩٩١. يجد تعبيره في معطيات الجباية لنفس الشهر فقط بخصوص الاستيراد. ومع ذلك يجب ان نفترض بان التوقعات برفع نسبة ضريبة القيمة المضافة ساهم به جزء من تقديم المشتريات. انظر: وزارة المالية، بيان صحفي ١٩٩١/٢/٤.

٢٠- انظر: وزارة المالية، بيان للصحف ٩١/٣/٥. الانخفاض الحقيقي في جباية الضرائب في شهر شباط ١٩٩١، بالمقارنة مع شباط ١٩٩٠ كان بنسبة حوالي ١٦ بالمائة، اذا حسمنا التاثير الصافي للتغييرات في سن قوانين الضريبة ابان العام.

٢١- بعد اندلاع الازمة تقرر الغاء تقليص مخطط بمبلغ ٧٩ مليون شيكل جديد. واضافة مبلغ ٣٣٠ مليون شيكل جديد

حروب مستقبلي. وتوجد مخاوف من احتمالات تطور مسيرة افقية لا عمودية، تكون فيها المرحلة الاولى متاثرة وبدرجة كبيرة من الاجواء الجماهيرية، وتوجد فيها مصادر كبيرة جدا من اجل تحسين الردع والدفاع، وربما في المرحلة الثانية تعرض طلبات اخرى من اجل تعزيز القدرات الهجومية، التي هي وفقط هي ستحسم وفي نهاية المطاف الحرب المستقبلية. وكل هذا قد يتطلب اضافات كبيرة جدا للمصادر الامنية، وبهذا ستتهدد القدرة على الصمود امام معضلة النمو واستيعاب الهجرة ويتزعزع استقرار الاقتصاد.

ليس بالامكان المبالغة في اهمية الاختيار الصحيح والمدروس بين البدائل لتخصيص المصادر الاقتصادية، التي ستقف في خدمة الاقتصاد في السنوات القريبة. ومن الجدير اعادة بلورة توجهات التهديدات الامنية اخذين بعين الاعتبار مصاريف الحرب التي قللت ولفترة زمنية معينة الاخطار العسكرية في الجبهة الشرقية، كما يجب ان ناخذ بعين الاعتبار ايضا الترتيبات التي اقرها الكونغرس الامريكي بخصوص سحب محتمل من الترسانة العسكرية، وبخصوص تخزين معدات وذخيرة لحالات الطوارىء في اسرائيل، ولا تعتبر اقل اهمية من ذلك العبرة الكامنة باستعداد الولايات المتحدة ترأس ائتلاف عسكري يتكون من عدة دول من اجل الدفاع وبصورة فعالة عن اهداف تعتبر مهمة بنظرها. واضافة لذلك فان ديناميكية المفاوضات التي وجدت في اعقاب الحرب في الخليج وعلى الرغم من عدم وضوح الى اين ستقودنا، تتضمن بحد ذاتها تاجيلا للتهديدات العسكرية لاسرائيل على المدى الموضوعي. ومن خلال/كل ذلك ليس فقط يجب الامتناع عن اتخاذ قرارات جديدة تزيد من المصاريف الامنية بل ويجب ايضا دراسة امكانية التراجع عن قرارات التسلح والمشتريات التي اتخذت تحت ضغط الاحداث، والتي لا تعتبر جيدة بالنسبة للاقتصاد الوطني. ولا حتى بالنسبة للهيئة الامنية نفسها.

يرتبط حسم تقليص مصادر الامن وفي نهاية المطاف، باستعداد الاوساط السياسية تحمل اخطار مدروسة. يجب الافتراض وبصورة محدودة بان الازمة في الخليج مع كافة ما نجم عنها، قلصت مستوى الاخطار المدروسة التي تبدي الاوساط السياسية في اسرائيل استعداد لتحملها، لكن يجب ان لا نفصل هذه المسالة عن الابعاد الاخرى في الواقع الشرق اوسطي ومدى تاثيرها على اسرائيل، وخصوصا من المحظور حسم هذه المسالة بتجاهل احتمالات الثورة وبنجاح على الفرصة التاريخية لاستيعاب مليون يهودي اخر في اسرائيل

ملاحظات ومراجع:

١- هاجر لاسرائيل في العام ١٩٩٠ حوالي ١٩٠ الف نسمة بالمقارنة مع حوالي ١٧ الف نسمة كمعدل سنوي في الثمانينات. ووصل حوالي ٧٠ بالمئة من المهاجرين في الصنف الثاني من العام وحوالي ٤٠ بالمائة في الربع الاخير. ووفقا لاحد التقديرات فقد ادت الهجرة الى المساهمة بحوالي خمس الازدياد في الانتاج للعام ١٩٩٠، انظر: بنك اسرائيل، سلطة التخطيط الاقتصادي في وزارة المالية، الميزانية الوطنية للعام ١٩٩٠ (كانون اول ١٩٩٠) ص ٧.

٢- يشكل السياح الذين يدخلون اسرائيل جوا حوالي ٧٠ بالمائة من مجموع السياح. التغيرات التي طرات على عدد السياح الذين يدخلون بسبل اخرى كانت مماثلة. المعادلات حول دخول السياح لاسرائيل حسبت من خلال معطيات نشرت في الصحف. انظر: مكتب الاحصاء المركزي، مجلة الاحصاءات لاسرائيل، اشهر مختلفة جدول: هـ ٧.

٣- انخفض عدد ليالي النوم لحوالي ٦٠ بالمائة كمعدل في اشهر ايلول وحتى كانون الاول، بالمقارنة مع كانون الثاني وحتى آب ١٩٩٠. انظر: مكتب الاحصاء المركزي، بيان صحفي بتاريخ ١٩٩١/١١/٣٠.

٤- وفقا للمداخيل الناجمة عن تصدير خدمات "السياحة" في الاشهر الاولى [illegible] معدل شهري العادي هو حوالي ١٣٠ مليون دولار. الانخفاض في عدد السياح والنوم، وايضا تقليص في الامكانيات الخاصة بخدمات السياحة في فترة "حالة الطوارىء" تدفعنا الى تقدير معدل الخسائر الشهرية بحوالي ٦٥ - ٧٠ مليون دولار.

٥- انظر الى تعاون اوساط مختلفة في الفرع السياحي مع احتمالات الانتعاش في مقال دان اركين "السياحة تعود الى حر شديد" معاريف ١٩٩١/٣/٨.

للدول اخذ قروض كهذه وفقا للاعراف العامة المتبعة من الصندوق، عندما تعاني من عجز مؤقت في ميزان المدفوعات جراء ازدياد غير عادي في مصاريف الاستيراد او من انخفاض صدفي بمداخيل التصدير. ان اثار الازمة على السياحة، وعلى اسعار استيراد الوقود وعلى بنود الصادرات والواردات الاخرى، تمكن اسرائيل من التمتع بالقروض.

ومن شبه المؤكد ان لا يتأثر حجم تبرعات يهود العالم باحداث الازمة بصورة نوعية، وربما ابان الحرب ازداد التعاطف مع اسرائيل، لكن هذا تاثير قصير الامد، وسيساعد هذا في الاصرار على تنفيذ الاهداف التي حددت قبل ذلك.

لقد كانت اسرائيل وقبل اندلاع الازمة في الخليج الفارسي تواجه منافسة كبيرة مع الدول المستهلكة لراس المال باحجام كبيرة وخصوصا دول اوروبا الشرقية. واضيف الى ذلك في اعقاب الحرب احتياجات ناجمة عن تمويل الحرب ذاتها واقتصاد دول لحقت بها اضرار. وتحتاج اعادة اعمار الكويت وفقا للتقديرات حوالي مئة مليار دولار. واعلنت اوساط في الحكومة الكويتية بانها تفضل اقتراض الاموال المطلوبة من خلال استغلال مداخيل النفط المستقبلية، على ا ـدام املاك مختلفة تراكمت لدى الكويتيين في جميع ارجاء العالم وخلال السنوات الماضية من اجل ذلك. ووفقا لانباء مختلفة فان المجموعة الدولية تتطلع وبصورة واضحة الى تفضيل مشاريع مرتبطة باعمار الشرق الاوسط على اهداف استثمارية ونشاطات اخرى. وكل هذه العوامل ستثقل الاعباء على اسرائيل لدى محاولتها استيراد راسمال من مصادر تجارية.

كانت توجد شكوك قبل اندلاع ازمة الخليج الفارسي ودون اي علاقة بها، بصدد قدرة اسرائيل على تجنيد رؤوس اموال من الخارج، مطلوبة من اجل استيعاب الهجرة، ودعم نمو اقتصادي سريع، وازدادت الشكوك في اعقاب الازمة، وتعززت الصلة بين احتمالات الحصول على المساعدات المطلوبة من الخارج وبين الاعتبارات السياسية. وهذه النتيجة تستوجب اعادة دراسة السياسة الخارجية، وقد تكون لها اثار ايضا في المجالات السياسية الآخرى، وبدون استيراد راس مال باحجام كبيرة من الخارج سيتم اعاقة النمو والاستيعاب، وقد تستطيع اسرائيل تقديم تمويل جزئي فقط لهذه الفرصة التاريخية، التي وجدت مع فتح ابواب الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي.

التطورات المتوقعة في اعباء الامن

لقد تم الافتراض وفي سياق التصورات الاقتصادية، التي اعدت على خلفية توقعات وصول مليون مهاجر خلال عدة سنوات، بانه بالامكان الامتناع عن الزيادة الحقيقية في الاحتياجات الامنية المحلية، في النصف الثاني من التسعينات. وهذه التطورات، خصوصا مع الازدياد السريع في المصادر، كان من الممكن ان تؤدي الى انخفاض نوعي في الاعباء الامنية، والتمكين من تحويل الاضافات على المصادر على استخدامات اخرى، وتقييد العجز في ميزانيات الحكومة باحجام معقولة.

في الماضي وفي اعقاب الحروب كان يطرأ وبصورة عامة ارتفاع تدريجي على المصاريف الامنية. وذلك لتغطية مصاريف الحرب العامة، ومصاريف مرتبطة باعادة مخازن الاسلحة وقطع الغيار الى وضعها السابق. وايضا استثمارات في مجال الابحاث والتطوير وشراء اسلحة ومعدات عسكرية اخرى وذلك كنتيجة لاخذ العبر من الحرب. وتختلف حرب الخليج من هذه الناحية عن الحروب السابقة، استهدفت الاضافات التي قدمت الى ميزانية الامن في العام ١٩٩٠ تمويل مصاريف الاستعدادات العامة، لكن جزء منها كان من المفروض ان يمكن من الاسراع بمخططات التسلح المختلفة، ويجب اقتطاعها من ميزانيات السنوات القادمة، لانه ومن الناحية العملية لم تستخدم الوسائل التي تمت اضافتها. واضافة لذلك لا حاجة الى اعداد [illegible]

لكن من ذلك وكما وصفنا سابقا، استغلال الفرص التي فتحت امام المشتريات من الخارج، سيؤدي الى تسلح باحجام كبيرة. وهذا التسلح بحد ذاته لا يرتبط فعلا بازدياد الاستهلاك الامني المحلي، لكنه سيستوجب مصاريف اولية عامة وكبيرة لاستيعاب اسلحة، صيانتها والتدريب في السنوات القادمة، ويجب ان نضيف الى ذلك عبرا مختلفة مستخلص في مجال الاستخبارات والردع (٢٦). وايضا في قضايا متعلقة باستعداد الجبهة الداخلية، والدفاع المدني استعدادا لاخطار

منتجات النفط والمستهلكات المركزيات. واسعار النفط المتدنية بصورة متطرفة ليست مرغوبة بنظر الاقتصاد العالمي. ولا ريب في ان الاستقرار السياسي والاقتصادي في الشرق الاوسط مرتبط بمستوى اسعار النفط. ويجب اعطاء نظرة متفائلة لوجود ظروف تمكن من التسريع بالنمو في الدول المتطورة، دون ان يلحق ذلك اضرارا بالاستقرار الاقتصادي للدول الصناعية، واحتمالات وجود هذه الظروف ليست رديئة. واذا ساد استقرار لاسعار الطاقة سيترك ذلك تاثيرا ايجابيا عاما على الاقتصاد العالمي في سنوات التسعينات - واسرائيل مثل دول اخرى ستخرج رابحة من هذه الاوضاع وستتحسن فيها احتمالات تحقيق نسب النمو المطلوبة.

وفي النهاية من الجدير ذكر عدة عناصر اخرى، قد تؤثر على درجة النمو، وخصوصا على المدى القصير - اعاقة بالحصول على طلبيات-تصدير في اشهر الازمة، وجود مخزون في افرع اقتصادية معينة جراء انخفاض الطلبات، درجة الانتعاش في السياحة في اسرائيل، وتاثيرات متناقضة على طلب الـ ـجات الصناعية العسكرية في اسرائيل في اعقاب الحرب.

وفي المجال الاخير من المحتمل ان تؤخذ العبر في البلاد وفي الخارج، التي تؤدي الى وجود طلب على اجهزة عسكرية، يتم انتاجها في اسرائيل، لكن من جهة ثانية، ستلحق اضرارا باحد مصادر الافضليات النسبية للصناعات العسكرية الاسرائيلية - التوجهات الناجمة عن النظرة للاسلحة التي خاضت امتحانا حقيقيا ناجحا في المعارك. لقد وفرت الحرب فرصا لـ "تجارب على الاسلحة" المنتجة في دول مختلفة، اما الخصوصية التي كانت تتمتع بها الاسلحة الاسرائيلية، فقد انهارت. تكمن اهمية الصناعات العسكرية بالنسبة للنمو الاقتصادي في السنوات القريبة في الوزن النسبي العالي لانتاج وتصدير الصناعات وايضا في احتمالات التشغيل التي تقترحها على القوى البشرية، الهندسية والفنية الموجودة بوفرة نسبية في اوساط المهاجرين، ومع ذلك يجب الانتباه الى انه سيكون من الخطأ وعلى ضوء مجموع العوامل والاوضاع المختلفة، اهمال سياسة توسيع النشاطات المدنية في هذا القطاع، واعتبار ذلك استراتيجية عمل صحيحة على المدى البعيد.

وفي النهاية فان دراسة التاثيرات المختلفة تدفعنا الى التقدير بان ازمة الخليج الفارسي وما نجم عنها، قد تؤدي الى تباطؤ النمو الاقتصادي على المدى القصير، وربما تؤدي ايضا الى توجهات عمل اكثر اعتدالا خلال العامين او الثلاثة اعوام، وذلك بالمقارنة مع التوقعات السابقة وبدون الاستخفاف بمغزى هذه التاثيرات، خصوصا في السنوات الحاسمة لاستيعاب الهجرة، فان هذه العناصر وبحد ذاتها لا تغير وبصورة جذرية، احتمالات تحقيق نمو سريع، بنسب تزيد عن الاهداف الوطنية التي وضعتها اسرائيل نصب اعينها.

احتمالات تجنيد رأسمال من الخارج

يستوجب استيعاب الهجرة الكبيرة المتوقعة وفي فترة زمنية قصيرة نسبيا، ليس فقط نموا اقتصاديا داخليا سريعا، بل واضافات كبيرة على استيراد راس المال من الخارج. وتوجد لدى اسرائيل ومن الناحية المبدئية ثلاثة مصادر محتملة - هبات وقروض من حكومات صديقة (او مؤسسات دولية)، تبرعات من يهود العالم وقروض من سوق راس المال الدولي. واحتمالات تجنيد استيراد راس المال المطلوب لاسرائيل مرتبط بمجمل عناصر منها صورة اسرائيل كاقتصاد مستقر ونامي، الاوضاع الاقتصادية العامة في العالم، الدوافع السياسية واحتياجات منافسة لرأس المال في مناطق اخرى في العالم.

يرتبط استعداد حكومات، خصوصا الولايات المتحدة ودول اوروبية معينة لمساعدة اسرائيل وبدرجة كبيرة باعتبارات ـ ـياسية، وهناك من يعتقد البعض بان الدوافع التي اتخذتها اسرائيل ابان حرب الخليج تؤدي الى تحسين احتمالات حصولها على مساعدات، لكن ما زالت المؤشرات التي تدل على ذلك حتى الان محدودة ويبدو انه ستكون هناك سلة وتاثير حاسم لطابع التطورات السياسية في المنطقة، واضافة لذلك فان المساعدات التي قدمت ابان الحرب لاهداف عسكرية، ضاءلت مدى الترابط بين نتائج الازمة التي تناولها هنا وبين احتمالات الحصول على مساعدات خارجية لاهداف اقتصادية.

وستكون هناك تاثيرات مباشرة وكما يبدو، على امكانية الحصول على قروض خاصة من صندوق النقد الدولي. ويحق

نتائج مبدئية على المدى الاطول.

لقد ادت الازمة في الخليج الفارسي على المدى القصير الى فقدان انتاج؛ وخسارة مداخيل وزيادة المصاريف بالعملة الاجنبية. وبالطبع توجد اهمية كبيرة للنتائج التي قد تؤثر على التطورات الاقتصادية في السنوات القادمة.

احتمالات تحقيق نمو متسارع.

تتجاوز المداولات الشاملة لاحتمالات تحقيق نمو سريع، بنسب تضمن استيعاب اقتصادي ناجح للهجرة لاسرائيل، مجالات هذا المقال، الذي يقتصر فيه البحث على النتائج التي بالامكان نسبها للازمة في الخليج الفارسي وملحقاتها. لقد ادت الازمة وكما ذكر انفا الى تجاوز التوجهات الايجابية التي بدأت تظهر في الاقتصاد في العام ١٩٩٠. والسؤال المركزي الاول الذي يجب دراسته هو، هل هذه تجاوزات مؤقتة عابرة ام تغيرات ذات مغزى اكثر منها.

التوجهات الايجابية التي حدثت في العام ١٩٩٠، يتم ايضاحها وبصورة رئيسية من خلال التوافق في الدورة الاقتصادية، وبعد عامين من الكساد ومن خلال ازدياد الهجرة. ولا يبدو لنا بان نتائج ازمة الخليج، بحد ذاتها، تؤدي الى استبدال وبصورة نوعية، العناصر التي توجه جوهر توافق الدورة الاقتصادية. ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار لدى بحث الهجرة التأثيرات التي خلفتها الحرب والتي تؤدي على المدى القصير الى تقليصها، وذلك لأنه في العام ١٩٩١ ستكون نسبة النمو، وكما يبدو، اقل مما هو متوقع، وبناء على ذلك سيكون ايجاد اماكن عمل جديدة اقل بكثير، الامر الذي قد يردع الذين يهاجرون بالقوة، ويؤدي الى تقليص جديد في حجم الهجرة، وذلك بالمقارنة مع الارقام التي كانت متوقعة قبل اندلاع المعارك.

شكلت الاحداث الاخيرة تذكارا جديدا وتأكيدا جادا على عدم الاستقرار الجوهري في المنطقة وعدم الثقة الامر الذي يترك اثاره على الهيئة الاقتصادية وعلى الاعمال. ولا ريب في ان هذه العناصر تؤثر وبصورة سلبية على توجهات المبادرين المحليين الاجانب حيال الاستثمار في اسرائيل، وبدون زيادة كبيرة في الاستثمار ستلحق اضرارا بالنمو. يكثرون من الحديث عن التحولات السياسية المحتملة التي قد تؤدي الى تشجيع الاستثمار، لكنه يبدو لنا ومن خلال توجهات واقعية بان العناصر اللاجمة لهذه التحولات قد تكون اقوى منها على المدى القصير والمتوسط. واضافة لذلك فان الارتفاع والانخفاض في المسيرة السياسية او فشلها سيؤدي فقط الى اضفاء حدة على عدم الثقة والى ايجاد مبادرات الاستثمار.

وستترك التطورات في اسعار الطاقة تأثيرات معينة على تحقيق نمو سريع. اسعار متدنية نسبيا وليس اقل اهمية - مستقرة لفترة زمنية ستؤثر على اسرائيل ايجابيا، وبصورة مباشرة بالنسبة لتكاليف الاستيراد وبصورة غير مباشرة - على الظروف الاقتصادية التي ستسود الاسواق الرئيسية للصادرات الاسرائيلية. ان ظروف الطلب والعرض لم تضف مصداقية على رفع اسعار النفط. واضافة لذلك عملت شركات اوبيك على زيادة انتاجها ابان الازمة، ومن خلال ذلك عوضت عن توقف استخراج النفط من الكويت والعراق، وخفضت اسعار النفط الى مستوى منخفض بعد توقف المعارك.

يختلف الخبراء في تقديراتهم بخصوص الحدود الدنيا لانخفاض الاسعار - ١٠ - ١٥ دولار للبرميل، وربما ادنى من ذلك، وكان السبب المركزي لذلك، ودون ادنى شك قدرة اوبيك على تقليص الانتاج من شركاتها. ولقد الحقت الحرب اضرارا وبدرجة كبيرة بالتعاون بين شركات المنظمة ويوجد من يعتقدون بان هذه المؤسسة ستتحلل، او تتوقف عن العمل بصورة فعالة لفترة [illegible] الخلافات الداخلية [illegible] امتيازات جديدة باحجام ضخمة جدا، مرتبطة باعمار الاقتصاد الذي لحقت به اضرار وبتمويل مصاريف الحرب. وهذا يعزز من مصالح المنتجين المركزيين - العراق، الكويت والسعودية - بانتاج كبير. وايضا الذين يعتقدون بان هذه المؤسسة ستستمر بالوجود يشيرون الى ان موازين القوى الداخلية، من المتوقع ان تتغير بصورة نوعية، ومن المتوقع ان تضعف مكانة العراق ومعه ايضا التطلع الى استخدام النفط كسلاح سياسي واقتصادي، وتزداد التوجهات المعتدلة والاستعداد للتنسيق بين

ابان وقوع الاحداث. ويجب ان تكون عملية التنظيم هذه متوازنة في تركيبها وذلك من اجل ان تأخذ الاعتبارات الاقتصادية تعبيرها الملائم، وان لا تدفعها بها للهامش اعتبارات اخرى، بغض النظر عن مدى اهميتها، وفقط جراء نظرة تعامل جزئية.

الحفاظ على جدوَل الاولويات الوطنية في اوضاع الطوارىء.

ستتناول خلال هذا الفصل ايضا تأثير الأزمة في الخليج على تطور الاعباء الامنية في السنوات القريبة القادمة ومن الجدير الاشارة في هذا الفصل الى ان قرارات مختلفة اتخذت تحت ضغط الظروف، او جراء الفرص التي توفرت، مثل استئناف مشروع بناء الغواصات، او التسلح بطائرات عمودية قديمة، قد لا تبدو متفائلة من حيث مخططات بناء القوة العسكرية، وقد تؤدي الى زيادة غير ضرورية في تقاريف الامنية العامة في المستقبل. واضافة لذلك فان الزيادة في المساعدات العسكرية من الخارج، من الولايات المتحدة والمانيا وبغض النظر عن اهميتها، قد تلحق اضرارا باحتمالات الحصول على المساعدات الاقتصادية المطلوبة لاستيعاب الهجرة، الامر الذي سيؤدي الى التشويش مرة اخرى على جدول الافضليات الوطني.

ومن الجدير ابداء الراي بدرجة التوازن واللواجم في خينه اتخاذ القرارات الوطنية، التي تحافظ على ترتيب الافضليات الصحيحة على المدى البعيد ايضا في المجالات غير العادية. وعلى وجه الخصوص ليس من الصحيح التنازل عن مشاركة الاوساط المسؤولة عن تجنيد المصادر وتخصيصها في الايام العادية، في مجال اتخاذ القرارات المتعلقة بالمجالات المسؤولين عنها، حتى وان كان الحديث يدور عن حالة طوارىء.

الارتباط بعمل عرب من يهودا والسامرة وقطاع غزة في اسرائيل.

لقد ادى حظر التجول الذي فرض ولاسباب امنية على يهودا والسامرة وغزة الى منع توجه السكان للعمل في اسرائيل. وفي اعقاب ذلك لحقت اضرار بالانتاج الاسرائيلي، خصوصا في فرع البناء واعمال القطف في الزراعة (٣٤) بصورة عامة من المقبول الافتراض بانه لا يوجد ارتباط استراتيجي للاقتصاد الاسرائيلي بعمل عرب يهودا والسامرة وغزة. وانه اذا افترضت الظروف يستطيع الاقتصاد الاسرائيلي، وبعد فترة توافق، اقامة نشاطات اقتصادية عادية، ايضا بدون عملهم، وتشير التطورات كما وجدت تعبيرها في الفترة المذكورة، على الاقل الى ضرورة اعادة دراسة هذه المسألة بعمق.

وجدت ايام كثيرة في سنوات الانتفاضة الثلاث لم يحضر فيها سكان يهودا والسامرة وغزة، او لم يحضروا بصورة جزئية، للعمل في اسرائيل. وقد دفعت التشويشات الدورية التي نجمت عن ذلك ارباب عمل اسرائيليين كثيرين الى استبدال عمال من المناطق بعمال اسرائيليين. وقد تم التسريع بهذه التوجهات في الاشهر الاخيرة من العام ١٩٩٠، مع ازدياد العمليات الامنية، جراء ازدياد عرض طلب العمل في اسرائيل، خصوصا مع ازدياد الهجرة، ويثير الاستغراب مدى قوة تأثير عدم حضور سكان المناطق للعمل في اسرائيل في فترة حرب الخليج. وكشف ذلك وكما يبدو عن ارتباط بمفهوم خاص، تطور خلال السنين، لا يجد تعبيره بالنسب العددية. وتم الايضاح على سبيل المثل، في فرع البناء بان توزيع العمل بين عرب يهودا والسامر وغزة وبين عمال اسرائيل يتخذ شكلا يؤدي الى محدودية الاستبدال. وفي اعمال قطف الثمار، ادى استبدالهم بعمال مؤقتين اخرين ومتطوعين الى انخفاض حاد في جدوى العمل والى تخلف عن مواعيد ارساليات التصدير (٣٥).

والجدير بالذكر ايضا ان فرص العمل التي قد توجد في بلدان الخليج في اطار اعادة الاعمار والبناء بعد الحرب، يمكن تشغل عمالا كثيرين من يهودا والسامرة وغزة، وبهذا يتحسن وضع التشغيل في هذه المناطق نفسها، لكنه قد يؤدي الى تقليص عرض العمل من يهودا والسامرة وغزة في اسرائيل. وقد تلغي هذا التأثير خصوصا في فرع البناء، الذي من المتوقع ازدياده بدرجة كبيرة في السنوات القريبة القادمة.

المشاركة بالمخاطر من اجل تقليل التكاليف على الانتاج.

ارتفع مستوى الاخطار في المنطقة خلال اشهر الازمة، وذلك وفقا لتقديرات عالم الاعمال الدولي. وفي اعقاب ذلك، ونتيجة له ارتفعت بنسب حادة جدا رسوم التأمين التي يطلب بها المؤمنون الاجانب. وكانت المصاريف بالعملات الاجنبية على التأمين على وشك الوصول في شهر واحد الى حجم المصاريف لهذا الغرض خلال عام كامل. واضافة لذلك تضمنت عقود التأمين بندا يمكن الشركات الاجنبية من الغاء الاتفاق، باعلان من طرف واحد، واعطاء فترة تحذير قصيرة. الامر الذي يزعزع اسس ادارة الاعمال الصحيحة. لا ريب في ان توزيع الاخطار على الاقتصاد جميعه سيؤدي الى تقليص الاخطار لنسب غير كبيرة. ويعتبر هذا نموذجا واضحا على افضليات العمل بحجم كبير، حيث تؤدي مشاركة الحكومة بالاخطار الى استمرار ادارة الاعمال وتوفر على الاقتصاد وبصورة فورية مصاريف كبيرة جدا بالعملات الاجنبية.

لا تستجيب معظم الاخطار للظروف التي تضفي مصداقية على مشاركة حكومية بها. وعلى سبيل المثل عرض طلب يعتبر لا مصداقية له بنظرنا، ينص على ضمان الحكومة لتنفيذ طلبات تصدير من خلال شركات اسرائيلية. وبهذا تزول مخاوف الزبائن الاجانب من صعوبات التموين. وفي هذه الحالة لا تتوفر وبصورة عامة شرط توزيع الاخطار. لانه اذا وجدت ظروف تمنع التمويل المنتظم للخارج، فانها تنطبق على جميع الاقتصاد، ونعود الى مشكلة عامة متعلقة بتوزيع الاعباء كنا قد بحثناها انفا. واضافة لذلك، توجد صعوبة بالربط بين اعاقات بالتمويل وبين اسباب ناجمة عن الوضع الامني.

لقد ردت الحكومة في هذا المجال بسرعة نسبية. ومنذ مطلع شهر كانون الثاني ١٩٩١، قدمت ضمانات دولة لاجسام الطائرات التابعة لشركة الطيران الاسرائيلية، الامر الذي مكن من استمرار تحليقها برحلات منتظمة. وبعد اندلاع المعارك تمت بلورة ترتيبات امنية ايضا بالنسبة لاجسام السفن التي ترسو في الموانيء الاسرائيلية، وايضا لحمولاتها. ولم تؤد هذه الاجراءات التي اتبعت الى استمرار النشاطات، بل وادت الى التخفيض بنسبة نوعية رسوم التأمين التي طلبها المؤمنون الاجانب. واضافة لذلك فان الحلول التي قدمت لم تكن كاملة، وتم بلورتها بالتدريج وذلك جراء النقص بالاعداد المسبق لـ "مخطط احتياطي" ومن حيث استيضاح استخدامها.

الاستعدادات المسبقة لتقليص التشويش والاضرار الاقتصادية.

لقد كان بالامكان تقليص التأثيرات الاقتصادية السلبية الناجمة عن الازمة في الخليج، لو اتبعت مسبقا استعدادات ملائمة. ومن بين الاسباب التي ادت الى عدم وجود هذه الاستعدادات التقديرات غير المتوافقة مع الاحداث المحتملة (٣١) لم تستغل الفترة المستمرة، بين غزو العراق للكويت في مطلع شهر اب ١٩٩٠ وبين بداية المعارك في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٩١، من اجل التخطيط المسبق في المجال الاقتصادي، وذلك على الرغم من انه وفي مجالات اخرى - الدفاع المدني على سبيل المثل - تم العمل على اساس فرضيات اشارت الى احتمالات التشويش على الحياة في الجبهة الداخلية. وعدم الاصرار هذا افسح المجال للتقدير، بانه توجد ثغرات تنظيمية في مجال توزيع المسؤولية بين اطراف السلطة المختلفة، بكل ما له علاقة باعداد الاقتصاد لحالة الطوارئ.

وتشير قائمة جزئية، ولدرجة كبيرة صرفية، للمشاكل التي طلت برأسها ابان شهري كانون الثاني وشباط ١٩٩١، ووفقا لتقديراتنا الى ان معظم الموضوعات كان بالامكان تقليص الازعاجات التي وجدت بها بصورة كبيرة (٣٢). كما ان قائمة المسائل الحيوية في اعداد حالة الطوارئ، لم تكن كاملة. وحتى منذ ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ تقلص عدد المصانع التي مصنع عليها (تضمنت القائمة الاولى حوالي ٧ الاف مصنع) (٣٣).

لا ريب انه ليس بالامكان الحيلولة دون وقوع كافة التشويشات التي قد تحدث جراء الاستعدادات المسبقة. ومن المحتمل ايضا ان تظهر "المخططات الاحتياطية" كمخططات غير ملائمة. ولهذا توجد اهمية كبيرة وخاصة لتحديد التنظيم في حالة الطوارئ بالنسبة لاوساط حكومية مختلفة، تكون مخولة باتخاذ قرارات في نطاق الاجراءات السريعة

نجاعة مساعدات لفرع في ازمة - حالة الفرع السياحي.

لقد وصل فرع السياحة الى مرحلة انحطاط لم يسبق لها مثيل. انحطاط امتد لفترة طويلة نسبيا. واكثر من ذلك، هذه هي الازمة الثالثة التي تعم هذا الفرع في اعقاب احداث امنية في السنوات الخمس الاخيرة (٢٨). وهكذا قد تتآكل فقط الاسس المالية للفرع، بل وايضا حس التشغيل، لانهم يمتنعون عن القيام باستثمارات جديدة ويتطلعون الى تحويل وسائل الانتاج لاستخدامات اخرى (٢٩). وقد يفقد الفرع السياحي قدرته على العودة الى مضمونه وحجم نشاطاته العادية، حتى بعد زوال اسباب الازمة.

وقد تتخذ هذه المشكلة مغزى اقتصادي عام، خصوصا اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المداخيل من العملات الاجنبية من السياحة تشكل حوالي عشر مداخيل اسرائيل من تصدير البضائع والخدمات للخارج. جميع هذه الاعتبارات اضافة للحقيقة القائلة بان الحديث يدور عن قطاع محدد في الاقتصاد، تضفي مصداقية على تقديم مساعدات حكومة خاصة.

بدأت مداولات بين وزارة السياحة ووزارة المالية، فقط في النصف الثاني من شهر شباط ١٩٩١، اي بعد نصف عام من اندلاع الازمة، بهدف بلورة مخطط مساعدات للفرع السياحي. واتفق على اقامة صندوق لتقديم قروض بحجم ٥٠ مليون شيكل جديد من خلال البنوك التجارية، وتتمثل المساعدة الحكومية بتقديم ضمانات مصرفية لنصف مبلغ القرض.

لا يشكل فرع عانى من ازمة مؤقتة في اعقاب انخفاض الطلب، كما هو الحال في الفرع السياحي ظروفا تلائم استخدامها في الضمانات المصرفية التي تقدمها الدولة. الضمانات المصرفية التي تقدمها الدولة للقروض هي وسيلة لتشجيع نشاطات تعتبرذات خطورة عالية، وذلك من خلال تقسيم المبلغ بين الدولة والمبادر. وفي الحالة المذكورة وبالنسبة للقرض فان الضمانات التي تقدمها الدولة لا تعتبر وسيلة لتقليل الاخطار، بل بديلا لوعود، وذلك بهدف زيادة الائتمان المالي البنكي الذي يحصل عليه المبادر. ويعتبر هذا من وجهة نظر الحكومة وفي الحالة المذكورة اسلوبا للمساعدة من خارج اطار الميزانية. واضافة لذلك في الظروف التي وجدت من المشكوك فيه اذا كانت الضمانات المصرفية الجزئية قد تجدي نفعا في معظم الاعمال التي تضررت. وبعد عدة اشهر من الانخفاض في المداخيل من المرجح ان تكون عدة اعمال مختلفة في الفرع قد تمكنت من تجنيد ائتمان مالي اخر، ولا يوجد وضوح حول اذا ما كان بامكانهم العثور على ضمانات تستكمل الضمانات المصرفية الجزئية التي قدمتها الدولة. وليس من المستبعد ان تكون معظم الاعمال التي ستجد امكانية للحصول على مساعدة للمشاريع التي بلورتها هي نفس المشاريع التي تستطيع ترتيب شؤونها ايضا بدون هذه الضمانات، اما الاعمال التي لحقت بها اضرار اكبر فلن تستطيع الاستفادة من هذه الضمانات.

يرتبط احتمالات تغلب الفرع السياحي على الازمة التي يمر بها، والى درجة كبيرة بسرعة انتعاش مستوى السياحة، وكان من الافضل توجيه هذه المساعدة الحكومية الى هذا الهدف وذلك من خلال حوافز مباشرة، تتناسب مع عدد السياح الذين سيصلون لفترة زمنية محدودة وذلك بهدف عرض "حزمة" سياحية وذلك باسعار تنافسية. واذا عادت السياحة الى حجمها الطبيعي بهذه السرعة فلن يؤدي ذلك فقط الى تقليص الصعوبات المالية التي يعاني منها الفرع، بل وسيؤدي الى تقليص الخسائر في مجال المداخيل بالعملات الاجنبية على الاقتصاد.

القضية المبدئية التي تثار مرتبطة بالتوجهات الاساسية التي تحدد المساعدات الحكومية للافرع، او الاعمال التي تعرضت لازمات. وهل يجب توجيه المساعدات "للعاضر" او "بطيئة الاداء" من اجل [illegible] اكثر او دعم الانتعاش وتوسيع النشاطات المستقبلية (٣٠). وتعتبر المساعدات للنشاطات المستقبلية ودون ادنى شك اقل روتينية واكثر تعقيدا في مجال التنفيذ، لكن وفي معظم الحالات تتوفر بها احتمالات اكثر نجاعة.

الضرورة استخلاص العبر منها. وذلك من اجل تحديد سياسة استعدادا لاوضاع محتملة مماثلة في المستقبل. وفي هذا الجزء ننوي الاشارة فقط الى عدة قضايا مبدئية اثيرت بايضاح عامة الاعتبارات التي يجب اخذها بعين الاعتبار لدى تحديد سياسة في المستقبل.

حدود مسؤولية الدولة عن الاضرار الاقتصادية التي مصدرها ازعاجات خارجية.

شكلت الازمة في الخليج الفارسي ازعاجا او زعزعة خارجية. الحقت اضرارا من انواع مختلفة وبقوة مختلفة. وتراوح مجال الاضرار من فقدان مداخيل محتملة وحتى تدمير تام لبيوت سكنية. وقد اضفيت حدة على قضية مبدئية، تشغل الذين يحددون السياسة ايضا في الايام العادية بالنسبة لحجم المسؤولية الجماعية بخصوص المصير الاقتصادي للوحدات الاقتصادية الاجتماعية العامة او الخاصة. تعتبر هذه بجوهرها مسألة توزيع اعباء، والرد عليها يأتي من خلال توجهات اجتماعية - اقتصادية بجوهرها والذي يعتقد على سبيل المثال بانه يجب على الحكومة تعويض الوحدات الاقتصادية من الاضرار التي لحقت بها، بهذه الصورة او تلك، يعرب عن موقف ينص على ان المصابين لا يجب عليهم تحمل الاضرار بانفسهم، وانه يجب توزيع الاعباء بصورة متطورة على جميع الجمهور، اي وفقا للتوزيع النسبي لكل واحد من خلال دفع ضرائب للدولة. وهذه التوجهات، خصوصا عندما تبالغ الدولة بحجم المسؤوليات الملقاة على عاتقها، قد تجد تعبيرها بزيادة اعباء الضرائب العامة (او بزيادة عجز الميزانية بكل ما يعنيه ذلك من معنى بخصوص الاستقرار الاقتصادي) وتعميق تدخل الحكومة بالاقتصاد، والتأثير على طابع تصرفات الوحدات الاقتصادية بصورة تمس بالنجاعة الاقتصادية.

يرتبط البعد الخاص بالحالة مدار البحث هنا، باعتبار ان الاضرار الاقتصادية نجمت عن عوامل خارجية وذلك على العكس من النتائج الاقتصادية التي يمكن ان تنجم عن عوامل تكمن في السياسة التي تبعتها الحكومة نفسها. وفي ظل هذه الظروف واذا كان التأثير سيوزع على جميع الاقتصاد او على معظم قطاعاته. فان محاولة ايجاد تغير هامشي في توزيع المسؤولية قد يكون مرتبطا بثمن اقتصادي كبير، وبالقدرة على تنفيذه وذلك بدون ان تؤدي ارباحه الى تغطية خسائره، او يعتريه الشك (٢٧). ان اسباب الازعاج الخارجي بحد ذاتها - سواء اكانت احداث امنية، او كوارث طبيعية، او تغيرات حادة في الاسعار العالمية للمواد الخام الاساسية وما شابه ذلك - لا تشكل وفقا لقناعاتنا فرقا من ناحية اضفاء مصداقية على تدخل حكومي في توزيع الاعباء.

اننا نفصل بين النشاطات التي تستطيع الحكومة القيام بها مسبقا او اثناء الاحداث بهدف تقليص الاثار السلبية للازعاجات الخارجية، والتي سنقوم ببحثها فيما بعد، وبين قضية التعويضات (او المساعدات) بعد وقوع ذلك. اخذين بعين الاعتبار عوامل النجاعة، كما ذكرت اعلاه، يبدو لنا بانه وفي معظم الحالات لا توجد مصداقية لتقديم تعويضات (او مساعدة حكومية) خصوصا على الاضرار الاقتصادية التي حدثت في اعقاب حرب الخليج الفارسي، ويجب ان تقوم الوحدات الاقتصادية نفسها بتحمل هذه الاضرار.

وتعتبر مسألة معالجة الاضرار التي لحقت بالعقارات والممتلكات جراء اصابات صاروخية قضية اخرى. ويمكن الرد الصحيح على هذه المسألة بترتيبات تأمين ملائمة تقوم على اساس تطوعي، واذا كان هناك فشل في السوق يؤدي الى عدم تطوير مشاريع التأمين الخاص، فربما توجد ضرورة تستوجب مشاريع تأمين حكومية. ويجب ان يكون تدخل الحكومة لا علاقة له بتاتا بشبكة الـ[illegible] للممتلكات عبر وجه التحديد.

مميزات سياسة مساعدات ناجحة

وعلى الرغم مما ذكر بصورة عامة، فربما توجد ظروف خاصة تضفي مصداقية على تدخل الحكومة من خلال تقديم مساعدات، وسنبحث هنا نموذجين، كل واحد ذو طابع مختلف، وذلك لهدف مزدوج: ايضاح الاعتبارات التي تضفي مصداقية

حالة الاستعداد من جهة ومن جهة ثانية من اجل الاسراع بمخططات تسلح مختلفة. كما تطلب الامر ايضا اضافات على الميزانيات المدنية للحكومة، من اجل تمويل مصاريف خاصة للبنتاغون الصحية والتعليمية ولتعويضات على الاضرار بالممتلكات التي نجمت عن الهجمات الصاروخية، ولتغطية مصاريف السلطات المحلية الخاصة بمعالجة مصابي الصواريخ ولدعم تجنيد عمال قطف وشؤون اخرى (٢٢). ومقابل ذلك في بنود مصاريف اخرى، خصوصا في ميزانية الاسكان والهجرة حدثت تجاوزات معاكسة، وذلك جراء العجز بمجال تنفيذ مخططات الميزانية الاصلية في ظل الظروف التي وجدت.

وطرأت تجاوزات نوعية ايضا في اسلوب تمويل العجز بالميزانية. ولم يتقصر الامر فقط على ضرورة تمويل عجز اكبر، بل وجدت صعوبات بتنفيذ مخططات التمويل الاصلية لم تستطع الحكومة في شهري كانون الاول وكانون الثاني، جمع قروض من سوق المال المحلي، من الجمهور وذلك بنفس الحجم الذي خطط له. كما لم يتم تنفيذ مشاريع تشمل بيع اسهم شركات حكومية. ونجمت هذه الصعوبات بصورة رئيسية عن توقع ارتفاع الفائدة، وذلك في ضوء العجز الكبير في الميزانية، لكن ايضا بسبب عدم الاستقرار الذي نجم عن ازمة الخليج ولا ريب في ان هذا لعب دورا في خلق اجواء عامة دفعت بهذا الاتجاه.

ان التغيرات الكبيرة والدورية في ميزانية الدولة، تضيف وبحد ذاتها، درجة من عدم الاستقرار التي تلحق اضرارا بالاقتصاد. واضافة لذلك فان التطورات على ميزانية الدولة استوجبت فرض ضرائب جديدة او رفع نسب الضرائب الموجودة، وتأجيل مشاريع متعلقة بالميزانية تستهدف مساعدة قطاع الاعمال والتسريع بالنمو الاقتصادي (٢٣). كما ان التجاوزات الكبيرة في تنفيذ ميزانية العام ١٩٩١ والتي حدث معظمها قبيل نهاية العام، ليس بالامكان اخذها بعين الاعتبار في تخطيط ميزانية العام ١٩٩١، ولهذا فانها تحوله، وعلى الاقل بصورة جزئية الى غير موضوعي في موعد اقرار الميزانية.

ستتأثر ميزانية الدولة في العام ١٩٩١، وكما يبدو في السنوات التي تليها وبدرجة كبيرة من العبر التي تم استخلاصها من حرب الخليج في الهيئة الامنية. وسنعود الى بحث هذه المسألة فيما بعد، ونؤكد في هذه المرحلة بأنه وتحت تأثير الاحداث، بصورة مباشرة او غير مباشرة وضعت في خدمة الهيئة الامنية مصادر اضافية، ليست فقط بالعملة المحلية، بل ايضا وبصورة رئيسية من مصادر اخرى كبيرة في الخارج. وعلم بعد اندلاع الازمة وزيارة رؤساء الهيئة الامنية للولايات المتحدة بان اسرائيل ستحصل على بطاريتين من صواريخ "باتريوت"، ١٥ طائرة من طراز اف - ١٥ و ١٠ طائرات مروحية من طراز "يسعور" (٢٤). وتم التأكيد في اطار تشريع المساعدات الخارجية للميزانية الامريكية ١٩٩١، ان اسرائيل تستطيع الحصول على المساعدات العسكرية السنوية مسبقا، الامر الذي يعني زيادة عملية لهذه المساعدات بحوالي ٧٠ - ٨٠ مليون دولار، وايضا - ستتوفر امكانية لتحويل ٢٠٠ مليون دولار من المساعدات المدنية لشراء معدات عسكرية. واضافة لذلك تم التأكيد انه ستتوفر لاسرائيل امكانية سحب اسلحة ومعدات عسكرية من مخازن الجيش الامريكي في ظروف معينة بحجم يصل سعره الى ٧٠٠ مليون دولار. وان الولايات المتحدة ستعمل على زيادة حجم احتياطي المخزون من المعدات العسكرية والذخيرة الموجودة في اسرائيل، لاستخدامها او استخدام الجيش الاسرائيلي في ظروف معينة بمبلغ اضافي قدره ٢٠٠ مليون دولار (٢٥). وفي شهر اذار ١٩٩١ وفي اطار ميزانية اضافية لعملية "عاصفة الصحراء" اقر الكونغرس الامريكي مساعدة عسكرية اخرى لاسرائيل بحجم ٦٥٠ مليون دولار (٢٦). وجزء من المصادر الاخرى المذكورة هي مصادر مشروطة، وحول جزء اخر، وكما يبدو، عملية محاسبة حول اموال المساعدات المخصصة لاسرائيل بصورة دورية، لان الجزء الاكبر هو اضافة مصادر اضافية. وقدمت الحكومة الالمانية ايضا مساعدة كبيرة، مكنت من استئناف مشاريع بناء الغواصات لسلاح البحرية الذي كان قد اتخذ قرار قبل ذلك بالغائه جراء النقص في مصادر التمويل.

عدة قضايا متعلقة بالسياسات.

الاحداث التي وصفت في الجزء الاول من هذا الفصل وتفاصيل اخرى لم تذكر، تثير سلسلة طويلة من القضايا، ستتطلب

اوساط مختلفة في الاقتصاد الاسرائيلي عن اعتقادها(١٥) بان الصناعة عادت لمستوى نشاط يبلغ حوالي ٨٥ - ٩٠ بالمائة من مستواها العادي، وفرع البناء - لحوالي ٤٠ بالمائة، وفرع التجارة والخدمات الشخصية - لحوالي ٣٠ بالمائة. وتعتبر نسب النشاطات هذه مجرد معدلات، اذ ان الفوارق بين الافرع المختلفة وبين المناطق المختلفة كانت كبيرة جدا.

وردعت المعارك في الشرق الاوسط المهاجرين. وبعد رقم قياسي وصل الى حوالي ٢٦ الف مهاجر في شهر كانون الاول عام ١٩٩٠، وصل في شهر كانون الثاني ١٩٩١ حوالي ١٤.٥ الف مهاجر، وفي شهر شباط ١٩٩١ - حوالي ٨٥٠٠ مهاجر فقط. وطرأ انخفاض كبير ايضا على اصدار تأشيرات هجرة من قبل الممثلية الاسرائيلية في الاتحاد السوفييتي.

ادى انخفاض النشاطات الاقتصادية وعلى المدى القصير الى وجود صعوبات مالية جادة، لكن على المدى الاطول، تمثل التأثير الرئيسي بفقدان الانتاج الذي لحق بالاقتصاد. يلحق وقف المبيعات اضرارا فورية في التوازن العام، ويؤدي الى عدم توافق موازي في الدفعات الجارية (الاجور، الضرائب وما شابه). وقد ادى الاخلال في توازن تدفق النقد الى سلسلة من ردود الفعل شملت الاقتصاد جميعه، وادى الى ارتفاع حاد في حجم البطالة واعادة الحوالات المالية، وهدد استمرار تواجد اعمال صغيرة ومتوسطة كثيرة. وحجم هذه الظاهرة، وعلى الرغم من انه ومن الناحية العملية كانت اقل من الانطباع السائد عنها يشير الى ضعف اساسي اخر في بنية الاعمال في اسرائيل، والتي تعتمد على راس مال خاص باحجام متدنية نسبيا، وتتكون جراء ذلك حساسية بصورة خاصة لاي عملية تشوش على تدفق الاموال، حتى وان كان ذلك لفترة قصيرة. ادت الصعوبات المالية التي برزت الى ممارسة ضغوط كبيرة على الحكومة، وذلك من اجل مساعدة هذه الاعمال من خلال توفير امكانية تأجيل دفعات الديون المختلفة للسلطات وذلك من خلال اقامة صندوق قروض تضمنه الدولة ومن خلال اتفاقيات مع الهيئات البنكية بخصوص تأجيل مواعيد سد القروض وزيادة الاعتمادات المالية.

ليس بالامكان تعويض جزء كبير من خسائر الانتاج الناجمة عن نشاطات اقتصادية متدنية، وذلك من خلال تعاظم النشاطات خلال الاشهر التي تلي الحرب. وينطبق ذلك بصورة خاصة على الانتاج ذو الطابع الموسمي (١٧) او انتاج فروع خدمات معينة. ووفقا لتقديرات قامت بها اوساط اقتصادية مختلفة.(١٨) وصل فقدان الانتاج في الربع الاول من العام الى ١٠ - ١٥ بالمائة من المستوى المتوقع. وبعد ان نأخذ بعين الاعتبار التأثيرات المستمرة من جهة، وتعويض معين خلال العام من جهة ثانية، فان نسبة زيادة الانتاج المحلي الاجمالي في العام ١٩٩١ قد تصل فقط الى ٤ - ٥ بالمائة، وبالمقارنة التوقعات الاصلية التي تحدثت عن زيادة بنسبة ٧ بالمائة فان هذا يعني خسارة محتملة للانتاج بنسبة تتراوح بين ١ - ٢ مليار دولار. اما التراجع المتوقع في النمو الاقتصادي، وكما ذكر انفا له اهمية وخصوصا على خلفية الاحتياجات الكامنة باستيعاب اقتصادي ناجح للهجرة، كما تم الايضاح في مستهل الحديث.

ومن الجدير التذكير في نهاية هذا المقطع بالتزايد الذي طرأ على النشاطات الاقتصادية في مجالات معينة قبل اندلاع المعارك، وخصوصا كنتيجة كتقديم وعود الشراء او كنتيجة لوجود طلب غير عادي على سلع معينة ترتبط بالاستعداد للحرب. وقد طرأ نقص مؤقت جراء الطلب الكبير على بعض السلع وازدادت اسعارها بنسب عالية جدا (١٩).

التغير في ميزانية الدولة وزيادة المصادر للامن.

يرتبط جزء كبير من التجاوزات للتخطيط الاصلي لميزانية الدولة لعام ١٩٩٠ بازمة الخليج والنتائج التي ترتبت عليها. لقد طرأ تراجع في مجال المداخيل من الضرائب بالمقارنة مع التوقعات في الربع الاخير من العام ١٩٩٠، وازدادت حدة ذلك في شهر كانون الثاني ١٩٩١. وتحول في شهر شباط والفترة الاولى من السنة المالية الى انخفاض حاد من بضعة حوالي ١٢ بالمائة بالمقارنة مع نفس الشهر من العام الذي سبقه. ويقدر التشاؤل العام في دخل الدولة من الضرائب والذي ينسب الى الازمة في الخليج بحوالي مليار شيكل جديد او حوالي ٣ بالمائة من الدخل السنوي (٢٠). وفي جانب المصاريف اضيف الى ميزانية الامن وبالعملة المحلية وبمواعيد مختلفة حوالي ٦٥٠ مليون شيكل جديد، وهذا يشكل ازديادا بنسبة حوالي ٨ بالمائة بالمقارنة مع الميزانية الاصلية (٢١). وقد طلبت الميزانية الاضافية من اجل تمويل نشاطات عامة مرتبطة برفع

الاسلوب المتبع الاسعار المحلية بهذا الشكل او ذاك وبصورة اوتوماتيكية بالاسعار الدولية، كما يتم تحديدها مرة كل اسبوع في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط. وفي اعقاب ذلك ارتفعت، وعلى سبيل المثال، اسعار البنزين في اسرائيل من منتصف شهر حزيران وحتى مطلع شهر ايلول ١٩٩٠ بحوالي ٤٢ بالمائة، وارتفعت اسعار المازوت منذ منتصف شهر حزيران وحتى مطلع شهر تشرين الاول ١٩٩٠ بحوالي ١٣٥ بالمائة (١٣). يكون لربط الاسعار المحلية بالاسعار الدولية مصداقية اقتصادية على المدى البعيد عندما يقوم الاقتصاد باستيراد الوقود الخام الذي يحتاجه. ويتوافق هذا الاسلوب وبصورة رئيسية مع الوضع العام عندما تكون التغيرات في اسعار الوقود في العام معتدلة بصورة نسبية، لكن في فترات التغيرات الحادة، فان التعديلات الاوتوماتيكية، وفي فترات متقاربة تؤدي الى حدوث زعزعات حادة، تخلف نتائج مضرة جدا على القطاعات الاقتصادية المختلفة. هذا اضافة الى ان اجهزة الدعم الحكومي القائمة في اسرائيل "تدفع" بجزء من عمليات الغلاء التي مصدرها زعزعات خارجية، مثل الحالة المذكورة، الى ما وراء القطاعات المرتبطة بها، ويؤدي هذا الى تدرج جديد في الاسعار والاجور في الاقتصاد جميعه. وبسبب تصلب في اطارات مختلفة فان التدرج الجديد في الاسعار يتم الاحتفاظ بمعظمه حتى بعد زوال تأثير الزعزعة الخارجية الاولى وانخفاض الاسعار العالمية. ولهذا يجب دراسة اساليب تعديل اسعار الوقود ومنتوجاته في اسرائيل في ظل ظروف غير عادية. وعلى وجه الخصوص توجد امكانية لدراسة التغيرات في ثلاثة مجالات: اولا: تقليل مراحل التعديل وذلك من اجل ايجاد اعتدال على التحركات الحادة في الاسعار. ثانيا: يجب اخذ اسعار الاختياطي وليس فقط اسعار الشراء الجاري، بعين الاعتبار. ثالثا: امتصاص جزئي لتأرجح الاسعار وذلك من خلال تغيرات مؤقتة في نسب ضريبة المكوس في الاسعار (١٤).

وبخصوص المسألة الاخيرة وفي المجال المبدئي من الجدير صد الانتقادات التي وجهت الى "الارباح" غير العادلة التي حصلت عليها الدول من خلال رسوم المكوس على الوقود. تحدد نسبة المكوس على الوقود في اطار نسبة من ثمنها، ولهذا فان الرسوم تزداد بمبالغ معينة عندما ترتفع الاسعار في العام. ويجب ان ترتكز شبكة الضرائب غير المباشرة على اساس مفاهيم نسب نسبية، والا فانها لن تحافظ على قيم واقعية لفترة طويلة من الزمن. ومع ذلك فانه ومن الناحية العملية وفي ظل ظروف غير عادية وبصورة مؤقتة فقد توجد احتمالات لاستبدال النسب عندما تكون اعتبارات سياسية عامة واقتصادية تضفي مصداقية على ذلك.

بالمقارنة مع الازمات السابقة في سنوات السبعينات، والتي طرأ فيها ارتفاع كبير على اسعار النفط الخام، فان التأثير على الاقتصاد الاسرائيلي في هذه المرة معتدلا وذلك جراء فرقين هامين. اولا: تعددت مصادر الطاقة في اسرائيل في العقد الاخير، ويشكل الفحم الان حوالي ٢٠ بالمائة من "سلة" المصادر. ثانيا: في الفرات السابقة، بدأ الارتفاع على اسعار النفط الخام، بصورة موازية لارتفاع قيمة الدولار بالنسبة للعملات الاخرى. اما في العام ١٩٩٠ قد ضعف الدولار بالمقارنة مع العملات الاخرى وهكذا فان تأثير ارتفاع اسعار النفط على الظروف التجارية في اسرائيل كان اكثر اعتدالا.

شلل النشاطات الاقتصادية مع اندلاع المعارك.

حدث شلل اقتصادي شبه تام ولمد عدة ايام مع سقوط الصواريخ الاولى. اما درجة الانتعاش فقد كانت بطيئة جدا حتى بعد الاعلان عن عودة النشاطات الاقتصادية لطبيعتها. وساهمت بهذا الشلل الاقتصادي عناصر من جانب العرض ومن جانب الطلب ايضا. من جانب العرض فان التأثير الرئيسي نجم عن النسبة العالية لعدم حضور العمال لاماكن العمل، تقصير يوم العمل، الغاء العمل في "مرديبات" وفي سائر [illegible] وصفت بانها حيوية، وذلك جراء "نظام الطوارئ" وشمل ذلك منع دخول عرب يهودا والسامرة وغزة للعمل في اسرائيل. وعدم وصولهم للعمل ادى الى الحاق اضرار باقرع يشكلون نسبة عالية من عمالها وخصوصا - البناء والزراعة. وطرأ انخفاض كبير على الطلب المحلي بكافة الفروع، باستثناء افرع الاغذية، والطاقة. وكانت حادة جدا في فروع يتركز العمل فيها ساعات المساء والليل.

في بداية شهر شباط، وبعد اسبوعين من اندلاع المعارك واسبوع من اتخاذ قرار بعودة النشاطات لطبيعتها، اعربت

صعوبات في اقامة علاقات اقتصادية دولية سريعة

ادى الارتفاع العام لمستوى الاخطار في المنطقة، والذي ازداد قبيل نهاية العام ١٩٩٠ وفي الايام الاولى للعام ١٩٩١، الى تقليص كبير في حركة الطائرات والسفن التابعة لشركات اجنبية، والتي تأتي وتنطلق من الموانىء والمطارات الاسرائيلية. ونجم عن ذلك نقص في حجم النقل التجاري، وازدادت تكاليف النقل، ولحقت اضرار بارساليات الصادرات والواردات. وطرأ ارتفاع حاد على الرسوم وصل احيانا الى نسب الإف بالمائة بناء على طلب شركات التأمين الاجنبية التي تؤمن حركة المسافرين والبضائع لاسرائيل او تبيع تأمينا لشركات فرعية اسرائيلية (٨). وعرضت مطالب متشددة في مجال تسديد دفعات للخارج. دفع نقدي او رسائل اعتماد تقرها بنوك معترف بها في الخارج. ونجم عن ذلك تباطؤ نوعي على قبول طلبات تصدير من الخارج، سواء جراء امتناع الشارين عن زيارة اسرائيل او بسبب التخوف من الصعوبات بالتمويل.

من الصعب تقدير حجم التأثير المتراكم لكافة التطورات التي وصفت آنفا. لقد وجدت تعبيرها من خلال مستوى نشاطات متدن وخسائر في قطاعات معينة في الاقتصاد، وايضا - في مجال خسارة مداخيل وزيادة المصاريف بالعملة الاجنبية في الاقتصاد. ويعتبر جزء من ذلك تأثير مؤقت بالامكان تصفيته من خلال نشاطات مكثفة في الاشهر التي ستلي انتهاء الحرب، وجزء خسائر ليس بالامكان تعويضها. ووفقا لتقديراتنا فان الاضرار العابرة الفورية التي نجمت عن الصعوبات المذكورة ليست كبيرة جدا، لكن كشف النقاب مرة اخرى وبقوة غير قليلة عن حساسية الاقتصاد الاسرائيلي حيال عدم الاستقرار الامني في المنطقة. وتتعلق هذه الامور بصورة رئيسية بالقدرة على القيام بمهامه بصورة عادية في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية، وتوجد لهذا معاني هامة الى المدى البعيد. وقد تجد النتائج السلبية تعبيرها بالمس بقوة اجتذاب المستثمرين الاجانب لاسرائيل وبالقدرة على تجنيد اعتمادات مالية من الخارج وبقدرة الصادرات الاسرائيلية على المنافسة التي يتم تحديدها من خلال عوامل منها تأمين موثوق به لوصول البضائع والاستمرار بذلك لفترة زمنية طويلة.

الارتفاع باسعار الطاقة.

طرأ ارتفاع على اسعار النفط الخام قبل حوالي اسبوعين من احتلال العراق للكويت وفي اعقاب التهديدات التي عرضت ابان لقاء وزراء النفط العرب. وارتفعت اسعار السوق الفوري لبرميل النفط الواحد من نوع برنت من مبلغ ١٥ - ٢٠ دولار قبل شهر تموز الى ٣٥ - ٤٠ دولار في شهري ايلول وتشرين الاول ١٩٩٠. ولم تكن ظروف العرض والطلب في سوق النفط تضفي مصداقية على هذا الارتفاع في الاسعار (٩)، وانخفضت فعلا الى مستوى ٢٠ - ٢٥ دولار للبرميل في نهاية العام ١٩٩٠ وبداية العام ١٩٩١.

ارتفع معدل سعر طن الوقود الذي يستورد لاسرائيل بصورة متوالية، من ٩٦ دولار في شهر حزيران ووصل الى رقم قياسي في شهر تشرين الاول - ٢٣٨ دولار وانخفض بعد ذلك وحتى نهاية العام بحوالي ٢٥ بالمائة (١٠). ونجم عن ذلك مصاريف اخرى بالعملة الاجنبية قدرت في اشهر الازمة بحوالي ٣٠٠ مليون دولار، وشكلت هذه اضافة بنسبة حوالي الثلث تقريبا بالمقارنة مع المصاريف السنوية في العام ١٩٨٩ جميعه. ومن غير المتوقع وكما يبدو مصاريف غير عادية في مجال استيراد الوقود، فيما تبقى من العام ١٩٩١، بالامكان نسبيا لنتائج الازمة المذكورة على اسرائيل (١١).

يبدو ان [illegible] قامتا على حاجتهما لتحسين [illegible] بتعديد سياسة استيراد الوقود بالمقارنة مع استخدام احتياطي الطوارىء - في ظل الظروف التي وجدت، والتي وفقا لمعظم التقديرات فان الارتفاع الحاد الذي طرأ على اسعار الاستيراد مؤقتا، لم تتوفر امكانية لتقليص الاستيراد وصرف من الاحتياطي القائم. لا ريب في ان هذا الخطر المدروس كلن من الممكن ان يؤدي الى تقليص الاضرار التي لحقت بالاقتصاد وتوفير عملة اجنبية بمبالغ كبيرة. لقد اتبعت ومن الناحية العملية وكما يبدو سياسة معاكسة (١٢). ثانيا: بخصوص سياسة تحديد الاسعار المحلية لمنتوجات النفط المختلفة يربط

الفصل السابع عشر

الاقتصاد الاسرائيلي والازمة في الخليج الفارسي

بقلم: يعقوب ليفشيتس

بدأت تظهر انعطافات ايجابية في النشاطات الاقتصادية، في اسرائيل في العام ١٩٩٠، وساهم في عدد الانعطافات الايجابية الا ـاع بكافة عناصر الطلب، وخصوصا الازدياد السريع بالاستثمار والتحسن المستمر في وفرة الانتاج. ومعظم التغيرات في التوجهات الاقتصادية، بالامكان اعتبارها كتواءق مع الدورة الاقتصادية، وذلك بعد عامين من الكساد. اما الجزء الاخر، والذي ما زال صغيرا نسبيا، فنجم عن ازدياد الطلب الذي بالامكان نسبه للارتفاع في الهجرة لاسرائيل (١).

تقدر التوقعات المألوفة حجم الهجرة الحالية والتي بدأت منذ نهاية العام ١٩٨٩ بحوالي مليون مهاجر. وتشير التقديرات الى انهم سيعملون للبلاد خلال فترة زمنية قصيرة تدوم عدة سنوات. ومن اجل استيعاب الهجرة بنجاح، اضافة الى الزيادة الطبيعية بالسكان تتطلب الضرورة ايجاد اكثر من نصف مليون مكان عمل جديد، وتوفير حوالي ربع مليون حل اسكاني. تشترط امكانية تحقيق هذه الاهداف وجود نمو اقتصادي متوالي بنسب عالية خلال عدة اعوام، وبالمقابل سيزداد استيراد راس المال من الخارج باحجام كبيرة.

اندلعت الازمة في الخليج في ظل هذا الواقع من تحسن التوجهات الاقتصادية الى جانب الاستعداد لاستيعاب الهجرة. بالامكان وصف الازمة والنتائج الاقتصادية المترتبة عليها من حيث الاقتصاد الاسرائيلي كزعزعة خارجية، ادت الى وجود ازعاج وتشويش على مستويات متباينة من القوة في مجالات واسعة. ولهذا يجب دراسة التأثير المتراكم للازعاج والتشويش اللذان وجدا. وصرفا الاقتصاد على التوجهات الايجابية التي بدأت تظهر فيه، ومعرفة اذا ما كانت قد لحقت اضرار باحتمال تحقيق الاهداف الاقتصادية المطلوبة لاستيعاب ناجح للهجرة. كما تتوفر امكانية، دراسة اذا وباي ظروف بالامكان تقليص التأثيرات الاقتصادية السلبية التي نجمت عن الزعزعة التي اوجدتها الازمة في الخليج.

سنبحث وبعد وصف الاحداث الرئيسية، في المجال الاقتصادي والمغزى الناجم عنها على المدى القصير. عدة قضايا عرضت على جدول الاعمال، وننتهي في محاولة للتعرف على النتائج ذات التأثير على المدى الابعد.

تحليل الامور يدفعنا للخلوص الى ثلاث نتائج رئيسية:

- يجب تطوير انماط حياة روتينية في ظل الاخطار. ان الانغلاق داخل الغرف المحكمة الاغلاق وشل اقتصاد شامل لا يشكل خيارا عمليا حتى وان كان لفترات قصيرة.
- يجب دراسة اذا ما كان يجب ان تتحمل المسئولية، عن استعدادات الجبهة الداخلية، وادارة دفة الحياة في الجبهة الداخلية ابان حالة الطوارىء، الهيئة الامنية. من المشكوك فيه ان يمكن جدول الاولويات الطبيعي - من وجهة نظر الهيئة الامنية - هذه الهيئة من مواجهة هذه المهمة المعقدة بالاسلوب المناسب. وان تدرس بصورة متوازنة احتياجات الاقتصاد في ظل الظروف الخاصة التي توجد في حالة الطوارىء.
- ان وجود الفرصة التاريخية لاستيعاب مليون يهودي في اسرائيل [illegible] السنوات العشرة المقبلة. السنوفات العسكرية خلال فترة معينة. وذلك على الرغم من العبر التي يمكن استخلاصها من الازمة في الخليج. وفي ضوء نتائجها التي ادت الى تقليص تهديدات الجبهة الشرقية لاسرائيل.

١٢- رؤوبين غال، "جبهة خلفية تحت تهديد صواريخ"، "شيم" صفحة ٤٥.

١٣- "جيروزاليم بوست" ٩١/٣/٣.

١٤- "معير".

١٥- W. Seth Carus "Missiles in the Middle East: A New Threat to Stability", Policy Focus, Research Memorandum, The Washington Institute for Near East Policy, June 1988, P.P 5-6

١٦- "شيم".

١٧- اهارون لبران، صواريخ-ارض - ارض - التهديد لاسرائيل، مركز الابحاث الاستراتيجية باسم يافي، مذكرة رقم ٢٤ ايار ١٩٨٦.

١٨- دانييئل ليشم، صواريخ ارض - ارض في العراق، مركز الابحاث الاستراتيجية باسم يافي مذكرة رقم ٣٣ تشرين ثاني ١٩٩٠.

١٩- "يديعوت احرونوت"، ٩١/١/٢٥.

٢٠- "معاريف" ٩١/٢/١.

٢١- "معاريف" ٩١/٢/٢٢ صفحة ١.

٢٢- "جيروزاليم بوست"، ٩١/٢/٢١ صفحة ١، هتسوفيه ٩١/٢/٢١ صحة ٦.

٢٣- "جيروزاليم بوست" ٩١/٣/٣.

٢٤- "يديعوت احرونوت" ٩١/١/٢٥.

٢٥- "هتسوفيه"، ٩١/٢/٢١ صفحة ٦.

٢٦- "هآرتس"، ٩١/٣/٣.

٢٧- "جيروزاليم بوست"، ٩١/٢/٢١، صفحة ١، "هتسوفيه" ٩١/٢/٢١ صفحة ٦.

٢٨- "معاريف"، ٩١/٤/٥.

٢٩- "يديعوت احرونوت"، ٩١/١/٢٥.

٣٠- "جيروزاليم بوست"، ٩١/٢/٢١ صفحة ١.

٣١- "يديعوت احرونوت"، ٩١/١/٢٥.

٣٢- "معاريف"، ٩١/٢/٢٢ صفحة ١.

٣٣- "معاريف"، ٩١/٢/١.

٣٤- "يديعوت احرونوت - ٩١/٣/١١ صفحة ١

قوتها العسكرية" وهذا مقابل ٦٤٪ فقط اعطوا الاجابة الاولى في استطلاعات سابقة.

كما يمكن ايضا العثور على سند للعامل الثاني في نفس الربان ففي نفس البحث سئل المستطلعة اراؤهم فيما اذا كانت دولة اسرائيل تستطيع مواجهة سلسلة من التسعويات ام لا. وتعتبر الاجابات على هذا السؤال مثيرة، ففي الغالبية الساحقة من الاوضاع هناك غالبية ثابتة في الراي العام تؤمن بقدرة اسرائيل في التغلب عليها. ولكن هذا الايمان يختفي عندما يدور الحديث عن وضعين يعكسان ضغطا دوليا كبيرا على اسرائيل. ويعتقد نصف العينة فقط ان اسرائيل تستطيع التغلب على عقوبات اقتصادية للامم المتحدة بينما الثلث فقط يعتقد ان اسرائيل تستطيع التغلب على وضع تتوقف فيه الولايات المتحدة عن دعمها. وحقيقة ان اثنين من بين كل ثلاثة اسرائيليين يعتقدون ان اسرائيل لن تستطيع التغلب على وضع يحدث فيه شرخ بينها وبين الولايات المتحدة تشير الى الادراك العميق لدى الراي العام الاسرائيلي لحيوية العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة وتبعية اسرائيل لهذه العلاقات. ان احد الانعكاسات الهامة - اذا لم يكن الاهم - لحرب الخليج يتمثل في السابقة التي حدثت بشأن حق مجلس الامن في التدخل بنزاعات بين الدول وفي الشؤون الداخلية لدول ذات سيادة. هذه السابقة تلوح في افق عالمنا وتتحول الى جزء من الواقع الدولي الجديد، ويبدو ان هذه الحقيقة ايضا لم تغب عن بال الراي العام الاسرائيلي. ومقابل هذا المسار يوجد عاملان يمكن ان يؤديا الى تطرف في موقف الراي العام الاسرائيلي بالاتجاه الصقوري. الاول والاهم فيهما تم التطرق اليه بشكل موسع فيما سبق ويتعلق بسلوك منظمة التحرير الفلسطينية والفلسطينيين عموما وعرب المناطق بشكل خاص وتأثير هذا السلوك على رؤية الجمهور الاسرائيلي لمصداقية واهداف الفلسطينيين الحقيقية. فالشعور الذي لازم الكثير من الاسرائيليين والذي بموجبه تعتبر مناورة السلام التي تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية مجرد تجسيد لنظرية المراحل اي تصفية الدولة اليهودية على مراحل، لقي تعزيزا حقيقيا في الحرب. وعلى الرغم من كل اخطاء وخطايا عرفات يتضح انه ما زال يواصل السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية وانه في نهاية الامر من الصعب ايجاد بديل عن منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للفلسطينيين. ومغزى هذا الوضع هو انه ان اجلا او عاجلا - ويبدو ان ذلك سيحدث مبكرا - سيعود عرفات الى المشاركة في المسيرة السياسية ومن الصعب جدا رؤية سيناريو يوافق فيه الراي العام في اسرائيل على التحادث معه او مع ممثليه.

العامل الثاني، الذي يمكن ان يزيد تشدد المواقف هو الشعور بانه مع هزيمة العراق ومع خروج الاتحاد السوفييتي كعنصر هام في المنطقة فقد تضاءلت مخاطر اندلاع حرب في المستقبل القريب. ان اختفاء او حتى تضاؤل خطر الحرب تخلق وتعزز وهم الوضع القائم وبالتالي تضعف المسرع الرئيسي للمرونة في المسيرة السياسية.

ملاحظات ومراجع

١- محادثة مع حاييم اسرائيلي مساعد المدير العام لوزارة الدفاع ١٩٩١.

٢- معاريف ٩١/٢/٢٦ صفحة ٩.

٣- "شيم"، مقابلة مع وزير الصحة ايهود اولمرت، "[illegible]" ٩١/٢/١٩ صفحة ٦، دافار ٩١/٣/١.

٤- مجلة داخلية لسبيون.

٥- "دعير" ٩١/٣/٨ صفحة ٢١، "جيروزاليم بوست" ٩١/٣/١، دافار ٩١/٣/١.

٦- "معاريف" ٩١/٥/١٧ الجزء ج صفحة ٢.

٧- "يديعوت اهرونوت" [illegible]

٨- رؤوبين بن غال "جبهة داخلية تحت تهديد صاروخي"، استطلاع شهري" ٣٨ (١)، نيسان ٩١ صفحة ٤٥.

٩- اليامو كاتس "وسائل الاعلام في الحرب"، استطلاع شهري ٣٨ (١)، نيسان ٩١ صفحة ٤٨.

١٠- "شيم"، صفحة ٤٩.

١١- "شيم"، صفحة ٤٨.

وتوجد، في نفس الوقت مؤشرات معاكسة في هذا المجال. فقد وجد اريان ان ٢٣٪ ممن اجريت معهم مقابلات قالوا ان وضعهم المعنوي شاء بسبب حزب الخليج وفترة الطوارىء، وقال ٢٩٪ ان الوضع النفسي القومي قد ساء مقابل ١٣٪ و ٢١٪ على التوالي قالوا انه تحسن. كما يوجد جزء لا بأس به من السكان ينظر بسلبية الى هجر المدن في غوش دان خلال الهجمات الصاروخية. وما يثير الاهتمام هو ان الغالبية العظمى لا تستنكر الظاهرة وحتى تحتها ولكن يوجد، مع كل كذلك، اقلية ذات وزن ترى غير ذلك. وفي استطلاع اجري من قبل شركة تيلسكر في نهاية كانون الثاني قال ٤٣٪ من سكان غوش دان انهم يرون ضرورة هجر السكان لبيوتهم في مناطق الخطر مقابل ٣٨٪ رفضوا الظاهرة. وفي بقية انحاء البلاد كانت الاجابة ٥٤٪ مقابل ٢٤٪ على التوالي (٣٣). وفي بحث اريان واقق حوالي ٢٠٪ على الوصف "فارين" للسكان الذين تركوا بيوتهم في اعقاب الهجمات الصاروخية.

تأثيرات بعيدة المدى

السؤال المركزي في هذا المجال يتعلق بماهية تأثير حرب الخليج على الراي العام الاسرائيلي في المسألة السياسية. فهل تؤدي احداث الحرب من ناحية تأثيراتها على وجهات نظر ومواقف الجمهور في اسرائيل الى تقديم ام صد المسيرة السياسية وفرصة التوصل الى تسوية اسرائيلية عربية؟ من المقبول القول انه خلقت "نافذة فرص" للتقدم نحو حل النزاع العربي الاسرائيلي. ويرتكز هذا التقدير بالاساس على انعكاسات "عاصفة الصحراء" الدولية والاقليمية. والسؤال هو هل يشمل ذلك ايضا الراي العام الاسرائيلي؟

من الصعب اعطاء اجابة على هذا السؤال. فتجربة الخمسة وعشرين عاما الماضية تظهر انه باستثناء حادث فريد ودراماتيكي جدا - كزيارة السادات الى القدس - فان اساس تأثير الاحداث المختلفة يتمثل باتجاه تعزيز المواقف القائمة. وفي كل الاحوال هناك شكوك كبيرة فيما اذا كانت حرب الخليج حدثا مثل هذه الاحداث. فقد كان الشعب في اسرائيل منقسما قبل الحرب تقريبا بنسبة النصف الى النصف حول مسألة مستقبل المناطق وخاصة مستقبل مناطق يهودا والسامرة - وقد بقي هكذا اليوم.

وتعتبر هذه هي النتيجة الرئيسية والخلاصة في بحث اريان الذي اجرى مع نهاية الحرب. وفي استطلاع هاتفي اجري بعد حوالي اسبوع بعد الحرب من قبل الدكتورة مينا تسيمح على عينة تمثيلية من ٥٠٦ اشخاص قال ٤٩٪ انهم يقبلون مبدأ السلام مقابل مناطق و ٤٩٪ قالوا انهم لا يقبلون بهذا المبدأ (٣٤).

وفي نفس الوقت فان هذه المسألة تعتبر نموذجا بارزا لتلك المواضيع التي يمكن ان نتوقع بشأن ظاهرة "الاشعال المتأخر". وربما فقط بعد اشهر طويلة سنبدأ في لمس تغيير معين في الاجواء والراي العام. وبذلك نكتفي بالاشارة الى عدة عناصر ربما تولد استعدادا اسرائيليا اكبر للتنازلات في المسيرة السياسية وعدة عناصر يمكن ان تعمل بالاتجاه المعاكس.

يوجد عاملان رئيسيان يمكن ان يؤديا الى مرونة في المواقف السياسية للجمهور الاسرائيلي. الاول هو الخوف من الحرب والثاني يتمثل في الخوف من ضغط دولي كثيف. فهجمات الصواريخ وصفارات الانذار في مختلف انحاء البلاد والغرف محكمة الاغلاق والاقنعة الواقية ادخلت الحرب الى بيت وقلب كل مواطن في اسرائيل واوضحت بشكل ملموس للجميع وبصورة دراماتيكية جدا سواء قابلية الجبهة الخلفية الاسرائيلية للاصابة او الخطر الكبير في ان كل حرب مستقبلية يمكن ان تكون مختلفة [illegible] المواطنين الذين هربوا من بيوتهم طوال ايام وربما اسابيع وحولوا انفسهم الى ما يشبه اللاجئين بان الحياة افضل من البيت والسلام افضل الارض. ويوجد ايضا في بحث اريان تلميحات واضحة على ان الجمهور يرى فعلا ضرورة اعطاء اولوية معينة في الجهود الرامية الى التوصل الى تسوية وتقريب السلام. فعندما سئل من اجريت مقابلات معهم حول "ما الذي يتوجب على اسرائيل التركيز عليه لمنع الحرب بينها وبين الدول العربية؟" اجاب ٧٤٪ بـ "العمل كل ما في استطاعتها للشروع في محادثات سلام" وفقط ٢٦٪ بـ "تعزيز

التقرير الانتقادي جدا لمراقبة الدولة في هذا الموضوع. وقد جرت مداولات في لجنة مراقبة الدولة في الكنيست وتطور جدال حاد بين جيش الدفاع الاسرائيلي وعلى رأسه رئيس الاركان وبين مراقبة الدولة.

وفي نيسان نشر التقرير بكامله وحسب هذا التقرير فان جزءا كبيرا من كمامات الغاز كانت معطوبة وليست ذات جدوى. وقد وجهت انتقادات بصورة خاصة على الكمامات الواقية للاولاد (قلنسوات والبيت الواقي للاطفال) والتي كانت حسب مراقبة الدولة في حالات معينة يمكن ان تهدد حياة وسلامة الاولاد الذين يستخدمونها. وحسب الانتقاد فان ثلث مواطني الدولة لم تكن لديهم وقاية ملائمة ضد هجوم بوسائل حربية كيماوية. لقد خلق تقرير مراقبة الدول انطباعا قاسيا في اوساط الجمهور. ويشير الرد الذي لم يسبق له مثيل في شدته من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي والرفض العنيد من قبل رئيس الاركان التسليم بنتائج التقرير ووسط توجيه اتهامات لم يسبق لها مثيل ضد مراقبة الدولة، تشير الى حساسية الموضوع والى التأثير المحتمل لذلك على الراي العام.

لا توجد بايدينا معطيات حقيقية حول ابعاد تأثير التقرير وان كان من الممكن رؤية مؤشر لتأثير سلبي في حقيقة ان شعبية وزير الدفاع هبطت في شهر نيسان بنسبة ١٢٪ (٢٨). وربما هذه هي المرة الاولى التي تحدث فيها مواجهة جبهوية شديدة بين مؤسستين تحظيان بثقة كبيرة من الجمهور - مؤسسة مراقبة الدولة وجيش الدفاع الاسرائيلي - ومن الممكن ان يؤدي الامر الى هز ثقة الجمهور بشكل ما بمؤسسات السلطة.

الثقة بالحكومة

تدل التقارير على مستوى تأييد عالي جدا للحكومة خلال الحرب وفور انتهائها. ففي استطلاع اجرته الدكتورة مينا تسيمح بعد نهاية اسبوع على الحرب اجاب ٩٠٪ من عينة تمثيلية من ٢٠٧ اشخاص اجريت معهم مقابلات ان رئيس الحكومة استحق شمير يقف امام "اختبار القيادة" وفقط ١٪ اجابوا سلبا (٢٩). وفي منتصف شباط عبر ٧٤٪ ممن اجريت مقابلات معهم عن رضاهم عن معالجة الحكومة للوضع (٣٠). وقد وجد اريان ان ٤٣٪ كانوا راضين جدا عن الحكومة خلال الازمة الاخيرة و ٤٢٪ كانوا راضين بصورة معينة. واذا كان صحيحا الافتراض ان الثقة بالقيادة السياسية تشكل عنصرا هاما في المناعة الداخلية لكل شعب - ولنا يبدو الامر كذلك - فانه لا يوجد شك انه على الاقل من هذه الناحية فان حرب الخليج ساهمت في تعزيز المناعة الداخلية لشعب اسرائيل.

ثقة الشعب بذاته

المسألة المهمة بصورة خاصة فيما يتعلق بالمناعة الداخلية للشعب في اسرائيل هي كيف ينظر الشعب الى سلوك نفسه خلال الازمة، اي ما هي صورة الجمهور الاسرائيلي بنظر نفسه على ضوء الحرب. على الرغم من المظاهر السلبية التي وصفت سابقا يبدو عموما ان الجمهور في اسرائيل يعطي نفسه علامات عالية جدا على سلوكه خلال الحرب ويبدي قدرا كبيرا من الرضى الذاتي. وقد دلت جميع الاستطلاعات التي اجريت خلال الحرب على معنويات عالية. وفي استطلاع اجرته الدكتورة مينا تسيمح في نهاية الاسبوع الاول للحرب قال ٤٦٪ ممن اجريت معهم مقابلات ان "الاسرائيليين يصمدون بصورة جيدة جدا في الاختبار" فيما اجاب ٤٨٪ انهم يصمدون بشكل جيد في الاختبار، اي ما مجموعه ٩٤٪ (٣١). وفي استطلاع اجري من قبل شركة تليسكر في منتصف شباط وصف ٢٥٪ ممن اجريت معهم مقابلات وضعهم المعنوي على انه ممتاز و ٣٢٪ انه جيد و ٣٣٪ اخرين على انه حسن، اي ما يقارب الـ ٩٠٪ ابدوا عن وضع معنوي ايجابي (٣٢). وقد وجد في بحث اريان ان ٥٣٪ ممن اجريت معهم مقابلات يعتقدون ان السكان في الجبهة الخلفية كشفوا عن قدر كبير من قوة الصمود في الازمة الاخيرة و ٣٩٪ اخرين يعتقدون انهم كشفوا عن قدر محدد من قوة الصمود، اي ما مجموعه ٩٢٪. كذلك وجد ان ١٩٪ قالوا ان رغبتهم في العيش في البلاد تزايدت مقابل ٥٪ فقط ادعوا ان هذه الرغبة قد ضعفت. وربما يمكن ان نرى في هذه المسألة المعيار الافضل للحصانة الداخلية.

التعهدات الامريكية واستعداد الجمهور في اسرائيل للاعتماد على تعهدات كهذه. وفعلا وجد في بحث اريان ان ٢٠٪ يعتقدون ان اسرائيل تستطيع الاعتماد بصورة كبيرة جدا على ضمانات امنية تعطى لها من قبل الولايات المتحدة فيما يعتقد ٤٤٪ ان من الممكن الاعتماد بصورة كبيرة - ما مجموعه ثلثين - و ٢٨٪ يعتقدون انه يمكن الاعتماد بصورة متوسطة. ان المجال الذي كان يمكن ان يكون له تأثيرا قويا وبعيد المدى وقاسيا جدا هو مجال العلاقات بين اليهود والعرب. فتعبيرات الكراهية والفرح لدى عرب المناطق تركت انطباعا قاسيا على الجمهور اليهودي في اسرائيل ولدى الكثيرين فقد ادى ذلك فقط الى تعزيز عدم الثقة والشكوك العميقة التي كانوا يشعرون بها من قبل تجاه العرب عموما وتجاه الفلسطينيين خاصة. وبالنسبة لكثيرين اخرين خاصة في اوساط معسكر الحمائم واليسار الاسرائيلي ادى الامر الى تحطم اوهام والى خيبة امل عميقة. وقد وجد ذلك تعبيره العميق في مقالات وتصريحات عضو الكنيست يوسي سريد - ممثل اصيل لمعسكر الحمائم الراديكالي - بصيغة "لا تبحثوا عني". وفي بحث اريان قال حوالي نصف من اجريت مقابلات معهم ان نظرتهم الى عرب المناطق والفلسطينيين تغيرت للاسوأ و ٤٢٪ اجابوا ان نظرتهم للغرب تغيرت تماما للاسوأ وكانت نسبة الذين اجابوا بان نظرتهم تغيرت للافضل كانت صفرا.

وفي نفس الوقت توجد هناك مؤشرات معاكسة. اولا، تصرفات عرب اسرائيل كانت تقريبا بلا شائبة. ففي الوسط العربي الاسرائيلي كانت هناك حتى علامات معينة من التضامن مع ضحايا الصواريخ واقتراحات بالعون والمساعدة. وفي بحث اجري في فترة الحرب من قبل المعهد للابحاث الاجتماعية التطبيقية باسم غوتمان وجد انه في اوساط السكان اليهود البالغين ارتفعت نسبة اولئك الذين يعتقدون ان ولاء عرب اسرائيل للدولة قد تعزز. ففي صيف ١٩٩٠ ادعى ٧٠٪ ان ولاء عرب اسرائيل اخذ في التدني بينما في استطلاع خلال الحرب اعتقد ٢٥٪ فقط بذلك (٢٥). ثانيا، ربما تكون قد فتحت نافذة سلام في نظر الجمهور الاسرائيلي عقب تعزيز التوجه المعتدل المؤيد للعرب في اوساط الدول العربية واثر التغير المحتمل الحاصل في التوجهات السياية لسوريا.

وفي النهاية، من الجدير تفحص تأثير الحرب على المناعة الداخلية لاسرائيل. فالمناعة الداخلية امر معقد - وهنا ايضا عن السابق لاوانه ان نقدر بصورة ملائمة تأثر الحرب. وبهدف تلقي مؤشرات اولية سنفحص تأثير الحرب على عدة مجالات هامة تؤثر على المناعة الداخلية: الثقة بجيش الدفاع الاسرائيلي، الثقة بالحكومة وثقة الشعب بنفسه. وهذه المواضيع يتضمنها بحث اريان المفصل، وفي خلاصة هذا الفصل ترد المعطيات الرئيسية. لقد قيل انه بصورة عامة لا توجد مؤشرات تدل على المس بالمناعة الداخلية للشعب في اسرائيل.

الثقة بجيش الدفاع الاسرائيلي

تدل كافة الابحاث التي اجريت حتى الان ان الثقة بجيش الدفاع الاسرائيلي تزايدت فحسب في اعقاب الحرب. وحسب تقرير للجنرال الدكتور موشيه ابن - حن رئيس شعبة علم السلوك في جيش الدفاع الاسرائيلي فان نسبة الذين عبروا عن ثقتهم بالجيش في نهاية حرب الخليج استقرت عند ٩٠٪ والثقة بالناطق العسكري لجيش الدفاع الاسرائيلي استقرت عند ٩٦٪ (٢٦). وفي بحث اجري في منتصف شباط من قبل المعهد للبحث الاجتماعي الطبيقي باسم غوتمان على عينة تمثيلية من ٥٠٠ شخص عبر ٩٢٪ عن ثقتهم بقدرة الجيش الاسرائيلي على الانتصار في الحرب (٢٧) وفي بحث اريان اعلن ٣٠٪ ممن اجريت معهم مقابلات ان نظرتهم لجيش الدفاع الاسرائيلي تحسنت في اعقاب الحرب، وفقط ٣٪ قالوا انها تدهورت. وفي نفس الوقت [illegible] ان الحديث يدور هنا عن احد تلك المواضيع التي قد يتغير فيها تعبير من الوقت. ومن المهم الاشارة انه في بحث اريان الذي اجري فور انتهاء الحرب اجاب حوالي نصف المستطلعة اراؤهم بان الدولة لم تكن مستعدة كما ينبغي لهجوم صاروخي واجاب الثالث انها لم تكن مستعدة لحرب غير تقليدية ولا الى تغيير مجرى الحياة العادية اليومية. واجاب الربع انها كانت مستعدة للدفاع عن الجبهة الخلفية.

هذه المعطيات سجلت قبل نشر تقرير مراقبة الدولة بشأن الكمامات الواقية. وفي نهاية اذار نشرت معلومات بشأن

تحليل التأثيرات

من وجهة نظر اسرائيل تضمنت حرب الخليج احداثا غير متوقعة وشاذة. وقد مر الجمهور في اسرائيل بتجارب قاسية. ويتطلب المنطق، للوهلة الاولى، ان يكون لمجرى هذه الاحداث والتجارب اثار بعيدة المدى على الجمهور، ولكن تجربة البحث الاجتماعي تظهر ان العلاقة بين المعاناة والاحداث المؤقتة وبين التأثيرات الدائمة على الافراد او السكان ليست بسيطة اطلاقا. والسبب الاول يتعلق بما يصفه يوسف الفر في مقدمة هذا الكتاب بـ "اشغال متأخر". ومن ناحية نفسية اجتماعية فان الاحداث الهامة تظهر اثارها فقط مع الوقت واحيانا حتى بعد سنوات وينطبق ذلك بشكل خاص على المعاناة القاسية والمأساوية. توجد اجهزة دفاع سواء للفرد او الجمهور، فعند المرور بمعاناة قاسية فان الميل الفوري يتمثل في مواجهتها وبعد ذلك العودة بالسرعة الممكنة الى الوضع العادي - واحيانا عبر النسيان ودفع المعاناة القاسية بعيدا. ولكن المعاناة نفسها ونتائجها تتسرب رويدا رويدا في وعي الانسان ومع مرور الوقت تبدأ في الطفو على السطح والتأثير على مواقفه وتصرفاته. فمأساة حرب يوم الغفران لم يكن لها تأثير حقيقي على نتائج الانتخابات التي جرت بعد ثلاثة اشهر في ٣١ كانون اول ١٩٧٣ - ولكنها لمست بكل قسوتها في انتخابات ١٩٧٧. وان التأثير الاشد وبعيد المدى لحرب يوم الغفران على شعب اسرائيل وانماط حياته وتصرفاته عبر عنها بشكل كامل فقط بعد سنوات من ذلك.

والسبب الثاني هو وجود تأثيرات متناقضة والتي تلغي بعضها البعض احيانا. وتعتبر احداث حرب الخليج نموذجا كلاسيكيا لوضع كهذا. فقد وقعت امور مختلفة تأثيراتها على الراي العام في اسرائيل كانت باتجاهات متعاكسة ومن الصعب معرفة او التنبؤ حول اي من هذه التأثيرات ستسود على المدى البعيد اذا ما كان ذلك سيحدث. ويمكننا ان نلمس هذه الاشكالية في عدة نماذج.

لقد لمست حقيقة ان الجبهة الخلفية الاسرائيلية كلها مكشوفة تقريبا بالكامل لصواريخ ارض -ارض من قبل الجمهور الاسرائيلي بالصورة الاكثر شدة وايلاما. وهذا الامر كان يجب للوهلة الاولى ان يزيد القلق من الوضع الامني في الحاضر والمستقبل. ومن الجهة الاخرى فقد هزمت العراق - ركن مركزي في الجبهة الشرقية ومركزية في كل استعداد عسكري عربي ضد اسرائيل - هزيمة قاسية في الحرب وفقدت غالبية ثرواتها. وايضا لو لم يزل التهديد العراقي تماما فلا يوجد شك انه تقلص بصورة ملحوظة وفي ذلك ما يكفي لازالة المخاوف في المجال الامني. وقد ندب الرئيس الاسد نفسه بانه بسبب اخطاء صدام حسين تم تصفية عنصر هام في القوة العربية التي تهدد اسرائيل.

لقد كشفت مؤشرات مقلقة في حرب الخليج فيما يتعلق بقدرة صمود الجمهور الاسرائيلي. فالهرب الى خارج البلاد وبشكل خاص هجر مدن غوش دان وكذلك ظواهر الفزع وصعوبات القيام بالمهام لدى الكثيرين تشير بانه توجد مشكلة حقيقية. ومن غير الممكن معرفة ما كان سيحدث لو كانت الصواريخ تسقط ايضا في ساعات النهار ولو هوجمت اسرائيل بسلاح كيماوي ولكن يوجد بالتأكيد مجال للاعتقاد ان ذلك كان سيؤدي الى انخفاض قياسي في المعنويات والى ازمة اجتماعية. بالمقابل يمكن الادعاء بالعكس ايضا، اي ان الشعب في اسرائيل صمد طوال ستة اسابيع امام هجمات الصواريخ في النهاية وكلما طال الوقت ليس فقط انه لم ينهر وانما تعلم كيف يواجه ويتغلب ويتكيف مع مجرى حالة الطوارىء. ان الكثيرين من اولئك الذين تركوا منطقة تل ابيب الكبرى مثلا عادوا الى بيوتهم قبل انتهاء الحرب، كما ان عمل المرافق الاقتصادية وحياة المجتمع ابديا علامات واضحة على الانتعاش. ولذلك يمكن القول انه ثبت ان "السلاح السري" او "السلاح الاخير" للعرب، اي مهاجمة الجبهة الخلفية الاسرائيلية، بعيد عن ان يكون سلاحا حاسما. ويمكن ايراد نموذجين اخرين: الاول في مجال العلاقات [illegible] جاه العرب. فمن جهة اشارت الحرب مجددا الى ارتباط كبير لاسرائيل بالولايات المتحدة الامر الذي يعرضها لضغوطات سياسية من جانب الولايات المتحدة. ومن جهة ثانية فان التعاون الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة تعمق في مجالات معينة وثبت انه من غير الممكن تجاهل اسرائيل في كل ما يتعلق بما يجري في الشرق الاوسط. والوجه الاخر لهذه المسألة يتمثل في التشغيل الميداني لبطارية صواريخ "باتريوت" بعد حوالي ٢٤ ساعة فقط على اتخاذ قرار بارسالها الى اسرائيل الامر الذي يعزز مصداقية

تآكل متواصل لمكانة اسرائيل والتضامن معها في اوساط الراي العام العالمي. وفي السنوات الاخيرة كانت اسرائيل اكثر فاكثر هدفا للانتقاد والشجب من قبل حكومات غربية ومن جانب عناصر بارزة في اوساط جماهير هذه الدول. وقد ولدت هذه الظاهرة شعورا لدى الكثير جدا من الاسرائيليين ان "جميع العالم ضدنا". وقد ولدت بسياسة ضبط النفس التي انتهجتها اسرائيل خلال حرب الخليج والمس المعيب بمدنيين عزل وبمشاعر الناس، النساء والاطفال، يرتدون الاقنعة الواقية من الغازات خوفا من هجوم كيماوي - كل ذلك ولد تعاطفا وتضامنا مع اسرائيل في انحاء العالم الغربي. فقد بدت اسرائيل سواء كضحية بريئة لعمل انتقامي لذاته من قبل الدكتاتور العراقي او كمن يبدي مسؤولية عليا واعتدالا وتوازنا فتخدم بذلك مصالح وانتصار العالم الحر.

لقد كانت مظاهر التعبير عن دعم اسرائيل كثيرة ومتنوعة: تصريحات ودية من قبل زعماء العالم، استطلاعات ايجابية للراي العام في الغرب، زيارات مسؤولين رسميين وشخصيات عامة الى اسرائيل خلال الحرب، قرار الحكومة الالمانية تقديم مساعدات امنية مباشرة لاسرائيل بواسطة منحة قيمتها نصف مليار دولار، الغاء جميع العقوبات على اسرائيل من قبل المجموعة الاوروبية والقرار بشأن توجيه جزء من مساعدات المجموعة لمتضرري حرب الخليج لاسرائيل ايضا ونقل بطاريتي صواريخ باتريوت من هولندا الى اسرائيل. ومن الصعب الافتراض ان جميع هذه التعبيرات والاعمال لم تبق بصماتها على الراي العام في اسرائيل وربما ان ذلك ساهم فعلا في دفع جزء من الجمهور الى التفكير مجددا في مدى صحة مقولة ان "العالم جميعه ضدنا". ان موافقة حكومة شمير على مشاركة اوزوبا في اللقاء الاقليمي لافتتاح مفاوضات السلام - الاتفاق الذي كان من الصعب ان يخطر ببال قبل حرب الخليج - تعبر من وجهة نظرنا عن هذا التغير الذي طرأ على نفسية الجمهور الاسرائيلي. فعلى الاقل، بالنسبة للولايات المتحدة يظهر بحث اريان تحسنا دراماتيكيا في صورتها بنظر الجمهور في البلاد حيث اجاب نصف من استطلعت اراؤهم ان تقديرهم للولايات المتحدة تزايد في اعقاب الحرب.

شعور بالتضامن العالمي والمصير المشترك

هناك احداث في حياة الدولة تساهم في رص الشعب وتعزيز النسيج الاجتماعي. وان الاحداث التي تجسد المصير المشترك لكل اجزاء الامة والعلاقة الوثيقة بين جميع مواطني الدولة هي احداث من هذا النوع. فالاحتفالات القومية وايام الذكرى والمناسبات المميزة الاخرى مثلا هي نماذج لاحداث كهذه لانها تأتي لتؤكد ان ما يوحد اكبر بكثير مما يفرق. لقد ساهمت حروب اسرائيل كثيرا في تعميق الشعور بالتضامن اليهودي والمصير المشترك لمواطني اسرائيل. والحادث الابرز هو حرب الايام الستة وفترة الانتظار التي سبقتها. فمشاعر الخطر والعزلة والانقطاع عشية الحرب ومشاعر الارتياح والتفاخر في اعقاب الانتصار ساهمت كثيرا في القولبه القومية والاجتماعية لشعب اسرائيل. وهذه القضية هامة بشكل خاص لاسرائيل كونها دولة تستوعب هجرة ودولة ما زال يوجد فيها فروقات حاده على خلفية طائفية ودينية واقتصادية - اجتماعية.

لقد عززت حرب الخليج هي ايضا الشعور بالمصير المشترك والتضامن المتبادل في اوساط كافة طبقات الجمهور. وقد مر مواطنو اسرائيل جميعا بتجارب قاسية مشتركة: صفارات الانذار كانت تسمع في نفس اللحظة في كافة انحاء البلاد والجميع كانوا يدخلون الى الغرف محكمة الاغلاق ويرتدون الاقنعة الواقية من الغازات والجميع استمعوا لنفس بث الراديو وكانوا متأهبين لاعلانات وتوجيهات الناطق باسم جيش الدفاع الاسرائيلي، كما ان جميع مواطني الدولة ساروا طوال اربعين يوما ملاصقين للكمامات الواقية. وطوال فترة الحرب تملص واقع خاص وروتين حياة مميزا فريدا من نوعه تتميز به اسرائيل. ان حقيقة سقوط الصواريخ ليس في كريات شمونه او بيت شان ولا في اصبع الجليل او حدود لبنان وانما في قلب الدولة - في تل ابيب ورمات غان وحيفا - عمقت الوعي باننا جميعا في نفس السفينة في نهاية الامر. وقد تعزز هذا الادراك اكثر على ضوء حقيقة ان الصواريخ اضرت سواء بالاحياء الفقيرة (حي هتكفاه وحي عزرا) او المناطق الخضراء (رمات حن وسبيون).

الاسرائيلي لجيش الدفاع الاسرائيلي. والوجه الثاني هو تعميق التعاون المشترك الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة - الامر الذي يعزز مكانة اسرائيل الامنية والسياسية وقدرتها الرادعة. ولا شك في ان التعاون المشترك الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة على المستوى التكتيكي وصل في حرب الخليج الى ذروات جديدة. فعدا عن التعبيرات الثلاثة المذكورة سابقا يجب الاشارة الى وجود خط هاتفي موثوق وثابت بين وزير الدفاع الاسرائيلي ونظيره الامريكي - بمثابة خط احمر - والى الاستخدام الكبير لقناة الاتصال هذه وكذلك تعميق التعاون المشترك في مجال الاستخبارات. وفي نفس الوقت من الجدير تذكر حقيقتين اساسيتين تحددان وتضمان تحفظات على المغزى بعيد المدى لتعميق التعاون الإسرائيلي - الامريكي فيما يتعلق بحرب الخليج. فقد جاء التعاون لخدمة هدف سياسي امريكي مركزي وهو منع تدخل اسرائيل في الحرب وفي نفس الوقت كانت الدول العربية شريكة في ائتلاف تم تشكيله وقيادته من قبل الولايات المتحدة وحاربت عمليا وبشكل حقيقي الى جانب وتحت قيادة الامريكيين - وهو الائتلاف الذي لم يضم مصر والعربية السعودية فقط وانما سوريا ايضا.

رد فعل الفلسطينيين وعرب المناطق

بالنسبة للغالبية العظمى من الاسرائيليين، لم تكن هناك اوهام بشأن توجهات ومواقف الفلسطينيين المعادية عموما وعرب المناطق بشكل خاص. ولكن ومنذ خطاب عرفات في الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للامم المتحدة في جنيف في نهاية ١٩٨٨ وقرار الولايات المتحدة الشروع باتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية ادار الفلسطينيون، وبشكل خاص، زعماء مركزيين في يهودا والسامرة حملة اعلامية تجاه الراي العام في اسرائيل بهدف اقناعه بانهم يريدون حلا سياسيا يقوم على اساس دولتين الواحدة بجانب الاخرى. وهذه الحملة حققت انجازات محددة لصالحها واظهرت استطلاعات الراي العام ما بين ١٩٨٩ - ١٩٩٠ تحركا محددا في الراي العام الاسرائيلي. فقد ازدادت نسبة المؤيدين لاجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية كما ان نسبة مؤيدي هذه المفاوضات في شروط معينة وصلت الى ما يقارب الثلثين. ولكن كل ذلك تغير في أعقاب رد الفعل الفلسطيني تجاه احداث الخليج، اي الدعم الحماسي لصدام حسين. وقد برز هذا التأييد خاصة على ضوء المعارضة الحازمة لغالبية الدول العربية بما فيها مصر وسوريا لاحتلال الكويت من قبل العراق كما ربط هذا التأييد بالتهديدات الشديدة التي وجهها صدام ضد اسرائيل. لقد عاد صدام حسين وكرر الصيغ القديمة بشأن ابادة اسرائيل وتحرير فلسطين وحرق نصف اسرائيل - وقد لاقت هذه التهديدات صدى ايجابيا وموجه من الحماس في الشارع الفلسطيني، وقد وجد ذلك تعبيره في مجالين الاول التأييد السياسي المطلق لعرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية والراي العام الفلسطيني لاحتلال الكويت ولكل خطوات صدام حسين. والثاني كان تعبيرات الفرح والبهجة ازاء سقوط صواريخ السكاد على مدن اسرائيل. وقد كانت هناك تقارير كثيرة في وسائل الاعلام حول سكان المناطق الذين كانوا يصعدون الى الاسطح خلال فترة الانذار ويهتفون ويرقصون على مرأى وسماع سقوط الصواريخ على منطقة تل ابيب. وكان هناك من ادعى ان عرب المناطق الذين يملأهم الاحباط والمرارة رأوا في صدام حسين المخلص الذي سيحررهم من الاحتلال الاسرائيلي. ولكن بالنسبة للغالبية العظمى من الاسرائيليين بما في ذلك الكثير جدا من اليسار كان هذا التصرف اثباتا حيا ان هدف الفلسطينيين الاساسي كان وما زال ابادة اسرائيل وانه لا يوجد ما هو حقيقي في جميع الاحاديث عن السلام والتعايش.

موجات التعاطف مع اسرائيل في انحاء العالم

منذ ان مضت الايام اللامعة لحرب الايام الستة لم تحظ اسرائيل بمثل هذا القدر الكبير من التعاطف والتأييد في اوساط الراي العام الدولي وفي اوساط حكومات العالم كما حدث خلال حرب الخليج. ان السيطرة المتواصلة من قبل اسرائيل طوال اكثر من عشرين عاما على مليون ونصف عربي في المناطق وحرب لبنان والانتفاضة. تسببت جميعها في

رد اسرائيلية ومطالبة حازمة بتنفيذها. والسؤال الذي يطرح نفسه، طبعا، سؤال نظري ومن غير الممكن الرد عليه بصورة متفق عليها. وربما يمكن ان نجد بعض الدعم للاعتقاد الذي يربط بين ضبط النفس وقلة الخسائر في حقيقة ان نسبة المطالبين برد اسرائيلي في اوساط سكان تل ابيب الكبرى كانت اكبر بصورة ملحوظة من نسبة المطالبين بذلك في وسط باقي السكان. وفي بحث الدكتورة مينا تسيمح جاء ان ١٥٪ - ٢٠٪ ممن اجريت معهم مقابلات في منطقة تل ابيب طلبوا رد اسرائيليا مقابل ١٠٠٪ من سكان القدس الذين ايدو سياسة ضبط النفس (٢٣).

ارسال جنود امريكيين الى اسرائيل

يتمحور اهتمامنا بمسألة التدخل العسكري الامريكي في الدفاع عن اسرائيل في رد فعل الجمهور الاسرائيلي. للمرة الاولى في تاريخ اسرائيل يشارك جنود امريكيون في الدفاع عنها. ويدور الحديث كما هو معروف عن ثلاث بطاريات صواريخ "باتريوت" بطواقمها من الجنود الامريكيين والتي نقلت في الايام الاولى للحرب من المانيا الى اسرائيل ونصبت في تل ابيب وحيفا. وسيقال فورا ان الحديث يدور هنا حول خطوة رمزية اكثر منها عملية. فالحديث يدور عن بضع عشرات من الجنود فقط وضعوا في مهمة دفاعية لامعة ومحددة ومساهمتهم العامة في الدفاع عن اسرائيل كانت اقل من هامشية واكثر من هذا فقد وضع الجنود الامريكيون في الجبهة الخلفية ومن الصعب جدا القول انهم جازفوا بحياتهم من اجل اسرائيل. وفي نفس الوقت لا يجب ان نتجاهل تماما الرمزية والمغازي الكامنة في هذا التجديد.

وحقيقة بانه وللمرة الاولى في التاريخ وضعت وحدة قتالية ميدانية من جيش الولايات المتحدة على اراضي اسرائيل وشاركت في نشاط ميداني يومي. وتعزيزا للادعاء القائل بان الحديث لا يدور عن امر تافه فانه قبل بضعة ايام على اندلاع حرب الخليج رفض قادة اسرائيل قبول اقتراح مساعد وزير الخارجية الامريكي لورنس ايغلبرغر لوضع بطاريات صواريخ باتريوت امريكية في اسرائيل - خوفا من المس بالمبدأ المقدس والذي بموجبه لا تريد اسرائيل ولا تحتاج الى مساعدة جنود اجانب في الدفاع وان جيش الدفاع الاسرائيلي وحده يتحمل المسؤولية الكاملة والوحيدة لامن الدولة.

هناك وجهان لوضع صواريخ "الباتريوت" في اسرائيل. احد هذين الوجهين هو ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة وهذا الارتباط بالمساعدة الاقتصادية والسياسية والامنية من قبل الولايات المتحدة لاسرائيل ليس سرا. ففي حرب يوم الغفران ثبت ايضا ان اسرائيل قد تكون في ظروف محدده مرتبطة ايضا بجسر جوي. ولكن هذه المرة لمس هذا الارتباط بقوة. وفي هذا السياق من الجدير لفت الانتباه الى ان وضع صواريخ الباتريوت في اسرائيل يعتبر فقط تعبيرا واحد - والاقل اهمية - لارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة في هذه الحرب. ان المساهمة العملية لصواريخ الباتريوت في الدفاع عن مدن اسرائيل واعتراض صواريخ السكاد كانت هامشية اجمالا. والتعبير الثاني هو النشاط الجوي - وربما حتى الارضي - الهجومي الامريكي ضد منصات اطلاق الصواريخ في غرب العراق. ولكن التعبير الاساسي لارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة تمثل في مجال الانذار، فجميع الانذارات المسبقة بشأن الهجمات الصاروخية على اسرائيل تم تلقيها من الامريكيين وذلك بواسطة شبكة اقمار صناعية خاصة قادرة على ان تكتشف خلال ثوان اطلاق صاروخ من اي مكان على الكرة الارضية. وقد وضعت الولايات المتحدة المعلومات من هذه الشبكة في خدمة اسرائيل. وبدون العلاقة المتواصلة مع الولايات المتحدة وبدون التعاون الوثيق معها فليس فقط ان اسرائيل لم يكن ليتوفر لها انذار مسبق ولاصبحت ايضا المعرفة الاولية عن الهجوم الصاروخي يتم تلقيها مع سقوط الصواريخ فقط. ان من الصعب وصف التأثير الصعب الذي كان [illegible] مئات الجمهور.

ويبدو ان هذا الوجه لم يزعج بشكل خاص الرأي العام الاسرائيلي. وفي استطلاع اجرته الدكتورة مينا تسيمح بعد ايام معدوده على وصول بطارية الصواريخ الامريكية الاولى على عينة تمثيلية من ٢٠٧ اشخاص اجريت مقابلات معهم فان ١٪ فقط ممن استطلعت اراؤهم اجابوا بان "تشغيل "الباتريوت" بمساعدة امريكية يمس بالكبرياء القومي" بينما ٩١٪ اجابوا ان الامر لا يمس بالكبرياء القومي (٢٤). وكما سنرى لاحقا فان هذه الظاهرة لم تمس بالثقة الكبيرة التي يكنها الجمهور

ربع السكان هربوا خارج المدينة. وفي الخلاصة ربما يمكن القول ان الهروب من غوش دان لم يتجاوز المستوى المتعارف عليه في حالات مشابهة ولكن كان له بالتأكيد مضاعفات اقل موضوعية.

سياسة ضبط النفس

امتنعت اسرائيل عن اي رد عسكري ضد العراق على الرغم من كل انعكاسات هجمات الصواريخ كما وصفت من قبل. وهذا التصرف ليس فقط [illegible] في ضوء سجل اسرائيل في الماضي وفي ضوء الصورة التي تميزت بها اسرائيل طوال السنوات الماضية وانما كان ايضا مناقضا للتصريحات التي صدرت عشية الحرب من قبل رؤساء الجيش والدولة وحتى مناقضا لكل ما كان يمكن توقعه. وهذه الظاهرة هي بلا شك الاكثر جوهرية من ناحية سياسية، ويبدو انه حتى الامريكيين لم يخطر ببالهم قبل الحرب ان اسرائيل تستطيع تجاوز تساقط متواصل لصواريخ عراقية على تل ابيب طوال ٤٠ يوما. وبالتأكيد لم يكن هناك الكثير من الاسرائيليين اذا وجد كهؤلاء ممن خطر ببالهم امر كهذا. لقد كانت لدى الحكومة الاسرائيلية بالتأكيد اسباب وجيهة دفعتها الى تبني سياسة ضبط النفس وعدم الانجراف. ولكن الامر الذي يثير الاهتمام والمفاجيء هو ان هذه السياسة حظيت طوال الوقت بدعم كبير من قبل الراي العام الاسرائيلي. وفي استطلاع اجرته الدكتورة مينا تسيمح يوم الاربعاء ٢٣ كانون الثاني - غداة سقوط صاروخ في رمات غان تسبب في مقتل ثلاثة اشخاص وعدد كبير من الجرحى، وشمل عينة تمثيلية من ٢٠٧ اشخاص اجريت مقابلات معهم وجد ان ٧٦٪ من السكان ايدوا ضبط النفس مقابل ١٥٪ الذين رأوا ان الامر يلزم برد اسرائيلي. وقال ٨٢٪ ان ضبط النفس علامة قوة لاسرائيل وفقط ١٣٪ قالوا انها علامة ضعف (١٩). وفي استطلاع هاتفي اجري بعد حوالي اسبوع من قبل شركة تيلسكر على عينة تمثيلية من ٤٠٠ شخص ايد ٧١٪ سياسة ضبط النفس مقابل ٢٠٪ ايدوا ردا فوريا لاسرائيل (٢٠). وفي استطلاع مماثل بعد شهر تقريبا - بين ١٩ - ٢١ شباط - وجد ان ٨٤٪ ممن استطلعت اراؤهم اعتقدوا انه لا يجب على اسرائيل الرد الان بالقوة على هجمات الصواريخ ضدها بينما ١١٪ اجابوا انه يجب الرد الان (٢١). وفي استطلاع اجري تقريبا في نفس الوقت من قبل المعهد للبحث الاجتماعي التطبيقي باسم غوتمان على عينة تمثيلية من ٥٠٠ شخص بواسطة الهاتف وجد ان ٨٠٪ يؤيدون سياسة ضبط النفس التي تتبعها الحكومة (٢٢).

وهناك من يعتقد ان هذه النتائج تشير الى النضج السياسي للجمهور الاسرائيلي. وفي نفس الوقت ايضا هناك مجال كي نحاول ان نفهم بشكل افضل الحوافز الكامنة خلف هذا الموقف. ويبدو لنا ان من الممكن طرح ثلاثة تفسيرات محتملة لهذه الظاهرة. الاول هو ان الامر يعكس ميلا عاما لدى الجمهور خاصة في اوقات الطوارىء وخلال الحرب لتأييد، وتقريبا بصورة عمياء، موقف الحكومة. وحسب هذا التفسير فانه لو اقرت الحكومة سياسة معاكسة اي ان ترد لكانت الغالبية الساحقة قد ايدتها. والتفسير الثاني هو ان الجمهور يشعر ان رغبة وهدف صدام حسين يتمثل في جر اسرائيل الى داخل الحرب ويجب عدم اعطائه ما يطلبه. بكلمات اخرى، نفس التبريرات التي اثرت على الحكومة هي بجوهرها التي اثرت على الراي العام: تمكين الولايات المتحدة من استكمال المهمة ومساعدتها على تحقيق اهدافها السياسية والعسكرية. وربما ان صدام حسين كشخص مثل في وعي الاسرائيليين عدوا وكارها لاسرائيل وكان رد الجمهور الاسرائيلي عفويا - عدم ايداء استعداد لفعل اي شيء يمكن ان يساعد ذلك المجرم. التفسير الثالث هو ان الامر يشير الى السأم من الحروب. فقد خشي الجمهور بان عملية ضد العراق قد تؤدي الى حرب بين اسرائيل والاردن وربما ايضا الى حرب مع سوريا والموقف المتساوق ضد الرد الاسرائيلي عبر عن هذا السأم من الحروب والرغبة القوية لتجنب الحرب بكل ثمن تقريبا. والسؤال الذي يبقى مفتوحا هو هل كان سيطرأ تغيير جوهري على الراي العام لو ان عدد المصابين من هجمات الصواريخ كان اكبر بصورة جوهرية. هناك من يعتقد ان السبب الرئيسي لتأييد الجمهور سياسة ضبط النفس يتمثل في غياب الخسائر في الارواح نتيجة اصابات الصواريخ. وحسب هذا الاعتقاد فان كارثة واحدة على غرار اصابة صاروخ السكاد لمبنى الجنود الامريكيين في العربية السعودية في الايام الاخيرة للحرب كانت تكفي كي تؤدي الى تأييد متطرف في الراي العام لعملية

لكنها لم تكن خطيرة على المستوى الوطني، اما في جانب الافضليات فبالامكان تحديد العبر الهامة التي خلصنا اليها في موضوعات مختلفة، وبثمن زهيد نسبيا، والتي سنواجه لدى تطبيقها مشكلة كبيرة.

العالم العربي ما زال مجزءا في اعقاب الحرب، ولهذا فان قوته السياسية ضعفت، وضعفت على وجه الخصوص مكانة الفلسطينيين، ومكانة منظمة التحرير بصورة عامة، هذا اضافة الى ان العرب يواجهون الان مفاوضات مصيرية. وبالتأكيد يعتبر توطيد العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة في اعقاب الحرب افضلية هامة جدا بالنسبة لنا، وصحيح ان السوريين تعززت مكانتهم الاستراتيجية، لكن مقابل ذلك العراق "خرج من اللعبة" وذلك على الاقل حتى المستقبل القريب.

وفوق كل ذلك، يبدو بانه توجد احتمالات في هذه المرة للتوصل لسلام مع جيراننا، واذا عرفنا كيف نستغل الوضع بصورة مناسبة من اجل تنفيذ المهمة الوطنية الاولى - استيعاب الهجرة - فان هذا يعني بان الميزان سيكون وبالتأكيد ايجابيا بالنسبة لاسرائيل.